سلسلة نصوص تراثية للباحثين ( ٥٩٧)

# ثبتناك

## ما ورد عن الثبات في الكتب المسندة والرقائق

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"– ١٣٧١٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله:" " قاصفا﴾، قال: عاصفا، وفي قوله: " ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾، قال: نصيرا".

– ١٣٧١٥ عن قتادة رضي الله عنه، في قوله:" " ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾، قال: لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك".

قال تعالى:

﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا* يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا* ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا* وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا* ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا* إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا* وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا﴾

قوله تعالى: " ولقد كرمنا بني آدم﴾

– ١٣٧١٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله:" " ولقد كرمنا بني آدم﴾، قال: جعلناهم يأكلون بأيديهم، وسائرالخلق يأكلون بأفواههم". قوله تعالى: " يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾

– ١٣٧١٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله:" " يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾، قال: إمام هدى، وإمام ضلالة".." (١)

"وحكى الزجاج أن الآية قيل إنها فيما أرادوه من طرد فقراء أصحابه وأما لثقيف فقال ابن عباس وغيره لأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات وقالوا إنا نريد أن نأخذ ما يهدى لنا ولكن إن خفت أن تنكر ذلك عليك العرب فقل أوحى الله ذلك إلي فنزلت الآية في ذلك ويلزم قائل هذا القول أن يجعل الآية مدنية وقد روي ذلك وروى قائلو الأقوال الأخر أنها مكية .

قال القاضي أبو محمد وجميع ما أريد من النبي صلى الله عليه وسلم بحسب هذا الاختلاف قد أوحى الله إليه خلافه إما في معجز وإما في غير معجز وفعله هو أن لو وقع افتراء على الله إذ أفعاله وأقواله إنما هي كلها شرع .

وقوله " وإذا لاتخذوك خليلا " توقيف على ما نجاه الله منه من مخالفة الكفار والولاية لهم وقوله " لولا **أن ثبتناك** " الآية تعديد نعمة على النبي صلى الله عليه وسلم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

والركون شد الظهر إلى الأمر أو الحزم على جهة السكون إليه كما يفعل الإنسان بالركن من الجدران ومنه قوله تعالى حكاية
.

" أو آوى إلى ركن شديد " وقرأ الجمهور تركن بفتح الكاف وقرأ ابن مصرف وقتادة وعبد الله بن أبي إسحاق تركن بضم الكاف ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يركن لكنه كاد بحسب همه

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٧٣/٩

بموافقتهم طمعا منه في استئلافهم وذهب ابن الأنباري إلى أن معناه لقد كاد أن يخبروا عنك أنك ركنت ونحو هذا ذهب في ذلك إلى نفي الهم بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فحمل اللفظ ما لا يحتمل وقوله " شيئا قليلا " يبطل ذلك وهذا الهم من النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت خطرة مما لا يمكن دفعه ولذلك قيل "كدت " وهي تعطي أنه لم يقع ركون ثم قيل " شيئا قليلا " إذ كانت المقاربة التي تتضمنها "كدت " قليلة خطرة لم تتأكد في النفس وهذا الهم هو كهم يوسف عليه السلام والقول فيهما واحد وقوله " إذا لأذقناك " الآية يبطل أيضا ما ذهب إليه ابن الأنباري وقوله " ضعف الحياة وضعف الممات " قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك يريد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات .

قال القاضي أبو محمد على معنى أن ما يستحقه هذا المذنب من عقوبتنا في الدنيا والآخرة كنا نضعفه لك وهذا التضعيف شائع مع النبي صلى الله عليه وسلم في اجره وفي ألمه وعقاب أزواجه وباقي الآية بين .

قوله عز وجل

٤٧٦

سورة الإسراء

" (١).

"الإسلام وهم معظم المنافقين وقد دل على ذلك قوله: ﴿يتولون الذين كفروا﴾، لأنه لا يستغرب إلا لكونه صادرا ممن أظهروا الإسلام فهذا انتقال لشناعة المنافقين.والرؤية في قوله: ﴿ترى﴾ بصرية، والخطاب للرسول.والمراد بـ ﴿كثير منهم﴾ كثير من يهود المدينة، بقرينة قوله﴿ترى﴾، وذلك أن كثيرا من ا ليهود بالمدينة أظهروا الإسلام نفاقا، نظرا لإسلام جميع أهل المدينة من الأوس والخزرج فاستنكر اليهود أنفسهم فيها، فتظاهروا بالإسلام ليكونوا عينا ليهود خيبر وقريظة والنضير.ومعنى ﴿يتولون﴾ يتخذونهم أولياء.والمراد بالذين كفروا مشركو مكة ومن حول المدينة من الأعراب الذين بقوا على الشرك.ومن هؤلاء اليهود كعب بن الأشرف رئيس اليهود فإنه كان مواليا لأهل مكة وكان يغريهم بغزو المدينة.وقد تقدم أنهم المراد في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ [النساء:٥٠]

وقوله: ﴿أن سخط الله عليهم﴾ "أن"فيه مصدرية دخلت على الفعل الماضي وهو جائز، كما في الكشاف كقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ [الاسراء:٧٤]، والمصدر المأخوذ هو المخصوص بالذم.والتقدير:لبئس ما قدمت بهم أنفسهم سخط الله عليهم، فسخط الله مذموم.وقد أفاد هذا المخصوص أن الله قد غضب عليهم غضبا خاصا لموالاتهم الذين كفروا، وذلك غير مصرح به في الكلام فهذا من إيجاز الحذف.ولك أن تجعل المراد بسخط الله هو اللعنة التي في قوله: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾ [المائدة:٧٨].وكون ذلك مما قدمت لهم أنفسهم معلوم من الكلام السابق.

وقوله: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي﴾ إلخ الواو للحال من قوله: ﴿ترى كثيرا منهم﴾ باعتبار كون المراد بهم المتظاهرين بالإسلام بقرينة ما تقدم، فالمعنى:ولو كانوا يؤمنون إيمانا صادقا ما اتخذوا المشركين أولياء.والمراد بالنبي محمد صلى الله عليه

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٣/٤٩٣

وسلم، وبما أنزل إليه القرآن، وذلك لأن النبي نهى المؤمنين عن موالاة المشركين، والقرآن نهى عن ذلك في غير ما آية.وقد تقدم في قوله: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ [آل عمران:٢٨].وقد جعل موالاتهم للمشركين علامة على عدم إيمانهم بطريقة القياس الاستثنائي، لأن المشركين أعداء الرسول فموالاتهم لهم علامة على عدم الإيمان به.وقد تقدم ذلك في سورة آل عمران.

وقوله: ﴿ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ هو استثناء القياس، أي ولكن كثيرا من بني." (١)

"يكون.

وقوله ﴿لتفتري علينا غيره﴾ متعلق ب ﴿يفتنونك﴾ ، واللام للعلة، أي يفعلون ذلك إضمارا منهم وطمعا في أن يفتري علينا غيره، أي غير مما أوحي إليك. وهذا طمع من المشركين أن يستدرجوا النبي من سؤال إلى آخر، فهو راجع إلى نياتهم. وليس في الكلام ما يقتضي أن النبي صلى الله عليه وسلم هم بذلك كما فهمه بعض المفسرين. إذ لام التعليل لا تقتضي أكثر من غرض فاعل الفعل المعلل ولا تقتضي غرض المفعول ولا علمه.

و(إن) من قوله : ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ مخففة من (إن) المشددة واسمها ضمير شان محذوف، واللام في ﴿ليفتنونك﴾ هي اللام الفارقة بين (إن) المخففة من الثقيلة وبين (إن) النافية فلا تقتضي تأكيدا للجملة.

وجملة ﴿وإذا لاتخذوك خليلا﴾ عطف على جملة ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ . و(إذا) حرف جزاء والنون التي بآخرها نون كلمة وليست تنوين تمكين فتكون جزاء لفعل ﴿يفتنونك﴾ بما معه من المتعلقات مقحما بين المتعاطفين لتصير واو العطف مع (إذا) مفيدة معنى فاء التفريع.

ووجه عطفها بالوا دون الاقتصار على حرف الجزاء لأنه باعتبار كونه من أحوالهم التي حاوروا النبي صلى الله عليه وسلم فيها وألحوا عليه ناسب أن يعطف على جملة أحوالهم. والتقدير: فلو صرفوك عن بعض ما أوحينا إليك لاتخذوك خليلا. واللام في قوله ﴿لاتخذوك﴾ اللام الموطئة للقسم لأن الكلام على تقدير الشرط، وهو لو صرفوك عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك خليلا.

واللام في قوله ﴿لاتخذوك﴾ لام جواب ( لو ) إذ كان فعلا ماضيا مثبتا.

والخليل: الصديق. وتقدم عند قوله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء: من الآية١٢٥] الله

﴿ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ [الإسراء:٧٥] يجوز أن يكون هذا كلاما مستقلا غير متصل بقوله ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾." (٢)

"والركون: الميل بالركن، أي بالجانب من الجسد واستعمل في الموافقة بعلاقة القرب. وتقدم في قوله ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ في سورة هود الآية[١١٣ ]ما استعمل ضده في المخالفة في قوله تعالى ﴿وإذا أنعمنا على الأنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ في هذه السورة.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٢/٥

(٢) التحرير والتنوير، ١٣٧/١٤

وانتصب ﴿تركن﴾ على المفعول المطلق ل ﴿تركن﴾ أي شيئا من الركون. ووجه العدول عن مصدر )تركن( طلب الخفة لأن مصدر ﴿ تركن: وهو الركون فيه ثقل فتركه أفصح، وإنما لم يقتصر على ﴿قليلا﴾ لأن تنكير ﴿شيئا﴾ مفيد التقليل، فكان في ذكره تهيئة لتوكيد معنى التقليل، فإن كلمة شيء لتوغلها في إيهام جنس ما تضاف إليه أو جنس الموجود مطلقا مفيدة للتقليل غالبا كقوله تعالى ﴿فلا تأخذوا منه شيئا﴾ [النساء من لآية ٢٠]

و)إذن( الثانية )جزاء ل ﴿كدت تركن﴾ ولكونها جزاء فصلت عن العطف إذ لا مقتضى له. فركون النبي صلى الله عليه وسلم إليهم غير واقع ولا مقارب الوقوع لأن الآية قد نفته بأربعة أمور، وهي: لولا الامتناعية. وفعل المقاربة المقتضي أنه ما كان يقع الركون ولكن يقع الاقتراب منه، والتحقير المستفاد من ﴿شيئا﴾ ، والتقليل المستفاد من ﴿قليلا﴾ .

أي لولا إفهامنا إياك وجه الحق لخشي أن تقترب من ركون ضعيف قليل ولكن ذلك لم يقع. ودخلت قد في حيز الامتناع فأصبح تحقيقها معدوما، أي لولا **أن ثبتناك لتحقق** قرب ميلك القليل ولكن ذلك لم يقع لأنا ثبتناك.

وجملة ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة﴾ جزاء لجملة ﴿لقد كدت تركن﴾ والمعنى: لو تركن إليهم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات. ولما في إذن من معنى الجزاء استغني عن ربط الجملة بحرف التفريع. والمعنى: لقد كدت تركن فلأذقناك.

والضعف بكسر الضاد : مماثل مقدار شيء ذي مقدار، فهو لا يكون إلا مبينا بجنسه لفظا أو تقديرا مثل قوله تعالى ﴿من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ [لأحزاب من الأية٣٠ ] أي ضعفي ما اعد لتلك الفاحشة. ولما كان كذلك ساغ إطلاقه دون بيان اعتمادا على بيان السياق كما هنا، فإن ذكر الإذاقة في مقام التحذير ينبئ بأنها إذاقة عذاب موصوف بأنه ضعف.

ثم إن الضعف أطلق هنا على القوي الشديد لعدم حمل الضعف على حقيقته إذ ليس ثم علم بمقدار العذاب يراد تضعيفه كقوله ﴿فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ وتقدم ذلك في." (١)

"وبين ﴿منه﴾ الأولى و ﴿منه﴾ الثانية محسن الجناس.

وأما موقع تفريع قوله: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ فهو شديد الاتصال بما استتبعه فرض التقول من تأييسهم من أن يتقول على الله كلاما لا يسوءهم، ففي تلك الحالة من أحوال التقول لو أخذنا عنه باليمين فقطعنا منه الوتين، لا يستطيع أحد منكم أو من غيركم أن يحجز عنه ذلك العقاب، وبدون هذا الاتصال لا يظهر معنى تعجيزهم عن نصره إذ ليسوا من الولاء له بمظنة نصره، فمعنى هذه الآية يحوم حول معنى قوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا، ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ [الاسراء: ٧٣-٧٥].

والخطاب في قوله: ﴿منكم﴾ للمشركين.

وإنما أخبر عن ﴿أحد﴾ وهو مفرد ب ﴿حاجزين﴾ جمعا لأن ﴿أحد﴾ هنا وإن كان لفظه مفردا فهو في معنى الجمع لأن ﴿أحد﴾ إذا كان بمعنى ذات أو شخص لا يقع إلا في سياق النفي ثم عريب، وديار ونحوهما من النكرات التي لا تستعمل

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٩/١٤

إلا منفية فيفيد العموم، أي كل واحد لا يستطيع الحجز عنه ويستوي في لفظه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة:٢٨٥] وقال: ﴿لستن كأحد من النساء﴾ [الأحزاب:٣٢].

والمعنى: ما منكم أناس يستطيعون الحجز عنه.

والحجز: الدفع والحيلولة، أي لا أحد منكم يحجزنا عنه. والضمير عائد إلى ﴿رسول كريم﴾ [الحاقة:٤٠].

و ﴿من﴾ في قوله: ﴿من أحد﴾ مزيدة لتأكيد النفي وللتنصيص على العموم. وذكر ﴿منكم﴾ مع ﴿عنه﴾ تجنيس محرف.

وهذه الآية دليل على أن الله تعالى لا يبقي أحدا يدعي أن الله أوحى إليه كلاما يبلغه إلى الناس، وأنه يعجل بهلاكه.

فأما من يدعي النبوة دون ادعاء قول أوحي إليه، فإن الله قد يهلكه بعد حين كما كان في أمر الأسود العنسي الذي ادعى النبوة باليمن، ومسيلمة الحنفي الذي ادعى النبوة في اليمامة، فإنهما لم يأتيا بكلام ينسبانه إلى الله تعالى، فكان إهلاكهما بعد مدة، ومثلهما." (١)

"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿ولولا أن ثبتناك، لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [الإسراء: ٧٤] ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم -[١٤]- ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقارفهم ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: ﴿ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [الإسراء: ٧٤]." (٢)

"لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا﴾ [الإسراء: ٧٣] وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يهدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم، وأن يؤجلهم، فقال الله: ﴿ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [الإسراء: ٧٤] والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله، وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمس آلهتهم ويلم بها، وجائز أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألتهم إياه ما سألوه مما ذكرنا، وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عنى بذلك منه." (٣)

"القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [الإسراء: ٧٤] يقول تعالى ذكره: ولولا **أن ثبتناك يا** محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه -[١٦]- هؤلاء المشركون من الفتنة ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئا

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٦/٢٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ١٣/١٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ١٥/١٥

قليلا﴾ [الإسراء: ٧٤] يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئن شيئا قليلا، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم هم به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية، ما:." (١)

"حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [الإسراء: ٧٤] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»." (٢)

"حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم: ٩] قال: ودوا لو يدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدهنون وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ [الإسراء: ٧٥] وإنما هو مأخوذ من الدهن شبه التليين في القول بتليين الدهن." (٣)

"جهنم، ثم يدعون بشرا كثيرا بما كانوا يعبدون من آلهتهم، منها الحجارة، ومنها الشمس، والقمر، فيقال: من كان يعبد إلها، فليتبعه، تقدمهم آلهتهم، ثم يبقى المسلمون، فيقف بهم ربهم، عز وجل، فيقول: ما أنتم؟ فيقولون: نحن المسلمون، فيقول: خير اسم، وخير داعية، فيقول: من نبيكم؟ قالوا: نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، فيقول: ما كتابكم؟ فيقولون: القرآن، فيقول: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد الله وحده، فيقول: أتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيتجلى الرب، عز وجل، فيخرون له سجدا، فيقولون: أنت ربنا، جل جلالك، ثم يمضي النور بأهله "

وقوله: ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ [الإسراء: ٧١] أي: لا ينقصون من ثوابهم بمقدار فتيل، وهو القشرة التي في شق النواة، ويضرب مثلا للشيء الحقير.

قوله: ﴿ومن كان في هذه﴾ [الإسراء: ٧٢] يعني في الدنيا، أعمى عما يرى من قدرة الله تعالى في خلق السموات والأرض، والبحار والجبال، ﴿فهو في الآخرة﴾ [الإسراء: ٧٢] أي: في أمرها مما لم يعاينه، ﴿أعمى﴾ [الإسراء: ٧٢] أشد عمى، وكلاهما من عمى القلب لا من عمى العين، قال قتادة: من عاين الشمس والقمر، فلم يؤمن، فهو أعمى عما يغيب عنه، أن يؤمن به هذا الذي ذكرنا قول عامة المفسرين.

وقال الحسن: من كان في الدنيا ضالا كافرا، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل توبته.

اختار أبو إسحاق الزجاج هذا القول، فقال: تأويله إنه إذا عمي في الدنيا، وقد عرفه الله الهدى، وجعل له إلى التوبة وصلة، فعمي عن رشده، ولم يتب، فهو في الآخرة أعمى، أي: أشد عمى وأضل سبيلا، لأنه لا يجد طريقا إلى الهداية.

واختاره أبو علي الفارسي أيضا، فقال: معنى قوله: ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ [الإسراء: ٧٢] أي: أشد عمى في الدنيا،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ١٥/١٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ١٦/١٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر؟ الطبري، أبو جعفر ١٥٧/٢٣

كان ممكنا من الخروج عن عماه بالاستدلال، ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماه، لأنه قد حصل على عمله.

وكذلك قوله: وأضل سبيلا لأن ضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه، وقرأ أبو عمرو في هذه أعمي بكسر الميم، ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ [الإسراء: ٧٢] بفتح الميم، أراد أن يفرق بين ما هو اسم، وبين ما هو أفعل منه، فغاير بينهما بالإمالة، وتركها لأن معنى قوله: ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ [الإسراء: ٧٢] أي: أعمى منه في الدنيا، ومعنى العمى في الآخرة أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب.

﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ﴿٧٣﴾ ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴿٧٤﴾ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴿٧٥﴾ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا ﴿٧٦﴾ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٧] قوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ [الإسراء: ٧٣] أي: هموا وقاربوا أن يزيلوك ويصرفوك، ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ [الإسراء: ٧٣] يعني القرآن، والمعنى عن حكمه نزلت الآية في وفد ثقيف، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: متعنا باللات سنة، وحرم وادينا كما حرمت مكة، فإنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول، وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعط غيرهم، فقل: الله أمرني بذلك.

فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وداخلهم الطمع، وقد هم أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله." (١)

"هذه الآية.

وكان في إعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن، لذلك قال: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره﴾ [الإسراء: ٧٣] لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك، وهو قولهم: قل الله أمرني بذلك.

﴿وإذا لاتخذوك خليلا﴾ [الإسراء: ٧٣] لو فعلت ما أرادوا.

﴿ولولا أن ثبتناك﴾ [الإسراء: ٧٤] على الحق بعصمتنا إياك، لقد كدت هممت وقاربت، تركن إليهم أي: تميل شيئا قليلا، عبارة عن المصدر، أي: ركونا، قال ابن عباس: يريد حيث سكت عن جوابهم، والله أعلم بنيته.

ثم توعده على ذلك لو فعله ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ [الإسراء: ٧٥] أي: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات، يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، أي: ضعف ما يعذب به غيره، قال ابن عباس: ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم، ولكن هذا تخويف لأمته، لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه.

قوله: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ [الإسراء: ٧٦] قال قتادة: هم أهل مكة بإخراج نبي الله صلى الله عليه وسلم منها، ولو فعلوا ذلك ما نوظروا، ولكن الله كفهم عن ذلك حتى أمره بالخروج.

والمعنى أنهم قاربوا أن يزعجوك من أرض مكة ﴿ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك﴾ [الإسراء: ٧٦] وخلفك أي: بعدك، يعني بعد خروجك، وخلافك بمعنى خلفك، كقوله تعالى: ﴿بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ [التوبة: ٨١] وقوله: إلا

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي؟ الواحدي ١١٩/٣

قليلا أي: لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك بمدة يسيرة، كسنتنا في من قبلهم، وهو قوله: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ [الإسراء: ٧٧] قال سفيان بن عيينة: يقول: لم نرسل قبلك رسولا فأخرجه قومه إلا أهلكوا.

وقال الزجاج: إن سنتنا هذه السنة في من أرسلنا قبلك إليهم، أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم، أو قتلوه، أن ينزل العذاب بهم.

وقوله: ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ [الإسراء: ٧٧] أي: ما أجرى الله به العادة لم يتهيأ لأحد أن يقبلها، قال ابن عباس: لا خلف لسنتي ولا لقضائي ولا لموعدي.

قوله: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهودا ﴿٧٨﴾ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴿٧٩﴾ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴿٨٠﴾ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴿٨١﴾ وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨-٨٢] ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ [الإسراء: ٧٨] دلوك الشمس زوالها وميلها في وقت الظهر، وكذلك ميلها للغروب هو دلوكها أيضا، قال المبرد: دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها عند العرب.

والمفسرون مختلفون فيه، فقوم يقولون: دلوكها زوالها، وهو قول الحسن، والشعبي، وعطاء، ومجاهد، وقتادة.

وقال قوم: دلوكها غروبها، وهو قول ابن مسعود، وعلي، والسدي، وابن عباس، في رواية سعيد بن جبير.

قال الأزهري: معنى الدلوك." (١)

"﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا (٧٤) إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا (٧٥) ﴾." (٢)

"﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا (٧٦) ﴾

﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحق بعصمتنا ﴿لقد كدت تركن﴾ أي: تميل ﴿إليهم شيئا قليلا﴾ أي: قريبا من الفعل.

فإن قيل: كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر؟

قيل: كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد غفر (١) الله عز وجل عن حديث النفس.

قال قتادة: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك: "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين" (٢) .

والجواب الصحيح هو أن الله تعالى قال: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ وقد ثبته الله ولم يركن وهذا مثل قوله تعالى: "ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا" (النساء-٨٣) [وقد تفضل فلم يتبعوا] (٣) .

﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني: أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي؟ الواحدي ١٢٠/٣

(٢) تفسير البغوي - طيبة؟ البغوي ، أبو محمد ١١٢/٥

وقيل: "الضعف": هو العذاب سمي ضعفا لتضاعف الألم فيه.

﴿ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ أي: ناصرا يمنعك من عذابنا. قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾ اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم: هذه الآية مدنية قال الكلبي: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا منهم فأتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام [وهي الأرض المقدسة وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن كنت نبيا مثلهم فأت الشام] (٤) وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله

---

(١) في "ب": عفا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف" ص (١٠١) : "لم أجده وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلا". وقد تقدم أن هذه العبارة كافية في الحكم عليه بالوضع وعدم اعتداد المصنف رحمه الله بالجواب وترجيحه غيره يدل على ضعفه عنده وقارن بالطبري: ١٥ / ١٣١.

(٣) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٤) ساقط من "أ".." (١)

"أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه، فينسخ الله ما يلقي الشيطان.

وأكثر المفسرين ٢٨/ب قالوا: معنى قوله: ﴿تمنى﴾ أي: تلا وقرأ كتاب الله تعالى. "ألقى الشيطان في أمنيته" أي: في تلاوته، قال الشاعر في عثمان حين قتل: تمنى كتاب الله أول ليلة ... وآخرها لاقى حمام المقادر

واختلفوا في أنه كان يقرأ في الصلاة أو في غير الصلاة؟ فقال قوم: كان يقرأ في الصلاة. وقال قوم: كان يقرأ في غير الصلاة.

فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكان معصوما من الغلط في أصل الدين، وقال جل ذكره في القرآن: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ (فصلت: ٤٢) يعني إبليس؟

قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه، فقال بعضهم: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه.

وقال قتادة: أغفى النبي صلى الله عليه وسلم إغفاءة فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر.

والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه.

وقيل: إن شيطانا يقال له أبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى يمتحن عباده بما يشاء (١) .

---

(١) أن هذه القصة والمعروفة بقصة الغرانيق قد ذكرها أكثر المفسرين دون تعليق فقد ذكرها الطبري ١٧ / ١٨٦ - ١٩٠ وابن كثير في تفسيره ٣ / ٢٣٠ - ٢٣١ ثم قال: (وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا كلها مرسلات

---

(١) تفسير البغوي - طيبة؟ البغوي ، أبو محمد ١١٢/٥

ومنقطعات والله أعلم) . والذي يتتبع طرق هذه القصة يجد أن جميع طرقها مرسلة أو منقطعة أو معلة أو فيها جهالة فالطرق مهما كثرت وكانت ضعيفة لا تزيد الرواية إلا ضعفا. فإن قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق لا تقبل على إطلاقها وهذا ما حققه الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في مقدمته وغيره من علماء الحديث المحققين. لقد وقف على هذه القصة غير واحد من العلماء المحققين وبينوا زيف وبطلان هذه المرويات التي أوردها بعض المفسرين. فقد ذكر الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تفسيره: ٣ / ٤٦٢ عند قوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم" فقال: "ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقوله: (وما ينطق عن الهوى) وقوله: (ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم) . قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة. وصنف في ذلك كتابا". وللقاضي عياض في كتاب الشفاء ٢ / ٧٥٠ كلام حول نقض هذه القصة فيقول: (فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: المأخذ الأول: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، والمتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. المأخذ الثاني: فهو مبني على تسليم الحديث لو صح، وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين. ثم سرد أحاديث بين زيفها ورد العلماء عليها. ويقول الإمام القرطبي في تفسيره ١٢ / ٨٤ عند قوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك من رسول. . . " بعد أن سرد بعض الروايات "ومما يدل على ضعفه أيضا وتوهينه من الكتاب قوله تعالى: (وإن كادوا ليفتنونك) الآيتين؛ فإنهما تردان الخبر الذي رووه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبته لكان يركن إليهم. فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه في أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا) +أإن هذه الأقاويل يجب تنزيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وقد ثبت بطلان هذه القصة سندا ومتنا. ولمن أراد مزيد إطلاع فلينظر بحثا قيما للأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) فقد سرد جميع الروايات وبين ضعفها وسرد أقوال المحدثين والعلماء المحققين في رد هذه القصة. انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، صفحة ٤٤٠ - ٤٥٢ لمحمد بن محمد أبو شهبة روح المعاني للألوسي ١٧ / ١٧٥ - ١٨٤. الشفاء للقاضي عياض ٢ / ٧٥٠ وما بعده فتح القدير ٣ / ٤٦١ تفسير القرطبي ١٢ / ٧٩ وما بعدها في ظلال القرآن ٥ / ٦١١.." (١)

"ثم قال البزار: لا يروى إلا من هذا الوجه (١) .

وقوله: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: ﴿ومن كان في هذه﴾ أي: في الحياة الدنيا ﴿أعمى﴾ عن حجج الله وآياته وبيناته ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي: كذلك يكون

---

(١) تفسير البغوي - طيبة؟ البغوي ، أبو محمد ٣٩٤/٥

﴿وأضل سبيلا﴾ أي: وأضل منه كما كان في الدنيا، عياذا بالله من ذلك.

﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا (٧٣) ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا (٧٤) إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا (٧٥) ﴾ .

يخبر تعالى عن تأييد (٢) رسوله، صلوات الله عليه وسلامه (٣) ، وتثبيته، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره، ومظهر (٤) دينه على من عاداه وخالفه وناوأه، في مشارق الأرض ومغاربها، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

---

(١) ورواه الترمذي في السنن برقم (٣١٣٦) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبيد الله بن موسى به، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

(٢) في ف: "تأييده".

(٣) في ت: "صلوات الله وسلامه عليه".

(٤) في ت: "فيظهر".." (١)

"أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا (٧٢) وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا (٧٣) ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا (٧٤) إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا (٧٥) وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا (٧٦) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧)

شرح الكلمات:

بإمامهم: أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر.

فتيلا: أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة.

ومن كان في هذه أعمى: من كان في الدنيا أعمى عن حجج الله تعالى الدالة على وجوده وعلمه وقدرته، فلم يؤمن به ولم يعبده فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلا.

وإن كادوا: أي قاربوا.

ليفتنونك: أي يستنزلونك عن الحق، أي يطلبون نزولك عنه.

لتفتري علينا غيره: أي لتقول علينا افتراء غير الذي أوحينا إليك.

إذا لاتخذوك خليلا: أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعله لاتخذوك خليلا لهم.

ضعف الحياة وضعف الممات: أي لعذبناك عذاب الدنيا مضاعفا وعذاب الآخرة كذلك.

ليستفزونك من الأرض: أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة؟ ابن كثير ٥/١٠٠

لا يلبثون خلافك: أي لا يبقون خلفك أي بعدك إلا قليلا ويهلكهم الله.
سنة من قد أرسلنا من قبلك: أي لو خرجوك لعذبناهم بعد خروجك بقليل، سنتنا في الأمم.
ولا تجد لسنتنا تحويلا: أي عما جرت به في الأمم السابقة.." (١)

"معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله في تقرير عقيدة البعث والجزاء، اذكر يا رسولنا، ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ الذي كانوا يقتدون به ويتبعون فيتقدم ذلك الإمام ووراءه أتباعه وتوزع الكتب عليهم واحدا واحدا فمن أعطى كتابه بيمينه تشريفا له وتكريما، فأولئك الذين أكرموا بإعطائهم كتبهم بإيمانهم، يقرأون كتابهم ويحاسبون بما فيه ﴿ولا يظلمون﴾ أي لا ينقصون مقدار فتيل لا تنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم١. واذكر هذا لهم تعضهم به لعلهم يتعظون، وقوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه﴾ أي الدنيا ﴿أعمى﴾ ، لا يبصر هذه الحجج والآيات والدلائل وأصر على الشرك، والتكذيب والمعاصي ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي أشد عمى ﴿وأضل سبيلا﴾ فلا يرى طريق النجاة ولا يسلكه حتى يقع في جهنم. وقوله: ﴿وان كادوا ليفتنونك٢﴾ أي يصرفونك ﴿عن الذي أوحينا٣ إليك﴾ من توحيدنا والكفر بالباطل وأهله. ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي لتقول علينا غير الحق الذي أوحيناه إليك، وإذا لو فعلت بأن وافقتهم على ما طلبوا منك، من الإغضاء على شركهم والتسامح معهم إقرارا لباطلهم، ولو مؤقتا، ﴿لاتخذوك خليلا﴾ لهم وكانوا أولياء لك، وذلك أن المشركين في مكة والطائف، واليهود في المدينة كانوا يحاولون جهدم أن يستنزلوا الرسول على شيء من الحق الذي يأمر به ويدعو إليه مكرا منهم وخديعة سياسية إذ لو وافقهم على شيء لطالبوا بآخر، ولقالوا قد رجع إلينا، فهو إذا يتقول، وليس بالذي يوحى إليه بدليل قبوله منا كذا وكذا وتنازله عن كذا وكذا. وقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي على الحق حيث عصمناك ﴿لقد كدت﴾ أي قاربت ﴿تركن﴾ ٤، أي تميل ﴿إليهم شيئا قليلا﴾ بقبول بعض اقتراحاتهم ﴿إذا﴾ أي لو ملت إليهم، وقبلت منهم ولو شيئا يسيرا ﴿لأذقناك ضعف٥ الحياة وضعف الممات٦﴾ ، أي لضاعفنا عليك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك نصيرا ينصرك إذا نحن خذلناك وعذبناك وقوله تعالى في حادثة أخرى وهي أنهم لما فشلوا في المحاولات السلمية أرادوا استعمال القوة فقرروا إخراجه من مكة بالموت أو الحياة فأخبر تعالى

---

١ لم يذكر من أوتي كتبهم بشمائلهم إذ هم الذين خسروا أنفسهم اكتفاء بذكر من أوتوا كتبهم بأيمانهم، وقد ذكر في أول السورة: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وذكر في سورتي الحاقة والانشقاق.
٢ عدي فعل يفتنونك بعن لأنه مضمن معنى فعل يتعدى بها وهو الصرف يقال: صرفه عن كذا. أي يصرفونك.
٣ الآية مسوقة مساق الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم حيث عصمه، وفيها بيان مدى ما كان المشركون يريدونه من صرف النبي صلى الله عليه وسلم عن الحق الذي جاءه وهو يدعو إليه من التوحيد.
٤ الركون: الميل بالركن الذي هو الجانب من جسد الإنسان واستعمل في الموافقة بعلاقة القرب.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري؟ أبو بكر الجزائري ٣/٢١٥

٥ هذه الجملة جزاء لجملة: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ إذ تقدير الكلام لو ركنت إليهم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات.

٦ جائز أن يكون المراد بعذاب الدنيا: تراكم المصائب والأرزاء في مدة الحياة وعذاب الممات أن يموت مكمودا مستذلا بين من فازوا عليه بشرف سقوطه بينهم وضياع ما كان يأمله ويدعو إليه.." (١)

"شرح الكلمات:

اتق الله: أي دم على تقواه بامتثالك أوامره واجتنابك نواهيه.

ولا تطع الكافرين: أي المشركين فيما يقترحون عليك.

والمنافقين: أي الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر بما يخوفونك به.

إن الله كان عليما حكيما: أي عليما بخلقه ظاهرا وباطنا حكيما في تدبيره وصنعه.

واتبع ما يوحى إليك من ربك: أي تقيد بما يشرع لك من ربك ولا تلتفت إلى ما يقوله خصومك لك من اقتراحات أو تهديدات.

وتوكل على الله: أي فوض أمرك إليه وامض في ما أمرك به غير مبال بشيء.

معنى الآيات:

لقد واصل المشركون اقتراحاتهم التي بدأوها بمكة حتى المدينة وهي عروض المصالحة بينه وبينهم بالتخلي عن بعض (١) دينه أو بطرد بعض أصحابه، والمنافقون قاموا بدورهم في المدينة بتهديده صلى الله عليه وسلم بالقتل غيلة إن لم يكف عن ذكر آلهة المشركين في هذا الظرف بالذات نزل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي (٢) ﴾ ناداه ربه تعالى بعنوان النبوة تقريرا لها وتشريفا له ولم يناده باسمه العلم كما نادى موسى وعيسى وغيرهما بأسمائهم فقال ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع (٣) الكافرين (٤) والمنافقين إن الله كان عليما حكيما﴾ أي اتق الله فخفه فلا تقبل اقتراح المشركين، ولا ترهب تهديد المنافقين بقتلك إن الله كان وما يزال عليما بكل خلقه وما يحدثون من تصرفات ظاهرة أو باطنة حكيما في تدبيره وتصريفه أمور

---

١ - هذا من قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره، وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ .

٢ - نداؤه تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعنوان النبوة تشريف له وتقرير لنبوته وناداه بعنوان الرسالة في موضعين من كتابه وذلك في سورة المائدة. وأمره أن يخبر البشرية كلها بأنه رسول الله إليهم وحدث عنه فوصفه بالرسالة "محمد رسول الله" ولم يناده باسمه العلم لشهرته وعدم الحاجة إليه وحتى لا يدعي أحد أنه هو المعني بهذا الاسم وله صلى الله عليه وسلم خمسة أسماء كما جاء ذلك في حديث الموطأ: لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري؟ أبو بكر الجزائري ٣/٢١٦

٣ – الطاعة: العمل بما يأمر به الغير أو يشير به لأجل تحقيق غرض له صالحا كان أو فاسدا.
٤ – سبب نزول هذه الآية أن وفدا جاء من مكة بعد غزوة أحد برئاسة أبي سفيان واجتمعوا بعد أن أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولهم المدينة بعدد من المنافقين على رأسهم ابن أبي ومعتب بن قشير وطعمة بن أبيرق فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك ذكر آلهة قريش كخطوة في المصالحة فغضب المسلمون وهم عمر بقتلهم فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ .." (١)

"ص –٢٦٦– ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة، ولكن الله يجعل ذلك في قلبه، فضلا منه وجزاء على عمل سابق، كما قال : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ [ النساء : ٦٦ : ٦٨ ] ، كما قال : ﴿ اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ [ الحديد : ٢٨ ] ، وكما قال : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [ المجادلة : ٢٢ ] ؛ ولهذا قيل : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وهذا الجنس غير مقدور للعباد، وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضا بفضل الله وإعانته وإقداره لهم، لكن الأمور قسمان : منه ما جنسه مقدور لهم لإعانة الله لهم، كالقيام والقعود، ومنه ما جنسه غير مقدور لهم، إذا قيل : إن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادرا على ما لا يقدر عليه غيره، فهذا أيضا حق وهو من جنس هذا المعنى، قال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملآئكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ [ الأنفال : ١٢ ] ، وقد قال : ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾ [ الأنفال : ٤٥ ] ، فأمرهم بالثبات وهذا الثبات، يوحى إلى الملائكة أنهم يفعلونه بالمؤمنين .
والمقصود أنه قد يكون من الإيمان ما يؤمر به بعض الناس ويذم على تركه، ولا يذم عليه بعض الناس ممن لا يقدر عليه، ويفضل الله ذاك بهذا الإيمان، وإن لم يكن المفضول ترك واجبا، فيقال : وكذلك في الأعمال الظاهرة يؤمر القادر على الفعل بما لا يؤمر به العاجز عنه، ويؤمر بعض الناس بما لا يؤمر به غيره، لكن الأعمال." (٢)
"ص –٣٤١– الكبائر الذين يدخلون النار، فلا يلزم إذا وافي بالإيمان، أن يكون من أهل الجنة . وهذا اللازم لقولهم يدل على فساده؛ لأن الله وعد المؤمنين بالجنة، وكذلك قالوا : لا سيما والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات ﴾ الآية [ التوبة : ٧٢ ] . قال : فهؤلاء يعني القائلين بالموافاة **جعلوا الثبات على** هذا التصديق، والإيمان الذي وصفناه إلى العاقبة والوفاء به في المآل شرطا في الإيمان شرعا، لا لغة، ولا عقلا . قال : وهذا مذهب سلف أصحاب الحديث والأكثرين، قال : وهو اختيار الإمام أبي بكر بن فورك، وكان الإمام محمد بن إسحاق ابن خزيمة يغلو فيه، وكان يقول : من قال : أنا مؤمن حقا فهو مبتدع .
وأما مذهب سلف أصحاب الحديث؛ كابن مسعود وأصحابه، والثوري وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحي بن سعيد

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري؟ أبو بكر الجزائري ٢٣٩/٤
(٢) الإيمان، ٤٤٣/٢

القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة، وأحمد ابن حنبل وغيره من أئمة السنة، فكانوا يستثنون في الإيمان . وهذا متواتر عنهم، لكن ليس في هؤلاء من قال : أنا أستثنى لأجل الموافاة، وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافي به العبد ربه، بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم، كما سنذكر أقوالهم إن شاء الله في ذلك .

وأما الموافاة، فما علمت أحدا من السلف علل بها الاستثناء، ولكن كثير من المتأخرين يعلل بها، من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم، كما يعلل بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه، لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث .

ثم قال : إن قال قائل : إذا قلتم : إن الإيمان المأمور به في الشريعة، هو ما وصفتموه بشرائطه، وليس ذلك متلقى من اللغة، فكيف يستقيم قولكم : إن الإيمان لغوي ؟ قلنا :." (١)

"

وذكر في موضع آخر أن الرجل لها ثلاث أحوال الكشف له الغسل وهو أعلى المراتب والستر له المسح وحالة متوسطة وهي إذا كانت في النعل فلا هي مما يجوز المسح ولا هي بارزة فيجب الغسل فأعطيت حالة متوسطة وهو الرش وحيث أطلق عليها لفظ المسح في هذا الحال فالمراد به الرش وقد ورد الرش على النعلين والمسح عليها في المسند من حديث أوس بن أوس ورواه ابن حبان والبيهقي من حديث ابن عباس

والمنصوص عن أحمد في غير موضع المسح على الجوربين مالم يخلع النعلين فإذا أجاز أحمد المسح عليهما فالزربول الذي لا يثبت إلا بسير يشده به متصلا ومنفصلا عنه أولى بالمسح عليه من الجوربين وما لبسه من فرو أو قطن وغيرهما وثبت بشده بخيط متصل أو منفصل مسح عليه

وأما **اشتراط الثبات بنفسه** فلا أصل له في كلام أحمد وإنما المنصوص عنه ما ذكرناه

وعلى القول باعتبار ذلك فالمراد به ما ثبت في الساق ولم يسترسل عند المشي ولا يعتبر موالاة المشي فيه كما ذكره أبو عبد الله بن تيمية وهو وجه لنا

ويجوز على العمامة الصماء وهي كالقلانس والمحكي عن أحمد الكراهة والأقرب أنها كراهة لا ترتقي إلى التحريم ومثل هذا لا يمنع الترخص كسفر النزهة وتحمل كراهة السلف لغير المحنكة على الحاجة إلى ذلك لجهاد أو غيره

والعمائم المكلبة بالكلاب تشبه المحنكة من بعض الوجوه فإنه يمسكها كما تمسك الحنك العمامة

ومن غسل إحدى رجليه ثم أدخلها الخف قبل غسل الأخرى فإنه يجوز له المسح عليها من غير اشتراط خلع ولبسه قبل اكمال الطهارة كلبسه بعدها وكذا لبس العمامة قبل إكمال الطهارة وهو إحدى الروايتين وهو مذهب أبي حنيفة

---

(١) الإيمان، ٧٣/٣

". (١)

"الْمِيزَانِ " ذَكَرَهُ مَعَ الْكِتَابِ فِي مَوْضِعَيْنِ وَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْعَدْلُ وَعَنْ مُجَاهِدٍ – رَحِمَهُ اللَّهُ – هُوَ مَا يُوزَنُ بِهِ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ . وَكَذَلِكَ الْعَدْلُ وَمَا يُعْرَفُ بِهِ الْعَدْلُ مُنَزَّلٌ فِي الْقُلُوبِ وَالْمَلَائِكَةُ قَدْ تَنْزِلُ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿ إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ **فَذَلِكَ الثَّبَاتُ نَزَلَ** فِي الْقُلُوبِ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ السَّكِينَةُ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ مَنْ طَلَبَ الْقَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ وُكِّلَ إلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ الْقَضَاءَ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ ﴾ فَاللَّهُ يُنَزِّلُ عَلَيْهِ مَلَكًا وَذَلِكَ الْمَلَكُ يُلْهِمُهُ السَّدَادَ وَهُوَ يَنْزِلُ فِي قَلْبِهِ . وَمِنْهُ حَدِيثُ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ﴿ إنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْأَمَانَةَ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ فَعَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ ﴾ وَالْأَمَانَةُ هِيَ الْإِيمَانُ أَنْزَلَهَا فِي أَصْلِ قُلُوبِ الرِّجَالِ وَهُوَ كَإِنْزَالِ الْمِيزَانِ وَالسَّكِينَةِ وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ الْحَدِيثَ إلَى آخِرِهِ فَذَكَرَ أَرْبَعَةً غِشْيَانَ الرَّحْمَةِ وَهِيَ أَنْ تَغْشَاهُمْ كَمَا يَغْشَى اللِّبَاسُ لَابِسَهُ وَكَمَا يَغْشَى الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ وَاللَّيْلُ النَّهَارَ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ ﴾ وَهُوَ إنْزَالُهَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴿ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أَيْ جَلَسَتْ حَوْلَهُمْ ﴿ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ﴾ مِنْ الْمَلَائِكَةِ . وَذَكَرَ اللَّهُ الْغِشْيَانَ فِي مَوَاضِعَ مِثْلِ قَوْله تَعَالَى ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ وَقَوْلِهِ : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ وَقَوْلِهِ : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ ﴿ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴾ وَقَوْلِهِ : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ هَذَا كُلُّهُ فِيهِ إحَاطَةٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ . وَذَكَرَ تَعَالَى إنْزَالَ النُّعَاسِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ هَذَا يَوْمَ أُحُدٍ . وَقَالَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ : ﴿ إذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ وَالنُّعَاسُ يَنْزِلُ فِي الرَّأْسِ بِسَبَبِ نُزُولِ الْأَبْخِرَةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الدِّمَاغِ فَتَنْعَقِدُ فَيَحْصُلُ مِنْهَا النُّعَاسُ . وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ – مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد – جَعَلُوا النُّزُولَ وَالْإِتْيَانَ وَالْمَجِيءَ حَدَثًا يُحْدِثُهُ مُنْفَصِلًا عَنْهُ فَذَاكَ هُوَ إتْيَانُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ فَقَالُوا اسْتِوَاؤُهُ فِعْلٌ يَفْعَلُهُ فِي الْعَرْشِ يَصِيرُ بِهِ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ يَقُومُ بِالرَّبِّ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ خَالَفُوهُمْ . وَقَالُوا : الْمَعْرُوفُ أَنَّهُ لَا يَجِيءُ شَيْءٌ مِنْ الصِّفَاتِ وَالْأَعْرَاضِ إلَّا بِمَجِيءِ شَيْءٍ فَإِذَا قَالُوا : جَاءَ الْبَرْدُ أَوْ جَاءَ الْحَرُّ فَقَدْ جَاءَ الْهَوَاءُ الَّذِي يَحْمِلُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ وَهُوَ عَيْنٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا . وَإِذَا قَالُوا : جَاءَتْ الْحُمَّى فَالْحُمَّى حَرٌّ أَوْ بَرْدٌ تَقُومُ بِعَيْنٍ قَائِمَةٍ بِسَبَبِ أَخْلَاطٍ تَتَحَرَّكُ وَتَتَحَوَّلُ مِنْ حَالٍ إلَى حَالٍ فَيَحْدُثُ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ بِذَلِكَ وَهَذَا بِخِلَافِ الْعَرَضِ الَّذِي يَحْدُثُ بِلَا تَحَوُّلٍ مِنْ حَامِلٍ مِثْلُ لَوْنِ الْفَاكِهَةِ فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ فِي هَذَا : جَاءَتْ الْحُمْرَةُ وَالصُّفْرَةُ وَالْخُضْرَةُ بَلْ يُقَالُ : أَحْمَرُ وَأَصْفَرُ وَأَخْضَرُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنْزَالُهُ تَعَالَى الْعَدْلَ وَالسَّكِينَةَ وَالنُّعَاسَ وَالْأَمَانَةَ – وَهَذِهِ صِفَاتٌ تَقُومُ بِالْعِبَادِ – إنَّمَا تَكُونُ إذَا أَفْضَى بِهَا إلَيْهِمْ فَالْأَعْيَانُ الْقَائِمَةُ تُوصَفُ بِالنُّزُولِ كَمَا تُوصَفُ." (٢)

"ص –٨٣– وإما أن يكفر عنه بمصائب؛ تصيبه ضراء فيصبر عليها، فيكفر عنه السيئات بتلك المصائب، وبالصبر عليها ترتفع درجاته .

---

(١) الاختيارات الفقهية، ص/١٤

(٢) التبيان في نزول القرآن، ص/٢

وقد جاء في بعض الأحاديث : يقول الله تعالى : " أهل ذكرى أهل مجالستيي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم أي محبهم؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأكفر عنهم المعائب " .

وفى قوله تعالى : " من نفسك " من الفوائد : أن العبد لا يركن إلى نفسه، ولا يسكن إليها؛ فإن الشر لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساؤوا إليه؛ فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب فيستغفر منها، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر .

ولهذا كان أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [ الفاتحة : ٦، ٧ ] ، فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب .

ليس كما يقوله طائفة من المفسرين : إنه قد هداه، فلماذا يسأل الهدى ؟

وأن المراد بسؤال الهدى : الثبات، أو مزيد الهداية .." (١)

"وفي الصحيح عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ »(١) وفي رواية لمسلم « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ »(٢) والقرآنُ يشهدُ لهذا ، فإنَّ اللهَ وصفَ المنافقينَ في غيرِ موضعٍ بالكذبِ والغدرِ والخيانةِ ، وهذهِ الخصالُ لا توجدُ في طائفةٍ أكثرَ منها في الرافضةِ، ولا أبعدَ منها عن أهلِ السنةِ المحضةِ، المتَّبعينَ للصحابةِ، فهؤلاءِ أولى الناسِ بشُعبِ الإيمانِ وأبعدُهم عن شُعبِ النفاقِ ، والرافضةُ أولى الناسِ بشعبِ النفاقِ وأبعدُهم عن شعبِ الإيمانِ، وسائرُ الطوائفِ قربُهم إلى الإيمانِ وبعدُهم عن النفاقِ بحسبِ سنَّتِهم وبدعَتِهم ،وهذا كلُّهُ مما يبينُ أن القومَ أبعدُ الطوائفَ عنِ اتباعِ المعصومِ الذي لا شكَّ في عصمتِهِ ، وهو خاتمُ المرسلينَ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهِ وعلى آلهِ ، وما يذكرونَهُ من خلافِ السنةِ في دعوى الإمامِ المعصومِ وغيرِ ذلك، فإنما هو في الأصل منِ ابتداعِ منافقٍ زنديقٍ ، كما قد ذكرَ ذلكَ أهلُ العلمِ ،ذكرَ غيرُ واحدٍ منهم أنَّ أولَ منِ ابتدعَ الرفضَ والقولَ بالنصِّ على عليٍّ وعصمتِهِ كانَ منافقاً زنديقاً أرادَ فسادَ دينِ الإسلامِ، وأرادَ أن يصنعَ بالمسلمينَ ما صنعَ بولصُ بالنصارى، لكن لم يتأتَ له ما تأتَّى لبولصَ لضعفِ دينِ النصارى وعقلِهِم، فإنَّ المسيحَ صلى الله عليه وسلم رُفعَ ولم يتبعْهُ خلقٌ كثيرٌ يعلمونَ دينَه ويقومونَ بهِ علماً وعملاً ، فلمَّا ابتدعَ بولصُ ما ابتدعَهُ من الغلوِّ في المسيحِ اتبعَهُ على ذلكَ طوائفُ وأحبُّوا الغلوَّ في المسيحِ ودخلتْ معهُم ملوكٌ فقامَ أهلُ الحقِّ خالفوهم وأنكروا عليهِم ، فقتلتِ الملوكُ بعضَهم وداهنَ الملوكَ بعضُهُم وبعضُهم اعتزلوا في الصوامعَ والدياراتِ ، وهذه الأمةُ وللهِ الحمدُ لا يزالُ فيها طائفةٌ ظاهرةٌ على الحقِّ فلا

---

(١) الحسنة والسيئة، ٨٢/٢

يتمكنُ ملحدٌ ولا مبتدعٌ من إفسادِهِ بغلوٍّ أو انتصارٍ على أهلِ الحقِّ، ولكنْ يضلُّ منْ يتبعُه على ضلالِهِ ، وأيضاً فنوابُ المعصومِ الذي يدَّعونهُ غيرُ معصومينَ في الجزئياتِ، وإذا كان كذلكَ فيقالُ: إذا كانتِ العصمةُ في الجزئياتِ غيرُ واقعةٍ ، وإنما الممكنُ العصمةُ في الكلياتِ ، فاللهُ تعالى قادرٌ أن ينصَّ على الكلياتِ بحيثُ لا يحتاجُ في معرفتِها إلى الإمامِ ولا غيرِهِ، وقادرٌ أيضا أن يجعلَ نصَّ النبيِّ أكملُ من نصِّ الإمامِ، وحينئذٍ فلا يُحتاجُ إلى عصمةِ الإمامِ لا في الكلياتِ ولا في الجزئياتِ .(٣)

---

(١) – أخرجه البخاري (٣٣) ومسلم ( ٥٩)

(٢) – برقم (٥٩)

(٣) – وفي كتاب طريق الهجرتين للعلامة ابن القيم رحمه الله :

الطبقة الخامسة عشرة: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله [ورسوله]. وهؤلاء المنافقون، وهم فى الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾* [النساء: ١٤٥]، فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم فى دركات النار. لأن الطائفتين اشتركتا فى الكفر ومعاداة الله ورسله وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، ولهذا قال تعالى فى حقهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾* [المنافقون: ٤]، ومثل هذا اللفظ يقتضى الحصر، أى لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد هاهنا [حصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم بل هذا] من إثبات الأولوية والأحقية لهم فى هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم [لهم] ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعدواة ممن باينهم فى الدار، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها. فإن ضرر هؤلاءِ المخالطين لهم المعاشرين لهم– وهم فى الباطن على خلاف دينهم– أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضى ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم فى الديار والمنازل صباحاً ومساءً، يدلون العدو على عوراتهم ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْوهُمْ﴾* [المنافقون: ٤]، لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدواً من الكفار المجاهرين. ونظير ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم: ((ليس المسكين الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذى لا يسأل الناس، ولا يفطن له فيتصدق عليه))، فليس هذا نفياً لاسم المسكين عن الطواف، بل إخبار بأن هذا القانع الذى لا يسمونه مسكيناً أحق بهذا الاسم من الطواف الذى يسمونه مسكيناً.

ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس الشديد بالصُّرعة، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب))، ليس نفياً للاسم عن الصرعة، ولكن إخبار بأن من يملك نفسه عند الغضب أحق منه بهذا الاسم.

ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم: ((ما تعدون المفلس فيكم))؟ قالوا: من لا درهم له ولا متاع. قال: ((المفلس من يأتى يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، ويأْتى قد لطم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه فأُلقى فى النار))، ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم: ((ما تعدون الرقوب فيكم))؟ قالوا: من لا يولد له؟ قال: ((الرقوب من لم يقدم من ولده شيئاً))، ومنه عندى

قوله صلى الله عليه وسلم: ((الربا فى النسيئة)).

وفى لفظ: ((إنما الربا فى النسيئة)) هو إثبات لأن هذا النوع هو أحق باسم الربا من ربا الفضل، وليس فيه اسم الربا عن ربا الفضل. فتأمله.

والمقصود أن هذه الطبقة أشقى الأشقياءِ، ولهذا يستهزأُ بهم فى الآخرة، وتعطى نوراً يتوسطون به على الصراط ثم يطفيء الله نورهم ويقال لهم: ﴿ارْجَعُوا وَرَاءَكُمْ فَالتَمِسُوا نُوراً﴾* [الحديد: ١٣]، ويضرب بينهم وبين المؤمنين: ﴿بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قَبْلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُم وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِى حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الغرُورِ﴾* [الحديد: ١٣]، وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاءِ أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح، حتى إذا ظن أنه ناج ورأى منازل السعداءِ اقتطع عنهم وضربت عليه الشقوة ونعوذ بالله من غضبه وعقابه.

وإنما كانت هذه الطبقة فى الدرك الأسفل لغلظ كفرهم، فإنهم خالطوا المسلمين وعاشروهم، وباشروا من أعلام الرسالة وشواهد الإيمان ما لم يباشره البعداءُ، ووصل إليهم من معرفته وصحته ما لم يصل إلى المنابذين بالعداوة، فإذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفراً وأخبث قلوباً، وأشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من البعداءِ عنهم، وإن كان البعداء متصدين لحرب المسلمين.

ولهذا قال تعالى [فى المنافقين]: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُم لا يَفْقَهُونَ ﴾* [المنافقين: ٣]، وقال تعالى فيهم: ﴿صُم بُكْمٌ عُمِى فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾* [البقرة: ١٨]، وقال تعالى فى الكفار: ﴿صُم بُكْم عُمْى فَهُمْ لا يرْجَعُونَ﴾* [البقرة: ١٧١]، فالكافر لم يعقل، والمنافق أبصر ثم عمى وعرف ثم تجاهل وأقر ثم أنكر وآمن، ثم كفر، ومن كان هكذا كان أشد كفراً وأخبث قلباً وأعتى على الله ورسله، فاستحق الدرك الأسفل.

وفيه معنى آخر أيضاً وهو أن الحامل لهم على النفاق طلب العز والجاه بين الطائفتين فيرضوا المؤمنين ليعزوهم، ويرضوا الكفار ليعزوهم أيضاً.

ومن [هاهنا] دخل عليهم البلاءُ، فإنهم أرادوا العزتين من الطائفتين، ولم يكن لهم غرض فى الإيمان والإسلام ولا طاعة الله ورسوله، بل كان ميلهم وضعوهم وجهتهم إلى الكفار، فقوبلوا على ذلك بأعظم الذل وهو أن جعل مستقرهم فى أسفل السافلين تحت الكفار، فما اتصف به المنافقون من مخادعة الله ورسوله والذين آمنوا، والاستهزاءِ بأهل الإيمان والكذب والتلاعب بالدين وإظهار أنهم [من المؤمنين وأبطنوا قلوبهم فتغلظ كفرهم به، فاستحقوا الدرك الأسفل] من النار ولهذا لما ذكر تعالى أقسام الخلق فى أول سورة [البقرة: ٢-٢٠]فقسمهم إلى مؤمن ظاهراً وباطناً، وكافر ظاهراً وباطناً، ومؤمن فى الظاهر كافر فى الباطن وهم المنافقون، وذكر فى حق المؤمنين ثلاث آيات ٣-٥، وفى حق الكفار آيتين ٦- ٧.

فلما انتهى إلى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة آية ٨- ٢٠ ذمهم فيها غاية الذم وكشف عوراتهم وقبحهم وفضحهم، وأخبر أنهم هم السفهاءُ المفسدون فى الأرض المخادعون المستهزئون المغبونون فى اشترائهم الضلالة بالهدى، وأنهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون، وأنهم مرضى القلوب وأن الله يزيدهم مرضاً إلى مرضهم، فلم يدع ذماً ولا عيباً إلا ذمهم به، وهذا يدل على شدة مقته سبحانه لهم، وبغضه إياهم، وعداوته لهم، وأنهم أبغض أعدائه إليه.فظهرت حكمته الباهرة فى تخصص هذه الطبقة بالدرك الأسفل من النار.

نعوذ بالله من مثل حالهم، ونسأله معافاته ورحمته. ومن تأمل ما وصف [الله به المنافقين فى القرآن من صفات الذم علم أنهم أحق بالدرك الأسفل فإنه وصفهم بمخادعته ومخادعة عباده ووصف] قلوبهم بالمرض وهو مرض الشبهات والشكوك. ووصفهم بالإفساد فى الأرض وبالاستهزاءِ بدينه وبعباده، وبالطغيان، واشتراءِ الضلالة بالهدى والصمم والبكم والعمى والحيرة والكسل عند عبادته، والزنا وقلة ذكره، والتردد- والتذبذب- بين المؤمنين والكفار، فلا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاءِ، والحلف باسمه تعالى كذباً وباطلاً وبالكذب وبغاية الجبن، وبعدم الفقه فى الدين وبعدم العلم، وبالبخل، وبعدم الإيمان بالله واليوم الآخر وبالرب، وبأنهم مضرة على المؤمنين ولا يحصل كلهم بنصيحتهم إلا الشر من الخبال والإسراع بينهم بالشر وإلقاءِ الفتنة، وكراهتهم لظهور أمر الله، ومحو الحق، وأنهم يحزنون بما يحصل للمؤمنين من الخير والنصر، ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاءِ، وأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين وبكراهتهم الإنفاق فى مرضاة الله وسبيله، وبعيب [المؤمنين ورميهم بما ليس فيهم فيلزمون المتصدقين ويعيبون] مزهدهم، ويرمون [مكثرهم] بالرياءِ إرادة الثناء فى الناس، وأنهم عبيد الدنيا إن أُعطوا منها رضوا وإن [منعو] سخطوا، وبأنهم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وينسبونه إلى ما برأه الله منه ويعيبونه بما هو من كماله وفضله وأنهم يقصدون إرضاءَ المخلوقين ولا يطلبون إرضاءَ رب العالمين وأنهم يسخرون من المؤمنين، وأنهم يفرحون إذا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكرهون الجهاد فى سبيل الله، وأنهم يتحيلون على تعطيل فرائض الله عليهم بأنواع الحيل، وأنهم يرضون بالتخلف عن طاعة الله ورسوله، [وأنهم] مطبوع على قلوبهم، وأنهم يتركون ما أوجب الله عليهم مع قدرتهم عليه، وأنهم أحلف الناس بالله قد اتخذوا أيمانهم جُنّة تقيهم من إنكار المسلمين عليهم، وهذا شأْن المنافق أحلف الناس بالله كاذباً قد اتخذ يمينه جنة ووقاية يتقى بها إنكار المسلمين عليه، ووصفهم بأنهم رجس- والرجس من كل جنس أخبثه وأقذره- فهم أخبث بنى آدم وأقذرهم وأرذلهم وبأنهم فاسقون، وبأنهم مضرة على أهل الإيمان يقصدون التفريق بينهم، ويؤوون من حاربهم وحارب الله ورسوله، وأنهم يتشبهون بهم ويضاهونهم فى أعمالهم ليتوصلوا منها إلى الإضرار بهم وتفريق كلمتهم، وهذا شأن المنافقين أبداً وبأنهم فتنوا أنفسهم بكفرهم بالله ورسوله وتربصوا بالمسلمين دوائر السوء، وهذه عادتهم فى كل زمان، وارتابوا فى الدين فلم يصدقوا به، وغرتهم الأمانى الباطلة وغرهم الشيطان، وأنهم أحسن الناس أجساماً تعجب الرائى أجسامهم،والسامع منطقهم، فإذا جاوزت أجسامهم وقولهم رأيت خشباً مسنده، ولا إيمان ولا فقه، ولا علم ولا صدق، بل خشب قد كسيت كسوة تروق الناظر، وليسوا وراءَ ذلك شيئاً، وإذا عرض عليهم التوبة والاستغفار أبوها وزعموا أنهم لا حاجة لهم إليها، إما لأن ما عندهم من الزندقة والجهل المركب مغن عنها وعن الطاعات جملة- كحال كثير من الزنادقة-وإما احتقاراً وازدراءً بمن يدعوهم إلى ذلك، ووصفهم سبحانه بالاستهزاءِ به وبآياته وبرسوله وبأنهم مجرمون وبأنهم يأْمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم عن الإنفاق فى مرضاته، ونسيان ذكره،وبأنهم يتولون الكفار ويدعون المؤمنين، وبأن الشيطان قد استحوذ عليهم وغلب عليهم حتى أنساهم ذكر الله فلا يذكرونه إلا قليلاً، وأنهم حزب الشيطان وأنهم يوادون من حاد الله ورسوله وبأنهم يتمنون ما يعنت المؤمنين ويشق عليهم، وأن البغضاءَ تبدو لهم من أفواههم وعلى فلتات ألسنتهم، بأنهم يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم.

ومن صفاتهم التى وصفهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب فى الحديث والخيانة فى الأمانة، والغدر عند العهد، والفجور عند الخصام، والخلف عند الوعد، وتأْخير الصلاة إلى آخر وقتها، ونقرها عجلة وإسراعاً، وترك حضورها جماعة

وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح والعشاءُ .

ومن صفاتهم التى وصفهم الله بها الشح على المؤمنين بالخير، والجبن عند الخوف، فإذا ذهب الخوف وجاءَ الأمن سلقوا المؤمنين بأَلسنة حداد، فهم أحد الناس أَلسنة عليهم كما قيل:

جهلاً علينا وجبناً عن عدوكم لبئست الخلتان الجهل والجبن

وإنهم عند المخاوف تظهر كمائن صدورهم ومخبآتهم، وأما عند الأمن فيجب ستره، فإذا لحق المسلمين خوف دبت عقارب قلوبهم وظهرت المخبآت وبدت الأسرار.

ومن صفاتهم أنهم أعذب الناس ألسنة، [وأمرهم] قلوباً وأعظم الناس [مخالفة] بين أعمالهم وأقوالهم ومن صفاتهم أنهم لا يجتمع فيهم حسن صمت وفقه فى دين أبداً ومن صفاتهم أن أعمالهم تكذب أقوالهم، وباطنهم يكذب ظاهرهم وسرائرهم تناقض علانيتهم.

ومن صفاتهم أن المؤمن لا يثق بهم فى شيء فإنهم قد أعدوا لكل أَمر مخرجاً منه، بحق أو بباطل بصدق أو بكذب، ولهذا سمى منافقاً أخذاً من نافقاءِ اليربوع- وهو بيت يحفره ويجعل له أسراباً مختلفة- فكلما طلب من سرب خرج من سرب آخر، فلا يتمكن طالبه من حصره فى سرب واحد، قال الشاعر:

ويستخرج اليربوع من نافقائه ومن جحره بالشيحة اليتقصع

فأنت منه [كقبض] على الماءِ، ليس معك منه شيء. ومن صفاتهم كثرة التلون، وسرعة التقلب، **وعدم الثبات على** حال واحد: بينا تراه على حال تعجبك من دين أو عبادة أو هدى صالح أو صدق، إذ انقلب إلى ضد ذلك كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلوناً وتقلباً وتنقلاً، جيفة بالليل قطرب بالنهار.

ومن صفاتهم أنك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم إلى القرآن والسنة أبوا ذلك وأعرضوا عنه، ودعوك إلى التحاكم إلى طواغيتهم، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطاغوت وَقَد أمرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُوا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِين يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً * فَكَيْف إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُم فِى أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾* [النساء: ٦٠-٦٣].

ومن صفاتهم: معارضة ما جاءَ به الرسول صلى الله عليه وسلم بعقول الرجال وآرائهم، ثم تقديمها على ما جاءَ. فهم معرضون عنه معارضون له، زاعمون أن الهدى فى آراءِ الرجال وعقولهم، دون ما جاءَ به فلو أعرضوا عنه وتعوضوا بغيره لكانوا منافقين، فكيف إذا جمعوا مع ذلك معارضته وزعموا أنه لا يستفاد منه هدى.

ومن صفاتهم: كتمان الحق، والتلبيس على أهله، ورميهم له بأدوائهم: فيرمونهم- إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ودعوا إلى الله ورسوله- بأنهم أهل فتن مفسدون فى الأرض.

وقد علم الله ورسوله والمؤمنون بأنهم أهل الفتن المفسدون فى الأرض، وإذا دعا ورثة الرسول إلى كتاب الله وسنة رسوله خالصة

غير [مثوبة] رموهم بالبدع والضلال، وإذا رأوهم زاهدين فى الدنيا راغبين فى الآخرة متمسكين بطاعة الله ورسوله رموهم بالزوكرة، والتلبيس والمحال. وإذا رأوا معهم حقاً ألبسوه لباس الباطل، وأخرجوه لضعفاءِ العقول فى قالبة شنيع لينفروهم عنه، وإذا كان معهم باطل [ألبسوه] لباس الحق وأخرجوه فى قالبه ليقبل منهم.

وجملة أمرهم أنهم فى المسلمين كالزغل فى النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليل ما هم، وليس على الأديان أضرَّ من هذا الضرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قبلهم، ولهذا جلا الله أمرهم فى القرآن، وأوضح أوصافهم وبين أحوالهم وكرر ذكرهم، لشدة المؤنة على الأُمة بهم وعظم البلية عليهم بوجودهم بين أظهرهم وفرط حاجتهم إلى معرفتهم والتحرز من مشابهتهم والإصغاء إليهم، فكم قطعوا على السالكين إلى الله طرق الهدى وسلكوا بهم سبيل الردى: وعدوهم ومنوهم، ولكن وعدوهم الغرور ومنوهم الويل والثبور.

فكم من قتيل، ولكن فى سبيل الشيطان وسليب ولكن للباس التقوى والإيمان. وأسير لا يرجى له الخلاص وفارّ من الله لا إليه، وهيهات ولات حين مناص. صحبتهم توجب العار والشنار، ومودتهم تحل غضب الجبار وتوجب دخول النار من [علقت] به كلاليب كلبهم ومخاليب رأْيهم مزقت منه ثياب الدين والإيمان وقطعت له مقطعات من البلاءِ والخذلان، فهو يسحب من الحرمان والشقاوة أذيالاً، ويمشى على عقبيه القهقرى إدباراً منه وهو يحسب ذلك إقبالاً.

فهم والله قطاع الطريق، فيا أيها الركب المسافرون إلى منازل السعداء، حذار منهم حذار، هم الجزارون ألسنتهم شفار البلايا. ففراراً منهم أيها الغنم فراراً.

ومن البلية أنهم الأعداءُ حقاً وليس لنا بد من مصاحبتهم، وخلطتهم أعظم الداءِ وليس بد من مخالطتهم قد جعلوا على أبواب جهنم دعاة إليها فبعداً للمستجيبين، ونصبوا شباكهم حواليها على ما حفت به من الشهوات، فويل للمغترين. نصبوا الشباك ومدوا الأشراك وأذن مؤذنهم: يا شياه الأنعام حى على الهلاك، حى على التباب. فاستبقوا يهرعون إليهم، فأوردوهم حياض العذاب، لا الموارد العذاب.

وساموهم من الخسف والبلاءِ أعظم خطة، وقالوا: ادخلوا باب الهوان صاغرين ولا تقولوا حطة، فليس بيوم حطة. [فواعجباً] لمن نجا من شراكهم لا من علق، وأنى ينجو من غلبت عليه شقاوته ولها خلق، فحقيق بأهل هذه الطبقة أن يحلو بالمحل الذى أحلهم الله من دار الهوان وأن ينزلوا فى أردئ منازل أهل العناد والكفران.

وبحسب إيمان العبد ومعرفته بكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة، ولهذا اشتد خوف سادة الأُمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم، فكان عمر بن الخطاب يقول: يا حذيفة، ناشدتك الله، هل سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم؟ فيقول: لا، ولا أُزكى بعدك أحداً.

يعنى لا أفتح على هذا الباب فى تزكية الناس، وليس معناه أنه لم يبرأْ من النفاق غيرك.

وقال ابن أبى مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله؟ صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل.." (١)

---

(١) الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في الرافضة، ص/٩٣

"و " الثَّانِي " يُبْطِلُ قَوْلَ مَنْ أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الرُّسُلِ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) [النساء/٥٩] ﴾ فَأَمَرَ بِطَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ إذَا لَمْ يَتَنَازَعُوا وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ اتِّفَاقَهُمْ حُجَّةٌ وَأَمَرَهُمْ بِالرَّدِّ عِنْدَ التَّنَازُعِ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَبْطَلَ الرَّدَّ إلَى إمَامٍ مُقَلَّدٍ أَوْ قِيَاسٍ عَقْلِيٍّ فَاضِلٍ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) [البقرة/٢١٣] ﴾(١)

---

(١) - و في ظلال القرآن - (ج ١ / ص ١٩٣)

كان الناس أمة واحدة . على نهج واحد ، وتصور واحد . وقد تكون هذه إشارة إلى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من أسرة آدم وحواء وذراريهم ، قبل اختلاف التصورات والاعتقادات . فالقرآن يقرر أن الناس من أصل واحد . وهم أبناء الأسرة الأولى : أسرة آدم وحواء . وقد شاء الله أن يجعل البشر جميعاً نتاج أسرة واحدة صغيرة ، ليقرر مبدأ الأسرة في حياتهم ، وليجعلها هي اللبنة الأولى . وقد غبر عليهم عهد كانوا فيه في مستوى واحد واتجاه واحد وتصور واحد في نطاق الأسرة الأولى . حتى نمت وتعددت وكثر أفرادها ، وتفرقوا في المكان ، وتطورت معايشهم؛ وبرزت فيهم الاستعدادات المكنونة المختلفة ، التي فطرهم الله عليها لحكمة يعلمها ، ويعلم ما وراءها من خير للحياة في التنوع في الاستعدادات والطاقات والاتجاهات .

عندئذ اختلفت التصورات وتباينت وجهات النظر ، وتعددت المناهج ، وتنوعت المعتقدات . . وعندئذ بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . .

﴿ وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ . .

وهنا تتبين تلك الحقيقة الكبرى . . إن من طبيعة الناس أن يختلفوا؛ لأن هذا الاختلاف أصل من أصول خلقتهم؛ يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض . . إن هذه الخلافة تحتاج إلى وظائف متنوعة ، واستعدادات شتى من ألوان متعددة؛ كي تتكامل جميعها وتتناسق ، وتؤدي دورها الكلي في الخلافة والعمارة ، وفق التصميم الكلي المقدر في علم الله . فلا بد إذن من تنوع في المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف؛ ولا بد من اختلاف في الاستعدادات يقابل ذلك الاختلاف في الحاجات . . « ولا يزالون مختلفين - إلا من رحم ربك - ولذلك خلقهم » . .

هذا الاختلاف في الاستعدادات والوظائف ينشئ بدوره اختلافاً في التصورات والاهتمامات والمناهج والطرائق . . ولكن الله يحب أن تبقى هذه الاختلافات المطلوبة الواقعة داخل إطار واسع عريض يسعها جميعاً حين تصلح وتستقيم . . هذا الإطار هو إطار التصور الإيماني الصحيح . الذي ينفسح حتى يضم جوانحه على شتى الاستعدادات وشتى المواهب وشتى الطاقات؛ فلا يقتلها ولا يكبحها؛ ولكن ينظمها وينسقها ويدفعها في طريق الصلاح .

ومن ثم لم يكن بد أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء إليه المختلفون؛ وحكم عدل يرجع إليه المختصمون؛ وقول فصل ينتهي

عنده الجدل ، ويثوب الجميع منه إلى اليقين :

﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ .

ولا بد أن نقف عند قوله تعالى ﴿ بالحق ﴾ . . فهو القول الفصل بأن الحق هو ما جاء به الكتاب؛ وأن هذا الحق قد أنزل ليكون هو الحكم العدل ، والقول الفصل ، فيما عداه من أقوال الناس وتصوراتهم ومناهجهم وقيمهم وموازينهم . . لا حق غيره . ولا حكم معه . ولا قول بعده . وبغير هذا الحق الواحد الذي لا يتعدد؛ وبغير تحكيمه في كل ما يختلف فيه الناس؛ وبغير الانتهاء إلى حكمه بلا مماحكة ولا اعتراض . . بغير هذا كله لا يستقيم أمر هذه الحياة؛ ولا ينتهي الناس من الخلاف والفرقة؛ ولا يقوم على الأرض السلام؛ ولا يدخل الناس في السلم بحال .

ولهذه الحقيقة قيمتها الكبرى في تحديد الجهة التي يتلقى منها الناس تصوراتهم وشرائعهم؛ والتي ينتهون إليها في كل ما يشجر بينهم من خلاف في شتى صور الخلاف . . إنها جهة واحدة لا تتعدد هي التي أنزلت هذا الكتاب بالحق؛ وهو مصدر واحد لا يتعدد هو هذا الكتاب الذي أنزله الله بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . .

وهو كتاب واحد في حقيقته ، جاء به الرسل جميعاً . فهو كتاب واحد في أصله ، وهي ملة واحدة في عمومها ، وهو تصور واحد في قاعدته : إله واحد ، ورب واحد ، ومعبود واحد ، ومشرّع واحد لبني الإنسان .

ثم تختلف التفصيلات بعد ذلك وفق حاجات الأمم والأجيال؛ ووفق أطوار الحياة والارتباطات؛ حتى تكون الصورة الأخيرة التي جاء بها الإسلام ، وأطلق الحياة تنمو في محيطها الواسع الشامل بلا عوائق . بقيادة الله ومنهجه وشريعته الحية المتجددة في حدود ذلك المحيط الشامل الكبير .

وهذا الذي يقرره القرآن في أمر الكتاب هو النظرية الإسلامية الصحيحة في خط سير الأديان والعقائد . . كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله ، يقوم على القاعدة الأصيلة : قاعدة التوحيد المطلق . . ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة ، وتتراكم الخرافات والأساطير ، حتى يبعد الناس نهائياً عن ذلك الأصل الكبير ، وهنا تجيء رسالة جديدة تجدد العقيدة الأصيلة ، وتنفي ما علق بها من الانحرافات ، وتراعي أحوال الأمة وأطوارها في التفصيلات . . وهذه النظرية أولى بالإتباع من نظريات الباحثين في تطور العقائد من غير المسلمين ، والتي كثيرا ما يتأثر بها باحثون مسلمون ، وهم لا يشعرون ، فيقيمون بحوثهم على أساس التطور في أصل العقيدة وقاعدة التصور ، كما يقول المستشرقون وأمثالهم من الباحثين الغربيين الجاهليين!

**وهذا الثبات في** أصل التصور الإيماني ، هو الذي يتفق مع وظيفة الكتاب الذي أنزله الله بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، في كل زمان ، ومع كل رسول ، منذ أقدم الأزمان .

ولم يكن بد أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء إليه الناس ، وأن يكون هناك قول فصل ينتهون إليه . ولم يكن بد كذلك أن يكون هذا الميزان من صنع مصدر آخر غير المصدر الإنساني ، وأن يكون هذا القول قول حاكم عدل لا يتأثر بالهوى الإنساني ، ولا يتأثر بالقصور الإنساني ، ولا يتأثر بالجهل الإنساني!

وإقامة ذلك الميزان الثابت تقتضي علماً غير محدود . علم ما كان وما هو كائن وما سيكون . علمه كله لا مقيداً بقيود

الزمان التي تفصل الوجود الواحد إلى ماض وحاضر ومستقبل ، وإلى مستيقن ومظنون ومجهول ، وإلى حاضر مشهود ومغيب مخبوء . . ولا مقيداً بقيود المكان التي تفصل الوجود الواحد إلى قريب وبعيد ، ومنظور ومحجوب ، ومحسوس وغير محسوس . . في حاجة إلى إله يعلم ما خلق ، ويعلم من خلق . . ويعلم ما يصلح وما يصلح حال الجميع .

وإقامة ذلك الميزان في حاجة كذلك إلى استعلاء على الحاجة ، واستعلاء على النقص ، واستعلاء على الفناء ، واستعلاء على الفوت ، واستعلاء على الطمع ، واستعلاء على الرغبة والرهبة . . واستعلاء على الكون كله بما فيه ومن فيه . . في حاجة إلى إله ، لا أرب له ، ولا هوى ، ولا لذة ، ولا ضعف في ذاته – سبحانه – ولا قصور!

أما العقل البشري فبحسبه أن يواجه الأحوال المتطورة ، والظروف المتغيرة ، والحاجات المتجددة؛ ثم يوائم بينها وبين الإنسان في لحظة عابرة وظرف موقوت . على أن يكون هناك الميزان الثابت الذي يفيء إليه ، فيدرك خطأه وصوابه ، وغيه ورشاده ، وحقه وباطله ، من ذلك الميزان الثابت .

. وبهذا وحده تستقيم الحياة . ويطمئن الناس إلى أن الذي يسوسهم في النهاية إله!

إن الكتاب لم ينزل بالحق ليمحو فوارق الاستعدادات والمواهب والطرائق والوسائل . إنما جاء ليحتكم الناس إليه . . وإليه وحده . . حين يختلفون . .

ومن شأن هذه الحقيقة أن تنشيء حقيقة أخرى تقوم على أساسها نظرة الإسلام التاريخية :

إن الإسلام يضع ﴿ الكتاب ﴾ الذي أنزله الله ﴿ بالحق ﴾ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . يضع هذا الكتاب قاعدة للحياة البشرية . ثم تمضي الحياة . فإما اتفقت مع هذه القاعدة ، وظلت قائمة عليها ، فهذا هو الحق . وإما خرجت عنها وقامت على قواعد أخرى ، فهذا هو الباطل . . هذا هو الباطل ولو ارتضاه الناس جميعاً . في فترة من فترات التاريخ . فالناس ليسوا هم الحكم في الحق والباطل . وليس الذي يقرره الناس هو الحق ، وليس الذي يقرره الناس هو الدين . إن نظرة الإسلام تقوم ابتداء على أساس أن فعل الناس لشيء ، وقولهم لشيء ، وإقامة حياتهم على شيء . . لا تحيل هذا الشيء حقاً إذا كان مخالفاً للكتاب؛ ولا تجعله أصلاً من أصول الدين؛ ولا تجعله التفسير الواقعي لهذا الدين؛ ولا تبرره لأن أجيالاً متعاقبة قامت عليه . .

وهذه الحقيقة ذات أهمية كبرى في عزل أصول الدين عما يدخله عليها الناس! وفي التاريخ الإسلامي مثلاً وقع انحراف ، وظل ينمو وينمو . . فلا يقال : إن هذا الانحراف متى وقع وقامت عليه حياة الناس فهو إذن الصورة الواقعية للإسلام! كلا! إن الإسلام يظل بريئاً من هذا الواقع التاريخي . ويظل هذا الذي وقع خطأ وانحرافاً لا يصلح حجة ولا سابقة؛ ومن واجب من يريد استئناف حياة إسلامية أن يلغيه ويبطله ، وأن يعود إلى الكتاب الذي أنزله الله بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . .

ولقد جاء الكتاب . . ومع ذلك كان الهوى يغلب الناس من هناك ومن هناك؛ وكانت المطامع والرغائب والمخاوف والضلالات تبعد الناس عن قبول حكم الكتاب ، والرجوع إلى الحق الذي يردهم إليه :

﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات . . بغياً بينهم ﴾ . .

فالبغي . . بغي الحسد . وبغي الطمع . وبغي الحرص . وبغي الهوى . . هو الذي قاد الناس إلى المضي في الاختلاف على

أصل التصور والمنهج؛ والمضي في التفرق واللجاج والعناد .

وهذه حقيقة . . فما يختلف اثنان على أصل الحق الواضح في هذا الكتاب ، القوي الصادع المشرق المنير . . ما يختلف اثنان على هذا الأصل إلا وفي نفس أحدهما بغي وهوى ، أو في نفسيهما جميعاً . . فأما حين يكون هناك إيمان فلا بد من التقاء واتفاق :

﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ﴾ . .

هداهم بما في نفوسهم من صفاء ، وبما في أرواحهم من تجرد ، وبما في قلوبهم من رغبة في الوصول إلى الحق .

وما أيسر الوصول حينئذ والاستقامة :

﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ . .

هو هذا الصراط الذي يكشف عنه ذلك الكتاب . وهو هذا المنهج الذي يقوم على الحق ويستقيم على الحق . ولا تتقاذفه الأهواء والشهوات ، ولا تتلاعب به الرغاب والنزوات . .

والله يختار من عباده لهذا الصراط المستقيم من يشاء ، ممن يعلم منهم الاستعداد للهدى والاستقامة على الصراط؛ أولئك يدخلون في السلم ، وأولئك هم الأعلون ، ولو حسب الذين لا يزنون بميزان الله أنهم محرومون ، ولو سخروا منهم كما يسخر الكافرون من المؤمنين!." (١)

".

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ »(١).

وَقَدْ يُقَالُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الِاسْتِغْفَارُ هُوَ مَعَ التَّوْبَةِ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ « مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً »(٢).

---

(١) – صحيح مسلم برقم(٧١٤١ )

شرح رياض الصالحين لابن عثيمين – (ج ٣ / ص ٥١)

هذه الأحاديث في باب الرجاء ذكرها المؤلف – رحمه الله – وهي كثيرة جدا منها: أن الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الوالدة بولدها، ودليل ذلك قصة هذه المرأة التي كانت في السبي فرأت صبيا فأخذته وألصقته على صدرها وأرضعته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار .

قالوا: لا قال: فالله أرحم بعباده من هذه بولدها وهذا من تمام رحمته سبحانه وتعالى .

وآيات ذلك كثيرة منها: هذه النعم التي تترى علينا، وأعظمها نعمة الإسلام، فإن الله تعالى أضل عن الإسلام أمما، وهدى عباده المؤمنين لذلك وهي أكبر النعم .

---

(١) الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في الرافضة، ص/١٨١

ومنها أن الله أرسل الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل .

وكذلك ذكر المؤلف الأحاديث التي فيها أن رحمة الله سبقت غضبه، ولهذا يعرض الله عز وجل على المذنبين أن يستغفروا ربهم، حتى يغفر لهم ولو شاء لأهلكهم ولم يرغبهم في التوبة .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ولهذا قال في الحديث الذي رواه مسلم، قال: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم .

وهذا ترغيب في أن الإنسان إذا أذنب، فليستغفر الله، فإنه إذا استغفر الله عز وجل بنية صادقة وقلب موقن، فإنه الله تعالى يغفر له، ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الأصنام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقول عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، رفع صلى الله عليه وسلم يديه وبكى، وقال: يا رب أمتي أمتي فقال الله سبحانه وتعالى لجبريل: اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك .

وقد أرضاه الله عز وجل في أمته، بأن جعل لهذه الأمة أجرها مضاعفا، كما جاء في الحديث الصحيح: أن مثل هذه الأمة مع من سبقها كمثل رجل استأجر أجراء من أول النهار إلى الظهر فأعطاهم على دينار دينار، واستأجر أجراء من الظهر إلى العصر وأعطاهم على دينار دينار واستأجر أجراء من العصر إلى الغروب وأعطاهم على دينارين دينارين، فاحتج الأولون وقالوا: كيف تعطينا على دينار دينار ونحن أكثر منهم عملا وتعطي هؤلاء على دينارين دينارين فقال لهم الذي استأجرهم هل ظلمتكم شيئا ؟ قالوا: لا .

إذا لا لوم عليه في ذلك ففضل الله على هذه الأمة كثير .

وقد أرضاه الله في أمته ولله الحمد من عدة وجوه منها كثرة الأجر، وأنهم الآخرون السابقون يوم القيامة، وأنها فضلت بفضائل كثيرة مثل قوله عليه الصلاة والسلام: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي .

فهذه الخصائص له ولأمته عليه الصلاة والسلام .

فالحاصل أن هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف – رحمه الله – كلها أحاديث رجاء، تحمل الإنسان على أن يعمل العمل الصالح يرجو بذلك ثواب الله ومغفرته

(٢) – سنن أبى داود برقم(١٥١٦ ) وفيه ضعف

عون المعبود – (ج ٣ / ص ٤٣٩)

قَالَ صَاحِبُ عَوْنِ الْمَعْبُودِ :

( مَا أَصَرَّ ) : مَا نَافِيَة ، أَيْ مَا دَامَ عَلَى الْمَعْصِيَة

( مَنْ اِسْتَغْفَرَ ) : أَيْ مِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ

( وَإِنْ عَادَ ) : أَيْ وَلَوْ رَجَعَ إِلَى ذَلِكَ الذَّنْب أَوْ غَيْره

( فِي الْيَوْم ) : أَوْ اللَّيْلَة

( سَبْعِينَ مَرَّة ): ظَاهِرُهُ التَّكْثِيرُ وَالتَّكْرِيرُ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاء : الْمُصِرُّ هُوَ الَّذِي لَمْ يَسْتَغْفِرْ وَلَمْ يَنْدَمْ عَلَى الذَّنْبِ وَالْإِصْرَار عَلَى الذَّنْب إِكْثَارُهُ . وَقَالَ اِبْن الْمَلَك : الْإِصْرَار الثَّبَات وَالدَّوَام عَلَى الْمَعْصِيَة ، يَعْنِي مَنْ عَمِلَ مَعْصِيَة ثُمَّ اِسْتَغْفَرَ فَنَدِمَ عَلَى ذَلِكَ خَرَجَ عَنْ كَوْنه مُصِرًّا . ذَكَرَهُ فِي الْمِرْقَاة." (١)

" ١٧٨ – / ٩٤ – مسألة : في حديث عقبة بن عامر قال : [ أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة ] وعن أبي أمامة قال : [ قيل : يا رسول الله ! أي الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبة ] وعن معاذ بن جبل [ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ بيده فقال : يا معاذ ! والله إني لأحبك فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ] فهل هذه الأحاديث تدل على أن الدعاء بعد الخروج من الصلاة سنة أفتونا وابسطوا القول في ذلك مأجورين ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين الأحاديث المعروفة في الصحاح والسنن والمساند تدل على أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يدعو في دبر صلاته قبل الخروج منها وكان يأمر أصحابه بذلك ويعلمهم ذلك ولم ينقل أحد أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا صلى بالناس يدعو

بعد الخروج من الصلاة هو والمأمومون جميعا لا في الفجر ولا في العصر ولا في غيرهما من الصلوات بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه ويذكر الله ويعلمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة

ففي الصحيح : [ أنه كان قبل أن ينصرف يستغفر ثلاثا ويقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام ] وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أنه كان يقول : [ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهوعلى كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ] وفي الصحيح من حديث ابن الزبير [ أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يهلل بهؤلاء الكلمات : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ] وفي الصحيح عن ابن عباس : [ إن رفع الناس أصواتهم بالذكر كان على عهد النبي صلى الله عليه و سلم ] وفي لفظ كنا نعرف انقضاء صلاته بالتكبير

والأذكار التي كان النبي صلى الله عليه و سلم يعلمها المسلمين عقيب الصلاة أنواع :

أحدها : [ إنه يسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد ثلاثا وثلاثين ويكبر ثلاثا وثلاثين فتلك تسع وتسعون ويقول تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ] رواه مسلم في صحيحه

والثاني : يقولها خمسا وعشرين ويضم إليها لا إله إلا الله وقد رواه مسلم

---

(١) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص/٦

والثالث : يقول : الثلاثة ثلاثا وثلاثين وهذا على وجهين :

أحدهما : أن يقول كل واحدة ثلاثا وثلاثين

والثاني : أن يقول كل واحدة إحدى عشرة مرة والثلاث والثلاثون في الحديث المتفق عليه في الصحيحين

والخامس : يكبر أربعا وثلاثين ليتم مائة

والسادس : يقول : الثلاثة عشرا عشرا فهذا هو الذي مضت به سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم وذلك مناسب لأن المصلي يناجي ربه فدعاؤه له ومسألته إياه وهو يناجيه أولى به من مسألته ودعائه بعد انصرافه عنه

وأما الذكر بعد الانصراف فكما قالت عائشة – رضي الله عنها – هو مثل مسح المرآة بعد صقالها فإن الصلاة نور فهي تصقل القلب كما تصقل المرآة ثم الذكر بعد ذلك بمنزلة مسح المرآة وقد قال الله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب ﴾ قيل : إذا فرغت من أشغال الدنيا فانصب في العبادة وإلى ربك فارغب وهذا أشهر القولين وخرج شريح القاضي على قوم من الحاكة يوم عيد وهم يلعبون فقال : مالكم تلعبون ؟ قالوا : إنا تفرغنا قال : أوبهذا أمر الفارغ ؟ وتلا قوله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب ﴾

ويناسب هذا قوله تعالى : ﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا ﴾ إلى قوله : ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا * إن لك في النهار سبحا طويلا ﴾ أي ذهابا ومجيئا وبالليل تكون فارغا وناشئة الليل في أصح القولين إنما تكون بعد النوم يقال نشأ إذا قام بعد النوم فإذا قام بعد النوم كانت مواطأة قلبه للسانه أشد لعدم ما يشغل القلب وزوال أثر حركة النهار بالنوم وكان قوله ( أقوم )

وقد قيل : ( إذا فرغت ) من الصلاة ( فانصب ) في الدعاء ( وإلى ربك فارغب ) وهذا القول سواء كان صحيحا أو لم يكن فإنه يمنع الدعاء في آخر الصلاة لا سيما والنبي صلى الله عليه و سلم هو المأمور بهذا فلا بد أن يمتثل ما أمره الله به

ودعاؤه في الصلاة المنقول عنه في الصحاح وغيرها إنما كان قبل الخروج من الصلاة وقد قال لأصحابه في الحديث الصحيح [ إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ]

وفي حديث ابن مسعود الصحيح لما ذكر التشهد قال : [ ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه ] وقد روت عائشة وغيرها دعاءه في صلاته بالليل وأنه كان قبل الخروج من الصلاة

فقول من قال : إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء يشبه قول من قال في حديث ابن مسعود لما ذكر التشهد فإذا فعلت ذلك فقد قضيت صلاتك فإن شئت أن تقوم فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد وهذه الزيادة سواء كانت من كلام النبي صلى الله عليه و سلم

أو من كلام من أدرجها في حديث ابن مسعود كما يقول ذلك من ذكره من أئمة الحديث ففيها أن قائل ذلك جعل ذلك قضاء للصلاة فهكذا جعله هذا المفسر فراغا من الصلاة مع أن تفسير قوله : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ أي

فرغت من الصلاة قول ضعيف فإن قوله : إذا فرغت مطلق ولأن الفارغ أن أريد به الفارغ من العبادة فالدعاء أيضا عبادة وإن أريد به الفراغ من أشغال الدنيا بالصلاة فليس كذلك

يوضح ذلك أنه لا نزاع بين المسلمين أن الصلاة يدعى فيها كما كان النبي صلى الله عليه و سلم يدعو فيها فقد ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول في دعاء الإستفتاح : [ اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما

ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ] وأنه كان يقول : [ اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت ]

وثبت عنه في الصحيح أنه كان يدعو إذا رفع رأسه من الركوع وثبت عنه الدعاء في الركوع والسجود سواء كان في النفل أو في الفرض وتواتر عنه الدعاء آخر الصلاة وفي الصحيحين [ أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – قال : يا رسول الله ! علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال : قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ] فإذا كان الدعاء مشروعا في الصلاة لا سيما في آخرها فكيف يقول : إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء والذي فرغ منه هو نظير الذي أمر به فهو في الصلاة كان ناصبا في الدعاء لا فارغا ثم انه لم يقل مسلم إن الدعاء بعد الخروج من الصلاة يكون أوكد وأقوى منه في الصلاة ثم لو كان قوله : ( فانصب ) في الدعاء لم يحتج إلى قوله : ( وإلى ربك فارغب ) فإنه قد علم أن الدعاء إنما يكون لله

فعلم أنه أمره بشيئين : أن يجتهد في العبادة عند فراغه من أشغاله وأن تكون رغبته إلى ربه لا إلى غيره كما في قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فقوله : إياك نعبد موافق لقوله فانصب وقوله : وإياك نستعين موافق لقوله : وإلى ربك فارغب

ومثله قوله : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقوله : ﴿ هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾ وقول شعيب عليه السلام : ﴿ عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ ومنه الذي يروى عند دخول المسجد : اللهم اجعلني من أوجه من توجه إليك وأقرب من تقرب إليك وأفضل من سألك ورغب إليك والأثر الآخر وإليك الرغباء والعمل وذلك أن دعاء الله المذكور في القرآن نوعان : دعاء عبادة ودعاء مسألة ورغبة فقوله : ﴿ فانصب * وإلى ربك فارغب ﴾ يجمع نوعي دعاء الله قال تعالى : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ﴾ الآية ونظائره كثيرة

وأما لفظ دبر الصلاة فقد يراد به آخر جزء منه وقد يراد به ما يلي آخر جزء منه كما في دبر الإنسان فإنه آخر جزء منه ومثله لفظ العقب قد يراد به الجزء المؤخر من الشيء كعقب الإنسان وقد يراد به ما يلي ذلك فالدعاء المذكور في دبر الصلاة إما أن يراد به آخر جزء منها ليوافق بقية الأحاديث أو يراد به ما يلي آخرها ويكون ذلك ما بعد التشهد كما سمي ذلك قضاء للصلاة وفراغا منها حيث لم يبق إلا السلام المنافي للصلاة بحيث لو فعله عمدا في الصلاة بطلت صلاته

ولا تبطل سائر الأذكار المشروعة في الصلاة أو يكون مطلقا أو مجملا وبكل حال فلا يجوز أن يخص به ما بعد السلام لأن عامة الأدعية المأثورة كانت قبل ذلك ولا يجوز أن يشرع سنة بلفظ مجمل يخالف السنة المتواترة بالألفاظ الصريحة

والناس لهم في هذه فيما بعد السلام ثلاثة أحوال :

منهم من لا يرى قعود الإمام مستقبل المأموم لا بذكر ولا دعاء ولا غير ذلك وحجتهم ما يروى عن السلف أنهم كانوا يكرهون للإمام أن يستديم استقبال القبلة بعد السلام فظنوا أن ذلك يوجب قيامه من مكانه ولم يعلموا أن انصرافه مستقبل المأمومين بوجهه كما كان النبي صلى الله عليه و سلم يفعل يحصل هذا المقصود وهذا يفعله من يفعله من أصحاب مالك

ومنهم من يرى دعاء الإمام والمأموم بعد السلام ثم منهم من يرى ذلك في الصلوات الخمس ومنهم من يراه في صلاة الفجر والعصر كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم وليس مع هؤلاء بذلك سنة وإنما غايتهم التمسك بلفظ مجمل أو بقياس كقول بعضهم ما بعد الفجر والعصر ليس بوقت صلاة فيستحب فيه الدعاء ومن المعلوم أن ما تقدمت به سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم الثابتة الصحيحة بل المتواترة لا يحتاج فيه إلى مجمل ولا إلى قياس

وأما قول عقبة بن عامر : أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة فهذا بعد الخروج منها

وأما حديث أبي أمامة [ قيل : يا رسول الله أي الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبة ] فهذا يجب أن لا يخص ما بعد السلام بل لا بد أن يتناول ما قبل السلام وإن قيل : إنه يعم ما قبل السلام وما بعده لكن ذلك لا يستلزم أن يكون دعاء الإمام والمأموم جميعا بعد السلام سنة كما لا يلزم مثل ذلك قبل السلام بل إذا دعا كل واحد وحده بعد السلام فهذا لا يخالف السنة وكذلك قوله صلى الله عليه و سلم لمعاذ بن جبل : [ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ] يتناون ما قبل السلام : ويتناول ما بعده أيضا كما تقدم فإن معاذا كان يصلي إماما بقومه كما كان النبي صلى الله عليه و سلم يصلي إماما وقد بعثه إلى اليمن معلما لهم فلو كان هذا مشروعا للإمام والمأموم مجتمعين على ذلك كدعاء القنوت لكان يقول : اللهم أعنا على ذكرك وشكرك فلما ذكره بصيغة الإفراد علم أنه لا يشرع للإمام والمأموم ذلك بصيغة الجمع

ومما يوضح ذلك ما في الصحيح عن البراء بن عازب قال : [كنا إذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه و سلم أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه قال : فسمعته يقول : رب قني عذابك يوم تبعث عبادك أو يوم تجمع عبادك ] فهذا فيه دعاؤه صلى الله عليه و سلم بصيغة الإفراد كما في حديث معاذ وكلاهما إمام

وفيه أنه كان يستقبل المأمومين وأنه لا يدعو بصيغة الجمع وقد ذكر حديث معاذ بعض من صنف في الأحكام : في الأدعية في الصلاة قبل السلام موافقة لسائر الأحاديث كما في مسلم والسنن الثلاثة عن أبي هريرة أن النبي قال : [ إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ] في مسلم وغيره عن ابن عباس [ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم

السورة من القرآن يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ]

وفي السنن [ أنه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لرجل : ما تقول في الصلاة ؟ قال : أتشهد ثم أقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال صلى الله عليه و سلم حولهما ندندن ] رواه أبو داود وأبو حاتم في صحيحه وظاهر هذا أن دندنتهما أيضا بعد التشهد في الصلاة ليكون نظير ما قاله وعن شداد ابن أوس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقول في صلاته : [ اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ] رواه النسائي

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها [ أن النبي صلى الله عليه و سلم يدعو في الصلاة : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المغرم والمأثم فقال له قائل : ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المغرم قال : إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف ]

قال المصنف في الأحكام : والظاهر أن هذا يدل على أنه كان بعد التشهد يدل عليه حديث ابن عباس [ أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول بعد التشهد : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ] وقد تقدم حديث ابن عباس الذي في الصحيحين أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن وحديث أبي هريرة وأنه يقال بعد التشهد : وقد روي في لفظ الدبر ما رواه البخاري وغيره عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة : [ اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر ]

وفي النسائي عن أبي بكرة [ أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول في دبر الصلاة : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ] وفي النسائي أيضا [ عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت علي امرأة من اليهود فقالت : إن عذاب القبر من البول فقلت : كذبت فقالت : بلى إنا لنقرض منه الجلود والثوب فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الصلاة وقد ارتفعت أصواتنا فقال : ما هذا فأخبرته بما قالت قال : صدقت فما صلى بعد يومئذ إلا قال في دبر الصلاة : اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أجرني من حر النار وعذاب القبر ]

قال المصنف في الأحكام : والظاهر أن المراد بدبر الصلاة في الأحاديث الثلاثة قبل السلام توفيقا بينه وبين ما تقدم من حديث ابن عباس وأبي هريرة قلت : وهذا الذي قاله صحيح فإن هذا الحديث في الصحيح من حديث عائشة – رضي الله عنها – أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة – رضي الله عنها – رسول الله صلى الله عليه و سلم عن عذاب القبر فقال : نعم عذاب القبر حق قالت عائشة : فما

رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر والأحاديث في هذا الباب يوافق بعضها بعضا وتبين ما تقدم والله أعلم ." (١)

" باب المسح على الخفين

قال أبو العباس : وخفي أصله على كثير من السلف والخلف حتى أنكره بعض الصحابة وطائفة من أهل المدينة وأهل البيت وصنف الإمام أحمد كتابا كبيرا في الأشربة في تحريم المسكر ولم يذكر فيه خلافا عن الصحابة فقيل له في ذلك فقال : هذا صح فيه الخلاف عن الصحابة بخلاف المسكر ومالك مع سعة علمه وعلو قدره أنكره في رواية وأصحابه خالفوه في ذلك

قلت : وحكى ابن أبي شيبة إنكاره عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وضعف الرواية عن الصحابة بإنكاره غير واحد والله أعلم

والذين خفي عليهم ظنوا معارضة آية المائدة للمسح لأنه أمر بغسل الرجلين فيها واختلف في الآية مع المسح على الخفين فقالت طائفة : المسح على الخفين ناسخ للآية قاله الخطابي قال : وفيه دلالة على أنهم كانوا يرون نسخ القرآن بالسنة قال الطبري مخصص وهو قول طائفة : هو أمر زائد على ما في الكتاب وطائفة بيان لما في الكتاب

ومال إليه أبو العباس وجميع ما يدعى من السنة أنه ناسخ للقرآن غلط أما أحاديث المسح فهي تبين المراد بالقرآن إذ ليس فيه أن لابس الخف يجب عليه غسل الرجلين وإنما فيه أن من قام إلى الصلاة يغسل وهذا عام لكل قائم إلى الصلاة لكن ليس عاما لأحواله بل هو مطلق في ذلك مسكوت عنه

قال أبو عمر بن عبد البر : معاذ الله أن يخالف رسول الله صلى الله عليه و سلم كتاب الله بل يبين مراده به وطائفة قالت : كالشافعي وابن القصار ومال إليه أبو العباس أيضا أن الآية قرئت بالخفض والنصب فيحمل النصب على غسل الرجلين والخفض على مسح الخفين فيكون القرآن كآيتين

وهل المسح أفضل أم غسل الرجلين أم هما سواء ثلاث روايات عن أحمد والأفضل في حق كل أحد بحسب قدمه فللابس الخف أن يمسح عليه ولا ينزع خفيه اقتداء به صلى الله عليه و سلم وأصحابه ولمن قدماه مكشوفتان الغسل ولا يتحرى لبسه ليمسح عليه وكان صلى الله عليه و سلم يغسل قدميه إذا كانتا مكشوفتين ويمسح إذا كان لابس الخفين

ويجوز المسح على اللفائف في أحد الوجهين حكاه ابن تميم وغيره وعلى الخف المخرق ما دام اسمه باقيا والمشي فيه ممكن هو قديم الشافعي واختيار أبي البركات وغيره من العلماء وعلى القدم ونعلها التي يشق نزعها إلا بيد أو رجل كما جاءت به الآثار والاكتفاء بأكثر القدم هنا والظاهر منها غسلا ومسحا أولى من مسح بعض الخف ولهذا لا يتوقت

وذكر في موضع آخر أن الرجل لها ثلاث أحوال الكشف له الغسل وهو أعلى المراتب والستر المسح وحالة متوسطة وهي في النعل فلا هي بارزة فيجب الغسل فأعطيت حالة متوسطة وهو الرش وحيث أطلق عليها لفظ المسح في هذا الحال فالمراد به الرش وقد ورد الرش على النعلين والمسح عليها في المسند من حديث أوس ورواه ابن أوس ورواه ابن حبان والبيهقي

---

(١) الفتاوى الكبرى، ٢/٢٠٥

من حديث ابن عباس ومنصوص أحمد المسح على الجوربين ما لم يخلع النعلين فإذا أجاز عليهما فالزربول الذي لا يثبت إلا بسير يشده به متصلا ومنفصلا عنه أولى بالمسح عليه من الجوربين وما لبسه من فرو أو قطن وغيرهما وثبت بشده بخيط متصل أو منفصل مسح عليه وأما **اشتراط الثبات بنفسه** فلا أصل له في كلام أحمد وإنما المنصوص عنه ما ذكرناه

وعلى القول باعتبار ذلك فالمراد به ما ثبت في الساق ولم يسترسل عند المشي ولا يعتبر موالاة المشي فيه كما ذكره أبو عبد الله بن تيمية ويجوز على العمامة الصماء وهي كالقلانس والمحكي عن أحمد الكراهة والأقرب أنها كراهة السلف لغير المحنكة على الحاجة إلى ذلك لجهاد أو غيره والعمائم المكلبة بالكلاب تشبه المحنكة من بعض الوجوه فإنه يمسكها كما تمسك الحنك العمامة ومن غسل إحدى رجليه ثم أدخلها الخف قبل غسل الأخرى فإنه يجوز المسح عليها من غير اشتراط خلع ولبسه قبل إكمال الطهارة كلبسه بعدها وكذا لبسها قبل كمالها وهو إحدى الروايتين وهو مذهب أبي حنيفة ولو غسل الرجلين في الخفين بعد أن لبسها محدثا جاز المسح وهو مذهب أبي حنيفة وقول مخرج في مذهب أحمد

قلت : وهو رواية في المنهج ولا تتوقت مدة المسح في حق المسافر الذي يشق اشتغاله بالخلع واللبس كالبريد المجهز في مصلحة المسلمين وعليه يحمل قصة عقبة بن عامر وهو نص مذهب مالك وغيره ممن لا يرى التوقيت ولا ينتقض وضوء الماسح على الخف والعمامة بنزعهما ولا يجب عليه مسح رأسه ولا غسل قدميه وهو مذهب الحسن البصري كإزالة الشعر الممسوح على الصحيح من مذهب أحمد وقول الجمهور

وإذا حل الجبيرة فهل تنتقض طهارته كالخف ؟ على قول من يقول بالنقض أولا تنتقض كحلق الرأس الذي ينبغي أن لا تنتقض الطهارة بناء على أنها طهارة أصل لوجوبها في الطهارتين وعدم توقيتها وأن الجبيرة بمنزلة باقي البشرة إلا أن الفرض استتر بما يمنع وصول الماء إليه فانتقل الفرض إلى الحائل في الطهارتين كما ينتقل الوضوء إلى منبت الشعر في الوجه والرأس للمشقة لا للشعر وهذا قوي على قول من لا يشترط الطهارة لشدها

فأما من اشترط الطهارة لشدها فألحقها الحوائل البنيلية فتنتقض الطهارة بزوالها كالعمامة والخف ويتوجه أن تنبني هذه على الروايتين في اشتراط الطهارة

قلت : البدل عندنا في حل الجبيرة إن كان بعد البرء وإلا فكالخف إذا خلعه وإن كان قبله فوجهان أصحهما كذلك والله سبحانه وتعالى أعلم ." (١)

" ١٠٥ - ( ضعيف الإسناد ) وعن شداد بن أوس B هـ :

أن رسول الله A كان يقول في صلاته :

اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر و العزيمة على الرشد و أسألك شكر نعمتك و حسن عبادتك و أسألك قلبا سليما و لسانا صادقا و أسألك من خير ما تعلم و أعوذ بك من شر ما تعلم و أستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب ." (٢)

---

(١) الفتاوى الكبرى، ٣٠٣/٥

(٢) الكلم الطيب، ص/١٠٨

"منه قال وليس بشيء لأن الأحكام لا يقال بعضها أولى من بعض ولا بعضها أقوى من بعض وإنما القوة للأدلة.

قلت هذه مناقشة لفظية وحده بعضهم بأنه ترك القياس [إلى قياس أقوى منه قال وهذا باطل فإنهم إذا تركوا القياس١] لنص أو تنبيه كان استحسانا.

وحده بعضهم بأنه ترك طريقة الحكم إلى [طريقة] أخرى أولى منها لولاها لوجب البنيان٢ على الأولى.

وحده الكرخي بأنه العدول عن أن يحكم في المسألة بمثل ما حكم في نظائرها لوجه هو أقوى من الأول.

قال وهذا معنى الذي قبله ويلزم عليه أن يكون العدول عن العموم إلى التخصيص استحسانا [والعدول عن العموم إلى الخصوص استحسانا٣].

[شيخنا] فصل٤:

قال أبوالخطاب ومعنى الاستحسان أن بعض الأمارات تكون أقوى من القياس فيعدل اليها من غير أن يفسد القياس وهذا راجع إلى تخصيص العلة قال وشيخنا يمنع من تخصيص العلة وينصر القول بالاستحسان ولا أعرف لقوله وجها وقد أورد القاضي على نفسه هذا في مسألة تخصيص العلة وفرق بين تخصيصها وبين ترك قياس الأصول للخبر قال ولانهم قد يعدلون في الاستحسان عن قياس وعن غير قياس فامتنع أن يكون معناه تخصيصا بدليل.

---

١ ما بين هذين المعقوفين ساقط من ا ولا شك أن الكلام لا يستقيم بدونه.

٢ في ب "لوجب الثبات على الأولى".

٣ ساقط من ا.

٤ بهامش ا هنا "بلغ مقابلة على أصله".." (١)

" التكلم في تمثيل سب رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر صفته ذلك مما يثقل على القلب و اللسان و نحن نتعاظم أن نتفوه بذلك ذاكرين لكن للاحتياج إلى الكلام في حكم ذلك نحن نفرض الكلام في أنواع السب مطلقا من غير تعيين و الفقيه يأخذ حظه من ذلك فنقول : السب نوعان دعاء و خبر أما الدعاء فمثل أن يقول القائل لغيره : لعنه الله أو قبحه الله أو أخزاه الله أو لا رحمه الله أو لا رضي الله عنه أو قطع الله دابره فهذا و أمثاله سب للأنبياء و لغيرهم و كذلك لو قال عن نبي : لا صلى الله عليه أو لا سلم أو لا رفع الله ذكره أو محا الله اسمه و نحو ذلك من الدعاء عليه بما فيه ضرر عليه في الدنيا أو في الدين أو في الآخرة

فهذا كله إذا صدر من مسلم أو معاهد فهو سب فأما المسلم فيقتل به بكل حال و أما الذمي فيقتل بذلك إذا أظهره

فأما إن أظهر الدعاء للنبي و أبطن الدعاء عليه إبطانا يعرف من لحن القول يفهمه بعض الناس دون البعض . مثل قوله : السام عليكم . إذا أخرجه و مخرج التحية و أظهر أنه يقول السلام ففيه قولان :

---

(١) المسودة في أصول الفقه، ص/٤٥٣

أحدهما : أنه من السب الذي يقتل به و إنما كان عفو النبي صلى الله عليه و سلم عن اليهود الذين حيوه بذلك حال ضعف الإسلام بالبقاء عليه لما كان مأمورا بالعفو عنهم و الصبر على أذاهم و هذا قول طائفة من المالكية و الشافعية و الحنبلة مثل القاضي عبد الوهاب و القاضي أبي يعلى و أبي إسحاق الشيرازي و أبي الوفاء ابن عقيل و غيرهم و ممن ذهب إلى أن هذا سب من قال : [ لم يعلم أن هؤلاء كانوا أهل عهد ] و هذا ساقط لأنا قد بينا فيما تقدم أن اليهود الذين بالمدينة كانوا معاهدين و قال آخرون : كان الحق له و له أن يعفو عنهم فأما بعده فلا عفو

و القول الثاني : أنه ليس من السب الذي ينتقض به العهد لأنهم لم يظهروا السب و لم يجهروا به إنما أظهروا التحية و السلام لفظا و حالا و حذفوا اللام حذفا خفيا يفطن له بعض السامعين و قد لا يفطن له الأكثرون و لهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم : [ إن اليهود إذا سلموا فإنما يقول أحدهم : السام عليكم فقولوا : و عليكم فجعل هذا شرعا باقيا في حياته و بعد موته حتى صارت السنة أن يقال للذمي إذا سلم : و عليكم ] و كذلك لما سلم عليهم اليهودي قال : أتدرون ما قال ؟ إنما قال : السام عليكم و لو كان هذا من السب الذي هو سب لوجب أن يشرع عقوبة لليهودي إذا سمع منه ذلك و لو بالجلد فلما لم يشرع ذلك علم أنه لا يجوز مؤاخذتهم بذلك و قد أخبر الله عنهم بقوله تعالى ﴿ و إذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله و يقولون في أنفسهم : لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾ [ المجادلة : ٨ ]

فجعل عذاب الآخرة حسبهم يدل على أنه لم يشرع على ذلك عذابا في الدنيا و هذا لو أنهم قد قرروا على ذلك لقالوا إنما قلنا السلام و إنما السمع يخطئ و أنتم تتقولون علينا فكانوا في هذا مثل المنافقين الذين يظهرون الإسلام و يعرفون في لحن القول و يعرفون بسيماهم فإنه لا يمكن عقوبتهم باللحن و السيماء فإن موجبات العقوبات لابد أن تكون ظاهرة الظهور الذي يشترك فيه الناس و هذا القدر من المسلم فإنما يكون نقضا للعهد إذا أظهره الذمي و إتيانه به على هذا الوجه غاية ما يكون من الكتمان و الإخفاء

و نحن لا نعاقبهم على ما يسرونه و يخفونه من السب و غيره و هذا قول جماعات من العلماء من المتقدمين و من أصحابنا و المالكيين و غيرهم و ممن أجاز هذا القول ممن زعم أن هذا دعاء بالسام و هو الموت على أصح القولين أو دعاء بالسامة و أما الذين قالوا إن الموت محتوم على الخليفة قالوا : و هذا تعريض بالأذى لا بالسب و هذا القول ضعيف فإن الدعاء على الرسول و المؤمنين بالموت و ترك الدين من أبلغ السب كما أن الدعاء بالحياة و العافية و الصحة **و الثبات على** الدين من أبلغ الكرامة

النوع الثاني : الخبر فكل ما عده الناس شتما أو سبا أو نقضا فإنه يجب به القتل كما تقدم فإن الكفر ليس مستلزما للسب و قد يكون الرجل كافرا ليس بساب و الناس يعلمون علما عاما أن الرجل قد يبغض الرجل و يعتقد فيه العقيدة القبيحة و لا يسبه و قد يضم إلى ذلك مسبه و إن كانت المسبة مطابقة للمعتقد فليس كل ما يحتمل عقدا يحتمل قولا و لا ما يحتمل أن يقال سرا يحتمل أن يقال جهرا و الكلمة الواحدة تكون في سبا و في حال ليست بسب فعلم أن هذا يختلف باختلاف الأقوال و الأحوال و إذا لم يكن للسب حد معروف في اللغة و لا في الشرع فالمرجع فيه إلى عرف الناس

فما كان في العرف سبا للنبي فهو الذي يجب أن ننزل عليه كلام الصحابة و العلماء و ما لا فلا و نحن نذكر من ذلك أقساما فنقول : لا شك أن إظهار التنقص و الاستهانه عند المسلمين سب كالتسمية باسم الحمار أو الكلب أو وصفه بالمسكنة و الخزي و المهانة أو الإخبار بأنه في العذاب و أن عليه آثام الخلائق و نحو ذلك و كذلك إظهار التكذيب على وجه الطعن في المكذب مثل وصفه بأنه ساحر خادع محتال و أنه يضر من اتبعه و أن ما جاء به كله زور و باطل و نحو ذلك فإن نظم ذلك شعرا كان أبلغ في الشتم فإن الشعر يحفظ و يروى و هو الهجاء و ربما يؤثر في نفوس كثيرة . مع العلم ببطلانه . أكثر من تأثير البراهين فإن غني به بين ملأ من الناس فهو الذي قد تفاقم أمره

و أما من أخبر عن معتقده بغير طعن فيه . مثل أن يقول : أنا لست متبعه أو لست مصدقة أو لا أحبه أو لا أرضى دينه و نحو ذلك . فإنما أخبر عن اعتقاد أو إرادة لم يتضمن انتقاصا لأن عدم التصديق و المحبة قد يصدر عن الجهل و العناد و الحسد و الكبر و تقليد الأسلاف و إلف الدين أكثر مما يصدر عن العلم بصفات النبي خلاف ما إذا قال من كان و من هو رأي كذا و كذا و نحو ذلك و إذا قال : لم يكن رسولا و لا نبيا و لم ينزل شيء و نحو ذلك فهو تكذيب صريح و كل تكذيب فقد تضمن نسبته إلى الكذب و وصفه بأنه كذاب لكن بين قوله : [ ليس بنبي ] و قوله : [ هو كذاب ] فرق من حيث إن هذا إنما تضمن التكذيب بواسطة علمنا أنه كان يقول : إني رسول الله و ليس من نفى عن غيره بعض صفاته نفيا مجردا كمن نفاها ناسبا له الكذب في دعواها و المعنى الواحد قد يؤدي بعبارات بعضها يعد سبا و بعضها لا يعد سبا

و قد ذكرنا أن الإمام أحمد نص على أن من قال للمؤذن : [ كذبت ] فهو شاتم و ذلك لأن ابتداءه بذلك للمؤذن معلنا بذلك . بحيث يسمعه المسلمون طاعنا في دينهم مكذبا للأمة في تصديقها بالوحدانية و الرسالة . لا ريب أنه شتم

فإن قيل : ففي الحديث الصحيح الذي يرويه الرسول عن الله تبارك و تعالى أنه قال : [ شتمني ابن آدم و ما ينبغي له ذلك و كذبني ابن آدم و ما ينبغي له ذلك فأما شتمه إياي فقوله : إني اتخذت ولدا و أما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني فقد فرق بين التكذيب و الشتم ]

فيقال قوله : [ لن يعيدني كما بدأني ] يفارق قول اليهودي للمؤذن : [ كذبت ] من وجهين :

أحدهما : أنه لم يصرح بنسبته إلى الكذب و نحن لم نقل : إن كل تكذيب شتم إذا لو قيل ذلك لكان كل كافر شاتما إذ لو قيل ذلك لكان كل كافر شاتما و إنما قيل : إن الإعلان بمقابلة داعي الحق بقوله [ كذبت ] سب للأمة و شتم لها في اعتقاد النبوة و هو سب للنبوة كما أن الذين هجوا من اتبع النبي عليه الصلاة و السلام على اتباعهم إياه كانوا سابين للنبي صلى الله عليه و سلم مثل شعر بنت مروان و شعر كعب بن زهير و غيرهما و أما قول الكافر [ لن يعيدني كما بدأني ] فإنه نفي لمضمون خبر الله بمنزلة سائر أنواع الكفر

الثاني : أن الكافر المكذب بالبعث لا يقول : إن الله أخبر أنه سيعيدني و لا يقول : إن هذا الكلام تكذيب لله و إن كان تكذيبا بخلاف القائل للرسول أو لمن صدق الرسول [ كذبت ] فإنه مقر بأن هذا طعن على المكذب و عيب له و انتقاض به و هذا ظاهر و كل كلام تقدم ذكره في المسألة الأولى من نظم و نحوه و عده النبي عليه الصلاة و السلام سبا حتى رتب على قائله حكم الساب فإنه سب أيضا و كذلك ما كان في معناه و قد تقدم ذكر ذلك و الكلام على أعيان

الكلمات لا ينحصر و إن جماع ذلك أن ما يعرف الناس أنه سب فهو سب و قد يختلف ذلك باختلاف الأحوال و الاصطلاحات و العادات و كيفية الكلام و نحو ذلك و ما اشتبه فيه الأمر ألحق بنظيره و شبهه و الله سبحانه أعلم ." (١)

" فانظر إلى هذاالحجاج العجيب بالقول الوجيز الذي لا يكون أوجز منه والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه ومأخذه القريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه

وكذلك ما احتج به سبحانه على النصارى مبطلا لدعوى إلهية المسيح كقوله لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين الأنبياء١٧

فأخبر أن هذا الذي أضافه من نسبة الولد إلى الله من مشركي العرب والنصارى غير سائغ في العقول إذا تأمله المتأمل ولو أراد الله أن يفعل هذا لكان يصطفي لنفسه ويجعل هذا الولد المتخذ من الجوهر الأعلى السماوي الموصوف بالخلوص والنقاء من عوارض البشر المجبول **على الثبات والبقاء** لا من جوهر هذا العالم الفاني الدائر الكثير الأوساخ والأدناس والأقذار ولما كان هذا الحجاج كما ترى في هذه القوة والجلالة أتبعه بقول بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق الأنبياء١٨ ." (٢)

"ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع لا يردها، بل يضاعفها، وهو فى الحقيقة من تزايد المرض.

ومن علاجها: أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم، وهو الصلاة والرحمة والهداية التى ضمنها الله على الصبر والاسترجاع، أعظم من المصيبة فى الحقيقة.

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه، وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه، ورده خاسئا، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا **هو الثبات والكمال** الأعظم، لا لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقى عليه، ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذى يبنى له فى الجنة على حمده لربه واسترجاعه، فلينظر: أى المصيبتين أعظم ؟ مصيبة العاجلة، أو مصيبة فوات بيت الحمد فى جنة الخلد ؟

وفى الترمذى مرفوعا: "يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض فى الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء".

وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس.

---

(١) الصارم المسلول، ص/٥٣٩

(٢) الصواعق المرسلة، ٤٨١/٢

ومن علاجها: أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله، فإنه من كل شيء عوض إلا الله، فما منه عوض كما قيل:

من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعته عوض." (١)

" صنديد بفتحها وليس في كلامهم فعليل بفتح الفاء وإنما هو بالكسر في الأسماء كقنديل وحلتيت وفي الصفات كشمليل والصنديد الذي لا يقوم له شيء

فصل الأمور المترتبة على الشجاعة

ولما كانت الشجاعة خلقا كريما من أخلاق النفس ترتب عليها أربعة أمور وهي مظهرها وثمرتها الإقدام في موضع الإقدام والإحجام في موضع الإحجام والثبات في **موضع الثبات والزوال** في موضع الزوال

وضد ذلك مخل بالشجاعة وهو إما جبن وإما تهور وإما خفة وطيش

وإذا اجتمع في الرجل الرأي والشجاعة فهو الذي يصلح لتدبير الجيوش وسياسة أمر الحرب

والناس ثلاثة رجل ونصف رجل ولا شيء

فالرجل من اجتمع له إصالة الرأي والشجاعة فهذا الرجل الكامل كما قال أحمد بن الحسين المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني ." (٢)

" فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكان

ونصف الرجل وهو من انفرد بأحد الوصفين دون الآخر

والذي هو لا شيء من عري من الوصفين جميعا

خاتمة

ونختم هذا الكتاب بآية من كتاب الله تعالى جمع فيها تدبير الحروف بأحسن تدبير وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكرو الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين الأنفال ٤٥

فأمر المجاهدين فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت في فئة قط إلا نصرت وإن قلت وكثر عدوها

**أحدها الثبات**

الثاني كثرة ذكره سبحانه وتعالى

الثالث طاعته وطاعة رسوله ." (٣)

" الفصل الثامن

في قوله اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد

---

(١) الطب النبوي، ٦/٤٦

(٢) الفروسية، ٥٠٤/٠

(٣) الفروسية، ٥٠٥/٠

وذكر البركة وحقيقتها الثبوت واللزوم والاستقرار فمنه برك البعير إذا استقر على الأرض ومنه المبرك لموضع البروك قال صاحب الصحاح وكل شيء ثبت واقام فقد برك والبرك الابل الكثيرة والبركة بكسر الباء كالحوض والجمع البرك ذكره الجوهري

قال ويقال سميت بذلك لاقامة الماء فيها **والبراكاء الثبات في** الحرب والجد فيها قال الشاعر

ولا ينجي من الغمرات إلا ... براكاء القتال أو الفرار

والبركة النماء والزيادة والتبريك الدعاء بذلك

ويقال باركه الله وبارك فيه وبارك عليه وبارك له وفي ." (١)

" الفصل الثاني عشر في أدعية الصلاة بعد التشهد

في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [ إذا فرغ أحدكم من التشهد فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال ] وفيهما أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم يدعو في الصلاة [ اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم ] فقال قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال [ إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف ] وقد تقدم في الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم : علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال [ قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ] وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد تقدم بطوله في الفصل العاشر وفي سنن أبي داود [ أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لرجل كيف تقول في الصلاة ؟ قال : أتشهد وأقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبي صلى الله عليه و سلم حولها ندندن ]

وفي المسند والسنن عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقول في صلاته [ اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغقرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب ] وفي سنن النسائي أن عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا بدعوات وقال : سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه و سلم [ اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني إذا علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا مهتدين ] ." (٢)

---

(١) جلاء الأفهام، ص/٣٠٢

(٢) الوابل الصيب، ص/١٤٩

" الفصل الخامس والسبعون في جوامع أدعية النبي صلى الله عليه و سلم وتعوذاته لا غنى للمرء عنها

قالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه و سلم يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك وفي المسند والنسائي وغيرهما أن سعدا سمع ابنا له يقول : اللهم إني أسألك الجنة وغرفها لقد سألت الله خيرا كثيرا وتعوذت من شر كثير وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول [ سيكون قوم يعتدون في الدعاء ] وبحسبك أن تقول : [ اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم وفي مسند الإمام أحمد وسنن النسائي عن ابن عباس قال : كان من دعاء النبي صلى الله عليه و سلم ] رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مخبتا إليك أواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي [ هذا حديث صحيح ورواه الترمذي وحسنه وصححه

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : كنت أخدم النبي صلى الله عليه و سلم فكنت أسمعه يكثر أن يقول ] اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال [ وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول كان يقول ] اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها زكها أنت خير من زكاها إنك وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها [

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يدعو ] اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم [ فقال قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ قال ] إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف [

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان من دعاء النبي صلى الله عليه و سلم ] اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك [

وفي الترمذي عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أسأل ؟ قال ] قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني [ قال الترمذي : صحيح وفي مسند الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال ] عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار وسلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين خيرا من المعافاة [ وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال ] ما سئل الله عز و جل شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية [ وذكر الفريابي في كتاب الذكر من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : أي الدعاء أفضل ؟ قال ] تسأل الله العفو والعافية فإذا أعطيت ذلك فقد أفلحت [ وفي الدعوات للبيهقي عن معاذ بن جبل قال : مر رسول الله صلى الله عليه و سلم برجل يقول : اللهم إني أسألك الصبر قال ] سألت الله البلاء فسل العافية [ ] ومر برجل يقول : اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال وما تمام النعمة ؟ قال : سألت وأنا أرجو الخير قال له تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة [

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعلم من أسلم أن يقول ] اللهم اهدني وارزقني وعافني وارحمني [ وفي المسند عن بسر بن أرطاة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ] اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة [ وفي المسند وصحيح الحاكم عن ربيعة بن عامر عن النبي صلى الله عليه و سلم ] ألظوا بياذا الجلال والإكرام [ أي الزموها وداوموا عليها وفي صحيح الحاكم أيضا عن أبي هريرة ] أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال [ اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ] وفي الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه و سلم أوصى معاذا أن يقولها دبر كل صلاة

وفي صحيحه أيضا عن أنس قال : [ كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم في حلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه و سلم لقد سأل الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ] وفي المسند وصحيح الحاكم أيضا عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله [ يا شداد إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب ]

وفي الترمذي [ أن حصين بن المنذر الخزاعي رضي الله عنه قال له النبي صلى الله عليه و سلم كم تعبد إلها ؟ قال : سبعة : ستة في الأرض وواحد في السماء قال فمن تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال الذي في السماء قال أما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك فلما أسلم قال : يا رسول الله علمني الكلمتين قال قل : اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ] حديث صحيح وزاد الحاكم فيه في صحيحه [ اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما تعمدت ما علمت وما جهلت ] وإسناده على شرط الصحيحين

وفي صحيح الحاكم عن عائشة قالت : دخل علي أبو بكر رضي الله عنهما فقال : هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم دعاء علمنيه ؟ قلت : ما هو قال : كان عيسى بن مريم صلى الله عليه و سلم يعلمه أصحابه قال [ لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه : اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك ] وفي صحيحه أيضا عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه و سلم : هذا ما سأل محمد ربه [ اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات وثبتني وثقل موازيني وحقق إيماني وارفع درجتي وتقبل الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين اللهم إني أسألك خير ما آتي وخير ما أفعل وخير ما بطن وخير ما ظهر اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري وتضع وزري وتصلح أمري وتطهر قلبي وتحصن فرجي وتنور لي قلبي وتغفر لي ذنبي وأسألك أن تبارك لي في نفسي وفي سمعي وفي بصري وفي روحي وفي خلقي وأهلي وفي محياي وفي مماتي وفي عملي وتقبل حسناتي

وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين ] وفي صحيحه أيضا من حديث معاذ قال : أبطأ عنا رسول الله صلى الله عليه و سلم بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس ثم خرج فصلى بنا فخفف ثم أقبل علينا بوجهه فقال [ على مكانكم أخبركم ما بطأني عنكم اليوم : إني صليت في ليلتي هذه ما شاء الله ثم ملكتني عني فنمت فرأيت ربي تبارك وتعالى فألهمني أن قلت : اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت في خلقك فتنة فنجني إليك منها غير مفتون اللهم وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني إلى حبك ] ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال [ تعلموهن وادرسوهن فإنهن حق ] ورواه الترمذي والطبراني وابن خزيمة وغيرهم بألفاظ أخر

وفي صحيح الحاكم أيضا عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه و سلم يدعو [ اللهم متعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف على كل غائبة لي بخير ] وفيه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقول [ اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علما ينفعني ] وفيه أيضا عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرها أن تدعو بهذا الدعاء [ اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا ]

وفيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أوصى سلمان الخير فقال له [ إني أريد أن أمنحك كلمات تسألن الرحمن وترغب إليه فيهن وتدعو بهن في الليل والنهار : قل : اللهم إني أسألك صحة في إيمان وإيمانا في حسن خلق ونجاحا يتبعه فلاح ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانا ] وفيه أيضا عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات [ اللهم أنت الأول لا شيء قبلك وأنت الآخر لا شيء بعدك أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك وأعوذ بك من الإثم والكسل ومن عذاب القبر ومن فتنة الغنى ومن فتنة الفقر وأعوذ بك من المأثم والمغرم الهم نق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس اللهم بعد بيني وبين خطيئتي كما بعدت بين المشرق والمغرب ]

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم أيضا عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه صلى صلاة أوجز فيها فقيل له في ذلك قال : لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه و سلم [ اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك وأسألك الشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين ] وفي صحيح الحاكم أيضا عن ابن مسعود قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه و سلم [ اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار ] وفيه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه كان يدعو [ اللهم احفظني بالإسلام قائما واحفظني بالإسلام قاعدا واحفظني بالإسلام راقدا ولا تشمت بي عدوا حاسدا اللهم إني أسألك من خير خزائنه بيدك وأعوذ بك من شر خزائنه بيدك ]

وعن النواس بن سمعان سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول [ ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ] وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول [ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك والميزان بيد الرحمن عز و جل يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة ] حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم في صحيحه وفي صحيح الحاكم أيضا عن ابن عمر أنه لم يكن يجلس مجلسا - كان عنده أحد أو لم يكن - إلا قال [ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت ما أسرفت وما أنت أعلم به مني اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك وارزقني من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا وبارك لي في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اللهم اجعل ثأري على من ظلمني وانصرني على من عاداني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي اللهم لا تسلط علي من لا يرحمني ] فسئل عنهن ابن عمر فقال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يختم بهن مجلسه

* * *

والحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ملء سمواته وملء أرضه وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد حمدا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى عدد ما حمده الحامدون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده فاتح أبواب الهدى ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذي بعثه للإيمان مناديا وإلى الصراط المستقيم هاديا وإلى جنات النعيم داعيا وبكل المعروف آمرا وعن كل منكر ناهيا فأحيا به القلوب بعد مماتها وأنارها بعد ظلماتها وألف بينها بعد شتاتها فدعا إلى الله عز و جل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد في الله تعالى حق جهاده حتى عبد الله وحده لا شريك له وسارت دعوته سيرة الشمس في الأقطار وبلغ دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار وصلى الله عز و جل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه وسلم تسليما ". (١)

"ص -٨٨- بالباء التي هي من الشفتين وهي آخر مخارج الصوت ونهايته فجمع الحرفان بداية الصوت ونهايته كما اشتمل معنى الحب على بداية الحركة ونهايتها فإن بداية حركة المحب من جهة محبوبه ونهايتها إلى الوصول إليه فاختاروا له حرفين هما بداية الصوت ونهايته فتأمل هذه النكت البديعة تجدها ألطف من النسيم ولا تعلق إلا بذهن يناسبها لطافة ورقة.

فقل لكثيف الطبع ويحك ليس ذا بعشك فادرج سالما غير غانم

واشتقاقه في الأصل من الملازمة والثبات من قولهم أحب البعير فهو محب إذ برك فلم يثر قال:

حلت عليه بالقطيع ضربا ضرب بعير السود إذ حبا

فلما كان المحب ملازما لذكر محبوبه ثابت القلب على حبه مقيما عليه لا يروم عنه انتقالا ولا يبغي عنه زوالا قد اتخذ له في سويداء قلبه وطنا وجعله له سكنا.

---

(١) الوابل الصيب، ص/٢٣٠

تزول الجبال الراسيات وقلبه على العهد لا يلوي ولا يتغير

فلذلك أعطوه هذا الاسم الدال **على الثبات واللزوم** ولما جاءوا إلى المحبوب أعطوه في غالب استعمالهم لفظ فعيل الدال على أن هذا الوصف وهو كون متعلق المحب أمر ثابت له لذاته وإن لم يحب فهو حبيب سواء أحبه غيره أم لا وهذا الوزن موضوع في الأصل لهذا المعنى الشريف وإن لم يشرفه غيره وهو من بناء الأوصاف الثابتة اللازمة كطويل وقصير وكريم وعظيم وحليم وجميل وبابه وهذا بخلاف مفعول فإن حقيقته لمن تعلق به الفعل ليس إلا مضروب لمن وقع عليه الضرب ومقتول ومأكول وبابه فهجروا في أكثر كلامهم لفظ محبوب لما يؤذن من أنه الذي تعلق به الحب فقط واختاروا له لفظ حبيب الدال على أنه حبيب في نفسه تعلق به الحب أم لا جاءوا إلى من قام به الحب فأعطوه لفظ محب دون حاب لوجهين أحدهما: أن الأصل هو الرباعي والنطق به أكثر فجاء على الأصل الثاني: أن حروفه أكثر من حروف حاب والمحل تكثير." (١)

"ص –٦٤– عاما فإذا كان استقرار أو كونا خاصا مقيدا لم يجز حذفه وعلى هذا جاء مصرحا به في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده لأن المراد به الاستقرار الذي **هو الثبات واللزوم** لا مطلق الحصول عنده فكيف يسوغ حذف عامل الظرف في موضع ليس بمعهود حذفه فيه وأبعد من هذا التقدير ما ذكره في التقدير الثاني أن عامل الظرف استقرار مضاف إلى ذكر محذوف استغنى به عن المضاف إليه والتقدير استقر ذكره فإن هذا لا نظير له وهو حذف لا دليل عليه والمضاف يجوز أن يستغنى به عن المضاف إليه بشرطين أن يكون مذكورا وأن يكون معلوم الوضع مدلولا عليه لئلا يلزم اللبس.

وأما ادعاء أضافه شيء محذوف إلى شيء محذوف ثم يضاف المضاف إليه إلى شيء آخر محذوف من غير دلالة في اللفظ عليه فهذا مما يصان عنه الكلام الفصيح فضلا عن كلام رب العالمين.

وأما قوله على أنه لا يمتنع إرادة الحقيقة والمجاز معا واستدلاله على ذلك بقولهم القلم أحد اللسانين فلا حاجة فيه لأن اللسانين اسم مثنى فهو قائم مقام النطق بإسمين أريد بأحدهما الحقيقة وبالآخر المجاز وكذلك الخال أحد الأبوين وكذلك الأيدي ثلاثة.

وأما قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ فالاستدلال به أبعد من هذا كله فإن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الله وملائكته حقيقة بلا ريب والحقيقة المضافة إلى الله من ذلك لا تماثل الحقيقة المضافة إلى الملائكة كما إذا قيل الله ورسوله والمؤمنون يعلمون أن القرآن كلام الله لم يجز أن يقال إن هذا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه وإن كان العلم المضاف إلى الله غير مماثل للعلم المضاف إلى الرسول والمؤمنين فتأمل هذه النكت البديعة ولله الحمد والمنة.

فصل: الاستثناء المنقطع

المعروف عند النحاة أن الاستثناء المنقطع هو أن لا يكون المستثنى داخلا في المستثنى منه." (٢)

---

(١) بدائع الفوائد، ٣/١٢٤

(٢) بدائع الفوائد، ٤/٩٧

"ص – ١٤٠– الأحيان.

الخامس: أن التراب إذا وضع فيه القوت أخرجه أضعاف أضعاف ما وضع فيه فمن بركته يؤدي إليك ما تستودعه فيه مضاعفا ولو استودعته النار لخانتك وأكلته ولم تبق ولم نذر.

السادس: أن النار لا تقوم بنفسها بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به فيكون حاملا لها والتراب لا يفتقر إلى حامل فالتراب أكمل منها

السابع: أن النار مفتقرة إلى التراب وليس بالتراب فقر إليها فإن المحل الذي تقوم به النار لا يكون إلا مكونا من التراب أو فيه فهي الفقيرة إلى التراب وهو الغني عنها

الثامن: أن المادة الإبليسية هي المارج من النار وهو ضعيف يتلاعب به الهوى فيميل معه كيفما مال ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه فأسره وقهره ولما كانت المادة الآدمية التراب وهو قوي لا يذهب مع الهوى أينما ذهب وقهر هواه وأسره ورجع إلى ربه فاجتباه واصطفاه فكان الهوى الذي مع المادة الآدمية عارضا سريع الزوال فزال **وكان الثبات والرزانة** أصليا له فعاد إليه وكان إبليس بالعكس من ذلك فرجع كل من الأبوين إلى أصله وعنصر آدم إلي أصله الطيب الشريف واللعين إلى أصله الردىء.

التاسع: أن النار وإن حصل بها بعض المنفعة والمتاع فالشر فيها لا يصدها عنه إلا قسرها وحبسها ولولا القاسر والحابس لها لأفسدت الحرث والنسل وأما التراب فالخير والبر والبركة كامن فيه كلما أثير وقلب ظهرت بركته وخيره وثمرته فأين أحدهما من الآخر.

العاشر: أن الله تعالى أكثر ذكر الأرض في كتابه وأخبر عن منافعها وخلقها وأنه جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا وكفاتا للأحياء والأموات ودعا عباده إلى التفكر فيها والنظر في آياتها وعجائب ما أودع فيها ولم يذكر النار إلا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب إلا موضعا أو موضعين ذكرها فيه بأنها تذكرة ومتاع للمقوين تذكرة بنار الآخرة ومتاع لبعض أفراد الإنسان وهم المقوون النازلون بالأرض الخالية إذا نزلها المسافر تمتع بالنار في منزلة فأين هذا من أوصاف." (١)

" الحب من جميع الهمة والإرادة على المحبوب فكأنهم دلوا السامع بلفظه وحركته وقوته على معناه اشتقاق الحب

وتأمل كيف أتوا في هذا المسمى بحرفين أحدهما الحاء التي هي أقصى الحلق مبدأ الصوت ومخرجها قريب من مخرج الهمزة من أصل المصدر الذي هو معدن الحب وقراره ثم قرنوها بالباء التي هي من الشفتين وهي آخر مخارج الصوت ونهايته فجمع الحرفان بداية الصوت ونهايته كما اشتمل معنى الحب على بداية الحركة ونهايتها فإن بداية حركة المحب من جهة محبوبه ونهايتها إلى الوصول إليه فاختاروا له حرفين هما بداية الصوت ونهايته فتأمل هذه النكت البديعة تجدها ألطف من النسيم ولا تعلق إلا بذهن يناسبها لطافة ورقة

فقل لكثيف الطبع ويحك ليس ذا ... بعشك فادرج سالما غير غانم

واشتقاقه في الأصل من الملازمة والثبات من قولهم أحب البعير فهو محب إذ برك فلم يثر قال

---

(١) بدائع الفوائد، ٢٠٠/٥

حلت عليه بالقطيع ضربا ... ضرب بعير السود إذ حبا

فلما كان المحب ملازما لذكر محبوبه ثابت القلب على حبه مقيما عليه لا يروم عنه انتقالا ولا يبغي عنه زوالا قد اتخذ له في سويداء قلبه وطنا وجعله له سكنا

تزول الجبال الراسيات وقلبه ... على العهد لا يلوي ولا يتغير

فلذلك أعطوه هذا الإسم الدال على الثبات واللزوم ولما جاءوا إلى المحبوب أعطوه في غالب استعمالهم لفظ فعيل الدال على أن هذا الوصف وهو كون متعلق المحب أمر ثابت له لذاته وإن لم يحب فهو حبيب سواء أحبه غيره أم لا

وهذا الوزن موضوع في الأصل لهذا المعنى الشريف وإن لم يشرفه غيره وهو من بناء الأوصاف الثابتة اللازمة كطويل وقصير وكريم وعظيم وحليم وجميل وبابه وهذا بخلاف مفعول فإن حقيقته لمن تعلق به الفعل ليس إلا مضروب لمن وقع عليه الضرب ومقتول ومأكول وبابه فهجروا في أكثر كلامهم لفظ محبوب لما يؤذن من أنه الذي تعلق به الحب فقط واختاروا له لفظ حبيب الدال على أنه حبيب في نفسه تعلق به الحب أم لا جاءوا إلى من قام به الحب فأعطوه لفظ محب دون حاب لوجهين ." (١)

" فهذا كلام هذين الفاضلين في هذه الآية وأنت ترى ما فيه من التكلف الظاهر الذي لا حاجة بالآية إليه بل الأمر فيها أوضح من ذلك الصواب في الاستثناء في هذه الآية

والصواب أن الاستثناء متصل وليس في الآية استعمال اللفظ في حقيقة ومجازة لأن من في السموات والأرض ههنا أبلغ صيغ العموم وليس المراد بها معينا فهي في قوة أحد المنفي بقولك لا يعلم أحد الغيب إلا الله وأتى في هذا بذكر السموات والأرض أحد المنفي بقولك لا يعلم أحد الغيب إلا الله وأتى في هذا بذكر السموات والأرض تحقيقا لإرادة العموم والإحاطة فالكلام مؤد معنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله

وإنما نشأ الوهم في ظنهم أن الظرف ههنا للتخصيص والتقييد وليس كذلك بل لتحقيق الاستغراق والإحاطة فهو نظير الصفة في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه فإنها ليست للتخصيص والتقييد بل لتحقيق الطيران المدلول عليه بطائر فكذلك قوله من في السموات والأرض لتحقيق الاستغراق المقصود بالنفي

ومن تأمل الآية علم أنه لم يقصد بها إلا ذلك وقد قيل أنه لا يمتنع أن يطلق عليه تعالى أنه في السموات كما أطلقه على نفسه وأطلق عليه رسوله قالوا ولا يلزم أن يكون هذا الإطلاق مجاز بل له منه الحقيقة التي تليق بجلاله ولا يشابهه فيها شيء من مخلوقاته وهذا كما يطلق عليه أنه سميع بصير عليم قدير حي مريد حقيقة ويطلق ذلك على خلقه حقيقة والحقيقة المختصة به لا تماثل الحقيقة التي لخلقه فتناول الإطلاق بطريق الحقيقة لهما لا يستلزم تماثلهما حتى يفر منه إلى المجاز

وأما قوله أن الظرف متعلق بفعل غير استقر من الأفعال المنسوبة إلى الله وإلى المخلوقين حقيقة كذكر ويذكر إلى آخره فيقال حذف عامل الظرف لا يجوز إلا إذا كان كونا عاما أو استقرار عاما فإذا كان استقرار أو كونا خاصا مقيدا لم يجز حذفه وعلى هذا جاء مصرحا به في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده لأن المراد به الاستقرار الذي هو الثبات واللزوم

---

(١) بدائع الفوائد، ٢/٣٢٠

لا مطلق الحصول عنده فكيف يسوغ حذف عامل الظرف في موضع ليس بمعهود حذفه فيه وأبعد من هذا التقدير ما ذكره في التقدير الثاني أن عامل الظرف استقرار مضاف إلى ذكر محذوف استغنى به عن المضاف إليه ." (١)

" السادس أن النار لا تقوم بنفسها بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به فيكون حاملا لها والتراب لا يفتقر إلى حامل فالتراب أكمل منها

السابع أن النار مفتقرة إلى التراب وليس بالتراب فقر إليها فإن المحل الذي تقوم به النار لا يكون إلا مكونا من التراب أو فيه فهي الفقيرة إلى التراب وهو الغني عنها

الثامن أن المادة الإبليسية هي المارج من النار وهو ضعيف يتلاعب به الهوى فيميل معه كيفما مال ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه فأسره وقهره ولما كانت المادة الآدمية التراب وهو قوي لا يذهب مع الهوى أينما ذهب وقهر هواه وأسره ورجع إلى ربه فاجتباه واصطفاه فكان الهوى الذي مع المادة الآدمية عارضا سريع الزوال فزال **وكان الثبات والرزانة** أصليا له فعاد إليه وكان إبليس بالعكس من ذلك فرجع كل من الأبوين إلى اصله وعنصر آدم إلي أصله الطيب الشريف واللعين إلى أصله الردىء

التاسع أن النار وإن حصل بها بعض المنفعة والمتاع فالشر فيها لا يصدها عنه إلا قسرها وحبسها ولو لا القاسر والحابس لها لأفسدت الحرث والنسل وأما التراب فالخير والبر والبركة كامن فيه كلما أثير وقلب ظهرت بركته وخيره وثمرته فأين احدهما من الآخر

العاشر أن الله تعالى اكثر ذكر الأرض في كتابه وأخبر عن منافعها وخلقها وأنه جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا وكفاتا للأحياء والأموات ودعا عباده إلى التفكر فيها والنظر في آياتها وعجائب ما أودع فيها ولم يذكر النار إلا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب إلا موضعا أو موضعين ذكرها فيه بأنها تذكرة ومتاع للمقوين تذكرة بنار الآخرة ومتاع لبعض أفراد الإنسان وهم المقوون النازلون بالأرض الخالية إذانزلها المسافر تمتع بالنار في منزلة فأين هذا من أوصاف الأرض في القرآن

الحادي عشر أن الله تعالى وصف الأرض بالبركة في غير موضع من كتابة خصوصا وأخبر أنه بارك فيها عموما فقال أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين فهذه بركة عامة وأما البركة الخاصة ببعضها فكقوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي ." (٢)

" مثل ما ينفقون كمثل ريح قسوته عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر والعمل الذي لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر فقوة ما تحته وصلابته تمنعه **من الثبات والنبات** عند نزول الوابل فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلأ وكذلك قلب المرآئي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر فإذا نزل عليه وابل الوحي

---

(١) بدائع الفوائد، ٣/٥٧٠

(٢) بدائع الفوائد، ٤/٩٥٠

انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته حجرا صلدا لا نبات فيه وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرآئي ونفقته لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه وبالله التوفيق

فصل ومنها قوله تعالى إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد جدا يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته ." (١)

"القرآن مداره على هذه الكلمة

و تأمل عِلم كيف يدور القرآن كلّه من أوّله إلى آخره عليهما ، و كذلك الخلق ، و الأمر و الثواب و العقاب و الدنيا و الآخرة ، و كيف تضمّنتا لأجلِّ الغايات ، و أكمل الوسائل ، و كيف أتى بهما بضمير المخاطب الحاضر ، دون ضمير الغائب ، و هذا موضوع يستدعي كتاباً كبيراً ، و لولا الخروج عمَّا نحن بصدده لأوضحناه و بسطناه ، فمن أراد الوقوف عليه فقد ذكرناه في كتاب : "مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين " و في كتاب " الرسالة المصرية ".

ضرورة العبد لقوله ﴿اهدنا الصِّراط المُستقيم ﴾

ثم ليتأمل العبد ضرورته و فاقته إلى قوله ﴿ اهدنا الصِّراط المُستقيم ﴾ الذي مضمونه معرفة الحق ، و قصده و إرادته و العمل به ، **و الثبات عليه** ، و الدعوة إليه ، و الصبر على أذى المدعو إليه فباستكمال هذه المراتب الخمس يستكمل العبد الهداية و ما نقص منها نقص من هدايته.

و لما كان العبد مفتقراً إلى هذه الهداية في ظاهره و باطنه ، بل و في جميع ما يأتيه ، و يذره من :

أنواع الهدايات التي يفتقر لها العبد

؟ أمور فعلها على غير الهداية علماً و عملاً و إرادة ، فهو محتاج إلى التوبة منها و توبته منها هي من الهداية.

؟ و أمور قد هُدي إلى أصلها دون تفصيلها فهو محتاج إلى هداية تفاصيلها.

؟ و أمور قد هُدي إليها من وجهٍ دون وجهٍ ، فهو محتاجٌ إلى تمام الهداية في كمالها على الهدى المستقيم ، و أن يزداد هدى إلى هداه.

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم، ص/٥٣

؟ و أمور هو محتاج فيها إلى أن يحصل له من الهداية في مستقبلها مثل ما حصل له في ماضيها.

؟ وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو محتاج إلى الهداية فيها اعتقاداً صحيحاً.

؟ و أمور يعتقد فيها خلاف ما هي عليه ، فهو محتاج إلى هداية تنسخ من قلبه ذلك الاعتقاد الباطل ، و تُثبت فيه ضدّه.

؟ و أمور من الهداية : هو قادر عليها ، و لكن لم يخلق له إرادة فعلها ، فهو محتاج في تمام الهداية إلى خلق إرادة.." (١)

"؟ و أمور منها : هو غير قادر على فعلها مع كونه مريد لها ، فهو محتاج في هدايته إلى إقدار عليها.

؟ و أمور منها : هو غير قادر عليها و لا مريد لها ، فهو محتاج إلى خلق القدرة عليها و الإرادة لها لتتم له الهداية.

؟ و أمور : هو قائم بها على وجه الهداية اعتقادا و إرادة ، و علما و عملاً ، فهو محتاج **إلى الثبات عليها** و استدامتها ، فكانت حاجته إلى سؤال الهداية أعظم الحاجات ، و فاقته إليها أشد الفاقات ، و لهذا فرض عليه الرب الرحيم هذا السؤال على العبيد كلّ يوم و ليلة في أفضل أحواله ، و هي الصلوات الخمسُ ، مرات متعددة ، لشدَّة ضرورته و فاقته إلى هذا المطلوب.

؟ ثم بيَّن أن سبيل أهل هذه الهداية مغاير لسبيل أهل الغضب و أهل الضلال ، و هو اليهود ، و النصارى و غيرهم .

فانقسم الخلق إذن إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى هذه الهداية :

مُنعم عليه : بحصولها له و استمرارها و حظه من المنعم عليهم ، بحسب حظه من تفاصيلها و أقسامها.

و ضالٌ : لم يُعطَ هذه الهداية و لم يُوفق لها .

و مغضوب عليه : عَرفها و لم يوفق للعمل بموجبها.

فالضال : حائد عنها ، حائر لا يهتدي إليها سبيلا.

و المغضوب عليه : متحيّر منحرف عنها ؛ لانحرافه عن الحق بعد معرفته به مع علمه بها.

فالأول المنعم عليه قائم بالهدى ، و دين الحق علما و عملاً و اعتقادا و الضال عكسه ، منسلخ منه علماً و عملاً.

و المغضوب عليه لا يرفع فيها رأسا ، عارف به علماً منسلخ عملاً ، و الله الموفق للصواب.

و لولا أن المقصود التنبيه على المضادة و المنافرة التي بين ذوق الصلاة ، و ذوق السماع ، لبسطنا هذا الموضوع بسطاً شافيا ، و لكن لكلِّ مقام مقال ، فلنرجع إلى المقصود.

عبودية التأمين و رفع اليدين

و شرع له التأمين في آخر هذا الدعاء تفاؤلاً بإجابته ، و حصوله ، و طابعاً عليه ، و تحقيقاً له ، و لهذا اشتد حسدُ اليهود للمسلمين عليه حين سمعُوهم يجهرون به في صلاتهم.." (٢)

---

(١) أسرار الصلاة، ص/١٦

(٢) أسرار الصلاة، ص/١٧

"ص -٢٦٧-...الآخرين في تناولهما لمسماهما ومعرفة حدود هذه الأسماء ومراعاتها مغن عن القياس غير محوج إليه وإنما يحتاج إلى القياس من قصر في هذه الحدود ولم يحط بها علما ولم يعطها حقها من الدلالة.

مثاله تقصير طائفة من الفقهاء في معرفة حد الخمر حيث خصوه بنوع خاص من المسكرات فلما احتاجوا إلى تقرير تحريم كل مسكر سلكوا طريق القياس وقاسوا ما عدا ذلك النوع في التحريم عليه فنازعهم الآخرون في هذا القياس وقالوا لا يجري في الأسباب وطال النزاع بينهم وكثر السؤال والجواب وكل هذا من تقصيرهم في معرفة حد الخمر فإن صاحب الشرع قد حده بحد يتناول كل فرد من أفراد المسكر فقال: "كل مسكر خمر" فأغنانا هذا الحد عن باب طويل عريض كثير التعب من القياس وأثبتنا التحريم بنصه لا بالرأي والقياس.

ومن ذلك أيضا تقصير طائفة في لفظ الميسر حيث خصوه بنوع من أنواعه ثم جاءوا إلى الشطرنج مثلا فراموا تحريمه قياسا عليه فنازعهم آخرون في هذا القياس وصحته وطال النزاع ولو أعطوا لفظ الميسر حقه وعرفوا حده لعلموا أن دخول الشطرنج فيه أولى من دخول غيره كما صرح به من صرح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقالوا: "الشطرنج من الميسر".

ومن ذلك تقصير طائفة في لفظ السارق حيث أخرجوا منه نباش القبور ثم راموا قياسه في القطع على السارق فقال لهم منازعوهم: الحدود والأسماء لا تثبت قياسا فأطالوا وأعرضوا في الرد عليهم ولو أعطوا لفظ السارق حده لرأوا أنه لا فرق في حده ومسماه بين سارق الأثمان وسارق الأكفان وأن إثبات الأحكام في هذه الصور بالنصوص لا بمجرد القياس.

ونحن نقول قولا ندين الله به ونحمد الله على توفيقنا له **ونسأله الثبات عليه**:." (١)

"ص -٢٠٠-...وقد جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول ان يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم اليه ما هو بحسب اصلاحه ونيته ومعاملته لربه ويلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به فالمخلص له المهابة والمحبة وللآخر المقت والبغضاء.

من الصفات التي يتصف بها المفتي الحلم الوقار والسكينة:

وأما قوله: "ان يكون له حلم ووقار وسكينة فليس صاحب العلم والفتيا الى شئ احوج منه الى الحلم والسكينة والوقار فإنها كسوة علمه وجماله وإذا فقدها كان علمه كالبدن العاري من اللباس" وقال بعض السلف: ما قرن شئ الى شئ احسن من علم الى حلم والناس ههنا أربعة اقسام فخيارهم من اوتى الحلم والعلم وشرارهم من عدمهما الثالث من أوتى علما بلا حلم الرابع عكسه فالحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله وضده الطيش والعجلة والحدة والتسرع **وعدم الثبات فالحليم** لا يستفزه البدوات ولا يستخفه الذين لا يعلمون ولا يقلقه أهل الطيش والخفة والجهل بل هو وقور ثابت ذو أناة يملك نفسه عند ورود أوائل الامور عليه ولا تملكه اوائلها وملاحظته للعواقب تمنعه من ان تستخفه دواعي الغضب والشهوة فبالعلم تنكشف له مواقع الخير والشر والصلاح والفساد وبالحلم يتمكن من تثبيت نفسه عند الخير فيؤثره ويصبر عليه وعند الشر فيصبر عنه فالعلم يعرفة رشده والحلم يثبته عليه وإذا شئت ان ترى بصيرا بالخير والشر لا صبر له على هذا ولا عن هذا رأيته إذا شئت ان ترى صابرا على المشاق لا بصيرة له رأيته وإذا شئت ان ترى من لا صبر له ولابصيره رأيته وإذا شئت ان ترى بصيرا صابرا لم تكد

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٣١٨/١

فإذا رأيته فقد رايت إمام هدى حقا فاستمسك بغرزه والوقار والسكينة ثمرة الحلم ونتيجته ولشدة الحاجة الى السكينة وحقيقتها وتفاصيلها وأقسامها نشير الى ذلك بحسب." (١)

" فطرحتهم في الحبس في جب لا ماء فيه فأقاموا سبعة أيام لا يطعمون ولا يسقون فقال يهوذا لصاحبيه : إن أباه عرفه بالموضع الذي تطلب فصاح الإثنان فأخرجوهما فخبراها بما قال يهوذا فأمرت بضربه بالسياط فأقر وخرج إلى الموضع الذي فيه المقبرة وكان مزبلة عظيمة فصلى وقال : اللهم إن كان في هذا الموضع فاجعله أن يتزلزل ويخرج منه دخان فتزلزل الموضع وخرج منه دخان فأمرت الملكة بكنس الموضع من التراب فظهرت المقبرة وأصابوا ثلاثة صلبان فقالت الملكة : كيف لنا أن نعلم صليب سيدنا المسيح وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة قد أيس منه فوضع الصليب الأول عليه ثم الثاني ثم الثالث فقام عند الثالث واستراح من علته فعلمت أنه صليب المسيح فجعلته في غلاف من ذهب وحملته إلى قسطنطين

وكان من ميلاد المسيح إلى ظهور هذا الصليب : ثلاثمائة وثمانية وعشرون سنة

هذا كله نقله سعيد بن بطريق النصراني في تاريخه

والمقصود : أنهم ابتدعوا هذا العيد بنقل علمائهم بعد المسيح بهذه المدة :

وبعد فسند هذه الحكاية من بين يهودي ونصراني مع انقطاعها وظهور الكذب فيها

لمن له عقل من وجوه كثيرة ويكفي في كذبها وبيان اختلاقها : أن ذلك الصليب الذي شفي العليل كان أولى أن لا يميت الإله الرب المحيي المميت ومنها : أنه إذا بقي تحت التراب خشب ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة فإنه ينخر ويبلى لدون هذه المدة فإن قال عباد الصليب : إنه لما مس جسم المسيح حصل **له الثبات والقوه** والبقاء قيل لهم : فما بال الصليبين الباقيين لم يتفتتا واشتبها به فلعلهم يقولون : لما مست صليبه مسها البقاء والثبات وجهل القوم وحمقهم أعظم من ذلك والرب سبحانه لما تجلى للجبل تدكدك الجبل وساخ في الأرض ولم يثبت لتجليه فكيف تثبت الخشبة لركوبه عليها في تلك الحال

ولقد صدق القائل : إن هذه الأمة عار على بني آدم أن يكونوا منهم فإن كانت هذه الحكاية صحيحة فما أقربها من حيل اليهود التي تخلصوا بها من ." (٢)

"ص -٥٢- له فمثل صاحبها وبطلان عمله كمثل صفوان وهو الحجر الأملس عليه تراب فأصابه وابل وهو المطر الشديد فتركه صلدا لا شيء عليه وتأمل جزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به تعرف عظمة القرآن وجلالته فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي و المان والمؤذي فقلبه في مثل ما ينفقون كمثل ريح قسوته عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر والعمل الذي لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر فقوة ما تحته وصلابته تمنعه **من الثبات والنبات** عند نزول الوابل فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلأ وكذلك قلب المرآئي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته حجرا

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٢١٨/٤

(٢) إغاثة اللهفان، ٢٩٦/٢

صلدا لا نبات فيه وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرآئي ونفقته لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه وبالله التوفيق.

فصل: ومنها قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد جدا يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته.." (١)

"الثوري، عن يزيد به. ولفظ البخاري: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا كبر حذاء أذنيه". وأما لفظ عبد الرزاق، والدارقطني: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كبر رفع يديه حتى نرى إبهامه قريبا من أذنيه".

وأما حديث هشيم: فأخرجه الإمام أحمد في (مسنده)١، من طريق: هشيم عن يزيد، ولفظه عن البراء: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة رفع يديه".

وأخرج الدارقطني في (سننه)٢ رواية خالد بن عبد الله٣، عن يزيد ابن أبي زياد به، وفيه عن البراء: "أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قام إلى الصلاة كبر ورفع يديه ".

ويرويه كذلك مثل هؤلاء: أسباط بن محمد٤، أخرجه من طريقة: أحمد في (مسنده)٥، والبيهقي في (سننه)٦، وفيه: "...حتى يكون إبهاماه حذاء أذنيه ".

فهؤلاء الخمسة من الحفاظ الثبات، وغيرهم: رووه عن يزيد بن أبي

---

١ (٢٨٢/٤).

٢ (٢٩٤/١) ح ٢٣.

٣ ابن عبد الرحمن بن يزيد الطحان الواسطي، المزني مولاهم، ثقة ثبت، من الثامنة، مات سنة ١٨٢هـ / ع. (التقريب ١٨٩).

٤ ابن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة القرشي مولاهم، أبو محمد، ثقة ضعف في الثوري، من التاسعة، مات سنة ٢٠٠ هـ / ع. (التقريب ٩٨).

٥ (٣٠١/٤ - ٣٠٢).

٦ (٢٥/٢ - ٢٦).." (٢)

---

(١) أمثال القرآن، ٤٩/٢

(٢) ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة، ٢١٤/٢

" وجمع معانيه في الفاتحة وجمع معانيها في إياك نعبد وإياك نستعين ١ سورة الفاتحة / الآية ٥ وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يعبد بألوهيته ويستعان بربوبيته ويهديإلى الصراط المستقيم برحمته فكان اول السورة ذكر اسمه الله والرب والرحمن تطابقا لاجل الطالب من عبادته وإعانته وهدايته وهو المنفرد بإعطاء ذلك كله لا يعين على عبادته سواه ولا يهدي سواه

ثم يشهد الداعي بقوله اهدنا الصراط المستقيم ١ سورة الفاتحة / الآية ٦ شدة فاقته وضرورته إلى هذه المسألة التي ليس هو الى شيء اشد فاقة وحاجة منه إليهاالبتة فإنه محتاج اليه في كل نفس وطرفة عين وهذا المطلوب من هذا الدعاء لا يتم إلا بالهدية إلى الطريق الموصل إليه سبحانه والهداية فيه وهي هداية التفصيل وخلق القدرة على الفعل وإرادته وتكوينه وتوقيعه لإيقاعه له على الوجه الرمضي المحبوب للرب سبحانه وتعالى وحفظه عليه من مفسداته حال فعله وبعد فعله

ولما كان العبد مفتقرا في كل حال إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من امور قد اتاها على غير الهداية فهو يحتاج إلى التوبة منها وامور هدي إلى اصلها دون تفصيلها اوهدي إليها من وجه دون وجه فهو يحتاج إلى إتمام الهداية فيها ليزداد هدى وامور هو يحتاج إلى ان يحصل له من الهداية فيها بالمستقبل مثل ما حصل له في الماضي وامور هو خال عن اعتقاد فيها فهو يحتاج إلى الهداية فيها وامور لم يفعلها فهو يحتاج إلى فعلها على وجه الهداية وامور قد هدي إلى الاعتقاد الحق والعمل الصواب فيها فهو محتاج **إلى الثبات عليها** إلى غير ذلك من انواع ." (١)

"ص -١٤٥- أمور قد أتاها على غير الهداية، فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمور هدى إلى أصلها دون تفصيلها أو هدى إليها من وجه دون وجه، فهو يحتاج إلى إتمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو يحتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها بالمستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو يحتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها فهو يحتاج إلى فعلها على وجه الهداية، وأمور قد هدي إلى الاعتقاد الحق والعمل الصواب فيها فهو محتاج **إلى الثبات عليها**.

إلى غير ذلك من أنواع الهدايات- فرض الله سبحانه عليه أن يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله مرات متعددة في اليوم والليلة، ثم بين أن أهل هذه الهداية هم المختصون بنعمتة دون المغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه، ودون الضالين وهم الذين عبدوا الله بغير علم. فالطائفتان اشتركتا في القول في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته بغير علم. فسبيل المنعم عليه مغايرة لسبيل أهل الباطل كلها علما وعملا.

فلما فرغ من هذا الثناء والدعاء والتوحيد شرع له أن يطبع على ذلك بطابع من التأمين يكون كالخاتم له وافق فيه ملائكة السماء وهذا التأمين من زينة الصلاة كرفع اليدين الذي هو زينة الصلاة واتباع للسنة وتعظيم أمر الله وعبودية اليدين وشعار الانتقال من ركن إلى ركن. ثم يأخذ في مناجاة ربه بكلامه واستماعه من الإمام بالانصات وحضور القلب وشهوده.

وأفضل أذكار الصلاة ذكر القيام وأحسن هيئة المصلي هيئة القيام، فخصت بالحمد والثناء والمجد وتلاوة كلام الرب جل جلاله، ولهذا نهى عن قراءة القرآن في الركوع والسجود؛ لأنهما حالتا ذل وخضوع وتضامن وانخفاض، ولهذا شرع فيهما من

---

(١) الصلاة وحكم تاركها، ص/٢٠٥

الذكر ما يناسب هيئتهما فشرع للراكع أن يذكر عظمة ربه في حال انخفاضه هو وتطامنه وخضوعه، وأنه سبحانه يوصف بوصف عظمته عما يضاد كبرياءه وجلاله وعظمته فأفضل ما يقول الراكع على الاطلاق: سبحان ربي العظيم، فإن الله سبحانه أمر." (١)

"فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة وهى حاله في الصبر مع خصمه والمرابطة **وهى الثبات واللزوم** والاقامة على الصبر والمصابرة فقد يصبر العبد ولا يصابر وقد يصابر ولا يرابط وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى وأن الفلاح موقوف عليها فقال واتقوا الله لعلكم تفلحون فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذى يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهى لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته

أهـ ﴿ عدة الصابرين صـ ١٧ ﴾

سورة النساء

قوله تعالى ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ النساء ٣

قال الشافعي إن لا تكثر عيالكم فدل على أن قلة العيال أولى قيل قد قال الشافعي رحمه الله ذلك وخالفه جمهور المفسرين من السلف والخلف وقالوا معنى الآية ذلك أدنى أن لا تجوروا ولا تميلوا فانه يقال عال الرجل يعول عولا إذا مال وجار ومنه عول الفرائض لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص ويقال عال يعيل عيلة إذا احتاج قال تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله التوبة ٢٨ وقال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل أي متى يحتاج ويفتقر

وأما كثرة العيال فليس من هذا ولا من هذا ولكنه من أفعل يقال أعال الرجل يعيل إذا كثر عياله مثل ألبن وأتمر إذا صار ذا لبن وتمر هذا قول أهل اللغة

قال الواحدي في بسيطه ومعنى تعولوا تميلوا وتجوروا عن جميع أهل التفسير واللغة وروي ذلك مرفوعا روت عائشة رضي الله عنها عن النبي في قوله ذلك أن لا تعولوا قال أن لا تجوروا وروي أن لا تميلوا قال وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدي وأبي مالك وعكرمة والفراء والزجاج وابن قتيبة وابن الأنبا ري." (٢)

"ص -٢٣٣- الفصل الثامن: في قوله: اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد وذكر البركة وحقيقتها

الثبوت وللزوم والاستقرار، فمنه برك البعير: إذا استقر على الأرض، ومنه المبرك: لموضع البروك. وقال صاحب الصحاح: وكل شيء ثبت وأقام فقد برك. والبرك: الإبل الكثيرة، والبركة: بكسر الباء كالحوض، والجمع: البرك، ذكره الجوهري. قال ويقال: سميت بذلك لإقامة الماء فيها. **والبراكاء: الثبات في** الحرب والجد فيها، قال الشاعر:

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها، ٤٢/١١

(٢) التفسير القيم لابن القيم، ٣٤٩/١

ولا ينجي من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرار

والبركة: النماء والزيادة. والتبريك: الدعاء بذلك. ويقال: باركه الله وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له، وفي القرآن: ﴿ أن بورك من في النار ومن حولها﴾النمل: من الآية٨، وفيه: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾الصافات: من الآية١١٣، وفيه: ﴿ باركنا فيها﴾الأنبياء: من الآية٨١.

وفي الحديث: "وبارك لي فيما أعطيت"، وفي حديث سعد: بارك الله لك في أهلك ومالك. والمبارك: الذي قد باركه الله سبحانه، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿وجعلني مباركا أين ما كنت ﴾مريم: الآية٣١، وكتابه مبارك، قال تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾الأنبياء: من الآية٥٠، وقال: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾ص: الآية٢٩، وهو." (١)

"ص -١٧- "هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار "هو الذي عود نفسه الهجوم على المكاره" وقيل الصبر المقام على البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية ومعنى هذا أن لله على العبد عبودية في عافيته وفي بلائه فعليه أن يحسن صحبة العافية بالشكر وصحبة البلاء بالصبر وقال عمرو بن عثمان المكي: "الصبر **هو الثبات مع** الله وتلقى بلائه بالرحب والدعة" ومعنى هذا انه يتلقى البلاء وبصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوى وقال الخواص "**الصبر الثبات على** أحكام الكتاب والسنة" وقال رويم "الصبر ترك الشكوى" فسره يلازمه وقال غيره "الصبر هو الاستعانة بالله" وقال أبو على "الصبر كاسمه" وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه "الصبر مطية لا تكبو" وقال أبو محمد الجريري "الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما".

قلت وهذا غير مقدور ولا مأمور به فقد ركب الله الطباع على التفريق بين الحالتين وانما المقدور حبس النفس عن الجزع لا استواء الحالتين عند العبد وساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصبر كما قال النبي في الدعاء المشهور "إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي" ولا يناقض هذا قوله "وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر" فإن هذا بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع من الصبر وأما قبله فالعافية أوسع له وقال أبو على الدقاق "حد الصبر أن لا يعترض على التقدير" فأما إظهار للبلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب ﴿إنا وجدناه صابرا﴾ مع قوله ﴿مسني الضر﴾ قلت فسر اللفظ بلازمها.

وأما قوله "على غير وجه الشكوى" فالشكوى نوعان أحدهما الشكوى إلى الله فهذا لا ينافي الصبر كما قال يعقوب ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ مع قوله ﴿فصبر جميل﴾ وقال أيوب ﴿مسني الضر﴾ مع." (٢)

"ص -٢١- قالوا وقد فرغ الله سبحانه من الخلق والخلق والرزق والأجل وقالت طائفة أخرى بل يمكن اكتساب الخلق كما يكتسب العقل والحلم والجود والسخاء والشجاعة والوجود شاهد بذلك قالوا والمزاولات تعطى الملكات ومعنى هذا أن من زاول شيئا واعتاده وتمرن عليه صار ملكه له وسجيه وطبيعه قالوا والعوائد تنقل الطبائع فلا يزال العبد يتكلف التصبر حتى يصير الصبر له سجية كما أنه لا يزال يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقا بمنزلة الطبائع

---

(١) جلاء الأفهام، ٤/١٣٤

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ٤/٢

قالوا وقد جعل الله سبحانه في الإنسان قوة القبول والتعلم فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفا فيعود العبد إلى طبعه بأدنى باعث وقد يكون قويا ولكن لم ينقل الطبع فقد يعود إلى طبعه إذا قوى الباعث واشتد وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبه طبعا ثانيا فهذا لا يكاد يعود إلى طبعه الذى انتقل عنه.

وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبر فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب فالتصبر مبدأ الاصطبار كما أن التكسب مقدمة الاكتساب فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارا

وأما المصابرة فهي مقاومة الخصم في ميدان الصبر فإنها مفاعلة تستدعى وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة وهى حاله في الصبر مع خصمه والمرابطة **وهى الثبات واللزوم** والاقامة على الصبر والمصابرة فقد يصبر العبد ولا يصابر وقد يصابر ولا يرابط وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى وأن الفلاح موقوف عليها فقال ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن." (١)

"ص -٤٨- وها هنا سر بديع وهو أن من تعلق بصفة من صفات الرب تعالى أدخلته تلك الصفة عليه وأوصلته اليه والرب تعالى هو الصبور بل لا أحد أصبر على أذى سمعه منه وقد قيل ان الله سبحانه أوحى إلى داود "تخلق بأخلاق فإن من أخلاقى انى أنا الصبور" والرب تعالى يحب أسماءه وصفاته ويحب مقتضى صفاته وظهور آثارها في العبد فإنه جميل يحب الجمال عفو يحب أهل العفو كريم يحب أهل الكرم عليم يحب أهل العلم وتر يحب أهل الوتر قوى والمؤمن القوى أحب إليه من المؤمن الضعيف صبور يحب الصابرين شكور يحب الشاكرين واذا كان سبحانه يحب المتصفين بآثار صفاته فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف فهذه المعية الخاصة عبر عنها بقوله "كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا".

فصل: وزاد بعضهم قسما ثالثا من أقسام الصبر وهو الصبر مع الله وجعلوه أعلى أنواع الصبر وقالوا هو الوفاء ولو سئل هذا عن حقيقة الصبر مع الله لما أمكنه أن يفسره بغير الأنواع الثلاثة التى ذكرت وهى الصبر على أقضيته والصبر على أوامره والصبر عن نواهيه فإن زعم أن الصبر مع الله **هو الثبات معه** على أحكامه يدور معها حيث دارت فيكون دائما مع الله لا مع نفسه فهو مع الله بالمحبة والموافقة فهذا المعنى حق ولكن مداره على الصبر على الأنواع المتقدمة وإن زعم أن الصبر مع الله هو الجامع لأنواع الصبر فهذا حق ولكن جعله قسما رابعا من أقسام الصبر غير مستقيم.

واعلم أن حقيقة الصبر مع الله هو ثبات القلب بالاستقامة معه وهو أن لا يروغ عنه روغان الثعالب ها هنا وها هنا فحقيقة هذا هو الاستقامة اليه وعكوف القلب عليه وزاد بعضهم قسما آخر من اقسامه وسماه الصبر فيه وهذا أيضا غير خارج عن أقسام الصبر المذكورة ولا يعقل من الصبر فيه معنى غير الصبر له وهذا كما يقال فعلت هذا في الله وله كما قال خبيب:." (٢)

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ٢/٦

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ٥/١٢

"ص –٥٠– الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء" فكلام لا يجب التسليم لقائله لأنه ذكر ما سنح له وتصوره وانما يجب التسليم للنقل المصدق عن القائل المعصوم ونحن نشرح هذه الكلمات.

أما قوله"الصبر لله غناء" فإن الصبر لله بترك حظوظ النفس ومرادها لمراد الله وهذا أشق شيء على النفس وأصعبه فإن قطع المفازة التي بين النفس وبين الله بحيث يسير منها إلى الله شديد جدا على النفس بخلاف السفر إلى الآخرة فإنه سهل كما قال الجنيد"السير من الدنيا إلى الآخرة سهل يعنى على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والسير من النفس إلى الله صعب شديد والصبر مع الله أشد"

وأما قوله:"والصبر بالله بقاء" فلأن العبد اذا كان بالله هان عليه كل شيء ويتحمل الأثقال ولم يجد لها ثقلا فإنه اذا كان بالله لا بالخلق ولا بنفسه كان لقلبه وروحه وجود آخر وشأن آخر غير شأنه اذا كان بنفسه وبالخلق وبهذا الحال لا يجد عناء الصبر ولا مرارته وتنقلب مشاق التكليف له نعيما وقرة عين كما قال بعض الزهاد عالجت قيام الليل سنة وتنعمت به عشرين سنة ومن كانت قرة عينه في الصلاة لم يجد لها مشقة وكلفة.

وأما قوله:"والصبر في الله بلاء" فالبلاء فوق العناء والصبر فيه فوق الصبر له وأخص منه كما تقدم فإن الصبر فيه بمنزلة الجهاد فيه وهو أشق من الجهاد له فكل مجاهد في الله وصابر في الله مجاهد له وصابر له من غير عكس فإن الرجل قد يجاهد ويصبر لله مرة ليقع عليه اسم من فعل ذلك لله ولا يقع عليه اسم من فعل ذلك في الله وإنما يقع على من انغمس في الجهاد والصبر ودخل الجنة.

وأما قوله:"والصبر مع الله وفاء" فلأن الصبر معه هو الثبات معه على أحكامه ولا يزيغ القلب عن الإنابة ولا الجوارح عن الطاعة فتعطى." (١)

"ص –١١٠– صحيحه"اللهم انى أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت امرى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك" فلا تجد المؤمن أبدا الا راغبا وراهبا والرغبة والرهبة لا تقوم الا على ساق الصبر فرهبته تحمله على الصبر ورغبته تقوده إلى الشكر

الاعتبار السادس ان جميع ما يباشره العبد في هذه الدار لا يخرج عما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره في الدنيا والاخرة أو ينفعه في أحد الدارين ويضره في الاخرى وأشرف الاقسام أن يفعل ما ينفعه في الاخرة ويترك ما يضره فيها وهو حقيقة الايمان ففعل ما ينفعه هو الشكر وترك ما يضره هو الصبر

الاعتبار السابع ان العبد لا ينفك عن أمر يفعله ونهى يتركه وقدر يجرى عليه وفرضه في الثلاثة الصبر والشكر ففعل المأمور هو الشكر وترك المحظور والصبر على المقدور هو الصبر

الاعتبار الثامن إن العبد فيه داعيان داع يدعوه إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها وداع يدعوه إلى الله والدار الآخرة وما أعد فيها لأوليائه من النعيم المقيم فعصيان داعى الشهوة والهوى هو الصبر وإجابة داعى الله والدار الآخرة هو الشكر

الاعتبار التاسع ان الدين مداره على أصلين العزم والثبات وهما الأصلان المذكوران في الحديث الذى رواه أحمد والنسائى عن

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ٧/١٢

النبي: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد" وأصل الشكر صحة العزيمة وأصل الصبر قوة الثبات فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات فقد أيد بالمعونة والتوفيق

الاعتبار العاشر ان الدين مبنى على أصلين الحق والصبر وهما المذكوران في قوله تعالى

﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ ولما كان المطلوب من العبد هو العمل بالحق في نفسه وتنفيذه في الناس وكان هذا ص -١١١- هو حقيقة الشكر لم يمكنه ذلك إلا بالصبر عليه فكان الصبر نصف الايمان والله سبحانه وتعالى أعلم." (١)

" | ولم يكن من هديه الالتفات في الصلاة . وفي ' صحيح البخاري ' أنه سئل عنه ، فقال : ' هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد ' وكان يفعله في الصلاة أحياناً لعارض ، لم يكن من فعله الراتب ، كالتفاته إلى الشعب الذي بعث إليه الطليعة والله أعلم . وكان يدعو بعد التّشهد ، وقبل السلام ، وبذلك أمر في حديث أبي هريرة ، وحديث فضالة . | وأما الدعاء بعد السلام مستقبل القبلة أو المأمومين ، فلم يكن ذلك من هديه أصلا وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها . وهذا هو اللائق بحال المصلي ، فإنه مقبل على ربه ، فإذا سلّم زال ذلك . ثم كان صلى الله عليه وسلم يسلّم عن يمينه : ' السلام عليكم ورحمة الله ' وعن يساره كذلك ، هذا كان فعله الراتب ، وروي عنه أنه كان يسلم تسليمة واحدة من تلقاء وجهه ، لكن لم يثبت ، وأجودُ ما فيه حديث عائشة وهو في ' السنن ' ، لكنه في قيام الليل ، وهو حديث معلول ، على أنه ليس صريحاً في الاقتصار على التسليمة الواحدة . | وكان يدعو في صلاته فيقول : ' اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجّال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم ' . | وكان يقول في صلاته أيضاً : ' اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسّع لي في داري ، وبارك لي في ما رزقتني ' . | وكان يقول : ' اللهم إني أسألك الثّبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، وأسألك

". (٢)

" | وكان هديه في الجنائز أكمل هدي مخالفاً لهدي سائر الأمم مشتملاً على الإحسان إلى الميت وإلى أهله وأقاربه ، وعلى إقامة عبودية الحي فيما يعامل به الميت ، فكان من هديه إقامة عبودية الرب تعالى على أكمل الأحوال ، وتجهيز الميت إلى الله تعالى على أحسن الأحوال ، ووقوفه وأصحابه صفوفاً يحمدون الله ، ويستغفرون له ، ثم يمشي بين يديه إلى أن يودِعوه حفرته ، ثم يقوم هو وأصحابه على قبره سائلين له الثبات ، ثم يتعاهده بالزيارة إلى قبره ، والسلام عليه ، والدعاء له . | فأول ذلك تعاهده في مرضه ، وتذكيره الآخرة ، وأمره بالوصية والتوبة ، وأمر من حضره بتلقينه شهادة أن لا إله إلا الله ، لتكون آخر كلامه ، ثم نهى عن عادة الأمم التي لا تؤمن بالبعث من لطم الخدود ، ورفع الصوت بالندب والنياحة ، وتوابع ذلك . | وسن الخشوع للموت ، والبكاء الذي لا صوت معه ، وحزن القلب ، وكان يفعله ويقول : ' تدمع

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ٣/٢١

(٢) مختصر زاد المعاد، ص/٢٩

العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الربّ ' وسن لأمته الحمد والاسترجاع والرضا عن الله . | وكان من هديه الإسراع بتجهيز الميت إلى الله ، وتطهيره وتنظيفه وتطييبه ، وتكفينه في ثياب البياض ، ثم يؤتى به إليه ، فيصلي عليه بعد أن كان يدعى له عند احتضاره ، فيقيم عنده حتى يقضي ، ثم يحضر تجهيزه ، ويصلي عليه ، ويشيّعهُ إلى قبره ، ثم رأى أصحابه أن ذلك يشق عليه ، فكانوا يجهزون ميتهم ، ثم يحملونه إليه ، فيصلي عليه خارج المسجد ، وربما كان يصلي أحياناً عليه في المسجد ، كما صلى على سهيل بن بيضاء وأخيه فيه .

". (١)

" أيضا أما الصبر فظاهر وأما الشكر فللقيام بحق الله عليه في تلك البلية فإن لله على العبد أن يقوم بعبوديته في هذا وهذا فعلم أنه لا انفكاك له عن الصبر ما دام سائرا إلى الله

الوجه الثالث أن الصبر ثلاثةأقسام إما صبر عن المعصية فلا يرتكبها وإما صبر على الطاعة حتى يؤديها وإما صبر على البلية فلا يشكو ربه فيها وإن كان العبد لا بد له من واحد من هذه الثلاثة فالصبر لازم له أبدا لا خروج له عنه البتة

الوجه الرابع أن الله سبحانه ذكر الصبر في كتابه في نحو تسعين موضعا فمرة أمر به ومرة أثنى على أهله ومرة أمر نبيه أن يبشر به أهله ومرة جعله شرطا في حصول النصر والكفاية ومرة أخبر أنه مع أهله وأثنى به على صفوته من العالمين وهم أنبياؤه ورسله فقال عن نبيه أيوب إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب وقال لخاتم أنبيائه ورسله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال واصبر وما صبرك إلا بالله وقال يوسف الصديق وقد قال له إخوته إءنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وهذا يدل على أن الصبر من أجل مقامات الإيمان وأن أخص الناس بالله وأولاهم به أشدهم قياما وتحققا به وأن الخاصة أحوج إليه من العامة

الوجه الخامس أن الصبر سبب في حصول كل كمال فأكمل الخلق أصبرهم ولم يتخلف عن أحد كماله الممكن إلا من ضعف صبره فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص فإذا **انضم الثبات إلى** ." (٢)

" العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل ولهذا في دعاء النبي الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد ومعلوم أن **شجرة الثبات والعزيمة** لا تقوم إلا على ساق الصبر فلو علم العبد الكنز الذي تحت هذه الأحرف الثلاثة أعني اسم الصبر لما تخلف عنه قال النبي ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر وقال عمر بن الخطاب حين غشي عليه أدركناه بالصبر وفي مثل هذا قال قائل

نزه فؤادك عن سوانا والقنا ... فجنابنا حل لكل منزه

والصبر طلسم لكنز وصالنا ... من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

---

(١) مختصر زاد المعاد، ص/٦٣

(٢) طريق الهجرتين، ص/٤٠٠

فالصبر طلسم على كنز السعادة من حله ظفر بالكنز

الوجه السادس قوله الصبر حبس النفس على مكروه وعقل اللسان عن الشكوى ومكابدة الغصص في تحمله وانتظار الفرج عند عاقبته فيقال هذا أحد أقسام الصبر وهو الصبر على البلاء وأما الصبر على الطاعة فقد يعرض فيه ذلك أو بعضه وقد لا يعرض فيه بل يتحلى ." (١)

" عليهم وغلب عليهم حتى أنساهم ذكر الله فلا يذكرونه الا قليلا وأنهم حزب الشيطان وأنهم يوادون من حاد الله ورسوله و بأنهم يتمنون ما يعنت المؤمنين ويشق عليهم وأن البغضاء تبدو لهم من أفواههم وعلى فلتات ألسنتهم و بأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ومن صفاتهم التي وصفهم بها رسول الله الكذب في الحديث والخيانة في الأمانة والغدر عند العهد والفجور عند الخصام والخلف عند الوعد و تأخير الصلاة إلى آخر وقتها ونقرها عجلة وإسراعا وترك حضورها جماعة وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح والعشاء ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها الشح على المؤمنين بالخير والجبن عند الخوف فإذا ذهب الخوف وجاء الأمن سلقوا المؤمنين بألسنة حداد فهم أحد الناس ألسنة عليهم كما قيل

جهلا علينا وجبنا من عدوكم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن

وأنهم عند المخاوف تظهر كمائن صدورهم ومخبآتها وأما عند الأمن فيجب ستره فإذا لحق المسلمين خوف دبت عقارب قلوبهم وظهرت المخبآت وبدت الأسرار ومن صفاتهم أنهم أعذب الناس ألسنة وأمرهم قلوبا وأعظم الناس خلفا بين أعمالهم وأقوالهم ومن صفاتهم أنهم لا يجتمع فيهم حسن صمت وفقه في دين أبدا ومن صفاتهم أن أعمالهم تكذب أقوالهم وباطنهم يكذب ظاهرهم وسرائرهم تناقض علانيتهم ومن صفاتهم أن المؤمن لا يثق بهم في شيء فإنهم قد أعدوا لكل أمر مخرجا منه بحق أو بباطل بصدق أو بكذب ولهذا سمي منافقا أخذا من نافقاء اليربوع وهو بيت يحفره ويجعل له أسرابا مختلفة فكلما طلب من سرب خرج من سرب آخر فلا يتمكن طالبه من حصره في سرب واحد قال الشاعر

ويستخرج اليربوع من نافقائه ... ومن جحره بالشيخه اليتقصع

فأنت منه كقابض على الماء ليس معك منه شيء ومن صفاتهم كثرة التلون وسرعة التقلب **وعدم الثبات على** حال واحد بينا تراه على ." (٢)

" قال ذو النون المصري الصبر التباعد من المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة

وقيل : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقيل : هو الفناء في البلوى بلا ظهور ولا شكوى وقيل : تعويد النفس الهجوم على المكاره وقيل : المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية وقال عمرو بن عثمان : **هو الثبات مع** الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة وقال الخواص : **هو الثبات على** أحكام الكتاب والسنة

وقال يحيى بن معاذ : صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا ! كيف يصبرون وأنشد :

---

(١) طريق الهجرتين، ص/٤٠١

(٢) طريق الهجرتين، ص/٦٠١

الصبر يجمل في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يجمل

وقيل : الصبر هو الاستعانة بالله وقيل : هو ترك الشكوى وقيل :

الصبر مثل اسمه مر مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

وقيل : الصبر أن ترضى بتلف نفسك في رضى من تحبه كما قيل :

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة ... وحسبي أن ترضي ويتلفني صبري وقيل : مراتب الصابرين خمسة : صابر ومصطبر ومتصبر وصبور وصبار فالصابر : أعمها والمصطبر : المكتسب الصبر المليء به والمتصبر : المتكلف حامل نفسه عليه والصبور : العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره والصبار : الكثير الصبر فهذا فى القدر والكم والذي قبله في الوصف والكيف وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الصبر مطية لا تكبو ." (١)

" وقف رجل على الشبلي فقال : أي صبر أشد على الصابرين فقال : الصبر في الله قال السائل : لا فقال : الصبر لله فقال : لا فقال : الصبر مع الله فقال : لا قال الشبلي : فإيش هو قال : الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف

وقال الجريري : الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة وحال المحنة مع سكون الخاطر فيهما والتصبر : هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة

قال أبو علي الدقاق : فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته فإن الله مع الصابرين

وقيل في قوله تعالى : اصبروا وصابروا ورابطوا آل عمران : ٢٠٠ إنه انتقال من الأدنى إلى الأعلى ف الصبر دون المصابرة و المصابرة دون المرابطة و المرابطة مفاعلة من الربط وهو الشد وسمي المرابط مرابطا : لأن المرابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفزع ثم قيل لكل منتظر قد ربط نفسه لطاعة ينتظرها : مرابط ومنه قول النبي : ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط وقال رباط يوم فى سبيل الله : خير من الدنيا وما فيها

وقيل : اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم على البلوي في الله ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله

وقيل : اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله

وقيل : اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء

فالصبر مع نفسك و المصابرة بينك وبين عدوك و **المرابطة الثبات وإعداد** العدة وكما أن الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم منه العدو فكذلك ." (٢)

---

(١) مدارج السالكين، ١٥٨/٢

(٢) مدارج السالكين، ١٥٩/٢

" أنس القلب بالمحبوب فإذا أحس بالألم بحيث يحتاج إلى الصبر انتقل من الأنس إلى الوحشية ولولا الوحشة لما أحس بالألم المستدعي للصبر

وإنما كان أنكرها في طريق التوحيد : لأن فيه قوة الدعوى لأن الصابر يدعي بحاله **قوة الثبات وذلك** ادعاء منه لنفسه قوة عظيمة وهذا مصادمة لتجريد التوحيد إذ ليس لأحد قوة ألبتة بل لله القوة جميعا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فهذا سبب كون الصبر منكرا في طريق التوحيد بل من أنكر المنكر كما قال لأن التوحيد يرد الأشياء إلى الله والصبر يرد الأشياء إلى النفس وإثبات النفس في التوحيد منكر

هذا حاصل كلامه محررا مقررا وهو من منكر كلامه بل الصبر من آكد المنازل في طريق المحبة وألزمها للمحبين وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة وهو من أعرف المنازل في طريق التوحيد وأبينها وحاجة المحب إليه ضرورية

فإن قيل : كيف تكون حاجة المحب إليه ضرورية مع منافاته لكمال المحبة فإنه لا يكون إلا مع منازعات النفس لمراد المحبوب

قيل : هذه هي النكتة التي لأجلها كان من آكد المنازل في طريق المحبة وأعلقها بها وبه يعلم صحيح المحبة من معلولها وصادقها من كاذبها فإن بقوة الصبر على المكاره في مراد المحبوب يعلم صحة محبته

ومن ههنا كانت محبة أكثر الناس كاذبة لأنهم كلهم ادعوا محبة الله تعالى فحين امتحنهم بالمكاره انخلعوا عن حقيقة المحبة ولم يثبت معه إلا الصابرون فلولا تحمل المشاق وتجشم المكاره بالصبر : لما ثبتت صحة محبتهم وقد تبين بذلك أن أعظمهم محبة أشدهم صبرا

ولهذا وصف الله تعالى بالصبر خاصة أوليائه وأحبابه فقال عن حبيبه أيوب : ." (١)

" تؤثر فيه البداآت ويستفز باوائل الامور بخلاف الثابت التام العاقل فإنه لا تستفزه البداآت ولا تزعجه وتقلقله فان الباطل له دهشة وروعة في اوله فإذا ثبت له القلب رد على عقبيه والله يحب من عنده العلم والاناة فلا يعجل بل يثبت حتى يعلم ويستيقن ما ورد عليه ولا يعجل بأمر من قبل استحكامه فالعلجة والطيش من الشيطان فمن ثبت عند صدمة البداآت استقبل امره بعلم وجزم ومن لم يثبت لها استقبله بعجله وطيش وعاقبته الندامة وعاقبة الاول حمدامره ولكن للأول آفة متى قرنت بالحزم والعزم نجا منها وهي الفوت فإنه لا يخاف من التثبيت الا الفوت فإذا اقترن به العزم والحزم تم امره ولهذا في الدعاء الذي وراه الامام احمد والنسائي عن النبي صلى الله عليه و سلم اللهم اني **اسالك الثبات في** الامر والعزيمة على الرشد وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح وما اتى العبد الا من تضييعهما او تضييع احدهما فما اتى احد الا من باب العجلة والطيش واستفزاز البداآت له أو من باب التهاون والتمات وتضييع الفرصة بعد مواتاتها فإذا **حصل الثبات اولا** والعزيمة ثانيا افلح كل الفلاح والله ولي التوفيق الصنف الثالث رجل نهمته في نيل لذته فهو منقاد لداعي الشهوة اين كان ولا ينال درجة وراثة النبوة مع ذلك ولا ولا ينال العلم الا بهجر اللذات وتطليق الراحة قال مسلم في صحيحه قال يحيى بن

---

(١) مدارج السالكين، ١٦٢/٢

أبي كثير لا ينال العلم براحة الجسم وقال إبراهيم الحربي اجمع عقلاء كل امة ان النعيم لا يدرك بالنعم ومن آثر الراحة فاتته الراحة فما لصاحب اللذات وما لدرجة وراثة الانبياء

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد فان العلم صناعة القلب وشغله فما لم تتفرغ لصناعته وشغله لم تنلها وله وجهة واحدة فإذا وجهت وجهته الى اللذات والشهوات انصرفت عن العلم ومن لم يغلب لذة إدراكه العلم وشهوته على لذة جسمه وشهوة نفسه لم ينل درجة العلم ابدا فإذا صارت شهوته في العلم ولذته في كل إدراكه رجى له ان يكون من جملة اعلة ولذة العلم لذة عقلية روحانية من جنس لذة الملائكة ولذة شهوات الاكل والشراب والنكاح لذة حيوانية يشارك الانسان فيها الحيوان ولذة الشروالظلم والفساد والعلوى في الارض شيطانية يشارك صاحبها فيها ابليس وجنوده وسائر اللذات تبطل بمفارقة الروح البدن الا لذة العلم والايمان فإنها تكمل بعد المفارقة لان البدن وشواغله كان ينقصها ويقللها ويحجبها فإذا انطوت الروح عن البدن التذت لذة كاملة بما حصلته من العلم النافع والعمل الصالح فمن طلب اللذة العظمى وآثر النعيم والمقيم فهو في العلم والايمان اللذين بهما كمال سعادة الانسان وايضا فإن تلك اللذات سريعة الزوال وإذا انقضت اعقبت هما وغما وألا يحتاج صاحبها ان يداويه بمثلها دفعا للألمه وربما كان معاودته لها مؤلما له كريها اليه لكن يحمله عليه مدواة ذلك الغم والهم فأين هذا من لذة العلم ولذة الايمان بالله ومحبته والاقبال عليه والتنعم بذكره فهذه هي اللذة الحقيقية ." (١)

" بالصلوات فقدم البيت الحرام عليه في الاستقبال لأن مصلحته أعظم وأكمل وبقي قصده وشد الرحال إليه والصلاة فيه منشأ للمصلحة فتمت للأمة المحمدية المصلحتان المتعلقتان بهذين البيتين وهذا نهاية ما يكون من اللطف وتحصيل المصالح وتكميلها لهم فتأمل هذا الموضع ومن ذلك نسخ التخيير في الصوم بتعيينه فإن له بقاء وبيانا ظاهرا وهو أن الرجل كان إذا أراد أفطر وتصدق فحصلت له مصلحة الصدقة دون مصلحة الصوم وإن شاء صام ولم يفد فحصلت له مصلحة الصوم دون الصدقة فحتم الصوم على المكلف لأن مصلحته أتم وأكمل من مصلحة الفدية وندب إلى الصدقة في شهر رمضان فإذا صام وتصدق حصلت له المصلحتان معا وهذا أكمل ما يكون من الصوم وهو الذي كان يفعله النبي صلى الله عليه و سلم فإنه كان أجود ما يكون في رمضان فلم تبطل المصلحة الأولى جملة بل قدم عليها ما هو أكمل منها وجوبا وشرع الجمع بينها وبين الأخرى ندبا واستحبابا ومن ذلك نسخ ثبات الواحد من المسلمين للعشرة من العدو بثباته للإثنين ولم تبطل الحكمة الأولى من كل وجه بل بقي استحبابه وإن زال وجوبه بل إذا غلب على ظن المسلمين ظفرهم بعدوهم وهم عشرة أمثالهم وجب **عليهم الثبات وحرم** عليهم الفرار فلم تبطل الحكمة الأولى من كل وجه ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة بين يدي مناجاة الرسول صلى الله عليه و سلم لم يبطل حكمه بالكلية بل نسخ وجوبه وبقي استحبابه والندب إليه وما علم من تنبيهه وإشارته وهو أنه إذا استحبت الصدقة بين يدي مناجاة المخلوق فاستحبابها بين يدي مناجاة الله عند الصلوات والدعاء أولى فكان بعض السلف الصالح يتصدق بين يدي الصلاة والدعاء إذا أمكنه ويتأول هذه الأولوية ورأيت شيخ الإسلام ابن تيمة يفعله ويتحراه ما أمكنه وفاوضته فيه فذكر لي هذا التنبيه والإشارة ومن ذلك نسخ الصلوات الخمسين

(١) مفتاح دار السعادة، ١٤٢/١

التي فرضها الله على رسوله ليلة الإسراء بخمس فإنها لم تبطل بالكلية بل اثبتت خمسين في الثواب والأجر خمسا في العمل والوجوب وقد أشار تعالى إلى هذا بعينه حيث يقول على لسان نبيه لا يبدل القول لدى هي خمس وهي خمسون في الأجر فتأمل هذه الحكمة البالغة والنعمة السابغة فإنه لما اقتضت المصلحة أن تكون خمسين تكميلا للثواب وسوقا لهم بها إلى أعلا المنازل واقتضت أيضا أن تكون خمسا لعجز الأمة وضعفهم وعدم احتمالهم الخمسين جعلها خمسا من وجه وخمسين من وجه جمعا بين المصالح وتكميلا لها ولو لم نطلع من حكمته في شرعه وأمره ولطفه بعباده ومراعاة مصالحهم وتحصيلها لهم على أتم الوجوه إلا على هذه الثلاثة وحدها لكفى بها دليلا على ما راءها فسبحان من له في كل ما خلق وأمر حكمة بالغة شاهدة له بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين ومن ذلك الوصية للوالدين والأقربين فإنها كانت واجبة على من حضره الموت ثم نسخ الله ذلك بآية المواريث وبقيت مشروعة في حق الأقارب الذين لا يرثون ." (١)

" وليست من لفظ رسول الله صلى الله عليه و سلم على أن ههنا مسلكا بعيد المأخذ لطيف المنزع يتقبله العقل السليم والفطرة السليمة وهو أن كسوف الشمس والقمر وجب لهما من الخشوع والخضوع بانمحاء نورهما وانقطاعه عن هذا العالم ما يكون فيه سلطانهما وبهاؤهما وذلك يوجب لا محالة لهما من الخشوع والخضوع لرب العالمين وعظمته وجلاله وما يكون سببا لتجلى الرب تبارك وتعالى لهما ولا يستنكرون ان يكون تجلى الله سبحانه وتعالى لهما في وقت معين كما يدنو من أهل الموقف عشية عرفة وكما ينزل كل ليلة إلى سماء الدينا عند مضى نصف الليل فيحدث لهما ذلك التجلى خشوعا آخر ليس هو الكسوف ولم يقل النبي صلى الله عليه و سلم أن الله إذا تجلى لهما انكسفا ولكن اللفظة فإذا تجلى الله لشيء من خلقه خشع له ولفظ الإمام أحمد في الحديث إذا بدا الله لشيء من خلقه خشع له فهنا خشوعان خشوع أوجبه كسوفهما بذهاب ضوئهما وانمحائه فتجلى الله سبحانه لهما فحدث لهما عند تجليه تعالى خشوع آخر سبب التجلي كما حدث للجبل إذ تجلى تبارك وتعالى له ان صار دكا وساخ في الأرض وهذا غاية الخشوع لكن الرب تبارك وتعالى ثبتهما لتجليه عناية بخلقه لانتظام مصالحهم بهما ولو شاء سبحانه لثبت الجبل لتجليه كما ثبتهما ولكن أرى كليمه موسى أن الجبل العظيم لم **يطق الثبات له** فكيف تطيق **أنت الثبات للرؤية** التي سألتها .

فصل وأما استدلاله بحديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم إذا ذكر القدر

فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فامسكوا وإذا ذكر النجوم فامسكوا فهذا الحديث لو ثبت لكان حجة عليه لا له إذ لو كان علم الأحكام النجومية حقا لا باطلا لم ينه عنه النبي صلى الله عليه و سلم ولا أمر بالإمساك عنه فإنه لا ينهى عن الكلام في الحق بل هذا يدل على أن الخائض فيه خائض فيما لا علم له به وانه لا ينبغى له أن يخوض فيه ويقول على الله مالا يعلم فأين في هذا الحديث ما يدل على صحة علم أحكام النجوم. وأما أحاديث النهي عن السفر والقمر في العقرب فصحيح من كلام المنجمين وأما رسول رب العالمين فبرىء ممن نسب إليه هذا الحديث وامثاله ولكن إذا بعد الإنسان عن نور النبوة واشتدت غربته عما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم جوز عقله مثل هذا كما يجوز عقل المشركين يقول النبي

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/٣٣

صلى الله عليه و سلم لو حسن أحدكم ظنه بحجر نفعه وهذا ونحوه من كلام عباد الأصنام الذين حسنوا ظنهم بالأحجار فساقهم حسن ظنهم إلى دار البوار

وأما الرواية عن علي أنه نهى عن السفر والقمر في العقرب فمن الكذب على علي رضى الله عنه والمشهور عنه خلاف ذلك وعكسه وانه أراد الخروج لحرب الخوارج فاعترضه منجم فقال يا أمير المؤمنين لا تخرج فقال لأى شيء قال إن القمر في العقرب فإن خرجت أصبت وهزم عسكرك فقال علي رضى الله عنه ما كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم ." (١)

"ص -٢٤٦- لكن أخو الغفلات منقطع به بين المفاوز تحت ذي الغيلان

صيد السباع وكل وحش كاسر بئس المضيف لأعجز الضيفان

وكذلك الشيطان يصطاد الذي لا يذكر الرحمن كل أوان

والذكر أنواع فأعلى نوعه ذكر الصفات لربنا المنان

وثبوتها أصل لهذا الذكر والنافي لها داع إلى النسيان

فلذاك كان خليفة الشيطان ذا لا مرحبا بخليفة الشيطان

والذاكرون على مراتبهم فأعلاهم أولو الإيمان والعرفان

بصفاته العليا إذا قاموا بحمد الله في سر وفي إعلان

وأخص أهل الذكر بالرحمن أعلمهم بها هم صفوة الرحمن

وكذاك كان محمد وأبوه إبراهيم والمولود من عمران

وكذاك نوح وابن مريم عندنا هم خير خلق الله من إنسان

لمعارف حصلت لهم بصفاته لم يؤتها أحد من الإنسان

وهم أولو العزم الذي بسورة الأحزاب والشورى أتوا ببيان

وكذلك القرآن مملوء من الأوصاف وهي القصد بالقرآن

ليصير معروفا لنا بصفاته ويصير مذكورا لنا بجنان

ولسان أيضا مع محبتنا له فلأجل ذا الثبات في الإيمان

مثل الأساس من البناء فمن يرم هدم الأساس فكيف بالبنيان

والله ما قام البناء لدين رسل الله بالتعطيل للديان." (٢)

"العلم والحلم والوقار والسكينة ] وأما قوله : " أن يكون له حلم ووقار وسكينة " فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار ؛ فإنها كسوة علمه وجماله ، وإذا فقدها كان علمه كالبدن العاري من اللباس ،

---

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/٢١٤

(٢) متن القصيدة النونية، ٢/٢٤٣

وقال بعض السلف : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم . والناس ههنا أربعة أقسام ، فخيارهم من أوتي الحلم والعلم ، وشرارهم من عدمهما ، الثالث : من أوتي علما بلا حلم ، الرابع : عكسه فالحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله . وضد الطيش والعجلة والحدة والتسرع **وعدم الثبات ؛** فالحليم لا يستفزه البدوات ، ولا يستخفه الذين لا يعلمون ، ولا يقلقه أهل الطيش والخفة والجهل .." (١)

" الله خالقا و هذا الشرك صراحا و من زعم أن السرقة و شرب الخمر و أكل المال الحرام ليس بقضاء و قدر فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره و هذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله و من زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز و جل فقد زعم ان المقتول مات بغير اجله و أي كفر أوضح من هذا بل ذلك بقضاء الله عز و جل و ذلك عدل منه في خلقه و تدبيره فيهم و ما جرى من سابق علمه فيهم و هو العدل الحق الذي يفعل ما يريد و من اقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر و المشيئة على الصغر و القماءة و لا نشهد على أحد من أهل القبلة انه في النار لذنب عمله و لا لكبيرة أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء في حديث ولا بنص الشهادة و لا نشهد لأحد انه في الجنة بصالح عمله و لا لخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء على ما روي و لا بنص الشهادة و الخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان و ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها و لا نخرج عليهم و لا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة و الجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر و لا عدل عادل و الجمعة و العيدان و الحج مع سلطان و أن لم يكونوا بررة عدو لا اتقياء وأتقياء و دفع الصدقات و الخراج و الأعشار و الفيء و الغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا و الانقياد لمن ولاه الله عز و جل أمركم لا تنزع يدا من طاعته و لا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجا و مخرجا و لا تخرج على السلطان و تسمع و تطيع و لا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للسنة للجماعة و أن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة و ليس لك أن تخرج عليه و لا تمنعه حقه و الإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها فان أبتليت فقدم نفسك دون دينك و لا تعن على الفتنة بيد و لا لسان و لكن اكفف لسانك و يدك و هواك و الله المعين و الكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحدا منهم بذنب و لا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديثا كما جاء و ما روى فتصدقه و تقبله و تعلم انه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة و شرب الخمر و ما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر و الخروج من الإسلام فاتبع ذلك و لا تجاوزه و الأعور الدجال خارج لا شك في ذلك و لا ارتياب و هو اكذب الكاذبين و عذاب القبر حق يسال العبد عن دينه و عن ربه و عن الجنة و عن النار و منكر و نكير حق و هما فتانا القبر نسال **الله الثبات و** حوض محمد حق حوض ترده أمته و لهم آنية يشربون بها منه و الصراط حق ." (٢)

"ص -٤١٢- ولا تجاوزه والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب وهو اكذب الكاذبين وعذاب القبر حق يسال العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسال **الله الثبات وحوض** محمد

---

(١) جواز الفتوى بالآثار السلفية لابن القيم، ٣٩٦/١

(٢) حادي الأرواح، ص/٢٨٩

حق حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه والصراط حق يوضع على سواء جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فتموت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب والجنة والنار واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار وقوم يخلدون فيها أبدا وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى فيهما ما فيهما أبدا فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا." (١)

" وقوله على بصيرة قال ابن الأعرابي البصيرة الثبات في الدين

وقيل البصيرة العبرة كما يقال أليس لك في كذا بصيرة أي عبرة قال الشاعر

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر

والتحقيق العبرة ثمرة البصيرة فإذا تبصر اعتبر فمن عدم العبرة فكأنه لا بصيرة له

وأصل اللفظ من الظهور والبيان فالقرآن بصائر أي أدلة وهدى وبيان يقود إلى الحق ويهدي إلى الرشد ." (٢)

"فصل [ الدعاء قبل التسليم ]

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو في صلاته فيقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم [ ص ٢٥٤ ] وكان يقول في صلاته أيضا : اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي فيما رزقتني وكان يقول اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم [ ص ٢٥٥ ] وكان يقول في سجوده رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها وقد تقدم ذكر بعض ما كان يقول في ركوعه وسجوده وجلوسه واعتداله في الركوع .

فصل [ المحفوظ في أدعيته في الصلاة بلفظ الإفراد ]

والمحفوظ في أدعيته صلى الله عليه وسلم في الصلاة كلها بلفظ الإفراد كقوله رب اغفر لي وارحمني واهدني وسائر الأدعية المحفوظة عنه ومنها قوله في دعاء الاستفتاح اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب الحديث . وروى الإمام أحمد رحمه الله وأهل " السنن " من حديث ثوبان عن النبي صلى

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ١١/٧٢

(٢) رسالة ابن القيم، ص/٢٢

الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فإن فعل فقد خانهم [ ص ٢٥٦ ] قال ابن خزيمة في " صحيحه " : وقد ذكر حديث اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث قال في هذا دليل على رد الحديث الموضوع لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فإن فعل فقد خانهم وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول هذا الحديث عندي في الدعاء الذي يدعو به الإمام لنفسه وللمأمومين ويشتركون فيه كدعاء القنوت ونحوه والله أعلم .

فصل [كان يراعي حال المأمومين وغيرهم ]

وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة طأطأ رأسه ذكره الإمام أحمد رحمه الله وكان في التشهد لا يجاوز بصره إشارته وقد تقدم . وكان قد جعل الله تعالى قرة عينه ونعيمه وسروره وروحه في الصلاة . وكان يقول يا بلال أرحنا بالصلاة وكان يقول وجعلت قرة عيني في الصلاة ومع هذا لم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك عن مراعاة أحوال المأمومين وغيرهم مع كمال إقباله وقربه من الله تعالى وحضور قلبه بين يديه واجتماعه عليه . وكان يدخل في الصلاة وهو يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخففها [ ص ٢٥٧ ] وأرسل مرة فارسا طليعة له فقام يصلي وجعل يلتفت إلى الشعب الذي يجيء منه الفارس ولم يشغله ما هو فيه عن مراعاة حال فارسه . وكذلك كان يصلي الفرض وهو حامل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع ابنة بنته زينب على عاتقه إذا قام حملها وإذا ركع وسجد وضعها . وكان يصلي فيجيء الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجدة كراهية أن يلقيه عن ظهره . وكان يصلي فتجيء عائشة من حاجتها والباب مغلق فيمشي فيفتح لها الباب ثم يرجع إلى الصلاة [ ص ٢٥٨ ]." (١)

"[ فقد عائشة العقد وما تلاه من أمور ]

قال ابن سعد : وفي هذه الغزوة سقط عقد لعائشة فاحتبسوا على طلبه فنزلت آية التيمم . وذكر الطبراني في " معجمه " من حديث محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت ولما كان من أمر عقدي ما كان قال أهل الإفك ما قالوا فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة أخرى فسقط أيضا عقدي حتى حبس التماسه الناس ولقيت من أبي بكر ما شاء الله وقال لي : يا بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء فأنزل الله الرخصة في التيمم وهذا يدل على أن قصة العقد التي نزل التيمم لأجلها بعد [ ص ٢٣٢ ] كانت قصة الإفك بسبب فقد العقد والتماسه فالتبس على بعضهم إحدى القصتين بالأخرى ونحن نشير إلى قصة الإفك .

[ حادثة الإفك ]

استشارته صلى الله عليه وسلم أصحابه في فراقها وذلك أن عائشة رضي الله عنها كانت قد خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في هذه الغزوة بقرعة أصابتها وكانت تلك عادته مع نسائه فلما رجعوا من الغزوة نزلوا في بعض المنازل فخرجت عائشة لحاجتها ثم رجعت ففقدت عقدا لأختها كانت أعارتها إياه فرجعت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه فجاء النفر الذين كانوا يرحلون هودجها فظنوها فيه فحملوا الهودج ولا ينكرون خفته لأنها رضي الله عنها كانت فتية السن لم يغشها اللحم الذي كان يثقلها وأيضا فإن النفر لما تساعدوا على حمل الهودج لم ينكروا خفته ولو كان الذي حمله واحدا

---

(١) زاد المعاد، ٢٥٣/١

أو اثنين لم يخف عليهما الحال فرجعت عائشة إلى منازلهم وقد أصابت العقد فإذا ليس بها داع ولا مجيب فقعدت في المنزل وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها والله غالب على أمره يدبر الأمر فوق عرشه كما يشاء فغلبتها عيناها فنامت فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل : إنا لله وإنا إليه راجعون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صفوان قد عرس في أخريات الجيش لأنه كان كثير النوم كما جاء عنه في " صحيح أبي حاتم " . وفي " السنن " : [ ص ٢٣٣ ] رآها عرفها وكان يراها قبل نزول الحجاب فاسترجع وأناخ راحلته فقربها إليها فركبتها وما كلمها كلمة واحدة ولم تسمع منه إلا استرجاعه ثم سار بها يقودها حتى قدم بها وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه وكان أصحابه يتقربون به إليه فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم ثم استشار أصحابه في فراقها فأشار عليه علي رضي الله عنه أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحا وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها وألا يلتفت إلى كلام الأعداء فعلي لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ليتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس فأشار بحسم الداء وأسامة لما علم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ولأبيها وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ما هي فوق ذلك وأعظم منه وعرف من كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء وبنت صديقه بالمنزلة التي أنزلها به أرباب الإفك وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربه وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغيا وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربها من أن يبتليها بالفاحشة وهي تحت رسوله ومن قويت معرفته لله ومعرفته لرسوله وقدره عند الله في قلبه قال كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوا ذلك ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ [ النور ١٦ ] . [ ص ٢٣٤ ] عما لا يليق به أن يجعل لرسوله وخليله وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا فمن ظن به سبحانه هذا الظن فقد ظن به ظن السوء وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها كما قال تعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ [ النور ٢٦ ] فقطعوا قطعا لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم وفرية ظاهرة .

[ الحكم من توقفه صلى الله عليه وسلم في أمرها ]

فإن قيل فما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به وهلا قال ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ كما قاله فضلاء الصحابة ؟

[ الامتحان له صلى الله عليه وسلم ]

فالجواب أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسوله صلى الله عليه وسلم ولجميع الأمة إلى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيمانا ولا يزيد الظالمين إلا خسارا واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها لا يوحى إليه في ذلك شيء لتتم حكمته التي قدرها وقضاها وتظهر على أكمل الوجوه ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا ويظهر لرسوله

وللمؤمنين سرائرهم ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار إلى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء له ولينقطع رجاؤها من المخلوقين وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق ولهذا وفت هذا المقام حقه لما قال لها أبواها : قومي إليه وقد أنزل الله عليه براءتها فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي

[ حبس الوحي لتمحيص القضية وازدياد حاجته صلى الله عليه وسلم له ]

وأيضا فكان من حكمة حبس الوحي شهرا أن القضية محصت [ ص ٢٣٥ ] وتمحضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم به غاية الهناء فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها . إظهار الله منزلته صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عنده وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته .

[ ثبوت براءة عائشة الصديقة ]

وأيضا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المقصود بالأذى والتي رميت زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها ولم يظن بها سوءا قط وحاشاه وحاشاها ولذلك لما استعذر من أهل الإفك قال من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به وفى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتى جاءه الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه .

[ حد القذف والسبب في عدم حد ابن أبي ]

ولما جاء الوحي ببراءتها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن صرح بالإفك فحدوا ثمانين ثمانين ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك فقيل [ ص ٢٣٦ ] وقيل بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه وقيل الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو ببينة وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين . وقيل حد القذف حق الآدمي لا يستوفى إلا بمطالبته وإن قيل إنه حق لله فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب به ابن أبي . وقيل بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارا وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام فإنه كان مطاعا فيهم رئيسا عليهم فلم تؤمن إثارة الفتنة في حده ولعله ترك لهذه الوجوه كلها .

[ من حد في حادثة الإفك ]

فجلد مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وهؤلاء من المؤمنين الصادقين تطهيرا لهم وتكفيرا وترك عبد الله بن أبي إذا فليس هو من أهل ذاك .

فصل [ قوة إيمان عائشة ]

ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها فقال لها أبواها : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله علم معرفتها وقوة إيمانها وتوليتها النعمة لربها وإفراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدها التوحيد وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له وثقتها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها قالت ما قالت إدلالا للحبيب على حبيبه ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال فوضعته موضعه ولله ما كان أحبها إليه حين قالت لا أحمد إلا الله فإنه هو الذي أنزل براءتي ولله **ذلك الثبات والرزانة** منها وهو أحب شيء إليها ولا صبر لها عنه وقد تنكر قلب حبيبها لها شهرا ثم صادفت الرضى [ ص ٢٣٧ ] برضاه وقربه مع شدة محبتها له وهذا **غاية الثبات والقوة** .." (١)

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج حر المصيبة وحزنها

قال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [ البقرة ١٥٥ ] . وفي " المسند " عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجاره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها

[ إذا تحقق العبد بأنه لله وأن مصيره إليه تسلى عن مصيبته ]

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته . أحدهما : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضا فإنه محفوف بعدمين عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو [ ص ١٧٤ ] والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [ الحديد ٢٢ ] .

[ ذكر بعض العلاجات منها النظر إلى ما أبقى الله عليه من النعم ]

ومن علاجه أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه وادخر له – إن صبر ورضي – ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي .

---

(١) زاد المعاد، ٢٣١/٣

[ التأسي بأهل المصائب وذكر قصص في ذلك ]

ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما ساءت دهرا وإن متعت قليلا [ ص ١٧٥ ] خيرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور قال ابن مسعود – رضي الله عنه – لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا وقال ابن سيرين : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء وقالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس وأنه حق على الله ألا يملأ دارا خيرة إلا ملأها عبرة . وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها فقيل لها : ما يبكيك لعل أحدا آذاك ؟ قالت لا ولكن رأيت غضارة في أهلي وقلما امتلأت دار سرورا إلا امتلأت حزنا . قال إسحاق بن طلحة : دخلت عليها يوما فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة إلا سيعقبون بعدها عبرة وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

[ ص ١٧٦ ]

[ الجزع يضاعف المرض ]

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع لا يردها بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض .

[ فوت ثواب الصبر أعظم من المصيبة ]

ومن علاجها أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة .

[ الجزع يشمت الأعداء ]

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه ورده خاسئا وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا **هو الثبات والكمال** الأعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور .

[ لذة الصبر ومنها بيت الحمد ]

ومن علاجها : أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه فلينظر أي المصيبتين أعظم ؟ : مصيبة العاجلة أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد . وفي الترمذي مرفوعا : يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت

تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء وقال بعض السلف لولا مصائب الدنيا لوردنا القيام مفاليس .

[ ترويح القلب برجاء الخلف من الله ]

ومن علاجها : أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله فإنه من كل شيء عوض إلا الله فما منه عوض كما قيل [ ص ١٧٧ ] من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعته عوض

[ الحظ من المصيبة ما تحدثه له ]

ومن علاجها : أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط فحظك منها ما أحدثته لك فاختر خير الحظوظ أو شرها فإن أحدثت له سخطا وكفرا كتب في ديوان الهالكين وإن أحدثت له جزعا وتفريطا في ترك واجب أو فعل محرم كتب في ديوان المفرطين وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين وإن أحدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله كتب في ديوان الصابرين وإن أحدثت له الرضى عن الله كتب في ديوان الراضين وإن أحدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين .

وفي مسند " الإمام أحمد " والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه إن الله إذا أحب قوما ا بتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط زاد أحمد : ومن جزع فله الجزع ومن علاجها : أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته فآخر أمره إلى صبر الاضطرار وهو غير محمود ولا مثاب قال بعض الحكماء العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم . وفي " الصحيح " مرفوعا : الصبر عند الصدمة الأولى وقال [ ص ١٧٨ ] الأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت سلو البهائم

[أنفع الأدوية موافقة الله فيما أحبه ]

ومن علاجها : أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت إلى محبوبه . وقال أبو الدرداء : إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به وكان عمران بن حصين يقول في علته أحبه إلي أحبه إليه وكذلك قال أبو العالية . وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به .

[ لذة التمتع بثواب الله أعظم من لذة التمتع بما أصيب به ]

ومن علاجها : أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدومهما : لذة تمتعه بما أصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وإن آثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه .

[ ابتلاء الله العبد لامتحان صبره ]

ومن علاجها أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحا ببابه لائذا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى إليه . قال الشيخ عبد القادر : يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما

جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك يا بني القدر سبع والسبع لا يأكل الميتة . والمقصود أن المصيبة كير العبد الذي يسبك به حاصله فإما أن يخرج [ ص ١٧٩ ] أحمر وإما أن يخرج خبثا كله كما قيل سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل .

[ المصيبة كاسرة لداء الكبر وقسوة القلب ]

ومن علاجها : أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد – من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب – ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظا لصحة عبوديته واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل قد ينعم بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا أنه – سبحانه – يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله – سبحانه – إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه .

[ مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ]

ومن علاجها : أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة يقلبها الله سبحانه كذلك وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق وظهرت حقائق الرجال فأكثرهم [ ص ١٨٠ ] آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ولا ذل ساعة لعز الأبد ولا محنة ساعة لعافية الأبد فإن الحاضر عنده شهادة والمنتظر غيب والإيمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ويجاوزه إلى العواقب والغايات فله شأن آخر . فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الأبدية والفوز الأكبر وما أعد لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ثم اختر أي القسمين أليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه وما هو الأولى به ولا تستطل هذا العلاج فشدة الحاجة إليه من الطبيب والعليل دعت إلى بسطه وبالله التوفيق .." (١)

" بحسن الأدب وقيل هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار هو الذي عود نفسه الهجوم على المكاره وقيل الصبر المقام على البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية ومعنى هذا أن لله على العبد عبودية في عافيته وفي بلائه فعليه أن يحسن صحبة العافية بالشكر وصحبة البلاء بالصبر وقال عمرو بن عثمان المكى الصبر **هو الثبات مع**

---

(١) زاد المعاد، ٤/١٧٣

الله وتلقى بلائه بالرحب والدعة ومعنى هذا انه يتلقى البلاء وبصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوى وقال الخواص الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال رويم الصبر ترك الشكوى فسره يلازمه وقال غيره الصبر هو الاستعانة بالله وقال أبو على الصبر كإسمه وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه الصبر مطية لا تكبو وقال ابو محمد الجريرى الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما

قلت وهذا غير مقدور ولا مأمور به فقد ركب الله الطباع على التفريق بين الحالتين وانما المقدور حبس النفس عن الجزع لا استواء الحالتين عند العبد وساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصبر كما قال النبي في الدعاء المشهور أن لم يكن بك غضب على فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لى ولا يناقض هذا قوله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر فإن هذا بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع من الصبر وأما قبله فالعافية أوسع له وقال أبو على الدقاق حد الصبر أن لا يعترض على التقدير فأما اظهار للبلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب انا وجدناه صابرا مع قوله

مسنى الضر قلت فسر اللفظ بلازمها

وأما قوله على غير وجه الشكوى فالشكوى نوعان أحدهما الشكوى إلى الله فهذا لا ينافي الصبر كما قال يعقوب انما أشكو بثى وحزنى إلى الله مع قوله فصبر ." (١)

" يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقا بمنزلة الطبائع قالوا وقد جعل الله سبحانه في الانسان قوة القبول والتعلم فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفا فيعود العبد إلى طبعه بأدنى باعث وقد يكون قويا ولكن لم ينقل الطبع فقد يعود إلى طبعه إذا قوى الباعث واشتد وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبه طبعا ثانيا فهذا لا يكاد يعود إلى طبعه الذى انتقل عنه

وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبر فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب فالتصبر مبدأ الاصطبار كما أن التكسب مقدمة الاكتساب فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارا

وأما المصابرة فهى مقاومة الخصم في ميدان الصبر فانها مفاعلة تستدعى وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة وهى حاله في الصبر مع خصمه والمرابطة وهى الثبات واللزوم والاقامة على الصبر والمصابرة فقد يصبر العبد ولا يصابر وقد يصابر ولا يرابط وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى وأن الفلاح موقوف عليها فقال واتقوا الله لعلكم تفلحون فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذى يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهى لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته

الباب الخامس في انقسامه باعتبار محله الصبر ضربان ضرب بدنى وضرب

---

(١) عدة الصابرين، ص/٩

نفسانى وكل منهما نوعان اختياري واضطرارى فهذه أربعة أقسام الأول البدنى الاختيارى كتعاطى الأعمال الشاقة على البدن اختيارا وارادة ." (١)

" آثارها في العبد فإنه جميل يحب الجمال عفو يحب أهل العفو كريم يحب أهل الكرم عليم يحب أهل العلم وتريحب أهل الوتر قوى والمؤمن القوى أحب إليه من المؤمن الضعيف صبور يحب الصابرين شكور يحب الشاكرين واذا كان سبحانه يحب المتصفين بآثار صفاته فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف فهذه المعية الخاصة عبر عنها بقوله كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا فصل وزاد بعضهم قسما ثالثا من أقسام الصبر وهو الصبر مع الله وجعلوه أعلى أنواع الصبر وقالوا هو الوفاء ولو سئل هذا عن حقيقة الصبر مع الله لما أمكنه أن يفسره بغير الأنواع الثلاثة التي ذكرت وهى الصبر على أقضيته والصبر على أوامره والصبر عن نواهيه فإن زعم أن الصبر مع الله **هو الثبات معه** على أحكامه يدور معها حيث دارت فيكون دائما مع الله لا مع نفسه فهو مع الله بالمحبة والموافقة فهذا المعنى حق ولكن مداره على الصبر على الأنواع المتقدمة وإن زعم أن الصبر مع الله هو الجامع لأنواع الصبر فهذا حق ولكن جعله قسما رابعا من أقسام الصبر غير مستقيم

واعلم أن حقيقة الصبر مع الله هو ثبات القلب بالاستقامة معه وهو أن لا يروغ عنه روغان الثعالب ها هنا وها هنا فحقيقة هذا هو الاستقامة اليه وعكوف القلب عليه وزاد بعضهم قسما آخر من اقسامه وسماه الصبر فيه وهذا أيضا غير خارج عن أقسام الصبر المذكورة ولا يعقل من الصبر فيه معنى غير الصبر له وهذا كما يقال فعلت هذا في الله وله كما قال خبيب

وذلك في ذات الاله وان يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع وقد قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال وجاهدوا في الله وفي حديث جابر ان الله تعالى لما أحيا أباه وقال له تمن قال يا رب أن ترجعنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك مرة ثانية وقال ولقد أوذيت في الله وما يؤذى ." (٢)

" الاثقال ولم يجد لها ثقلا فإنه اذا كان بالله لا بالخلق ولا بنفسه كان لقلبه وروحه وجود آخر وشأن آخر غير شأنه اذا كان بنفسه وبالخلق وبهذا الحال لا يجد عناء الصبر ولا مرارته وتنقلب مشاق التكليف له نعيما وقرة عين كما قال بعض الزهاد عالجت قيام الليل سنة وتنعمت به عشرين سنة ومن كانت قرة عينه في الصلاة لم يجد لها مشقة وكلفة

وأما قوله والصبر في الله بلاء فالبلاء فوق العناء والصبر فيه فوق الصبر له وأخص منه كما تقدم فإن الصبر فيه بمنزلة الجهاد فيه وهو أشق من الجهاد له فكل مجاهد في الله وصابر في الله مجاهد له وصابر له من غير عكس فإن الرجل قد يجاهد ويصبر لله مرة ليقع عليه اسم من فعل ذلك لله ولا يقع عليه اسم من فعل ذلك في الله وانما يقع على من انغمس في الجهاد والصبر ودخل الجنة

وأما قوله والصبر مع الله وفاء فلأن الصبر معه **هو الثبات معه** على أحكامه ولا يزيغ القلب عن الإنابة ولا الجوارح عن الطاعة فتعطى المعية حقها من التوفية كما قال تعالى وإبراهيم الذى وفي أى وفي ما أمر به بصبره مع الله على أوامره

---

(١) عدة الصابرين، ص/١٣

(٢) عدة الصابرين، ص/٣٧

وأما قوله والصبر عن الله جفاء فلا جفاء أعظم ممن صبر عن معبوده وإلهه ومولاه الذى لا مولى له سواه ولا حياة له ولا صلاح ولا نعيم الا بمحبته والقرب منه وايثار مرضاته على كل شيء فأى جفاء أعظم من الصبر عنه وهذا معنى قول من قال الصبر على ضد بين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظا وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضا كما قيل

يبين يوم البين ان اعتزامه ... على الصبر من احدى الظنون الكواذب وقال الآخر

ولما دعوت الصبر بعدك والبكا ... أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر قالوا ويدل عليه أن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه قال فصبر جميل ورسول الله اذا وعد وفى ثم حمله الوجد على يوسف والشوق اليه أن قال يا أسفا على يوسف فلم يكن عدم صبره عنه منافيا لقوله فصبر جميل فإن ." (١)

" الاعتبار السابع ان العبد لا ينفك عن أمر يفعله ونهى يتركه وقدر يجرى عليه وفرضه في الثلاثة الصبر والشكر ففعل المأمور هو الشكر وترك المحظور والصبر على المقدور هو الصبر

الاعتبار الثامن إن العبد فيه داعيان داع يدعوه إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها وداع يدعوه إلى الله والدار الآخرة وما أعد فيها لأوليائه من النعيم المقيم فعصيان داعى الشهوة والهوى هو الصبر وإجابة داعى الله والدار الآخرة هو الشكر

الاعتبار التاسع ان الدين مداره على أصلين العزم والثبات وهما الأصلان المذكوران في الحديث الذى رواه أحمد والنسائى عن النبي اللهم إنى أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأصل الشكر صحة العزيمة وأصل الصبر قوة الثبات فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات فقد أيد بالمعونة والتوفيق

الاعتبار العاشر ان الدين مبنى على أصلين الحق والصبر وهما المذكوران في قوله تعالى

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ولما كان المطلوب من العبد هو العمل بالحق في نفسه وتنفيذه في الناس وكان هذا هو حقيقة الشكر لم يمكنه ذلك إلا بالصبر عليه فكان الصبر نصف الايمان والله سبحانه وتعالى أعلم

الباب العشرون في بيان تنازع الناس في الأفضل من الصبر والشكر حكى

أبو الفرج ابن الجوزى في ذلك ثلاثة أقوال أحدها ان الصبر أفضل والثانى ان الشكر أفضل والثالث أنهما سواء كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت

ونحن نذكر ما احتجت به كل فرقة وما لها وعليها في احتجاجها بعون الله وتوفيقه قال الصابرون قد أثنى الله سبحانه على الصبر وأهله ومدحه وأمر به وعلق عليه خير الدنيا والاخرة وقد ذكره الله في كتابه في نحو تسعين موضعا وقد تقدم من النصوص والأحاديث فيه وفي فضله ما يدل على أنه أفضل من الشكر ويكفي ." (٢)

"فصل [ الدعاء قبل التسليم ]

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو في صلاته فيقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال

---

(١) عدة الصابرين، ص/٣٩

(٢) عدة الصابرين، ص/٩٠

وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم [ ص ٢٥٤ ] وكان يقول في صلاته أيضا : اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي فيما رزقتني وكان يقول اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم [ ص ٢٥٥ ] وكان يقول في سجوده رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها وقد تقدم ذكر بعض ما كان يقول في ركوعه وسجوده وجلوسه واعتداله في الركوع .

فصل [ المحفوظ في أدعيته في الصلاة بلفظ الإفراد ]

والمحفوظ في أدعيته صلى الله عليه وسلم في الصلاة كلها بلفظ الإفراد كقوله رب اغفر لي وارحمني واهدني وسائر الأدعية المحفوظة عنه ومنها قوله في دعاء الاستفتاح اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب الحديث . وروى الإمام أحمد رحمه الله وأهل " السنن " من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فإن فعل فقد خانهم [ ص ٢٥٦ ] قال ابن خزيمة في " صحيحه " : وقد ذكر حديث اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث قال في هذا دليل على رد الحديث الموضوع لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فإن فعل فقد خانهم وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول هذا الحديث عندي في الدعاء الذي يدعو به الإمام لنفسه وللمأمومين ويشتركون فيه كدعاء القنوت ونحوه والله أعلم .

فصل [ كان يراعي حال المأمومين وغيرهم ]

وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة طأطأ رأسه ذكره الإمام أحمد رحمه الله وكان في التشهد لا يجاوز بصره إشارته وقد تقدم . وكان قد جعل الله تعالى قرة عينه ونعيمه وسروره وروحه في الصلاة . وكان يقول يا بلال أرحنا بالصلاة وكان يقول وجعلت قرة عيني في الصلاة ومع هذا لم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك عن مراعاة أحوال المأمومين وغيرهم مع كمال إقباله وقربه من الله تعالى وحضور قلبه بين يديه واجتماعه عليه . وكان يدخل في الصلاة وهو يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخففها [ ص ٢٥٧ ] وأرسل مرة فارسا طليعة له فقام يصلي وجعل يلتفت إلى الشعب الذي يجيء منه الفارس ولم يشغله ما هو فيه عن مراعاة حال فارسه . وكذلك كان يصلي الفرض وهو حامل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع ابنة بنته زينب على عاتقه إذا قام حملها وإذا ركع وسجد وضعها . وكان يصلي فيجيء الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجدة كراهية أن يلقيه عن ظهره . وكان يصلي فتجيء عائشة من حاجتها والباب مغلق فيمشي فيفتح لها الباب ثم يرجع إلى الصلاة [ ص ٢٥٨ ]." (١)

"[ فقد عائشة العقد وما تلاه من أمور ]

قال ابن سعد : وفي هذه الغزوة سقط عقد لعائشة فاحتبسوا على طلبه فنزلت آية التيمم . وذكر الطبراني في " معجمه " من حديث محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت ولما كان من أمر عقدي ما كان قال أهل الإفك ما قالوا فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة أخرى فسقط أيضا عقدي حتى حبس التماسه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ـ مشكول وموافق للمطبوع، ٢٥٣/١

الناس ولقيت من أبي بكر ما شاء الله وقال لي : يا بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء فأنزل الله الرخصة في التيمم وهذا يدل على أن قصة العقد التي نزل التيمم لأجلها بعد [ ص ٢٣٢ ] كانت قصة الإفك بسبب فقد العقد والتماسه فالتبس على بعضهم إحدى القصتين بالأخرى ونحن نشير إلى قصة الإفك .

[ حادثة الإفك ]

استشارته صلى الله عليه وسلم أصحابه في فراقها وذلك أن عائشة رضي الله عنها كانت قد خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في هذه الغزوة بقرعة أصابتها وكانت تلك عادته مع نسائه فلما رجعوا من الغزوة نزلوا في بعض المنازل فخرجت عائشة لحاجتها ثم رجعت ففقدت عقدا لأختها كانت أعارتها إياه فرجعت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه فجاء النفر الذين كانوا يرحلون هودجها فظنوها فيه فحملوا الهودج ولا ينكرون خفته لأنها رضي الله عنها كانت فتية السن لم يغشها اللحم الذي كان يثقلها وأيضا فإن النفر لما تساعدوا على حمل الهودج لم ينكروا خفته ولو كان الذي حمله واحدا أو اثنين لم يخف عليهما الحال فرجعت عائشة إلى منازلهم وقد أصابت العقد فإذا ليس بها داع ولا مجيب فقعدت في المنزل وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها والله غالب على أمره يدبر الأمر فوق عرشه كما يشاء فغلبتها عيناها فنامت فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل : إنا لله وإنا إليه راجعون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صفوان قد عرس في أخريات الجيش لأنه كان كثير النوم كما جاء عنه في " صحيح أبي حاتم " . وفي " السنن " : [ ص ٢٣٣ ] رآها عرفها وكان يراها قبل نزول الحجاب فاسترجع وأناخ راحلته فقربها إليها فركبتها وما كلمها كلمة واحدة ولم تسمع منه إلا استرجاعه ثم سار بها يقودها حتى قدم بها وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه وكان أصحابه يتقربون به إليه فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم ثم استشار أصحابه في فراقها فأشار عليه علي رضي الله عنه أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحا وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها وألا يلتفت إلى كلام الأعداء فعلي لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ليتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس فأشار بحسم الداء وأسامة لما علم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ولأبيها وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ما هي فوق ذلك وأعظم منه وعرف من كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء وبنت صديقه بالمنزلة التي أنزلها به أرباب الإفك وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربه وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغيا وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربها من أن يبتليها بالفاحشة وهي تحت رسوله ومن قويت معرفته لله ومعرفته لرسوله وقدره عند الله في قلبه قال كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوا ذلك ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ [ النور ١٦ ] . [ ص ٢٣٤ ] عما لا يليق به أن يجعل لرسوله وخليله وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا فمن ظن به سبحانه هذا الظن فقد ظن به ظن السوء وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها كما قال تعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ [ النور ٢٦ ] فقطعوا قطعا لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم وفرية ظاهرة .

[ الحكم من توقفه صلى الله عليه وسلم في أمرها ]

فإن قيل فما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به وهلا قال ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ كما قاله فضلاء الصحابة ؟

[ الامتحان له صلى الله عليه وسلم ]

فالجواب أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسوله صلى الله عليه وسلم ولجميع الأمة إلى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيمانا ولا يزيد الظالمين إلا خسارا واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها لا يوحى إليه في ذلك شيء لتتم حكمته التي قدرها وقضاها وتظهر على أكمل الوجوه ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار إلى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء له ولينقطع رجاؤها من المخلوقين وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق ولهذا وفت هذا المقام حقه لما قال لها أبواها : قومي إليه وقد أنزل الله عليه براءتها فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي

[ حبس الوحي لتمحيص القضية وازدياد حاجته صلى الله عليه وسلم له ]

وأيضا فكان من حكمة حبس الوحي شهرا أن القضية محصت [ ص ٢٣٥ ] وتمحضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم به غاية الهناء فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها . إظهار الله منزلته صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عنده وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته .

[ ثبوت براءة عائشة الصديقة ]

وأيضا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المقصود بالأذى والتي رميت زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها ولم يظن بها سوءا قط وحاشاه وحاشاها ولذلك لما استعذر من أهل الإفك قال من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به وفى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتى جاءه الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه .

[ حد القذف والسبب في عدم حد ابن أبي ]

ولما جاء الوحي ببراءتها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن صرح بالإفك فحدوا ثمانين ثمانين ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك فقيل [ ص ٢٣٦ ] وقيل بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه وقيل الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو ببينة وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين . وقيل حد القذف حق الآدمي لا يستوفى إلا بمطالبته وإن قيل إنه حق لله فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب به ابن أبي . وقيل بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارا وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام فإنه كان مطاعا فيهم رئيسا عليهم فلم تؤمن إثارة الفتنة في حده ولعله ترك لهذه الوجوه كلها .

[ من حد في حادثة الإفك ]

فجلد مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وهؤلاء من المؤمنين الصادقين تطهيرا لهم وتكفيرا وترك عبد الله بن أبي إذا فليس هو من أهل ذاك .

فصل [ قوة إيمان عائشة ]

ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها فقال لها أبواها : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله علم معرفتها وقوة إيمانها وتوليتها النعمة لربها وإفراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدها التوحيد وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له وثقتها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها قالت ما قالت إدلالا للحبيب على حبيبه ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال فوضعته موضعه ولله ما كان أحبها إليه حين قالت لا أحمد إلا الله فإنه هو الذي أنزل براءتي ولله **ذلك الثبات والرزانة** منها وهو أحب شيء إليها ولا صبر لها عنه وقد تنكر قلب حبيبها لها شهرا ثم صادفت الرضى [ ص ٢٣٧ ] برضاه وقربه مع شدة محبتها له وهذا **غاية الثبات والقوة** .." (١)

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج حر المصيبة وحزنها

قال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [ البقرة ١٥٥ ] . وفي " المسند " عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجاره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها

[ إذا تحقق العبد بأنه لله وأن مصيره إليه تسلى عن مصيبته ]

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته . أحدهما : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضا فإنه محفوف بعدمين عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له متعة معارة في زمن

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد . مشكول وموافق للمطبوع، ٣/٢٣١

يسير وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو [ ص ١٧٤ ] والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [ الحديد ٢٢ ] .

[ ذكر بعض العلاجات منها النظر إلى ما أبقى الله عليه من النعم ]

ومن علاجه أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه وادخر له - إن صبر ورضي - ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي .

[ التأسي بأهل المصائب وذكر قصص في ذلك ]

ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما ساءت دهرا وإن متعت قليلا [ ص ١٧٥ ] خيرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور قال ابن مسعود - رضي الله عنه - لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا وقال ابن سيرين : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء وقالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس وأنه حق على الله ألا يملأ دارا خيرة إلا ملأها عبرة . وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها فقيل لها : ما يبكيك لعل أحدا آذاك ؟ قالت لا ولكن رأيت غضارة في أهلي وقلما امتلأت دار سرورا إلا امتلأت حزنا . قال إسحاق بن طلحة : دخلت عليها يوما فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة إلا سيعقبون بعدها عبرة وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

[ ص ١٧٦ ]

[ الجزع يضاعف المرض ]

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع لا يردها بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض .

[ فوت ثواب الصبر أعظم من المصيبة ]

ومن علاجها أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة .

[ الجزع يشمت الأعداء ]

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه ورده خاسئا وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا هو الثبات والكمال الأعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور .

[ لذة الصبر ومنها بيت الحمد ]

ومن علاجها : أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه فلينظر أي المصيبتين أعظم ؟ : مصيبة العاجلة أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد . وفي الترمذي مرفوعا : يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء وقال بعض السلف لولا مصائب الدنيا لوردنا القيام مفاليس .

[ ترويح القلب برجاء الخلف من الله ]

ومن علاجها : أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله فإنه من كل شيء عوض إلا الله فما منه عوض كما قيل [ ص ١٧٧ ] من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعته عوض

[ الحظ من المصيبة ما تحدثه له ]

ومن علاجها : أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط فحظك منها ما أحدثته لك فاختر خير الحظوظ أو شرها فإن أحدثت له سخطا وكفرا كتب في ديوان الهالكين وإن أحدثت له جزعا وتفريطا في ترك واجب أو فعل محرم كتب في ديوان المفرطين وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين وإن أحدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله كتب في ديوان الصابرين وإن أحدثت له الرضى عن الله كتب في ديوان الراضين وإن أحدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين . وفي مسند " الإمام أحمد " والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه إن الله إذا أحب قوما ا بتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط زاد أحمد : ومن جزع فله الجزع ومن علاجها : أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته فآخر أمره إلى صبر الاضطرار وهو غير محمود ولا مثاب قال بعض الحكماء العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم . وفي " الصحيح " مرفوعا : الصبر عند الصدمة الأولى وقال [ ص ١٧٨ ] الأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت سلو البهائم

[أنفع الأدوية موافقة الله فيما أحبه ]

ومن علاجها : أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت إلى محبوبه . وقال أبو الدرداء : إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به وكان عمران بن حصين يقول في علته أحبه إلي أحبه إليه وكذلك قال

أبو العالية . وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به .

[ لذة التمتع بثواب الله أعظم من لذة التمتع بما أصيب به ]

ومن علاجها : أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدومهما : لذة تمتعه بما أصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وإن آثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه .

[ ابتلاء الله العبد لامتحان صبره ]

ومن علاجها أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحا ببابه لائذا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى إليه . قال الشيخ عبد القادر : يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك يا بني القدر سبع والسبع لا يأكل الميتة . والمقصود أن المصيبة كير العبد الذي يسبك به حاصله فإما أن يخرج [ ص ١٧٩ ] أحمر وإما أن يخرج خبثا كله كما قيل سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل .

[ المصيبة كاسرة لداء الكبر وقسوة القلب ]

ومن علاجها : أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد – من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب – ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظا لصحة عبوديته واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل قد ينعم بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا أنه – سبحانه – يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله – سبحانه – إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه .

[ مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ]

ومن علاجها : أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة يقلبها الله سبحانه كذلك وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق وظهرت حقائق الرجال فأكثرهم [ ص ١٨٠ ] آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ولا ذل ساعة لعز الأبد ولا محنة ساعة لعافية الأبد فإن الحاضر عنده شهادة والمنتظر غيب والإيمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها وأما النظر الثاقب الذي يخرق

حجب العاجلة ويجاوزه إلى العواقب والغايات فله شأن آخر . فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الأبدية والفوز الأكبر وما أعد لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ثم اختر أي القسمين أليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه وما هو الأولى به ولا تستطل هذا العلاج فشدة الحاجة إليه من الطبيب والعليل دعت إلى بسطه وبالله التوفيق .." (١)

"ص -٢٦٦- لا بد له من واحد من هذه الثلاثة فالصبر لازم له أبدا لا خروج له البتة.

الوجه الرابع: أن الله سبحانه ذكر الصبر فى كتابه فى نحو تسعين موضعا، فمرة أمر به، ومرة أثنى على أهله، ومرة أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر به أهله، ومرة جعله شرطا فى حصول النصر والكفاية ومرة أخبر أنه مع أهله، وأثنى به على صفوته من العالمين وهم أنبياؤه ورسله، فقال عن نبيه أيوب: ﴿إنا وجدناه صابرا، نعم العبد إنه أواب﴾ [سورة ص: ٤٤]، وقال [تعالى] لخاتم أنبيائه ورسله: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النمل: ١٢٧]، وقال يوسف الصديق، وقد قال له إخوته: ﴿أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى، قد من الله علينآ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف:٩٠]، وهذا يدل على أن الصبر من أجل مقامات الإيمان، وأن أخص الناس بالله وأولاهم به أشدهم قياما وتحققا به، وأن الخاصة أحوج إليه من العامة.

الوجه الخامس: أن الصبر سبب فى حصول كل كمال، فأكمل الخلق أصبرهم، ولم يتخلف عن أحد كماله الممكن إلا من ضعف صبره، فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص.

فإذا **انضم الثبات إلى** العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل، ولهذا فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه: "اللهم إنى **أسألك الثبات فى** الأمر والعزيمة على الرشد"، ومعلوم أن **شجرة الثبات والعزيمة** لا تقوم إلا على ساق الصبر، فلو علم العبد الكنز الذى تحت هذه الأحرف الثلاثة أعنى اسم "الصبر" لما تخلف عنه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر"، وقال عمر بن." (٢)

"ص -٤٠٧- ويستخرج اليربوع من نافقائه ومن جحره بالشيحة اليتقصع

فأنت منه [كقبض] على الماء، ليس معك منه شيء. ومن صفاتهم كثرة التلون، وسرعة التقلب، **وعدم الثبات على** حال واحد: بينا تراه على حال تعجبك من دين أو عبادة أو هدى صالح أو صدق، إذ انقلب إلى ضد ذلك كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلونا وتقلبا وتنقلا، جيفة بالليل قطرب بالنهار.

ومن صفاتهم أنك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم إلى القرآن والسنة أبوا ذلك وأعرضوا عنه، ودعوك إلى التحاكم إلى طواغيتهم، قال تعالى:

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد . مشكول وموافق للمطبوع، ١٧٣/٤

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ١٦٣/٢٣

يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا﴾ [النساء: ٦٠-٦٣].

ومن صفاتهم: معارضة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بعقول الرجال وآرائهم، ثم تقديمها على ما جاء. فهم معرضون عنه معارضون له، زاعمون أن الهدى فى آراء الرجال وعقولهم، دون ما جاء به فلو أعرضوا عنه وتعوضوا بغيره لكانوا منافقين، فكيف إذا جمعوا مع ذلك معارضته وزعموا أنه لا يستفاد منه هدى.

ومن صفاتهم: كتمان الحق، والتلبيس على أهله، ورميهم له بأدوائهم: فيرموهم- إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ودعوا إلى الله ورسوله- بأنهم أهل فتن مفسدون فى الأرض.

وقد علم الله ورسوله." (١)

" بإفكهم في مساجد الإسلام ولا في بلاد الكتاب و السنة فسل **ربك الثبات على** كلمة التقوى انتهى كلامه

وذكره ابن عبد الملك في التكملة وقال فيه كثر اتباعه على مذ ٤ هبه الذي كان يدعو إليه من التصوف نحلة ارتسموا بها من غير تحصيل لها وصنف في ذلك أوضاعا كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه وبثوها في البلاد شرقا وغربا لا يخلى أحد منها بطائل وهي إلى وساوس المخبولين وهذيان الممرورين أقرب منها إلى منازع أهل العلم ولفظه غير بلد وصقع لما كان يرمى به من بلايا الله أعلم بحقيقتها ومطلع على سريرته فيها وتعقبه بعض علماء السنة من المغاربة فقال كان ينبغي أن لا يثبته في مصنفه فإنه لا ينبغي أن يذكر مع أهل العلم والتفسير ولا كرامة ولا والله مع أهل التوحيد

وأما العفيف التلمساني فهو سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الأديب قال الذهبي من فحول الشعراء وكبار الاتحادية يدعى العرفان له شعر رائق وكان كاتبا على سوق الغنم بدمشق له هيئة وحرمة وكان يتعاطى الخمر ويتملطخ بمعايب نسأل الله العفو وكان قد دخل الروم وعمل الخلوة وجاع وشرح مواقف النفري وهو القائل ." (٢)

" حقيقة والطائفتان عن الصراط المستقيم

فصل

ومن ذ لك قوله تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال رب أجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فها هنا أمران تجنيب عبادتها واجتنا به فسأل الخليل ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها ليحصل منهم إجتنابها فالإجتناب فعلهم والتجنيب فعله ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله ونظير ذلك قول يوسف الصديق رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف غنه كيدهن إنه هو السميع العليم وصرف كيدهن هو صرف دواعي قلوبهن ومكرهن بألسنتهن وأعمالهن وتلك أفعال إختيارية وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والإنصراف أثر فعله وهو فعل النسوة ومن ذلك قوله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم ولو لا **أن ثبتناك لقد** كدت

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ١١٦/٢٤

(٢) شرح القصيدة النونية، ١٨٣/١

تركن إليهم شيئا قليلا فالتثبيت فعله والثبات فعل رسوله فهو سبحانه المثبت وعبده الثابت ومثله قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل ا لله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فأخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين فعله فإنه يفعل ما يشاء **وأما الثبات والضلال** فمحض أفعالهم ومن ذلك قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فأخبرانه هو الذي قسى قلوبهم حتى صارت قاسية فالقساوة وصفها وفعلها وهي أثر فعله وهو جعلها قاسية وذلك أثر معاصيهم ونقضهم ميثاقهم وتركهم بعض ما ذكروا به فالآية مبطلة لقول القدرية والجبرية

فصل

ومن ذلك قوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم وهم إنما خرجوا بإختيارهم وقد أخبر هو الذي أخرجهم فالأخراج فعله حقيقة والخروج فعلهم حقيقة ولولا إخراجه لما خرجوا وهذا بخلاف قوله والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا وقوله هو الذي أخرج الذ ين كفروا من ديارهم لأول الحشر وقوله أخرجكم من بطون أمهاتكم فإن هذا إخراج لا صنع لهم فيه فإنه بغير اختيارهم وارادتهم وأما قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فيحتمل أن يكون إخراجا بقدره ومشيئته فيكون من الأول ويحتمل أن يكون إخراجا يوجبه بأمره فلا يكون من هذا فيكون الإخراج في كتاب الله ثلاثة أنواع أحدها إخراج الخارج بإختياره ومشيئته والثاني إخراجه قهرا وكرها والثالث إخراجه أمرا وشرعا

فصل

وقد ظن طائفة من الناس أن من هذا الباب قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وجعلوا ذلك من أدلتهم على القدرية ولم يفهموا مراد الآية وليست من هذا الباب فإن هذا خطاب لهم في واقعة بدر حيث أنزل الله سبحانه وملائكته فقتلوا أعداءه فلم يفرد المسلمون بقتلتهم بل قتلهم الملائكة وأما رميه صلى الله عليه و سلم فمقدوره كان هو الحذف والإلقاء وأما إيصال ما رمى به إلى وجوه العدو مع البعد وإيصال ذلك إلى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله ولكنه فعل الله وحده فالرمي يراد به الحذف والإيصال فأثبت له الحذف بقوله إذ رميت ونفى عنه الإيصال بقوله وما رميت

فصل

ومن ذلك قوله وإنه هو أضحك وأبكى والضحك والبكاء فعلان اختياريان فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة وتأويل الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام ." (١)

" المواضع حتى إذا استعمله فيما يحتمل غيره حمل على ما عهد منه استعماله فيه وعليه أن يقيم دليلا سالما عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه واستعارته وإلا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تقبل

وتأويل بعضهم هذه النصوص على أن المراد بها هداية البيان والتعريف لا خلق الهدى في القلب فإن الله سبحانه لا يقدر على ذلك عند هذه الطائفة وهذا التأويل من أبطل الباطل فإن الله سبحانه يخبر أنه أقسم هدايته قسمين قسما لا

---

(١) شفاء العليل، ص/٥٩

يقدر عليه غيره وقسما مقدورا للعباد فقط في القسم المقدور للغير وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقال في غير المقدور للغير إنك لاتهدي من أحببت وقال من يضلل الله فلا هادي له ومعلوم قطعا أن البيان والدلالة قد تحصل له ولا تنفي عنه وكذلك قوله فإن الله لا يهدي من يضل لا يصح حمله على هداية الدعوة والبيان فإن هذا يهدي وإن أضله الله بالدعوة والبيان وكذا قوله وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله هل يجوز حمله على معنى فمن يدعوه إلى الهدى ويبين له ما تقوم به حجة الله عليه وكيف يصنع هؤلاء بالنصوص التي فيها أنه سبحانه هو الذي أضلهم أيجوز لهم حملها على أنه دعاهم إلى الضلال فإن قالوا ليس ذلك معناها وإنما معناها الفاهم ووجدهم كذلك أو أعلم ملائكته ورسله بضلالهم أو جعل على قلوبهم علامة يعرف الملائكة بها أنهم ضلال قيل هذا من جنس قولكم أن هداه سبحانه واضلاله بتسميتهم مهتدين وضالين فهذه أربع تحريفات لكم وهو أنه سماهم بذلك وعلمهم بعلامة يعرفهم بها الملائكة وأخبر عنهم بذلك ووجدهم كذلك فالأخبار من جنس التسمية وقد بينا أن اللغة لا تحتمل ذلك وأن النصوص إذا تأملها المتأمل وجدها أبعد شيء من هذا المعنى وأما العلامة فيا عجبا لفرقة التحريف وما جنت على القرآن والإيمان ففي أي لغة وأي لسان يدل قوله تعالى أنك لا تهدي من أحببت على معنى أنك لا تعلمه بعلامة ولكن الله هو الذي يعلمه بها وقوله من يضلل الله فلا هادي له من يعلمه الله بعلامة الضلال لم يعلمه غيره بعلامة الهدى وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها لعلمناها بعلامة الهدى الذي خلقته هي لنفسها وأعطته نفسها وفي أي لغة يفهم من قول الداعي اهدنا الصراط المستقيم علمنا بعلامة يعرف الملائكة بها إننا مهتدون وقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا لا تعلمها بعلامة أهل الزيغ وقوله يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك وأمثال ذلك من النصوص ففي أي لغة وأي لسان يفهم من هذا علمنا **بعلامة الثبات والتصريف** على طاعتك وفي أي لغة يكون معنى قوله وجعلنا قلوبهم قاسية علمناها بعلامة القسوة أو وجدناها كذلك نعم لو نزل القرآن بلغة القدرية والجهمية وأهل البدع لأمكن حمله على ذلك أو كان الحق تبعا لأهوائهم وكانت نصوصه تبعا لبدع المبتدعين وآراء المتحيرين وأنت تجد جميع هذه الطوائف تنزل القرآن على مذاهبهم وبدعها وآرائها فالقرآن عند الجهمية جهمي وعند المعتزلة معتزلي وعند القدرية قدري وعند الرافضة رافضي وكذلك هو عند جميع أهل الباطل وما كانوا أولياءه أن أولياءه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وأما تحريفهم هذه النصوص وأمثالها بأن المعنى ألفاهم ووجدهم ففي أيلسان وأي لغة ودتم هديت الرجل إذا وجدته معتديا وختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وجده كذلك وهل هذا الا افتراء محض على القرآن واللغة فإن قالوا نحن لم نقل هذا في نحو ذلك وإنما قلناه في نحو أضله الله أي وجده ضالا كما يقال أحمدت الرجل وأبجلته وأجننته إذا ." (١)

"التسيير وكذلك الهدى والإضلال فعله والإهتداء والضلال أثر فعله وهما أفعالنا القائمة بنا فهو الهادي والعبد المهتدي وهو الذي يضل من يشاء والعبد الضال وهذا حقيقة وهذا

ص -٥٩- حقيقة والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان.

---

(١) شفاء العليل، ص/٨٣

فصل: ومن ذ لك قوله تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال: ﴿رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ فها هنا أمران تجنيب عبادتها واجتنابه فسأل الخليل ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها ليحصل منهم اجتنابها فالاجتناب فعلهم والتجنيب فعله ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله ونظير ذلك قول يوسف الصديق: ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾ وصرف كيدهن هو صرف دواعي قلوبهن ومكرهن بألسنتهن وأعمالهن وتلك أفعال اختيارية وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والانصراف أثر فعله وهو فعل النسوة ومن ذلك قوله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ فالتثبيت فعله والثبات فعل رسوله فهو سبحانه المثبت وعبده الثابت ومثله قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ فأخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين فعله فإنه يفعل ما يشاء **وأما الثبات والضلال** فمحض أفعالهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ فأخبر أنه هو الذي قسى قلوبهم حتى صارت قاسية." (١)

"جنس التسمية وقد بينا أن اللغة لا تحتمل ذلك وأن النصوص إذا تأملها المتأمل وجدها أبعد شيء من هذا المعنى وأما العلامة فيا عجبا لفرقة التحريف وما جنت على القرآن والإيمان ففي أي لغة وأي لسان يدل قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ على معنى أنك لا تعلمه بعلامة ولكن الله هو الذي يعلمه بها وقوله: ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾ من يعلمه الله بعلامة الضلال لم يعلمه غيره بعلامة الهدى وقوله: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ لعلمناها بعلامة الهدى الذي خلقته هي لنفسها وأعطته نفسها وفي أي لغة يفهم من قول الداعي اهدنا الصراط المستقيم علمنا بعلامة يعرف الملائكة بها أننا مهتدون وقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا لا تعلمها بعلامة أهل الزيغ وقوله يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك وأمثال ذلك من النصوص ففي أي لغة وأي لسان يفهم من هذا علمنا **بعلامة الثبات والتصريف** على طاعتك وفي أي لغة يكون معنى قوله: ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ علمناها بعلامة القسوة أو وجدناها كذلك نعم لو نزل القرآن بلغة القدرية والجهمية وأهل البدع لأمكن حمله على ذلك أو كان الحق تبعا لأهوائهم وكانت نصوصه تبعا لبدع المبتدعين وآراء المتحيرين وأنت تجد جميع هذه الطوائف تنزل القرآن على مذاهبهم وبدعها وآرائها فالقرآن عند الجهمية جهمي وعند المعتزلة معتزلي وعند القدرية قدري وعند الرافضة رافضي وكذلك هو عند جميع أهل الباطل: ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ وأما تحريفهم هذه النصوص وأمثالها بأن المعنى ألفاهم ووجدهم ففي أي لسان وأي لغة وجدتم هديت الرجل إذا وجدته مهتديا وختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وجده كذلك وهل هذا إلا افتراء محض على القرآن واللغة فإن قالوا نحن لم نقل." (٢)

" فصل

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ٢٠/١٥

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ٤٠/١٦

وكان صلى الله عليه و سلم يدعو في صلاته فيقول : [ اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم ] وكان يقول في صلاته أيضا : [ اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي فيما رزقتني ]

وكان يقول : [ اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ] وكان يقول في سجوده [ رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ] وقد تقدم ذكر بعض ما كان يقول في ركوعه وسجوده وجلوسه واعتداله في الركوع ." (١)

" فصل

ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها فقال لها أبواها : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله علم معرفتها وقوة إيمانها وتوليتها النعمة لربها وإفراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدها التوحيد وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له وثقتها بمحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم لها قالت ما قالت إدلالا للحبيب على حبيبه ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال فوضعته موضعه ولله ما كان أحبها إليه حين قالت : لا أحمد إلا الله فإنه هو الذي أنزل براءتي ولله **ذلك الثبات والرزانة** منها وهو أحب شئ إليها ولا صبر لها عنه وقد تنكر قلب حبيبها لها شهرا ثم صادفت الرضى منه والإقبال فلم تبادر إلى القيام إليه والسرور برضاه وقربه مع شدة محبتها له وهذا **غاية الثبات والقوة** ." (٢)

" فصل

في هديه صلى الله عليه و سلم في علاج حر المصيبة وحزنها

قال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [ البقرة : ١٥٥ ] وفي المسند عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجاره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها ]

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته

أحدهما : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز و جل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضا فإنه محفوف بعدمين : عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ولا يبقي عليه

---

(١) زاد المعاد، ٢٥٣/١

(٢) زاد المعاد، ٢٣٦/٣

وجوده فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي وأيضا فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور المنهي لا تصرف الملاك ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي

والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [ الحديد : ٢٢ ]

ومن علاجه أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه وادخر له - إن صبر ورضي - ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي

ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما ساءت دهرا وإن متعت قليلا منعت طويلا وما ملأت دارا خيرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا وقال ابن سيرين : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء

وقالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس وأنه حق على الله ألا يملأ دارا خيرة إلا ملأها عبرة

وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت : أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا

وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها فقيل لها : ما يبكيك لعل أحدا آذاك ؟ قالت : لا ولكن رأيت غضارة في أهلي وقلما امتلأت دار سرورا إلا امتلأت حزنا

قال إسحاق بن طلحة : دخلت عليها يوما فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت : ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة إلا سيعقبون بعدها عبرة وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت :

( فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف )

( فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف )

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع لا يردها بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض

ومن علاجها أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والإسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه ورده خاسئا وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا **هو الثبات والكمال** الأعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور

ومن علاجها : أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والإحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه فلينظر : أي المصيبتين أعظم ؟ : مصيبة العاجلة أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد وفي الترمذي مرفوعا : [ يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء ]

وقال بعض السلف : لو لا مصائب الدنيا لوردنا القيام مفاليس

ومن علاجها : أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله فإنه من كل شئ عوض إلا الله فما منه عوض كما قيل :

( من كل شئ إذا ضيعته عوض ... وما من الله إن ضيعته عوض )

ومن علاجها : أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط فحظك منها ما أحدثته لك فاختر خير الحظوظ أو شرها فإن أحدثت له سخطا وكفرا كتب في ديوان الهالكين وإن أحدثت له جزعا وتفريطا في ترك واجب أو فعل محرم كتب في ديوان المفرطين وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين وإن أحدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله كتب في ديوان الصابرين وإن أحدثت له الرضى عن الله كتب في ديوان الراضين وإن أحدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه : [ إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط ] زاد أحمد : [ ومن جزع فله الجزع ]

ومن علاجها : أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته فآخر أمره إلى صبر الإضطرار وهو غير محمود ولا مثاب قال بعض الحكماء : العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم وفي الصحيح مرفوعا : [ الصبر عند الصدمة الأولى ] وقال الأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت سلو البهائم

ومن علاجها : أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت إلى محبوبه

وقال أبو الدرداء : أن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به وكان عمران بن حصين يقول في علته : أحبه إلي أحبه إليه وكذلك قال أبو العالية

وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به

ومن علاجها : أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدومهما : لذة تمتعه بما أصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وإن آثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه

ومن علاجها أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحا ببابه لائذا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى إليه

قال الشيخ عبد القادر : يا بني ! إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك يا بني ! القدر سبع والسبع لا يأكل الميتة

والمقصود : أن المصيبة كير العبد الذي يسبك به حاصله فإما أن يخرج ذهبا أحمر وإما أن يخرج خبثا كله كما قيل :

( سبكناه ونحسبه لجينا ... فأبدى الكير عن خبث الحديد )

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل

ومن علاجها : أن يعلم أنه لو لا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد - من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب - ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظا لصحة عبوديته واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل :

( قد ينعم بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم )

فلو لا أنه - سبحانه - يداوي عباده بأدوية المحن والإبتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله - سبحانه - إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الإبتلاء والإمتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه

ومن علاجها : أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة يقلبها الله سبحانه كذلك وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق : [ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ]

وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق وظهرت حقائق الرجال فأكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ولا ذل ساعة لعز الأبد ولا محنة ساعة لعافية الأبد فإن الحاضر عنده شهادة

والمنتظر غيب والإيمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ويجاوزه إلى العواقب والغايات فله شأن آخر

فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الأبدية والفوز الأكبر وما أعد لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ثم اختر أي القسمين أليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه وما هو الأولى به ولا تستطل هذا العلاج فشدة الحاجة إليه من الطبيب والعليل دعت إلى بسطه وبالله التوفيق ." (١)

"الفرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة

Q هل يوجد فرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة؟

A الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة، ولكن قد تكون ناجية بلا نصر، يعني: تنجو وإن كانت مقتولة، ولا يستلزم أن يكون لها نصر؛ لأن الإنسان قد يثبت على حق فيقتل فيكون ناجا، ولا يلزم أن يكون منصورا على الكفار، فالنصر في الواقع **هو الثبات على** الدين.

فكون الإنسان يثبت على دينه حتى يلاقي ربه فهذا هو النصر.." (٢)

" فإنه قيل فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قرأت حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و صلاة العصر و قوموا لله قانتين وقالت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه و سلم رواه الجماعة ألا البخاري و ابن ماجة و هذا يقتضي إن يكون غيرها لأن المعطوف غير المعطوف عليه

قلنا العطف قد يكون للتغاير في الذوات و قد يكون للتغاير في الأسماء و الصفات كقوله سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى و الذي قدر فهدى و الذي اخرج المرعى و هو سبحانه واحد و إنما تعددت أسماؤه و صفاته فيكون العطف في هذه القراءة لوصفها بشيئين بأنها وسطى و بأنها هي العصر و هذا أجود من قول طائفة من أصحابنا أن الواو تكون زائدة فان ذلك لا اصل له في اللغة عند أهل البصرة و غيرهم من النحاة و إنما جوزه بعض أهل الكوفة و ما احتج به لا حجة فيه على شيء من ذلك

فان قيل فقد قال و قوموا لله قانتين و القنوت إنما هو في الفجر

قلنا القنوت هو دوام الطاعة **و الثبات عليه** و ذلك واجب في جميع الصلوات كما قال تعالى يا مريم اقنتي لربك و اسجدي ." (٣)

---

(١) زاد المعاد، ٤/١٧٣

(٢) شرح العقيدة الواسطية / الغنيمان، ١١/٢٧

(٣) شرح العمدة / العطيشان، ٤/١٥٧

"النوع الثالث: **هداية الثبات وهي** التي نقرؤها في الفاتحة ونقول : ( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة:٦) ، أنا قبلت ولو لم أقبل لم أصلِّ وتعلمت فهداية التعليم حاصلة عندي وهداية القبول موجودة لدي لي فما هي الهداية التي أكرر سؤال الله سبحانه وتعالى إياها في كل صلاة في كل ركعة ؟ هي : **هداية الثبات** ، أن يهديك **إلى الثبات** ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ ) [ أخرجه الترمذي وابن ماجه ] . هذا النوع الثالث من الهداية هو أيضاً بيد الله تعالى ليست بيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس بيده هداية التوفيق لقبول الحق وليس بيده **هداية الثبات على** الحق ، فلا بد أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى حينما يقول في القرآن :

( وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ) لماذا قال : (بِإِذْنِهِ ) ؟ لأنه ليس بيده عليه الصلاة والسلام أن يوفقهم للقبول . ثم قال بعد ذلك : (وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) أي : هداية تعليم وإرشاد . الآية الثانية قال : (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ) لماذا ؟ لأنه ليس بيده عليه الصلاة والسلام أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، أي : يوفقهم إلى قبول الحق ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (القصص:٥٦) .." (١)

"(١٢) الآية التي بعدها : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (الشورى:٥١-٥٢) . إذاً هذه الآيات أوردها المصنف رحمه الله لما فيها من مناسبة بيان أن القرآن كتاب هداية وإعجاز ، والقرآن يهدي إلى صراط مستقيم ، يهدي هداية تعليم إرشاد وبيان والرسول صلى الله عليه وسلم يهدي هداية تعليم وإرشاد وبيان ما هو إلا مبلغ عن الله ما أمره الله سبحانه وتعالى بتبليغه ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم:٣-٤) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : ( أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ) [ أحمد وابن ماجه ] ، فهو يهدي ويعلم الناس ويرشدهم لكن **هداية الثبات**، وهداية التوفيق للقبول هي بيد الله سبحانه وتعالى وهذا هو الذي أفادته الآيات.

وكأن المصنف أورد هذه الآيات وما فيها من الإشارة إلى معنى الهداية ليبين أنك أيضاً مع هذه القواعد ومع هذه الأصول تحتاج إلى أن تسأل الله سبحانه وتعالى هداية التوفيق إلى قبول الحق وهداية التوفيق **إلى الثبات على** الحق ، هذه الأصول تعلمك مفاتيح تستعين بها على فهم القرآن العظيم بالطريقة التي جرى عليها السلف الصالح ، وتعينك على فهم القرآن الكريم إذا أحسنت استعمالها ولا تضمن لك أنك ثابت على الحق ولا تضمن لك أنك قابل للحق فكم من إنسان تعلم هذه الأصول ولم يشأ الله هدايته، فاللهم اهدنا هداية تعليم وإرشاد وقبول وثبات برحمتك يا أرحم الراحمين.." (٢)

---

(١) شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير)، ص/٩٣

(٢) شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير)، ص/٩٤

"أنها ثابتة لا تتغير على مر العصور والدهور

وعقيدة الإسلام لا تتغير على مر العصور والدهور أبدا، وسبحان الله! من عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان يأتيه الرجل يريد أن يسلم فيقول له: اشهد بأن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ونحن في عصرنا من أراد الإسلام نأمره بقضية الشهادتين، ونجد عقيدتنا التي كانت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم هي عقيدتنا الآن، بل إن من تمسك بها سيستمر إلى قيام الساعة لا زيادة هناك ولا نقص، ونجد في **مقتضى الثبات هذا** بمعنى: أنه لا يجوز تطويرها بما يناسب العصور أبدا.

وسبحان الله! إنك إن تنطلق إلى تاريخ الكنيسة تجد عجبا، فكلما مر عليهم قرن أو قرنان اجتمع مجلس الكنائس فطوروا العقيدة لتناسب العصر، وما من عصر إلا وتجد فيه تجديدا وتغييرا، أما عقيدتنا فهي ما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهي ما كان عليها الإمام أحمد رحمه الله، وهي ما كان عليها شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهي ما كان عليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى قيام الساعة، ثابتة لا يجوز تغييرها، ولا يمكن أن يزاد فيها ولا ينقص منها.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة إلى قيام الساعة ) وذكر شيئا من خصائصها ومن صفاتها، ونسأل الله أن نكون من هؤلاء.." (١)

"الوجه الرابع: أن الله سبحانه ذكر الصبر فى كتابه فى نحو تسعين موضعا، فمرة أمر به، ومرة أثنى على أهله، ومرة أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر به أهله، ومرة جعله شرطا فى حصول النصر والكفاية ومرة أخبر أنه مع أهله، وأثنى به على صفوته من العالمين وهم أنبياؤه ورسله، فقال عن نبيه أيوب: ﴿إنا وجدناه صابرا، نعم العبد إنه أواب﴾* [سورة ص: ٤٤]، وقال [تعالى] لخاتم أنبيائه ورسله: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾* [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾* [النمل: ١٢٧]، وقال يوسف الصديق، وقد قال له إخوته: ﴿أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى، قد من الله علينآ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾* [يوسف:٩٠]، وهذا يدل على أن الصبر من أجل مقامات الإيمان، وأن أخص الناس بالله وأولاهم به أشدهم قياما وتحققا به، وأن الخاصة أحوج إليه من العامة.

الوجه الخامس: أن الصبر سبب فى حصول كل كمال، فأكمل الخلق أصبرهم، ولم يتخلف عن أحد كماله الممكن إلا من ضعف صبره، فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص.

فإذا **انضم الثبات إلى** العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل، ولهذا فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه: ((اللهم إنى **أسألك الثبات فى** الأمر والعزيمة على الرشد))، ومعلوم أن **شجرة الثبات والعزيمة** لا تقوم إلا على ساق الصبر، فلو علم العبد الكنز الذى تحت هذه الأحرف الثلاثة أعنى اسم ((الصبر)) لما تخلف عنه.." (٢)

---

(١) شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، ٩/٥

(٢) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، ١٧/١

"ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة، ولكن الله يجعل ذلك في قلبه،فضلا منه وجزاء على عمل سابق، كما قال : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ [ النساء : ٦٦ : ٦٨ ] ، كما قال : ﴿ اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ [ الحديد : ٢٨ ] ، وكما قال : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [ المجادلة : ٢٢ ] ؛ ولهذا قيل : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وهذا الجنس غير مقدور للعباد، وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو ـ أيضا ـ بفضل الله وإعانته وإقداره لهم، لكن الأمور قسمان : منه ما جنسه مقدور لهم لإعانة الله لهم، كالقيام والقعود، ومنه ما جنسه غير مقدور لهم، إذا قيل : إن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادرا على ما لا يقدر عليه غيره، فهذا ـ أيضا ـ حق وهو من جنس هذا المعنى، قال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملآئكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ [ الأنفال : ١٢ ] ، وقد قال : ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾ [ الأنفال : ٤٥ ] ، فأمرهم بالثبات وهذا الثبات، يوحى إلى الملائكة أنهم يفعلونه بالمؤمنين .." (١)

"ونظيره الصلاة؛ إما ألا يصلى، أو يصلى رياء أو كسلان، أو يصلى مخلصا، والأقسام الثلاثة الأول مذمومة . وكذلك الزكاة، ونظير ذلك الهجرة والجهاد؛ فإن الناس فيهما أربعة أقسام، وكذلك ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ﴾ [ الأنفال : ٤٥ ] **فى الثبات والذكر**، وكذلك ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [ البلد : ١٧ ] فى الصبر والمرحمة أربعة أقسام، وكذلك ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [ البقرة : ٤٥ ] فهم . . . [ هنا كلمات غير متضحة ] فى الصبر والصلاة .

فعامة هذه الأشفاع التى فى القرآن : إما عملان،و إما وصفان فى عمل؛ انقسم الناس فيها قسمة رباعية، ثم إن كانا عملين منفصلين كالصلاة والصبر، والصلاة والزكاة ونحو ذلك نفع أحدهما ولو ترك الآخر، وإن كانا شرطين فى عمل كالإخلاص والتثبت لم ينفع أحدهما، فإن المن والأذى محبط، كما أن الرياء محبط، كما دل عليه القرآن، ومن هذا تقوى الله وحسن الخلق؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، والبر والتقوى والحق والصبر، وأفضل الإيمان السماحة والصبر .." (٢)

"﴿ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ﴾ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ الْآيَةُ فَدَرَجَةُ الْمُؤْمِنِ الْقَوِيِّ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا كَمَّلَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ وَقَدْ يُرِيدُ أَبُو طَالِبٍ وَغَيْرُهُ بِقَوْلِهِمْ : لَيْسَ هَذَا مِنْ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْمَعْنَى : أَيْ لَيْسَ إيمَانُهُ كَإِيمَانِ مَنْ حَقَّقَ خَاصَّةَ الْإِيمَانِ سَوَاءٌ كَانَ مِنْ الْأَبْرَارِ أَوْ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَرَكَ وَاجِبًا لِعَجْزِهِ عَنْهُ أَوْ لِكَوْنِهِ لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ فَلَا يَكُونُ مَذْمُومًا وَلَا يُمْدَحُ مَدْحَ أُولَئِكَ وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبِينَ . فَيُقَالُ : وَهَذَا أَيْضًا لَا يَنْفِي عَنْهُ الْإِيمَانَ . فَيُقَالُ : هُوَ مُسْلِمٌ لَا مُؤْمِنٌ كَمَا يُقَالُ : لَيْسَ بِعَالِمٍ وَلَا مُفْتٍ وَلَا مِنْ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ﴾ وَهَذَا كَثِيرٌ فَلَيْسَ كُلُّ مَا فُضِّلَ بِهِ الْفَاضِلُ يَكُونُ مَقْدُورًا لِمَنْ دُونَهُ فَكَذَلِكَ مِنْ

---

(١) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، ١/٣٠٩

(٢) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، ٢/٣٧٦

حَقَائِقِ الْإِيمَانِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ بَلْ وَلَا أَكْثَرُهُمْ فَهَؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ تَحَقَّقُوا بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الَّتِي فَضَّلَ اللَّهُ بِهَا غَيْرَهُمْ وَلَا تَرَكُوا وَاجِبًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَ وَاجِبًا عَلَى غَيْرِهِمْ وَلِهَذَا كَانَ مِنْ الْإِيمَانِ مَا هُوَ مِنْ الْمَوَاهِبِ وَالْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ فَإِنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْعِلْمِ وَالْإِسْلَامُ الظَّاهِرُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ وَقَالَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . وَمِثْلُ هَذِهِ السَّكِينَةِ قَدْ لَا تَكُونُ مَقْدُورَةً ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ فَضْلًا مِنْهُ وَجَزَاءً عَلَى عَمَلٍ سَابِقٍ كَمَا قَالَ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ ﴿ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ كَمَا قَالَ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ وَكَمَا قَالَ : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ وَلِهَذَا قِيلَ : مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ؛ وَهَذَا الْجِنْسُ غَيْرُ مَقْدُورٍ لِلْعِبَادِ ؛ وَإِنْ كَانَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ هُوَ أَيْضًا بِفَضْلِ اللَّهِ وَإِعَانَتِهِ وَإِقْدَارِهِ لَهُمْ ؛ لَكِنَّ الْأُمُورَ قِسْمَانِ : مِنْهُ مَا جِنْسُهُ مَقْدُورٌ لَهُمْ لِإِعَانَةِ اللَّهِ لَهُمْ كَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَمِنْهُ مَا جِنْسُهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ لَهُمْ ؛ إذَا قِيلَ : إنَّ اللَّهَ يُعْطِي مَنْ أَطَاعَهُ قُوَّةً فِي قَلْبِهِ وَبَدَنِهِ يَكُونُ بِهَا قَادِرًا عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهَذَا أَيْضًا حَقٌّ وَهُوَ مِنْ جِنْسِ هَذَا الْمَعْنَى . قَالَ تَعَالَى : ﴿ إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وَقَدْ قَالَ : ﴿ إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ فَأَمَرَهُمْ بِالثَّبَاتِ **وَهَذَا الثَّبَاتُ يُوحِي** إلَى الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ." (١)

"لَا فِي الْعِلْمِ وَلَا فِي الْعَمَلِ وَمَنْ كَانَ لَهُ خِبْرَةٌ بِالنَّظَرِيَّاتِ وَالْعَقْلِيَّاتِ وبالعمليات عَلِمَ أَنَّ مَذْهَبَ الصَّحَابَةِ دَائِمًا أَرْجَحُ مِنْ قَوْلِ مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَنَّهُ لَا يَبْتَدِعُ أَحَدٌ قَوْلًا فِي الْإِسْلَامِ إلَّا كَانَ خَطَأً وَكَانَ الصَّوَابُ قَدْ سَبَقَ إلَيْهِ مِنْ قَبْلِهِ . قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِيُّ فِيمَا حَكَاهُ عَنْ أَبِي إسْحَاقَ الإسفراييني لَمَّا ذَكَرَ قَوْلَ أَبِي الْحَسَنِ وَأَصْحَابِهِ فِي الْإِيمَانِ وَصَحَّحَ أَنَّهُ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ قَالَ : وَمِنْ أَصْحَابِنَا ؛ مَنْ قَالَ بِالْمُوَافَاةِ وَشَرْطٌ فِي الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ أَنْ يُوَافِيَ رَبَّهُ بِهِ وَيَخْتِمَ عَلَيْهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ شَرْطًا فِيهِ فِي الْحَالِ . قَالَ الْأَنْصَارِيُّ : لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ مُعْظَمَ أَئِمَّةِ السَّلَفِ كَانُوا يَقُولُونَ : الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ قَالَ : الْأَكْثَرُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَى الْقَوْلِ بِالْمُوَافَاةِ . وَمَنْ قَالَ بِالْمُوَافَاةِ فَإِنَّمَا يَقُولُهُ فِيمَنْ لَمْ يَرِدْ الْخَبَرَ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَأَمَّا مَنْ وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ عَلَى إيمَانِهِ كَالْعَشَرَةِ مِنْ الصَّحَابَةِ . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي اخْتَارَهُ الْمُحَقِّقُونَ ؛ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ التَّصْدِيقُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا اخْتِلَافَ أَقْوَالِهِمْ فِي الْمُوَافَاةِ ؛ وَأَنَّ ذَلِكَ هَلْ هُوَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَتُهُ فِي الْحَالِ وَكَوْنُهُ مُعْتَدًّا عِنْدَ اللَّهِ بِهِ وَفِي حُكْمِهِ فَمَنْ قَالَ : إنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ فِيهِ يُسْتَثْنَوْنَ فِي الْإِطْلَاقِ فِي الْحَالِ ؛ لَا أَنَّهُمْ يَشُكُّونَ فِي حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ ؛ لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَا يَدْرِي أَيَّ الْإِيمَانِ الَّذِي نَحْنُ مَوْصُوفُونَ بِهِ فِي الْحَالِ هَلْ هُوَ مُعْتَدٌّ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ ؟ عَلَى مَعْنَى أَنَّا نَنْتَفِعُ بِهِ فِي الْعَاقِبَةِ وَنَجْتَنِي مِنْ ثِمَارِهِ . فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : أَمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ حَقًّا ؟ أو تَقُولُونَ إنْ شَاءَ اللَّهُ ؟ أو تَقُولُونَ نَرْجُو ؟ فَيَقُولُونَ نَحْنُ مُؤْمِنُونَ إنْ شَاءَ اللَّهُ يَعْنُونَ بِهَذَا الِاسْتِثْنَاءِ تَفْوِيضَ الْأَمْرِ فِي الْعَاقِبَةِ إلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِنَّمَا يَكُونُ الْإِيمَانُ إيمَانًا مُعْتَدًّا بِهِ فِي حُكْمِ اللَّهِ إذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَمَ الْفَوْزِ وَآيَةَ النَّجَاةِ وَإِذَا كَانَ صَاحِبُهُ – وَالْعِيَاذُ بِاَللَّهِ – فِي حُكْمِ اللَّهِ مِنْ الْأَشْقِيَاءِ يَكُونُ إيمَانُهُ الَّذِي تَحَلَّى بِهِ فِي الْحَالِ عَارِيَةً . قَالَ : وَلَا فَرْقَ عِنْدَ الصَّائِرِينَ إلَى هَذَا

---

(١) كتاب الإيمان الكبير، ص/١٧٧

الْمَذْهَبِ بَيْنَ أَنْ يَقُولَ : أَنَا مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَطْعًا ؛ وَبَيْنَ أَنْ يَقُولَ أَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا . قُلْت : هَذَا إنَّمَا يَجِيءُ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَجْعَلُ الْإِيمَانَ مُتَنَاوِلًا لِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ ؛ فَمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ الجهمية وَالْمُرْجِئَةِ وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي نَصَرَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَصَرُوا قَوْلَ جَهْمٍ ؛ فَإِنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ قَطْعًا وَيَكُونُ كَامِلَ الْإِيمَانِ عِنْدَهُمْ وَهُوَ مَعَ هَذَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَلَا يَلْزَمُ إذَا وَافَى بِالْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَهَذَا اللَّازِمُ لِقَوْلِهِمْ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِهِ لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ . وَكَذَلِكَ قَالُوا : لَا سِيَّمَا وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : فَهَؤُلَاءِ – يَعْنِي الْقَائِلِينَ بِالْمُوَافَاةِ **جَعَلُوا الثَّبَاتَ عَلَى** هَذَا التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانَ الَّذِي وَصَفْنَاهُ إلَى الْعَاقِبَةِ وَالْوَفَاءَ بِهِ فِي الْمَآلِ شَرْطًا فِي الْإِيمَانِ شَرْعًا لَا لُغَةً وَلَا عَقْلًا . قَالَ : وَهَذَا مَذْهَبُ سَلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَالْأَكْثَرِينَ ؛ قَالَ : وَهُوَ اخْتِيَارُ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرِ بْنِ فورك ؛ وَكَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ ابْنُ إسْحَاقَ بْنِ خزيمة يَغْلُو فِيهِ وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ قَالَ : أَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ .." (١)

"النفع العظيم فيه، وإذا كان كذلك وجب الاشتغال بتحصيله والاعتناء بشأنه، فإن القليل منه كثير بالنسبة لمصالح البشر " (٧٣٠)، وله بعد ذلك كلام غريب وخطير في هذا الباب (٧٣١).

وقد كان من آثار هذا الشرك الصريح، أنه ذكر أن من الأنواع المعتبرة في هذا الباب اتخاذ القرابين وإراقة الدماء، فقال: " إنه لما دلت التجارب عليها وجب المصير إليها" (٧٣٢)، بل قال بتعظيم المزارات والقبور وأن الدعاء عندها فيه فائدة فقال في معرض ذكره لحجج القائلين بأن النفس جوهر روحي مفارق – وهو ما رجحه في كتابه هذا– : " الحجة الثالثة: جرت عادة العقلاء بأنهم يذهبون إلى المزارات المشرفة، ويصلون وتصدقون عندها، ويدعون في بعض المهمات فيجدون آثار النفع ظاهرة، ونتائج القول لائحة، حكى أن أصحاب أرسطو كانوا كلما صعبت عليهم مسألة ذهبوا إلى قبره وبحثوا فيها كانت تنكشف لهم تلك المسألة، وقد يتفق أمثال هذا كثيرا عند قبور الأكابر من العلماء والزهاد في زماننا، ولولا أن النفوس باقية بعد البدن، وإلا لكانت تلك الاستعانة بالميت الخالي من الحس والشعور عبثا، وذلك باطل " (٧٣٣).

هذه أقوال هذا الإمام الذي يقتدي به الكثيرون، ولعل الرازي قد تاب من ذلك قبل وفاته ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونعوذ به من زيغ القلوب، **ونسأله الثبات على** دينه الحق إلى أن نلقاه.

٤. ومن المسائل التي كان قوله فيها مضربا، وكثيرا ما يميل فيها إلى أقوال الفلاسفة، مسألة النبوة، وخصائص النبي (٧٣٤).

رابعا: تصوف الرازي.." (٢)

"ما هو من المواهب والفضل من الله فإنه من جنس العلم والإسلام الظاهر من جنس العمل ؛ وقد قال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ وقال : ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ وقال : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ﴾ . ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة ؛ ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلا منه وجزاء على عمل سابق كما قال : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ﴾ ﴿ وإذا لآتيناهم

---

(١) كتاب الإيمان الكبير، ص/٢٣١

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٣/١٦٣

من لدنا أجرا عظيما ﴾ ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ كما قال : ﴿ اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ وكما قال : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ ولهذا قيل : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ؛ وهذا الجنس غير مقدور للعباد ؛ وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضا بفضل الله وإعانته وإقداره لهم ؛ لكن الأمور قسمان : منه ما جنسه مقدور لهم لإعانة الله لهم كالقيام والقعود ومنه ما جنسه غير مقدور لهم ؛ إذا قيل : إن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادرا على ما لا يقدر عليه غيره فهذا أيضا حق وهو من جنس هذا المعنى . قال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ وقد قال : ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾ فأمرهم بالثبات **وهذا الثبات يوحي** إلى الملائكة أنهم يفعلونه بالمؤمنين .." (١)

"الله إذا كان ذلك علم الفوز وآية النجاة وإذا كان صاحبه – والعياذ بالله – في حكم الله من الأشقياء يكون إيمانه الذي تحلى به في الحال عارية . قال : ولا فرق عند الصائرين إلى هذا المذهب بين أن يقول : أنا مؤمن من أهل الجنة قطعا ؛ وبين أن يقول أنا مؤمن حقا . قلت : هذا إنما يجيء على قول من يجعل الإيمان متناولا لأداء الواجبات وترك المحرمات ؛ فمن مات على هذا كان من أهل الجنة وأما على قول الجهمية والمرجئة وهو القول الذي نصره هؤلاء الذين نصروا قول جهم ؛ فإنه يموت على الإيمان قطعا ويكون كامل الإيمان عندهم وهو مع هذا عندهم من أهل الكبائر الذين يدخلون النار فلا يلزم إذا وافى بالإيمان أن يكون من أهل الجنة . وهذا اللازم لقولهم يدل على فساده لأن الله وعد المؤمنين بالجنة . وكذلك قالوا : لا سيما والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات ﴾ الآية . قال : فهؤلاء – يعني القائلين بالموافاة **جعلوا الثبات على** هذا التصديق والإيمان الذي وصفناه إلى العاقبة والوفاء به في المآل شرطا في الإيمان شرعا لا لغة ولا عقلا . قال : وهذا مذهب سلف أصحاب الحديث والأكثرين ؛ قال : وهو اختيار الإمام أبي بكر بن فورك ؛ وكان الإمام محمد ابن إسحاق بن خزيمة يغلو فيه وكان يقول : من قال : أنا مؤمن حقا فهو مبتدع .

وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري." (٢)

"وأما " المطلق " ففي مواضع . منها : ما ذكره من إنزال السكينة ؛ بقوله : ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ وقوله : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴾ إلى غير ذلك . ومن ذلك " إنزال الميزان " ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور المفسرين على أن المراد به العدل وعن مجاهد – رحمه الله – هو ما يوزن به ولا منافاة بين القولين . وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في القلوب والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين ؛ كقوله : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ **فذلك الثبات نزل** في القلوب بواسطة الملائكة وهو السكينة . قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده ﴾ فالله ينزل عليه ملكا وذلك الملك يلهمه السداد وهو ينزل في قلبه . ومنه حديث حذيفة رضي الله عنه الذي في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٣٩/٧

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٣٨/٧

من السنة ﴾ والأمانة هي الإيمان أنزلها في أصل قلوب الرجال وهو كإنزال الميزان والسكينة وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ﴾ الحديث إلى آخره فذكر أربعة غشيان." (١)

"ونظيره " الصلاة " إما أن لا يصلي أو يصلي رياء أو كسلان أو يصلي مخلصا والأقسام الثلاثة الأول مذمومة وكذلك " الزكاة " ونظير ذلك " الهجرة والجهاد " فإن الناس فيهما أربعة أقسام وكذلك ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ﴾ **في الثبات والذكر** وكذلك : ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . ﴾ في الصبر والمرحمة أربعة أقسام وكذلك ﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ فهم . . . (١) في الصبر والصلاة فعامة هذه الأشفاع التي في القرآن : إما عملان وإما وصفان في عمل : انقسم الناس فيها قسمة رباعية ثم إن كانا عملين منفصلين كالصلاة والصبر والصلاة والزكاة ونحو ذلك نفع أحدهما ولو ترك الآخر وإن كانا شرطين في عمل كالإخلاص والتثبت لم ينفع أحدهما فإن المن والأذى محبط كما أن الرياء محبط كما دل عليه القرآن ومن هذا تقوى الله وحسن الخلق فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والبر والتقوى والحق والصبر وأفضل الإيمان السماحة والصبر . بخلاف الأشفاع في الذم كالإفك والإثم والاختيال والفخر والشح والجبن والإثم والعدوان ؛ فإن الذم ينال أحدهما مفردا." (٢)

"بالله من شر نفسه وسيئات عمله . ويسأل الله أن يعينه على طاعته . فبذلك يحصل له كل خير ويندفع عنه كل شر . ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه : دعاء الفاتحة ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فإنه إذا هداه هذا الصراط : أعانه على طاعته وترك معصيته . فلم يصبه شر لا في الدنيا ولا في الآخرة . لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان . وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة : وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب . ليس كما يقوله طائفة من المفسرين : إنه قد هداه . فلماذا يسأل الهدى ؟ . وأن المراد بسؤال الهدى **: الثبات أو** مزيد الهداية . بل العبد محتاج إلى أن يعلمه ربه ما يفعله من تفاصيل أحواله . وإلى ما يتولد من تفاصيل الأمور في كل يوم . وإلى أن يلهم أن يعمل ذلك . فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله الله مريدا للعمل بعلمه وإلا." (٣)

"جزوعا ﴾ ﴿ وإذا مسه الخير منوعا ﴾ قال الجوهري : الهلع أفحش الجزع وقال غيره : هو في اللغة أشد الحرص وأسوأ الجزع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ شر ما في المرء شح هالع وجبن خالع ﴾ وناقة هلوع إذا كانت سريعة السير خفيفة وذئب هلع بلع والهلع من الحرص والبلع من الابتلاع ولهذا كان كلام السلف في تفسيره يتضمن هذه المعاني فروي عن ابن عباس قال : هو الذي إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا . وروي عنه أنه قال : هو الحريص على ما لا يحل له . وعن سعيد بن جبير : شحيحا . وعن عكرمة : ضجورا . وعن جعفر : حريصا وعن الحسن والضحاك :

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٢٤٩/١٢

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٩٦/١٤

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٢٠/١٤

بخيلا وعن مجاهد : شرها وعن الضحاك أيضا : الهلوع الذي لا يشبع وعن مقاتل : ضيق القلب وعن عطاء : عجولا وهذه المعاني كلها **تنافي الثبات والقوة** والاجتماع والإمساك والصبر وقد قال تعالى : ﴿ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم ﴾ وهذا وإن كان قد قيل إن المراد به أنها تنصدع فيموتون فإنه كما قيل : في مثل ذلك قد انصدع قلبه وقد تفرق قلبي وقد تشتت قلبي وقد تقسم قلبي ومنه يقال للخوف : قد فرق قلبه ويقال : بإزاء ذلك هو ثابت القلب مجتمع القلب مجموع القلب .." (١)

"وفي مسلم وغيره عن ابن عباس " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : ﴿ اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ﴾ . وفي السنن ﴿ أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل : ما تقول في الصلاة ؟ قال : أتشهد ثم أقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال صلى الله عليه وسلم حولهما ندندن ﴾ رواه أبو داود وأبو حاتم في صحيحه وظاهر هذا أن دندنتهما أيضا بعد التشهد في الصلاة ليكون نظير ما قاله . وعن شداد بن أوس ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته : اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ﴾ رواه النسائي . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة ﴿ : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المغرم والمأثم فقال له قائل : ما أكثر ما تستعيذ." (٢)

"ص -٥٠٢- في السنن أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل : ما تقول في الصلاة ؟ قال : أتشهد، ثم أقول : اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ، فقال صلى الله عليه وسلم : " حولهما ندندن " ، رواه أبو داود وأبو حاتم في صحيحه، وظاهر هذا أن دندنتهما أيضا بعد التشهد في الصلاة، ليكون نظير ما قاله . وعن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته : " اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم " رواه النسائي .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة : " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات . اللهم إني أعوذ بك من المغرم والمأثم " فقال له قائل : ما أكثر ما تستعيذ." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٢٣٤/١٧

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٥٠٢/٢٢

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /١٢

"ص -٣٣٩- ما هو من المواهب والفضل من الله فإنه من جنس العلم، والإسلام الظاهر من جنس العمل، وقد قال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ [ محمد : ١٧ ] ، وقال : ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ [ مريم : ٧٦ ] ، وقال : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ﴾ [ الفتح : ٤ ] .

ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة، ولكن الله يجعل ذلك في قلبه، فضلا منه وجزاء على عمل سابق، كما قال : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ [ النساء : ٦٦ : ٦٨ ] ، كما قال : ﴿ اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ [ الحديد : ٢٨ ] ، وكما قال : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [ المجادلة : ٢٢ ] ؛ ولهذا قيل : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وهذا الجنس غير مقدور للعباد، وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضا بفضل الله وإعانته وإقداره لهم، لكن الأمور قسمان : منه ما جنسه مقدور لهم لإعانة الله لهم، كالقيام والقعود، ومنه ما جنسه غير مقدور لهم، إذا قيل : إن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادرا على ما لا يقدر عليه غيره، فهذا أيضا حق وهو من جنس هذا المعنى، قال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملآئكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ [ الأنفال : ١٢ ] ، وقد قال : ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾ [ الأنفال : ٤٥ ] ، فأمرهم بالثبات وهذا الثبات." (١)

"ص -٤٣٨- الله، إذا كان ذلك علم الفوز وآية النجاة، وإذا كان صاحبه والعياذ بالله في حكم الله من الأشقياء، يكون إيمانه الذي تحلى به في الحال عارية، قال : ولا فرق عند الصائرين إلى هذا المذهب، بين أن يقول : أنا مؤمن من أهل الجنة قطعا، وبين أن يقول : أنا مؤمن حقا .

قلت : هذا إنما يجيء على قول من يجعل الإيمان متناولا لأداء الواجبات وترك المحرمات، فمن مات على هذا كان من أهل الجنة، وأما على قول الجهمية والمرجئة، وهو القول الذي نصره هؤلاء الذين نصروا قول جهم، فإنه يموت على الإيمان قطعا، ويكون كامل الإيمان عندهم، وهو مع هذا عندهم من أهل الكبائر الذين يدخلون النار، فلا يلزم إذا وافى بالإيمان، أن يكون من أهل الجنة . وهذا اللازم لقولهم يدل على فساده؛ لأن الله وعد المؤمنين بالجنة، وكذلك قالوا : لا سيما والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات ﴾ الآية [ التوبة : ٧٢ ] . قال : فهؤلاء يعني القائلين بالموافاة جعلوا الثبات على هذا التصديق، والإيمان الذي وصفناه إلى العاقبة والوفاء به في المآل شرطا في الإيمان شرعا، لا لغة، ولا عقلا . قال : وهذا مذهب سلف أصحاب الحديث والأكثرين، قال : وهو اختيار الإمام أبي بكر بن فورك، وكان الإمام محمد بن إسحاق ابن خزيمة يغلو فيه، وكان يقول : من قال : أنا مؤمن حقا فهو مبتدع .

وأما مذهب سلف أصحاب الحديث؛ كابن مسعود وأصحابه، والثوري." (٢)

"ص -٢٤٩- وأما المطلق، ففي مواضع، منها : ما ذكره من إنزال السكينة بقوله : ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ [ الفتح : ٢٦ ] قوله : ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴾ [ الفتح : ٤ ] إلى غير ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٨٠/١١١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٨٧/١١١

ومن ذلك : إنزال الميزان، ذكره مع الكتاب في موضعين، وجمهور المفسرين على أن المراد به العدل، وعن مجاهد رحمه الله : هو ما يوزن به، ولا منافاة بين القولين . وكذلك العدل، وما يعرف به العدل، منزل في القلوب، والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين، كقوله : ﴿إذ يوحي ربك إلى الملآئكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ [ الأنفال : ١٢ ] **فذلك الثبات نزل** في القلوب بواسطة الملائكة، وهو السكينة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده " فالله ينزل عليه ملكا، وذلك الملك يلهمه السداد، وهو ينزل في قلبه .

ومنه حديث حذيفة رضي الله عنه الذي في الصحيحين، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة " و [ [ جذر ] : أي أصل ] ، والأمانة هي الإيمان أنزلها في أصل قلوب الرجال، وهو كإنزال الميزان والسكينة، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله " الحديث إلى آخره، فذكر أربعة : غشيان." (١)

"ص -٩٦- ونظيره الصلاة؛ إما ألا يصلى، أو يصلى رياء أو كسلان، أو يصلى مخلصا، والأقسام الثلاثة الأول مذمومة . وكذلك الزكاة، ونظير ذلك الهجرة والجهاد؛ فإن الناس فيهما أربعة أقسام، وكذلك ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ﴾ [ الأنفال : ٤٥ ] **فى الثبات والذكر**، وكذلك ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [ البلد : ١٧ ] فى الصبر والمرحمة أربعة أقسام، وكذلك ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [ البقرة : ٤٥ ] فهم . . . [ هنا كلمات غير متضحة ] فى الصبر والصلاة .

فعامة هذه الأشفاع التى فى القرآن : إما عملان، و إما وصفان فى عمل؛ انقسم الناس فيها قسمة رباعية، ثم إن كانا عملين منفصلين كالصلاة والصبر، والصلاة والزكاة ونحو ذلك نفع أحدهما ولو ترك الآخر، وإن كانا شرطين فى عمل كالإخلاص والتثبت لم ينفع أحدهما، فإن المن والأذى محبط، كما أن الرياء محبط، كما دل عليه القرآن، ومن هذا تقوى الله وحسن الخلق؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، والبر والتقوى والحق والصبر، وأفضل الإيمان السماحة والصبر .

بخلاف الأشفاع فى الذم كالإفك والإثم، والاختيال والفخر، والشح والجبن، والإثم والعدوان؛ فإن الذم ينال أحدهما مفردا." (٢)

"ص -٣٢٠- بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر .

ولهذا كان أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [ الفاتحة : ٦، ٧ ] ، فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/٢٠٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٩/٢٣٣

لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب .

ليس كما يقوله طائفة من المفسرين : إنه قد هداه، فلماذا يسأل الهدى ؟

وأن المراد بسؤال الهدى : الثبات، أو مزيد الهداية .

بل العبد محتاج إلى أن يعلمه ربه ما يفعله من تفاصيل أحواله . وإلى ما يتولد من تفاصيل الأمور فى كل يوم، وإلى أن يلهم أن يعمل ذلك .

فإنه لا يكفى مجرد علمه إن لم يجعله الله مريدا للعمل بعلمه، وإلا." (١)

"ص -٢٣٤- قال الجوهري : الهلع : أفحش الجزع . وقال غيره : هو في اللغة : أشد الحرص وأسوأ الجزع . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " شر ما في المرء شح هالع وجبن خالع " . وناقة هلوع : إذا كانت سريعة السير خفيفة، وذئب هلع بلع، والهلع من الحرص، والبلع من الابتلاع؛ ولهذا كان كلام السلف في تفسيره يتضمن هذه المعاني . فروي عن ابن عباس قال : هو الذي إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا . وروي عنه أنه قال : هو الحريص على ما لا يحل له . وعن سعيد بن جبير : شحيحا . وعن عكرمة : ضجورا . وعن جعفر : حريصا . وعن الحسن والضحاك : بخيلا . وعن مجاهد : شرها . وعن الضحاك أيضا : الهلوع : الذي لا يشبع . وعن مقاتل : ضيق القلب . وعن عطاء : عجولا، وهذه المعاني كلها **تنافي الثبات والقوة** والاجتماع، والإمساك والصبر، وقد قال تعالى : ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ [ التوبة : ١١٠ ] ، وهذا وإن كان قد قيل : إن المراد به أنها تنصدع فيموتون، فإنه كما قيل في مثل ذلك : قد انصدع قلبه، وقد تفرق قلبي، وقد تشتت قلبي . وقد تقسم قلبي، ومنه يقال للخوف : قد فرق قلبه، ويقال : بإزاء ذلك هو ثابت القلب مجتمع القلب، مجموع القلب .." (٢)

"والمطلوب ، كثرة الدعاء بالخيرة ، فإن الله يعلم ، ولا نعلم ، ويقدر ولا نقدر ن وهو علام الغيوب . وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – " من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن آدم . ترك استخارته ، و سخطه بما يقسم الله له " والتاجر يكون مسافراً فيخاف ضياع بعض ماله ، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه . وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والسلام عليكم ، ورحمة الله وبركاته ، كثيراً ، كثيراً . وعلى سائر من في البيت من الكبار و الصغار ، و سائر الجيران ، والأهل والأصحاب واحداً ، واحداً .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

****

كتاب آخر للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥٩/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٣٥/٢٣٨

ومنها كتاب ، قال فيه : بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على نبيه – صلى الله عليه وسلم – .

أما بعد : فإن الله – وله الحمد – قد أنعم علي من نعمه العظيمة ومنته الجسيمة ، وآلائه الكريمة ، ما هو مستوجب لعظيم الشكر ، **و الثبات على** الطاعة ، واعتياد حسن الصبر ، على فعل المأمور . و العبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضراء قال تعالى :

﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور . ولئن أذقنا نعماء بعد ضراء مسته ليقولن : ذهب السيئات عني ، إنه لفرح فخور . أي الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ (١)

---

(١) سورة هود / ٩ ، ١٠ ، ١١ .." (١)

"رآه بدعة مخالفة لما عرف من هدى الصحابة رضي الله عنهم

والذي عليه الجمهور من هؤلاء أنه إذا كان مغلوبا لم ينكر عليه وإن كان **حال الثبات أكمل** منه ولهذا لما سئل أحمد عن هذا قال قرىء القرآن على يحي بن سعيد فغشي عليه وأخذ أن يدفع عن نفسه ولو قدر لدفعه فما رأيت أغفل منه ونقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك وكذلك عن الفضيل بن عياض

وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه لكن أحوال الصحابة رضي الله عنهم هي التي ذكرت في القرآن من وجل القلوب ودمع العيون واقشعرار الجلود وقد ينكر أحوال هؤلاء من عنده قسوة قلب لا يلين عند تلاوة القرآن ويغلو فيهم من بطن أن حالهم أكمل الأحوال فكل من الطرفين مذموم بل المراتب ثلاثة ظالم لنفسه الذي هو قاس القلب لا يلين للقرآن ولا للذكر ففيه شبه من اليهود لقوله تعالى ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ﴾ الآية

والثاني حال الذي فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه فهذا يصعف صعق موت أو غشي لقوة الوارد وليس هذا بعلامة على الإيمان أو الفتوى فإنه قد يحصل لمن يفرح أو يحزن أو يخاف أو يحب ففي عشاق أهل الصور من أمراضه العشق أو قتله أو جننه وكذلك في غيرهم

والحاصل أنه إذا لم يكن ثم تفريط ولا عدوان ولا ذنب له فيما أصابه وجعل له ضعف فليس بملوم كمن سمع القرآن سماعا شرعيا ولم يفرط بترك ما وجب له من ذلك وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه الشهود والفناء ونحوه من الأمور التي تغيب العقل فإنه إذا كان السبب محظورا لم يكن السكران معذورا فإن السكر لذه بلا تمييز فإذا حصل بمحرم كالخمر والحشيشة فهو حرام

---

." (٢)

---

(١) محنة ابن تيمية يرويها بنفسه، ص/٧٩

(٢) مختصر الفتاوى المصرية، ص/٥٦٩

"ولهذا كان أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [ الفاتحة : ٦، ٧ ] ، فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب .

ليس كما يقوله طائفة من المفسرين : إنه قد هداه، فلماذا يسأل الهدى ؟

وأن المراد بسؤال الهدى : الثبات، أو مزيد الهداية .

بل العبد محتاج إلى أن يعلمه ربه ما يفعله من تفاصيل أحواله . وإلى ما يتولد من تفاصيل الأمور فى كل يوم، وإلى أن يلهم أن يعمل ذلك .

فإنه لا يكفى مجرد علمه إن لم يجعله الله مريدا للعمل بعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه، ولم يكن مهتديا، والعبد محتاج إلى أن يجعله الله قادرا على العمل بتلك الإرادة الصالحة .

فإنه لا يكون مهتديا إلى الصراط المستقيم ـ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ـ إلا بهذه العلوم والإرادات، والقدرة على ذلك .

ويدخل فى ذلك من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه .

ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة؛ لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء .

وإنما يعرف بعض قدر هذا الدعاء من اعتبر أحوال نفسه ونفوس الإنس والجن، والمأمورين بهذا الدعاء، ورأى ما فى النفوس من الجهل والظلم الذي يقتضي شقاءها فى الدنيا والآخرة، فيعلم أن الله ـ بفضله ورحمته ـ جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر .

ومما يبين ذلك أن الله ـ تعالى ـ لم يقص علينا فى القرآن قصة أحد إلا لنعتبر بها، لما فى الاعتبار بها من حاجتنا إليه ومصلحتنا .

وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثانى بالأول، وكانا مشتركين في المقتضى للحكم .." (١)
"

وفى مسلم وغيره عن إبن عباس ( ان رسول الله كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول ( اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال (

وفى السنن أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول فى الصلاة قال أتشهد ثم أقول اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولهما ندندن ( رواه أبو داود وأبو حاتم فى

(١) مفهوم الشكر عند ابن تيمية رحمه الله، ٤٩٥/١

صحيحه وظاهر هذا أن دندنتهما أيضا بعد التشهد فى الصلاة ليكون نظير ما قاله وعن شداد بن اوس أن رسول الله كان يقول فى صلاته ( اللهم إنى **أسالك الثبات فى** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسالك قلبا سليما ولسانا صادقا واسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ( رواه النسائى

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى كان يدعو فى الصلاة ( اللهم أنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم أنى أعوذ بك من المغرم والمأثم فقال له قائل ما اكثر ما تستعيذ

---

". (١)

"وخلاصة القول -كما أسلفنا- أن حركة البعث الإسلامي المعاصرة هي أقرب الحركات أن تتمثل فيها خصائص ذلك الجيل المتفرد، إن لم تكن بنفس الوفرة وبنفس الدرجة من الرفعة، فعلي درجات قريبة منها علي أي حال. وإنها لتقدم بالفعل نماذج ترتفع إلي ذلك المستوي، وتذكر الناس به من جديد، سواء فقي التجرد لله، أو صدق الجهاد في سبيل الله، أو التقدم للشهادة بنفس راضية مستعلية علي كل متاع الأرض، متطلعة إلي ما عند الله، **أو الثبات علي** العذاب الذي لا تطيقه الأبدان ولا النفوس.

والخلاصة مرة أخري أن ذلك الجيل المتفرد، الذي تمثلت في واقعية الإسلام ومثاليته، لم يوجد ليكون مجرد ذكري، وإنما وجد ليحاول المسلمون في كل الأجيال أن يصعدوا لمستواه، فإن حاولوا فقد ارتفعوا ونجوا من الهبوط، سواء وصلوا -في مجموعهم- إلي ذلك المستوي الرفيع أم لم يستطيعوا الوصول.

والخلاصة مرة ثالثة أن الذي تفرد به ذلك الجيل لم يكن هو الخصائص الأساسية للوجود الإسلامي، فهذه مطلوبة من كل جيل، وممكنة في كل جيل، ولازمة لإقامة الوجود الإسلامي الصحيح في الأرض، والناس محاسبون إن قصروا في أدائها، ويعتبرون آثمين في حق الله وحق أنفسهم إن قصروا فيها، ويتوقف وجودهم وثقلهم في الأرض علي القيام بها في صورتها الصحيحة.

إنما الذي تفرد به ذلك الجيل هو الدرجة العجيبة التي قاموا فيها بتحقيق هذه الخصائص في عالم الواقع، بعد قيامهم بتحقيقها في ذوات أنفسهم. وهذه درجة لم يفرضها الله فرضا علي الناس، إنما فرض عليهم الحد الأدنى الذي لا تستقيم الحياة بدونه، وترك الدرجات العلا للتطوع النبيل، الذي تقدر عليه النفوس حين تتربي التربية الصحيحة علي الإسلام، وتستضئ بنور الحق، وتعبد الله كأنها تراه وتقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم كأنها تعايشه.." (٢)

"ومن صفاتهم التى وصفهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب فى الحديث والخيانة فى الأمانة، والغدر عند العهد، والفجور عند الخصام، والخلف عند الوعد، وتأخير الصلاة إلى آخر وقتها، ونقرها عجلة وإسراعا، وترك حضورها

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٥٠٢/٢٢

(٢) رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة، ١٠٠/٢

جماعة وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح والعشاء .

ومن صفاقم التي وصفهم الله بها الشح على المؤمنين بالخير، والجبن عند الخوف، فإذا ذهب الخوف وجاء الأمن سلقوا المؤمنين بألسنة حداد، فهم أحد الناس ألسنة عليهم كما قيل:

جهلا علينا وجبنا عن عدوكم لبئست الخلتان الجهل والجبن

وإنهم عند المخاوف تظهر كمائن صدورهم ومخبآتهم، وأما عند الأمن فيحجب ستره، فإذا لحق المسلمين خوف دبت عقارب قلوبهم وظهرت المخبآت وبدت الأسرار.

ومن صفاقم أنهم أعذب الناس ألسنة، [وأمرهم] قلوبا وأعظم الناس [مخالفة] بين أعمالهم وأقوالهم ومن صفاقم أنهم لا يجتمع فيهم حسن صمت وفقه فى دين أبدا ومن صفاقم أن أعمالهم تكذب أقوالهم، وباطنهم يكذب ظاهرهم وسرائرهم تناقض علانيتهم.

ومن صفاقم أن المؤمن لا يثق بهم فى شيء فإنهم قد أعدوا لكل أمر مخرجا منه، بحق أو بباطل بصدق أو بكذب، ولهذا سمى منافقا أخذا من نافقاء اليربوع- وهو بيت يحفره ويجعل له أسرابا مختلفة- فكلما طلب من سرب خرج من سرب آخر، فلا يتمكن طالبه من حصره فى سرب واحد، قال الشاعر:

ويستخرج اليربوع من نافقائه ومن جحره بالشيحة اليتقصع

فأنت منه [كقبض] على الماء، ليس معك منه شيء. ومن صفاقم كثرة التلون، وسرعة التقلب، **وعدم الثبات على** حال واحد: بينا تراه على حال تعجبك من دين أو عبادة أو هدى صالح أو صدق، إذ انقلب إلى ضد ذلك كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلونا وتقلبا وتنقلا، جيفة بالليل قطرب بالنهار.

ومن صفاقم أنك إذا دعوقم عند المنازعة للتحاكم إلى القرآن والسنة أبوا ذلك وأعرضوا عنه، ودعوك إلى التحاكم إلى طواغيتهم، قال تعالى:." (١)

"وهذا الذي يقرره القرآن في أمر الكتاب هو النظرية الإسلامية الصحيحة في خط سير الأديان والعقائد . . كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله ، يقوم على القاعدة الأصيلة : قاعدة التوحيد المطلق . . ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة ، وتتراكم الخرافات والأساطير ، حتى يبعد الناس نهائيا عن ذلك الأصل الكبير ، وهنا تجيء رسالة جديدة تجدد العقيدة الأصيلة ، وتنفي ما علق بها من الانحرافات ، وتراعي أحوال الأمة وأطوارها في التفصيلات . . وهذه النظرية أولى بالإتباع من نظريات الباحثين في تطور العقائد من غير المسلمين ، والتي كثيرا ما يتأثر بها باحثون مسلمون ، وهم لا يشعرون ، فيقيمون بحوثهم على أساس التطور في أصل العقيدة وقاعدة التصور ، كما يقول المستشرقون وأمثالهم من الباحثين الغربيين الجاهليين!

**وهذا الثبات في** أصل التصور الإيماني ، هو الذي يتفق مع وظيفة الكتاب الذي أنزله الله بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، في كل زمان ، ومع كل رسول ، منذ أقدم الأزمان .

---

(١) رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة، ١١٥/٢

ولم يكن بد أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء إليه الناس ، وأن يكون هناك قول فصل ينتهون إليه . ولم يكن بد كذلك أن يكون هذا الميزان من صنع مصدر آخر غير المصدر الإنساني ، وأن يكون هذا القول قول حاكم عدل لا يتأثر بالهوى الإنساني ، ولا يتأثر بالقصور الإنساني ، ولا يتأثر بالجهل الإنساني!

وإقامة ذلك الميزان الثابت تقتضي علما غير محدود . علم ما كان وما هو كائن وما سيكون . علمه كله لا مقيدا بقيود الزمان التي تفصل الوجود الواحد إلى ماض وحاضر ومستقبل ، وإلى مستيقن ومظنون ومجهول ، وإلى حاضر مشهود ومغيب مخبوء . . ولا مقيدا بقيود المكان التي تفصل الوجود الواحد إلى قريب وبعيد ، ومنظور ومحجوب ، ومحسوس وغير محسوس . . في حاجة إلى إله يعلم ما خلق ، ويعلم من خلق . . ويعلم ما يصلح وما يصلح حال الجميع .." (١)

"لأنه سأل ، وهكذا من خاض في القدر فإنه يحرم العلم ومن لم يسلم فيه يحرم العلم ، قال :

كذا الخضر المكرم والوجيه الـ

ـمكلم إذ ألم به لماما

تكدر صفو جمعهما مرارا

فعجل صاحب السر الصراما

ففارقه الكليم كليم قلب

وقد ثنى على الخضر الملاما

وما سبب الخلاف سوى اختلاف الـ

ـعلوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الـ

إله مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدرا

يعني هذه الحكمة البليغة وهذا البيان

فلا تجهل لها قدرا وخذها

شكورا للذي يحيي الأناما

فهذا باب هدى الله جل وعلا فيه أهل السنة كما هداهم في غيره ونحمد الله جل وعلا أن جعلنا منهم ونسأله لنا ولكم الثبات على القول الصالح والعمل الصالح وأن يميتنا ثابتين غير خزايا ولا مفتونين وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

حقيقة الإيمان

وحكم

---

(١) رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة، ٢/٢٤٦

مرتكب الكبيرة

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." (١)

"ص -٢٥١- قال: ولقد سلك بعض مشائخنا في هذا طريقة الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها فلما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا إليه صلى الله عليه وسلم وهذا النوع مقنع في الاستدلال لمن لا يتسع فهمه لاستدراك وجوه سائر الأدلة ولم يتبين تعلق الأدلة بمدلولاتها ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها.

قلت: هذه الطريق يستدل صاحبها بالنبوة على حدوث العالم لأن معرفة الصانع تعلم بدون ذلك إما بالأدلة الأخر وإما بالفطرة وصدق الرسول مبني على مقدمات ضرورية أو نظرية قريبة من الضرورية ثم يستدل بقوله على حدوث العالم فالخطابي في هذه الطريق ذكرأن طريقة الأعراض غير منكرة عنده ولكنه كرهها ورغب عنها إلى ما ذكر أنه طريق السلف لأنها بدعة ولأن فيها آفات.

وقد قال في رسالته في "الغنية عن الكلام وأهله" كلاما أسد من هذا وبين أنها محرمة كما ذكره الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر فقال الخطابي في هذه الرسالة: عصمنا الله تعالى وإياك من الأهواء المضلة والآراء المغوية والفتن المحيرة ورزقنا **وإياك الثبات على** السنة والتمسك بها ولزوم الطريقة المستقيمة التي درج عليها السلف وانتهجها بعدهم صالح الخلف وجنبنا وإياك مداحض البدع وبنيات طرقها العادلة عن نهج الحق وسوى الواضحة وأعاذنا وإياك من حيرة الجهل وتعاطي الباطل والقول بما ليس لنا به علم والدخول فيما لا يعنينا والتكلف لما قد كفينا الخوض فيه ونهينا عنه ونفعنا وإياك بما علمنا وجعله سببا لنجاتنا ولا جعله وبالا علينا برحمته وقفت على." (٢)

"وأما من قال بعدم دخولهم فحجته أن ولد البنات إنما ينتسبون إلى آبائهم حقيقة ، ولهذا إذا ولد الهذلي أو التيمي أو العدوي هاشمية لم يكن ولدها هاشمياً ؛ فإن الولد في النسب يتبع أباه ، وفي الحرية والرق أمه ، وفي الدين خيرهما ديناً ولهذا قال الشاعر

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ولو وصى أو وقف على قبيلة لم يدخل فيها أولاد بناتها من غيرها...

جلاء الأفهام (٢٠٤)

فائدة من قوله عليه الصلاة والسلام :اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد

قال ابن القيم : ذكر البركة وحقيقتها الثبوت واللزوم والاستقرار ؛ فمنه برك البعير إذا استقر على الأرض ،ومنه المبرك لموضع البروك .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية /صالح آل الشيخ، ١١٩/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ٢٧٦/٢

قال صاحب الصحاح : وكل شيء ثبت وأقام فقد برك ، والبرك الإبل الكثيرة .

والبركة بكسر الباء كالحوض والجمع البرك ذكره الجوهري .

قال : ويقال سميت بذلك لإقامة الماء فيها ،**والبراكاء الثبات في** الحرب والجد فيها قال الشاعر :

ولا ينجي من الغمرات إلا ... براكاء القتال أو الفرار

والبركة النماء والزيادة والتبريك الدعاء بذلك .

ويقال باركه الله وبارك فيه وبارك عليه وبارك له ..... والمقصود الكلام على قوله : وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم.

فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم وإدامته وثبوته له ومضاعفته وزيادته هذا حقيقة البركة.

وقد قال تعالى في إبراهيم وآله :﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحاق ﴾

وقال تعالى فيه وفي أهل بيته :﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾

وتأمل كيف جاء في القرآن ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ﴾ ولم يذكر إسماعيل." (١)

" قال ولقد سلك بعض مشائخنا في هذا طريقة الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها فلما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا إليه صلى الله عليه و سلم وهذا النوع مقنع في الاستدلال لمن لا يتسع فهمه لاستدراك وجوه سائر الأدلة ولم يتبين تعلق الأدلة بمدلولاتها ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها

قلت هذه الطريق يستدل صاحبها بالنبوة على حدوث العالم لأن معرفة الصانع تعلم بدون ذلك إما بالأدلة الأخر وإما بالفطرة وصدق الرسول مبني على مقدمات ضرورية أو نظرية قريبة من الضرورية ثم يستدل بقوله على حدوث العالم فالخطابي في هذه الطريق ذكرأن طريقة الأعراض غير منكرة عنده ولكنه كرهها ورغب عنها إلى ما ذكر أنه طريق السلف لأنها بدعة ولأن فيها آفات

وقد قال في رسالته في الغنية عن الكلام وأهله كلاما أسد من هذا وبين أنها محرمة كما ذكره الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر فقال الخطابي في هذه الرسالة عصمنا الله تعالى وإياك من الأهواء المضلة والآراء المغوية والفتن المحيرة ورزقنا **وإياك الثبات على** السنة والتمسك بها ولزوم الطريقة المستقيمة التي درج عليها السلف وانتهجها بعدهم صالح الخلف وجنبنا وإياك مداحض البدع وبنيات طرقها العادلة عن نهج الحق وسوى الواضحة وأعاذنا وإياك من حيرة الجهل وتعاطي الباطل والقول بما ليس لنا به علم والدخول فيما لا يعنينا والتكلف لما قد كفينا الخوض فيه ونهينا عنه ونفعنا وإياك بما علمنا وجعله سببا لنجاتنا ولا جعله وبالا علينا برحمته وقفت على ." (٢)

---

(١) ثناء شيخ الإسلام على آل بيت النبوة، ص/٥

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢٥١/١

"نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –- وهذا يتصل بالكلام على اسمه "محمد"، فاسمه هذا عليه الصلاة والسلام علم وصفة، فهو علم على شخصه – صلى الله عليه وسلم –، ويدل أيضا على معنى عظيم(١).

أما المستحق للحمد كله على الإطلاق لذاته فهو الله تعالى.

ويلاحظ بهذا أن إثبات الحمد لله تعالى تضمن نوعا من أنواع التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، فهو سبحانه الذي له جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شريك له في ذلك ولا شبيه، فهذا كله يتضمنه إثبات الحمد، فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها عدل وحكمة ورحمة.

قوله: "نحمده" هذا فيه توكيد للحمد الأول، فله الحمد الثابت لأن الجملة الاسمية "الحمد لله" تفيد الثبات. وله الحمد المتجدد لأن الجملة الفعلية "نحمده" تفيد التجدد. فهو تعالى المستحق للحمد كله على الإطلاق، وله منا أن نحمده حمدا متجددا في الحاضر وفي المستقبل كل بحسب ما وفقه الله تعالى، فهو سبحانه كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني به عليه عباده، قال أعلم الخلق به – صلى الله عليه وسلم – (أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)(٢) والعباد لا يستطيعون أن يثنوا على الله تعالى كما يستحق بذاته، لأن العباد لا يعلمون كل ما لله من الأسماء والصفات حتى الرسول ، لا يعلم كنه صفاته سبحانه وتعالى، لذلك قال –عليه الصلاة والسلام–:

........................................................................

(١) ينظر جلاء الأفهام (ص ٨٧-١٠٧) وزاد المعاد (٨٩/١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٥٢/١) كتاب الصلاة برقم ٤٨٦.." (١)

"أي: يقال لهذا الغالط المتوهم في القعود والاستقرار ما يقال في الاستواء، فإن كانت الحاجة داخلة في مفهوم الاستواء الذي يثبته والقعود والاستقرار فالله تعالى بهذا المعنى والاعتبار ليس مستويا ولا مستقرا ولا قاعدا؛ لأنه تعالى منزه عن الحاجة بغناه عما سواه، وإن كانت الحاجة غير داخلة وأنه لا يدخل في مسمى القعود والاستقرار إلا ما يدخل في مسمى الاستواء، فإثبات أحدهما ونفي الآخر تحكم.

فالمنفي هو الحاجة والافتقار، فهذا هو المعنى الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه، فمدار النفي هو النقص، فما كان نقصا وجب تنزيه الله تعالى عنه، ولا ينفي الكمال بناء على توهم النقص، فالله تعالى مستو على العرش استواء يليق بجلاله،

........................................................................

ليس فيه حاجة ولا افتقار؛ لأنه تعالى الغني عما سواه، وكل شيء محتاج إليه تعالى. فهذا المتوهم جعل الحاجة لازمة لمطلق الاستواء، ومثل لذلك بسقوط المستوي على السفينة، وخرور الراكب على الدابة، وهذا غلط. فإن المعنى العام الكلي المشترك للاستواء لا يستلزم الحاجة، وإنما يستلزم الحاجة استواء المخلوق.

(١) شرح الرسالة التدمرية، ١٦/١

أما استواء الرب تعالى على العرش فهو استواء بلا حاجة ولا افتقار(١).

وهناك فروق بين الاستواء والاستقرار والقعود، فالاستواء فسر بالارتفاع والاستقرار والصعود والعلو، والاستقرار فيه **معنى الثبات وهو** خلاف الاضطراب، والقعود هو خلاف القيام.

فالقعود على الشيء، والاستقرار على الشيء، والاستواء على الشيء، فقد يكون قعودا بلا استقرار والعكس كذلك. وأما الاستواء فإنه يتضمن الاستقرار، فكل استواء استقرار وليس كل استقرار استواء.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/٣٧٩.." (١)

"فالعالمُ معذورٌ مأجورٌ، ومتَّبعه في ذلك بعدما يتبينُ له الحقُّ مذمومٌ مأزورٌ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعدما نقل كلاماً لابن المبارك في هذا المعنى: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ مِنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إلَّا لَهُمْ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ خَفِيَ عَلَيْهِمْ فِيهَا السُّنَّةُ وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ لَا يُحْصَى مَعَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَغُضُّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ وَلَا يُسَوِّغُ اتِّبَاعَهُمْ فِيهَا.(١) انتهى كلامه.

==================

وراءَ تباينِ أنظار العلماء حكمٌ لا حصرَ لها (٢)

مما لا شك فيه عند المسلمين أن الدين دينُ الله والشرعَ شرعُه، ولا رادَّ لحكمه ولا معقب لأمره، حكمُه عدلٌ وقوله فصل، ومن حاد عن دين الله وحكم بغير شرعه فقد دخل في قوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [ المائدة:٤٤]، وشرعُ الله صالحٌ لكل زمان ومكان، وما ذلك إلا لأنه اشتمل على مقومات الاستمرار وعوامل الديمومة؛ ومنها **صفة الثبات والمرونة**، فهو ثابت في أصوله مرنٌ في فروعه، قال تعالى : ﴿. مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ..﴾ (٣٨) سورة الأنعام ، والناظر من المجتهدين يجد حقيقة جلية وهي أن أحكام الشرع تنتظمها دائرتان: دائرةُ القطعياتِ وهي محلُّ اتفاق وإجماع، ويندرجُ تحتها ما لاحصرَ له من المسائلَ الحادثةِ.

---

(١) – الفتاوى الكبرى – (ج ٩ / ص ١٠٨) وإعلام الموقعين عن رب العالمين – (ج ٤ / ص ٥٢)

(٢) – فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (ج ٣ / ص ٣٥٨٩) رقم الفتوى ١٦٣٨٧ وراء تباين أنظار العلماء حكم لا حصر لها تاريخ الفتوى : ٠١ ربيع الأول ١٤٢٣." (٢)

"لَا يَشْبَعُ وَعَنْ مُقَاتِلٍ : ضَيِّقُ الْقَلْبِ وَعَنْ عَطَاءٍ : عَجُولًا وَهَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا **تُنَافِي الثَّبَاتَ وَالْقُوَّةَ** وَالِاجْتِمَاعَ وَالْإِمْسَاكَ وَالصَّبْرَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ قَدْ

---

(١) شرح الرسالة التدمرية، ١/٢٥٥

(٢) رفع الملام / علي بن نايف الشحود، ص/٨٤

قِيلَ إنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّهَا تَنْصَدِعُ فَيَمُوتُونَ فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ : فِي مِثْلِ ذَلِكَ قَدْ انْصَدَعَ قَلْبُهُ وَقَدْ تَفَرَّقَ قَلْبِي وَقَدْ تَشَتَّتَ قَلْبِي وَقَدْ تَقَسَّمَ قَلْبِي وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْخَوْفِ : قَدْ فَرَّقَ قَلْبَهُ وَيُقَالُ : بِإِزَاءِ ذَلِكَ هُوَ ثَابِتُ الْقَلْبِ مُجْتَمَعُ الْقَلْبِ مَجْمُوعُ الْقَلْبِ .." (١)

"فيها واتبعوا بحجارة تتبع الشارد منهم ولا ترسل طيرا أبابيل بحجارة من سجيل تنزل على أصحاب الفيل واحدا واحدا مع كل طير ثلاثة أحجار صغار حجر في منقاره وحجران في رجليه حتى هلك أصحاب الفيل وصار كيدهم في تضليل حتى أرسل عليهم حجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ولا في قوى النفس أنها صبيحة كل يوم ينزل المن والسلوى الذي يكفي عسكر موسى وتظللهم بالغمام حيثما ساروا **وتطيل الثبات معهم** كلما طالوا وتفجر الماء كل يوم من الحجر اثنتي عشرة عينا لكل سبط عين ولا يفرق البحر اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم حتى إذا خرج منه عسكر موسى ودخله عسكر فرعون انطبق عليهم فأغرقهم كلهم وكذلك أيضا من الخوارق الخارجة عن قوى النفوس إحياء الموتى من الآدميين والبهائم وقد ذكر الله ذلك في غير موضع من كتابه فذكره في خمسة مواضع في سورة البقرة وقال تعالى ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ وقال تعالى ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ وقال تعالى ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾." (٢)

"والعلة يجب أن تكون مع المعلول فهذا يقتضي تقدير علل ممكنة حادثة معا بلا نهاية وهو ممتنع.

وهذا الاعتراض مستقيم سواء قيل إن علة الحدوث هي **علة الثبات أو** قيل للثبات علة غير علة الحدوث وذلك أن علة الحدوث لا بد أن تكون حادثة أيضا فإنها لو كانت قديمة لزم صدور الحادث عن العلة القديمة وهذا ممتنع فإن تلك العلة إما أن تكون دائما علة لحدوثه فيلزم أن يكون المحدث غير محدث بل دائما وإما أن تكون حال كونه علة لحدوثه ثم حدوث كونها علة لحدوثه هو أمر حادث والقول فيه كالقول الأول فلا بد أن تكون له علة حادثة فهذه حوادث في آن واحد لأن علية العلة يجب أن تكون مع المعلول.

وأما الجواب الذي ذكره فمقصوده به أنه لولا الحركة لكان هذا الاعتراض لازما فإن الحركة تحدث بلا ثبات أو تثبت على سبيل الحدوث والتجدد على الاتصال فلزم بها انتهاء العلل المحدثة والمثبتة إلى علل أخر في زمان آخر.

ومضمون هذا أن كون الشيء علة لحدوث شيء أو لثباته وإن كان حادثا فيسبب حدوثه الحركة المتصلة والحركة المتصلة تحدث عللا أخر في زمان آخر لتلك الكليات فلا تزال العلة باقية بهذا السبب.." (٣)

"فيقال: هذا الجواب باطل من وجهين:

أحدهما: أن الكلام في حدوث هذه الحركة الحادثة كالكلام في حدوث غيرها سواء كانت طبيعية أو قسرية أو إرادية لا سيما وهم يقولون هي إرادية.

---

(١) رسالة في تفسير سورة الإخلاص، ص/٩

(٢) الصفدية؟ ابن تيمية ١/١٨٤

(٣) الصفدية؟ ابن تيمية ٢/١٩٥

وقد قال بعد هذا: "وأما الحركة الإرادية فإن عللها أمور إرادية ثابتة واحدة كأنها كلية تنحو نحو الغرض الذي يحصل من التصور أولا فهو محفوظ بعينه ثابت وإرادة بعد إرادة بحيث يتصور بعد بعد بعد وأين بعد أين معين كحركة بعد حركة ويكون كل ذلك على سبيل التجدد لا على **سبيل الثبات ويكون** هناك شيء واحد ثابت دائما وهو الإرادة الثابتة ها هنا الكلية كما كانت الطبيعة في الطبيعة وأشياء تتجدد وهي تصورات جزئية وإرادات مختلفة كما يكون في الطبيعة اختلافات مقادير القرب والبعد ويكون جميعها على سبيل الحدوث".." (١)

"فيقال لهذا: فهذا يقتضي أن العلل الأولى متبدلة الأحوال وتبدل أحوالها هو من الأمور الحادثة فلا بد من بيان سبب حدوثه وإلا فالعلل الثابتة لا يصدر عنها أمور غير ثابتة فهذا أحد الوجهين:

الوجه الثاني: أن يقال هب أن الحركة سببها أحوال حادثة لهذه الذات لكن العلة يجب أن تكون مع المعلول فإذا كان المعلول ثابتا وجب أن تكون علته ثابتة والحركة منقضية والأحوال التي عنها الحركة وهي التصورات الجزئية والإرادات الجزئية منقضية لا يثبت منها شيء فيجب كما كان معلولها حادثا لا قديما أن يكون أيضا زائلا بزوالها لا ثابتا.

وإن قلت بإثبات علية بأمر حادث غير ذلك الأمر الأول.

قيل: الحادث الحركة المتوالية كما لا تكون ثابتة لا يكون علتها ولا معلولها ثابتا فكما أن الثابت لا يلزم عنه غير ثابت فغير الثابت لا يلزم عنه ثابت بل المعلول مساو للعلة **في الثبات وعدم** الثبات.

فالقوم كما أنهم أثبتوا حوادث لا تحدث أصلا فأثبتوا ثبوت ثابتات بلا مثبت أصلا فحقيقة قولهم إنه ليس للحوادث محدث ولا للباقيات مبق وهو إنكار المبدع للممكنات وللحوادث فهذا اللازم مذهب القوم لا محيد عنه.." (٢)

"ولما كان لفظ "القيام" يتضمن القوة والثبات، وقد يتضمن مع قيام الشيء بنفسه إقامته لغيره، خص لفظ "القوم" بالرجال دون النساء، فلا تسمى النساء بانفرادهن "قوما"، ولكن قد يدخلن في اللفظ تبعا. قال تعالى: (لا يسخر قوم من قوم ... ولا نساء من نساء) (١) ، فإنه قال: (الرجال قوامون على النساء) (٢) . ومنه قول الناظم:

وما أدري وظني كل ظن ... أقوم آل حصن أم نساء (٣)

ولما كان "القيام" **يقتضي الثبات** -وهو ضد الزوال- قال: (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) (٤) ، وقال: إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) (٥) . وهو يقتضي الاعتدال مع الثبات، وهو خلقهما معتدلتين كما قال: (فسواهن سبع سموات) (٦) ، وقال: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) (٧) . والعدل لازم في كل مخلوق، ومأمور به كل أحد، كما قد بسط في قوله: (الذي خلق فسوى (٢)) (٨) .

ولما في لفظ "القيام" من العدل سمي ما يساوي المبيع: قيمة

---

(١) سورة الحجرات: ١١.

---

(١) الصفدية؟ ابن تيمية ١٩٦/٢

(٢) الصفدية؟ ابن تيمية ٢٠١/٢

(٢) سورة النساء: ٣٤.

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه (ص ١٣٦) برواية مختلفة.

(٤) سورة الروم: ٢٥.

(٥) سورة فاطر: ٤١.

(٦) سورة البقرة: ٢٩.

(٧) سورة الملك: ٣.

(٨) سورة الأعلى: ٢. وانظر تفسير الآية في "مجموع الفتاوى" (١٦/١٢٧-١٣٥) .." [١]

"عدل، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) : "من أعتق شركا له في عبد، وكان له من المال ما يبلغ ثمن العبد، قوم عليه قيمة عدل لا وكس ولا شطط، فأعطي شركاؤه وعتق عليه العبد".

وكذلك يسمى تعديل الحساب تقويما، فإذا جمعت حركة الشمس والقمر وغيرهما السريعة والبطيئة، وأحد يعدل ذلك، سمي ذلك تعديلا وتقويما، ويسمى ما يكتب فيه ذلك تقويما، كما يصنع بالمكان إذا أخذ مغله في إقباله وإدباره، فإنه يوجد معدل ذلك، ويقوم باعتبار ذلك.

ويقال: قامت السوق، إذا حصل فيها التبايع بالتراضي الذي هو أصل العدل، ولابد أن يبقى ذلك زمنا، ففي قيام السوق معنى العدل والثبات، قال الشاعر:

أقامت سوقها عشرين عاما

ومنه قوله تعالى: (إلا ما دمت عليه قائما) (٢) ، أي يقوم عليه كما يقوم القيم على ما يقوم عليه وإن كان جالسا معه. والإقامة أبلغ من القيام، فإن فيها زيادة الهمزة والزيادة لزيادة المعنى، وهي تقتضي **من الثبات والدوام** أبلغ مما يدل عليه لفظ القيام. والمقام بالمكان هي السكنى فيه واستيطانه، والمقيم خلاف المسافر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٢١-٢٥٢٥ ومواضع أخرى) ومسلم (١٥٠١ وبعد رقم ١٦٦٧) عن عبد الله بن عمر.

(٢) سورة آل عمران: ٧٥.." [٢]

"والذاكرون على مراتبهم فأعـ ... ـلاهم أولو الإيمان والعرفان

بصفاته العليا إذا قاموا بحمـ ... ـد الله في سر وفي إعلان

وأخص أهل الذكر بالرحمن أعـ ... ـلمهم بها هم صفوة الرحمن

وكذاك كان محمد وأبوه إبـ ... ـراهيم والمولود من عمران

وكذاك نوح وابن مريم عندنا ... هم خير خلق الله من إنسان

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس؟ ابن تيمية ٥/١٦٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس؟ ابن تيمية ٥/١٦٧

لمعارف حصلت لهم بصفاته ... لم يؤتها أحد من الإنسان

وهم أولو العزم الذي بسورة الأ ... حزاب والشورى أتوا ببيان

وكذلك القرآن مملوء من الأ ... وصاف وهي القصد بالقرآن

ليصير معروفا لنا بصفاته ... ويصير مذكورا لنا بجنان

ولسان أيضا مع محبتنا له ... فلأجل ذا الثبات في الإيمان

مثل الأساس من البناء فمن يرم ... هدم الأساس فكيف بالبنيان

والله ما قام البناء لدين رسـ ... ـل الله بالتعطيل للديان

ما قام إلا بالصفات مفصلا ... إثباتها تفصيل ذي عرفان

فهي الأساس لديننا ولكل ديـ ... ـن قبله من سائر الأديان." (١)

"عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أخذ بيده، وقال : ((يا معاذ والله إني لأحبك ))، فقال : أوصيك يا معاذ ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)). رواه أوب داود والنسائي وأحمد وابن حبان والحاكم وهو حديث صحيح.

الحديث التاسع:

عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: (( اللهم إني أسالك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسالك شكر نعمتك، وحسن عبادتك ، وأسالك قلباً سليماً ولساناً صادقاً، وأسالك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم)). رواه النسائي وأحمد وهو حديث صحيح.

الحديث العاشر :

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا كر به أمر ، قال (( يا حي يا قيوم برحمتك استغيث )) رواه الترمذي وهو حديث حسن.

الحديث الحادي عشر:

عن أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم : ألا أعلمك كلمات تقولينها عن الكرب ـ أو في الكرب ـ؟ : (( الله ، الله ربي لا أشرك به شيئاً)). رواه النسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد وهو حديث صحيح.

الحديث الثاني عشر :

---

(١) الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية ١٧٥؟ ص/٨٠٢

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : (( من كثر همه فليقل : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء همي وغمي، ما قالها عبد قط إلا اذهب الله غمه ، وأبدله به فرجاً)). رواه أحمد وابن حبان وهو حديث صحيح.

الحديث الثالث عشر :." (١)

"يقول: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( إن رجلا أذنب ذنبا فقال: أي رب، أذنبت ذنبا فاغفر لي، قال ربك عز وجل: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به [ل/٢٦أ] قد غفرت لعبدي، قال: ثم لبث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال: أي رب، أذنبت ذنبا فاغفر لي، قال ربك عز وجل: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، قال: ثم لبث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبا آخر، فقال: أي رب، أذنبت ذنبا فاغفر لي، قال ربك عز وجل: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت فليعمل ما شاء ))(١)

---

(١) إسناده صحيح.

أخرجه مسلم (٢١١٢/٤-٢١١٣/ح٢٧٥٨) كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٨٨/١٠) من طريق أبي الوليد الطيالسي به.

وأخرجه البخاري (٤٦٦/١٣/ح٧٥٠٧. مع الفتح .) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله من طريق عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى به.

وأخرجه أحمد (٢٩٦/٢) عن يزيد بن هارون، وفي (٤٠٥/٢) عن عفان كلاهما عن عفان به.

وفي حديث يزيد بن هارون زيادة "ثم عمل ذنبا آخر" في المرة الرابعة، وليست في بعض نسخ المسند كما بين ذلك الشيخ الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

وأخرجه ابن حبان (١١/٢) من طريق الحسن بن محمد بن الصباح، والحاكم (٢٤٢/٤أو٢٧٠) من طريق إبراهيم بن عبد الله كلاهما عن يزيد بن هارون به، وليس فيه ذكر الذنب مرة رابعة.

وأخرجه أحمد (٤٩٢/٢) عن بهز عن حماد عن إسحاق بن أبي طلحة به نحوه.

* هذا الحديث استدركه الحاكم على الشيخين، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

وتعقبه الحافظ ابن حجر في "إتحاف المهرة" (١٥٧/١٥) حيث قال: "بل أخرجاه جميعا البخاري في التوحيد، ومسلم في التوبة من حديث همام بهذا الإسناد". قلت: وهو كما قال، كما تقدم تخريجه.

---

(١) أربعون وأربعون، ص/٣

* قوله "فليعمل ما شاء" قال السندي: "أي إنه يغفر له ما يعمل ما دام يستغفر، فهذا ترغيب له في الاستغفار، **وفي الثبات على** الرجاء والخوف، لا إذن له في الذنوب والله أعلم.." (١)

"@٢٥٥@بأجزاء أعظم منه أو قرن به فالمعنى فيها : أن من أتى شيئا من تلك الذنوب فقد لحق بمن شبه به في لزوم اسم المعصية به إلا أن كل واحد منهما في الإثم على قدر ذنبه.

وبتحريف أهل الزيغ والأهواء المضلة المعاني لهذه الأحاديث التي سطرتها لك في هذا الباب والأبواب الأربعة قبله ، وتفسيرهم لها بآرائهم نفوا أهل الذنوب من المؤمنين عن الإيمان وكفروهم وحجبوهم الاستغفار ، ولم يوالوهم.

ونحن نسأل الله المعافاة مما ابتلاهم به **ونسأله الثبات على** طاعته و التوفيق لمرضاته.." (٢)

" ١٧٨ - وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ اِبْنِ فَحْلُون عَنْ اَلْعِنَاقِيّ عَنْ عَبْد الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمَاجِشُونُ عَنْ اَلْمُنْكَدِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ مَاتَ مُدْمِنًا خَمْرًا مَاتَ كَعَابِدِ وَثَنٍ

وَمَعْنَى اَلْإِدْمَانِ عِنْدَ أَهْلِ اَلْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ شَارِبُهَا يَعْتَقِدُ اَلتَّمَادِيَ فِيهَا وَلَوْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي اَلسَّنَةِ إِلَّا مَرَّةً إِذَا كَانَتْ نِيَّتُهُ اَلْعَوْدَةَ إِلَيْهَا فَهُوَ مُدْمِنٌ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمَا كَانَ مِنْ هَذَا اَلنَّوْعِ مِنْ اَلْأَحَادِيثِ اَلَّتِي شُبِّهَ اَلذَّنْبُ بِأَجْزَاءَ أَعْظَمَ مِنْهُ أَوْ قُرِنَ بِهِ فَالْمَعْنَى فِيهَا: أَنَّ مَنْ أَتَى شَيْئًا مِنْ تِلْكَ اَلذُّنُوبِ فَقَدْ لَحِقَ بِمَنْ شُبِّهَ بِهِ فِي لُزُومِ اِسْمِ اَلْمَعْصِيَةِ بِهِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي اَلْإِثْمِ عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ.

وَبِتَحْرِيفِ أَهْلِ اَلزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ اَلْمُضِلَّةِ اَلْمَعَانِيَ لِهَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ اَلَّتِي سَطَّرْتُهَا لَكَ فِي هَذَا اَلْبَابِ وَالْأَبْوَابِ اَلْأَرْبَعَةِ قَبْلَهُ، وَتَفْسِيرِهِمْ لَهَا بِآرَائِهِمْ نَفَوْا أَهْلَ اَلذُّنُوبِ مِنْ اَلْمُؤْمِنِينَ عَنْ اَلْإِيمَانِ وَكَفَّرُوهُمْ وَحَجَبُوهُمْ اَلِاسْتِغْفَارَ، وَلَمْ يُوَالُوهُمْ.

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اَللَّهَ اَلْمُعَافَاةَ مِمَّا اِبْتَلَاهُمْ بِهِ، **وَنَسْأَلُهُ اَلثَّبَاتَ عَلَى** طَاعَتِهِ وَالتَّوْفِيقَ لِمَرْضَاتِهِ.." (٣)

"قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.

الترمذي : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي جعفر الخطمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن يزيد الخطمي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب ، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب.

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وأبو جعفر الخطمي اسمه (عمير ابن يزيد ) بن خشامة.

الترمذي : حدثنا أبو كريب ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن محمد بن سعد الأنصاري ، عن عبد الله بن ربيعة الدمشقي ،

---

(١) الطيوريات، ٣٢/٢

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين، ص/٢٥٥

(٣) أصول السنة لابن أبي الزمنين – مشكول، ص/٢٢٣

حدثني عائذ الله أبو إدريس الخولاني ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان من دعاء داود يقول : اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر داود يحدث عنه قال : كان أعبد البشر.

قال : هذا حديث حسن غريب.

النسائي : أخبرنا أبو داود ، حدثنا سليمان – يعني ابن حرب – حدثنا حماد بن سلمة ، عن سعيد الجريري ، عن أبي العلاء ، عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته : اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، وأسألك خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم.

". (١)

"والآية التي نزلت في توبته: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾.

اسم أبي لبابة رفاعة، وقيل: بشير بن عبد المنذر الأنصاري.

وروى حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن علي بن الحسين أن فاطمة عليها السلام أرادت حله حين نزلت توبته.

فقال: قد أقسمت ألا يحلني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إن فاطمة بضعةٌ مني)).

قوله: ((بضعة))، البضعة، والبضع من الشيء: القطعة منه.

والجهش: أن يفزع الإنسان إلى غيره ويلجأ إليه، وهو مع ذلك يريد البكاء، كما يفزع الصبي إلى أمه، يقال: جهشت وأجهشت.

في الحديث دليلٌ على أن من سب فاطمة رضوان الله عليها فقد سب أباها، ومن سب أباها فقد كفر، وفي حديث علي رضوان الله عليه لما أراد أن ينكح ابنة أبي جهل.

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إنما فاطمة بضعةٌ مني، يريبني ما رابها)).

يؤكد ما قلناه.

نعوذ بالله من الخذلان في سبها، ونستعفيه من الخسران في بغضها، **ونسأله الثبات على** حب أبيها وحبها، وأن يجعلنا من حزبه وحزبها، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين، ورضي الله عن صحابته والتابعين، وأن يحشرنا مع المؤمنين، ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين، وأن يرينا وجه نبينا صلى الله عليه وسلم ، ويوردنا حوضه غير مخالفين ولا مبدلين.

وقد اختلف أهل التفسير في توبة أبي لبابة رضي الله عنه؟ فقال قومٌ:." (٢)

---

(١) الأحكام الشرعية للإشبيلي ١/٥٨١، ٣/٥٦٧

(٢) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر لأبي اليمن ابن عساكر، ص/١٠١

"١٣٧- وبه حدَّثنا أبو مسلم، حدَّثنا أبو عمر الضَّرير حفص بن عمر، حدَّثنا عَديُّ بن الفضل، عن سعيد الجُرَيري، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن رَجُلين قد سَمّاهما، عن شدّاد بن أوس، وحدثنا مُعاذ بن الْمُثَنَّى، حدَّثنا مُسَدِّد، حدَّثنا بشر بن الْمُفَضَّل، حدَّثنا الْجُرَيري، عن أبي العلاء، عن الحنظلي، عن شدّاد بن أوس، وحدَّثنا سُليمان بن أيُّوب بن حذلم الدمشقي، حدَّثنا سُليمان بن عبد الرحمن، حدَّثنا إسماعيل بن عيّاش، حدَّثني مُحَمَّد بن يزيد الرحبي، عن أبي الأشعث الصَّنعاني، عن شدّاد بن أوس، قال الجُرَيري في حديثه: أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال أبو الأشعث في حديثه: قَالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" يَا شَدَّاد بْنَ أَوْسٍ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ اكْتَنَزوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْتَنِزْ هَؤلاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي **أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي** الأمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَليمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيوبِ "." (١)

"٤٠١١١ – حدثنا سليمان بن أحمد ، ثنا محمد بن أبان الأصبهاني ، ثنا إسماعيل بن عمرو ، ثنا موسى بن مطير ، عن أبي إسحاق ، قال : قال لي البراء بن عازب : ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله A : إذا رأيت الناس قد تنافسوا الذهب والفضة فادع بهذه الدعوات ، اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك ، والصبر على بلائك وحسن عبادتك ، والرضا بقضائك وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم." (٢)

" ٤٤ **– الثبات عند** لقاء العدو

٢٢٤ – حدثنا أبو موسى قال حدثنا معاذ بن معاذ قال حدثنا أبو عون عن موسى بن أنس قال لما كان حين انكشف الناس يوم اليمامه فقال أنس بن مالك فأتيت ثابت بن قيس وقد حسر عن فخذيه وهو يتحنط فقلت يا عم ما يحبسك ألا تجيء ما يحبسك فقال يا ابن أخي الآن قال وجعل يتحنط ثم جاء فجلس فقال هكذا عن وجوهنا حتى نضارب القوم ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم لبئسما عودتم أقرانكم ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ثم قاتل حتى قتل إسناده صحيح ." (٣)

"الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ

---

(١) أخبار الصلاة لعبد الغني المقدسي، ص/٧٤

(٢) أخبار أصبهان، ٤٣٢/٥

(٣) الجهاد لابن أبي عاصم، ٥٥٩/٢

٦٢٥- حَدَّثنَا عُبَيْدُ بْنُ غَنَّامٍ ، حَدَّثنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثنَا شَرِيكٌ ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الرُّمَّانِيِّ ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ صَلَّى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلاةً فَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ قَالُوا بَلَى قَالَ فَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُ بِدُعَاءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي مَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الإِخْلاصِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَخَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بِالْقَدَرِ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ وَلَذَّةَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ

٦٢٦- حَدَّثنَا أَبُو مُسْلِمٍ الْكَشِّيُّ ، حَدَّثنَا أَبُو عُمَرَ الضَّرِيرُ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثنَا عَدِيُّ بْنُ الْفَضْلِ عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ أَبِي الْعَلاءِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ رَجُلَيْنِ قَدْ سَمَّاهُمَا عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ فِي صَلاتِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَعَزِيمَةَ الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ (١) ".

"٦٢٧- حَدَّثنَا أَبُو مُسْلِمٍ الْكَشِّيُّ ، حَدَّثنَا أَبُو عُمَرَ الضَّرِيرُ ، حَدَّثنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ أَبِي الْعَلاءِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ فِي صَلاتِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَعَزِيمَةَ الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ

٦٢٨- حَدَّثنَا مُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، حَدَّثنَا الْجُرَيْرِيُّ ، عَنْ أَبِي الْعَلاءِ ، عَنِ الْحَنْظَلِيِّ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ

٦٢٩- حَدَّثنَا مُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ أَبِي الْعَلاءِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مُجَاشِعٍ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ فِي صَلاتِنَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّثْبِيتَ فِي الأَمْرِ وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ فَذَكَرَ نَحْوَهُ

٦٣٠- حَدَّثنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ ، حَدَّثنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ ، حَدَّثنَا سُوَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثنَا الأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدِ اللهِ مُسْلِمِ بْنِ مِشْكَمٍ أَنَّهُ سَمِعَ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ فَاكْنِزُوا هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ

---

(١) الدعاء للطبراني ٦٣٠، ص/٢٠٠

(١) ".

"٦٣١- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ حَذْلَمٍ الدِّمَشْقِيُّ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّحَبِيُّ ، عَنْ أَبِي الأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَا شَدَّادُ بْنَ أَوْسٍ إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي **أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي** الأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ

٦٣٢- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الرَّقِّيُّ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْحَوْضِيُّ ، حَدَّثَنَا مُرَجَّى بْنُ رَجَاءٍ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ ذَكْوَانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ بَشِيرِ بْنِ كَعْبٍ الْعَدَوِيِّ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَا شَدَّادُ بْنَ أَوْسٍ إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي **أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي** الأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ الْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ لِي ذَنْبًا إِلا غَفَرْتَهُ وَلا هَمًّا إِلا فَرَّجْتَهُ وَلا كَرْبًا إِلا نَفَّسْتَهُ وَلا ضُرًّا إِلا كَشَفْتَهُ وَلا دَيْنًا إِلا قَضَيْتَهُ وَلا عَدُوًّا إِلا أَهْلَكْتَهُ وَلا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

٦٣٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ الأَصْبَهَانِيُّ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَطِيرٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ فَذَكَرَ نَحْوَهُ

(٢) ".

" الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر و الغنى و أسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع أسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة و لا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين

٦٢٥ – حدثنا عبيد بن غنام ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام ثنا شريك عن أبي هاشم الرماني عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال صلى عمار بن ياسر صلاة فكأنهم أنكروها فقالوا له في ذلك فقال ألم أتم الركوع و السجود قالوا بلى قال فإني قد دعوت بدعاء سمعته من رسول الله اللهم بعلمك الغيب و قدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي و توفني ما علمت الوفاة خيرا لي اللهم وأسألك كلمة الإخلاص في والغضب والرضا والقصد في الغنى والفقر

(١) الدعاء للطبراني ٣٦٠، ص/٢٠١

(٢) الدعاء للطبراني ٣٦٠، ص/٢٠٢

وخشيتك في الغيب والشهادة وأسألك الرضا بالقدر وأسألك نعيما لا ينفذ وقرة عين لاتنقطع ولذة العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين

٦٢٦ – حدثنا أبو مسلم الكشي ثنا أبو عمر الضرير حفص بن عمر ثنا عدي بن الفضل عن سعيد الجريري عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشخير عن رجلين قد سماهما عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن نبي الله كان يقول في صلاته اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر وعزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ." (١)

" ٦٢٧ – حدثنا أبو مسلم الكشي ثنا أبو عمر الضري ثنا حماد بن سلمة عن سعيد الجريري عن أبي العلاء عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله كان يقول في صلاته اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر و عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم

٦٢٨ – حدثنا معاذ بن المثنى ثنا مسدد ثنا بشر بن المفضل ثنا الجريري عن أبي العلاء عن الحنظلي عن شداد بن اوس رضي الله عنه أنه سمعه يعني النبي يقول **أسألك الثبات في** الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسالك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك لسانا صادقا وأستغفرك لما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم

٦٢٩ – حدثنا معاذ بن المثنى ثنا مسدد ثنا بشر بن المفضل عن سعيد الجريري عن أبي العلاء عن رجل من بني مجاشع عن شداد بن أوس قال كان رسول الله يعلمنا ان نقول في صلاتنا اللهم إني أسألك التثبيت في الأمر وأسألك عزيمة الرشد فذكر نحوه

٦٣٠ – حدثنا محمد بن أبي زرعة الدمشقي ثنا هشام بن عمار ثنا سويد بن عبد العزيز ثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم انه سمع شداد بن أوس يقول سمعت رسول الله يقول إذا كنز الناس الدنانير والدراهم فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ." (٢)

" ٦٣١ – حدثنا سليمان بن أيوب بن حذلم الدمشقي ثنا سليمان بن عبد الرحمن ثنا إسماعيل بن عياش حدثني محمد بن يزيد الرحبي عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال لي رسول الله يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم وأنت علام الغيوب

---

(١) الدعاء، ص/٢٠٠

(٢) الدعاء، ص/٢٠١

٦٣٢ - حدثنا حفص بن عمر الرقي ثنا حفص بن عمر الحوضي ثنا مرجى بن رجاء عن حسين بن ذكوان عن عبد الله بن بريدة عن بشير بن كعب العدوي عن شداد بن أوس الأنصاري رضي الله عنه قال قال لي رسول الله يا شداد بن أوس إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك الغنيمة من كل بر والسلام من كل إثم وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب اللهم لاتدع لي ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا كربا إلا نفسته ولا ضرا إلا كشفته ولا دينا إلا قضيته ولا عدوا إلا أهلكته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا أرحم الراحمين

٦٣٣ - حدثنا محمد بن أبان الأصبهاني ثنا إسماعيل بن عمرو ثنا موسى بن مطير عن أبي إسحق عن البراء رضي الله عنه قال قال رسول الله إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات فذكر نحوه ." (١)

" ابن هارون أنبأ أبو مسعود الجريري عن أبي العلاء بن الشخير عن الحنظلي عن شداد بن أوس عن النبي قال ( ما من رجل يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله عز وجل إلا بعث الله إليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب )

قال وكان رسول الله يعلمنا دعوات ندعو بهن في صلاتنا أو قال في دبر صلاتنا اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأستغفرك مما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم (١)

٨٦ أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بندار بن إبراهيم البقال أنبأ أبي أنبأ أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي أنبأ أبو محمد

---

١- السند ضعيف

(٢) ".

"١٢٨٩- أخبرنا أحمد بن علي بن خلف، أنبأ حمزة بن عبد العزيز المهلبي، أنبأ أبو الحسن: علي بن بندار الصيرفي، ثنا جعفر الغريابي، ثنا أبو أيوب: سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، ثنا إسماعيل بن عياش، ثنا محمد بن يزيد الرحبي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن شداد بن أوس الأنصاري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد كنزوا الذهب والفضة فأكثر من هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر

---

(١) الدعاء، ص/٢٠٢

(٢) الترغيب في الدعاء، ص/١٤٨

والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، وأنت علام الغيوب))..." (١)

"أحاديث جامعة عن علامات الساعة

( خ م د حم ) ، عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال :

( إن الناس كانوا يسألون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ ، قال : " نعم ) (١) ( فتنة وشر " ، قلت : فما العصمة من ذلك (٢) ؟ ، قال : " السيف (٣) ") (٤) ( قلت : وهل بعد هذا السيف بقية ؟ ) (٥) ( قال : " يا حذيفة ، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ، يا حذيفة ، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ، يا حذيفة ، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ، قلت : يا رسول الله ، أبعد هذا الشر خير ؟ ) (٦) ( قال : " نعم ، وفيه دخن (٧) " ، فقلت : وما دخنه ؟ ) (٨) ( قال : " يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ، ولا يستنون بسنتي ) (٩) ( تعرف منهم وتنكر (١٠) ) (١١) وفي رواية : ( هدنة على دخن (١٢) وجماعة على أقذاء فيها أو فيهم (١٣) فقلت : يا رسول الله ، الهدنة على الدخن ، ما هي ؟ ، قال : " لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه (١٤) " ، فقلت : يا رسول الله ، أبعد هذا الخير شر ؟ ، قال : " نعم ، فتنة عمياء (١٥) صماء (١٦) عليها ) (١٧) ( دعاة على أبواب جهنم (١٨) من أجابهم إليها قذفوه فيها " ، فقلت : يا رسول الله صفهم لنا ،قال : " هم رجال من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ) (١٩) ( قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس " ، فقلت : وكيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ ) (٢٠) ( قال : " إن كان لله خليفة في الأرض ) (٢١) ( فالزم جماعة المسلمين وإمامهم ) (٢٢) ( واسمع وأطع للأمير (٢٣) وإن جلد ظهرك (٢٤) وأخذ مالك (٢٥) وإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ) (٢٦) ( فاعتزل تلك الفرق كلها ) (٢٧) ( واهرب حتى تموت ، فإن تمت وأنت عاض (٢٨) بجذل شجرة (٢٩) خير لك من أن تتبع أحدا منهم (٣٠) ") (٣١) ( قلت : ثم ماذا ؟ ، قال : " ثم يخرج الدجال ، معه نهر ونار ، فمن وقع في ناره (٣٢) وجب أجره (٣٣) وحط وزره (٣٤) ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره (٣٥) " ) (٣٦) ( قلت : فما بعد الدجال ؟ ، قال : " عيسى ابن مريم " ، قلت : فما بعد عيسى ابن مريم ؟ ، قال : " لو أن أحدكم أنتج فرسه (٣٧) ما ركب مهرها حتى تقوم الساعة ) (٣٨) "

---

(١) ( خ ) ٣٤١١

(٢) أي : فما طريق النجاة من الثبات على الخير والمحافظة عن الوقوع في ذلك الشر .عون المعبود(ج٩ص ٢٨٨)

(٣) أي : تحصل العصمة باستعمال السيف ، أو طريقها أن تضربهم بالسيف ، قال قتادة : المراد بهذه الطائفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – في زمن خلافة الصديق – رضي الله عنه – .عون المعبود(ج٩ص ٢٨٨)

(٤) ( د ) ٤٢٤٤

---

(١) الترغيب والترهيب لقوام السنة، ١٢٧/٢

(٥) ( حم ) ٢٣٤٧٦ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط : حديث حسن .
(٦) ( د ) ٤٢٤٦
(٧) ( الدخن ) : هو الحقد ، وقيل الدغل ، وقيل : فساد في القلب ، ومعنى الثلاثة متقارب ، يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيرا خالصا بل فيه كدر ، وقيل : المراد بالدخن الدخان ، ويشير بذلك إلى كدر الحال ، وقيل : الدخن كل أمر مكروه . فتح الباري لابن حجر - (ج ٢٠ / ص ٨٩)
(٨) ( خ ) ٦٦٧٣
(٩) ( م ) ١٨٤٧
(١٠) أي : تعرف من أعمالهم وتنكر . فتح الباري لابن حجر - (ج ٢٠ / ص ٨٩)
(١١) ( خ ) ٣٤١١
(١٢) أي : على فساد واختلاف ، تشبيها بدخان الحطب الرطب ، لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر . عون المعبود - (ج ٩ / ص ٢٨٨)
وقال أبو عبيد : يفسر المراد بهذا الحديث الحديث الآخر " لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه " ، وأصله أن يكون في لون الدابة كدورة ، فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض .( فتح ) - (ج٢٠ص ٨٩)
(١٣) أي : واجتماع على أهواء مختلفة ، أو عيوب مؤتلفة ، وفي النهاية : أراد أن اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم ، فشبهه بقذى العين والماء والشراب .عون المعبود(ج٩ص ٢٨٨)
(١٤) أي : لا تكون قلوبهم صافية عن الحقد والبغض كما كانت صافية قبل ذلك .
(١٥) أي : يعمى فيها الإنسان عن أن يرى الحق .عون المعبود - (ج ٩ / ص ٢٨٨)
(١٦) أي : يصم أهلها عن أن يسمع فيها كلمة الحق أو النصيحة . قال القاضي : المراد بكونها عمياء صماء أن تكون بحيث لا يرى منها مخرج ولا يوجد دونها مستغاث ، أو أن يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة ، فيعمون فيها ويصمون عن تأمل قول الحق واستماع النصح ، وقال القاري : ويمكن أن يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها وعدم ظهور الحق فيها ، وعن شدة أمرها وصلابة أهلها . عون المعبود - (ج ٩ / ص ٢٨٨)
(١٧) عند ( د ) ٤٢٤٥ ، و( حم ) ٢٣٣٣٠
(١٨) أي : كأنهم كائنون على شفا جرف من النار يدعون الخلق إليها . عون المعبود - (ج ٩ / ص ٢٨٨)
(١٩) ( خ ) ٣٤١١ ، ( م ) ١٨٤٧
(٢٠) ( م ) ١٨٤٧
(٢١) ( د ) ٤٢٤٤
(٢٢) ( خ ) ٦٦٧٣
(٢٣) أي : ولا تخالفه لئلا تثور فتنة . عون المعبود - (ج ٩ / ص ٢٨٨)
(٢٤) أي : ضرب ظهرك بالباطل ، وظلمك في نفسك . عون المعبود - (ج ٩ / ص ٢٨٨)

(٢٥) أي : بالغصب .

(٢٦) ( م ) ١٨٤٧

(٢٧) ( خ ) ٣٤١١

(٢٨) أي : آخذ بقوة . عون المعبود - (ج ٩ / ص ٢٨٨)

(٢٩) أي : بأصلها ، أي : اخرج منهم إلى البوادي وكل فيها أصول الشجر واكتف بها ، قاله السندي ، وقال في الفتح : الجذل : عود ينصب لتحتك به الإبل ، قال البيضاوي : المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة ، فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان ، وعض أصل الشجرة ، كناية عن مكابدة المشقة ، كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم ، أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر : " عضوا عليها بالنواجذ " عون المعبود - (ج ٩ / ص ٢٨٨)

(٣٠) أي : من أهل الفتنة أو من دعاتهم .

(٣١) ( د ) ٤٢٤٤ ، ( خ ) ٦٦٧٣

(٣٢) أي : من خالفه حتى يلقيه في ناره .

(٣٣) أي : ثبت وتحقق أجر الواقع .

(٣٤) أي : رفع وسومح .

(٣٥) أي : بطل عمله السابق .

(٣٦) ( د ) ٤٢٤٤

(٣٧) أي : سعى في تحصيل ولدها بمباشرة الأسباب .

(٣٨) ( ش ) ٣٨٢٦٨ ، انظر الصحيحة : ٢٧٣٩." (١)

"من علامات الساعة الصغرى ارتداد بعض القبائل عن الإسلام بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -

( خ د ) ، عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال :

( إن الناس كانوا يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ ، قال : " نعم ) (١) ( فتنة وشر " ، قلت : فما العصمة من ذلك (٢) ؟ ، قال : " السيف (٣) ") (٤)

---

(١) ( خ ) ٣٤١١

(٢) أي : فما طريق النجاة **من الثبات على** الخير والمحافظة عن الوقوع في ذلك الشر .عون المعبود(ج٩ص ٢٨٨)

(٣) أي : تحصل العصمة باستعمال السيف ، أو طريقها أن تضربهم بالسيف ، قال قتادة : المراد بهذه الطائفة هم الذين

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٥٩٠/١

ارتدوا بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - في زمن خلافة الصديق - رضي الله عنه - .عون المعبود(ج٩ص ٢٨٨)
(٤) ( د ) ٤٢٤٤." (١)

"( خ م ت حب ) ، وعن عبد الله بن ربيعة قال :

(كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، فذكر القوم رجلا فذكروا من خلقه ، فقال عبد الله : أرأيتم لو قطعتم رأسه أكنتم تستطيعون أن تعيدوه ؟ ، قالوا : لا : قال : فيده ؟ ، قالوا : لا ، قال : فرجله ؟ ، قالوا : لا ، قال : فإنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خلقه حتى تغيروا خلقه ) (١) ( فالشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره ، فقيل له : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ ) (٢) ( قال : حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق (٣) - قال : " إن أحدكم يجمع (٤) في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة (٥) مثل ذلك ، ثم يكون مضغة (٦) مثل ذلك (٧) ) (٨) ( ثم يبعث الله إليه ملكا فصوره ، وخلق سمعه وبصره وجلده وشعره ولحمه وعظامه (٩) ) (١٠) ( ويؤمر بأربع كلمات (١١) : فيكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ) (١٢) ( يقول : يا رب أذكر أو أنثى ؟ ، فيجعله الله ذكرا أو أنثى ، ثم يقول : يا رب أسوي أو غير سوي ؟ ، فيجعله الله سويا أو غير سوي ، ثم يقول : يا رب ما رزقه ؟ ، فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب ما أجله ؟ ، فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب ما خلقه ؟ ، أشقي أو سعيد ؟ ، فيجعله الله شقيا أو سعيدا ويكتب الملك (١٣) ) (١٤) ( فيقضي الله تعالى إليه أمره ، فيكتب ما هو لاق حتى النكبة ينكبها (١٥) ) (١٦) ( ثم ينفخ فيه الروح (١٧) ) (١٨) ( ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص ) (١٩) ( فوالله إن الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب (٢٠) فيعمل بعمل أهل الجنة (٢١) ) (٢٢) ( فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها ) (٢٣) ( وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ) (٢٤) ( فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها (٢٥) ) (٢٦) "

---

(١) ( خد ) ٢٨٣ ، انظر صحيح الأدب المفرد : ٢١٥

(٢) ( م ) ٢٦٤٥

(٣) الصادق في قوله ، المصدوق فيما يأتي من الوحي الكريم . شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٨٩)

(٤) قال ابن الأثير في النهاية : يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم ، أي : تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير ، ثم تخلق بعد ذلك . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٥) العلقة : الدم الجامد الغليظ ، سمي بذلك للرطوبة التي فيه ، وتعلقه بما مر به . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٦) المضغة : قطعة اللحم ، سميت بذلك لأنها قدر ما يمضغ الماضغ . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٦٠١/١

(٧) يحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئا فشيئا ، فيخالط الدم النطفة في الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها ، وتجري في أجزائها شيئا فشيئا حتى تتكامل علقة في أثناء الأربعين ، ثم يخالطها اللحم شيئا فشيئا إلى أن تشتد فتصير مضغة ، ولا تسمى علقة قبل ذلك ما دامت نطفة ، وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٨) ( خ ) ١٢٢٦

(٩) حديث ابن مسعود بجميع طرقه يدل على أن الجنين يتقلب في مائة وعشرين يوما في ثلاثة أطوار ، كل طور منها في أربعين ، ثم بعد تكملتها ينفخ فيه الروح ، وقد ذكر الله تعالى هذه الأطوار الثلاثة من غير تقييد بمدة في عدة سور ، منها في الحج ، ودلت الآية المذكور على أن التخليق يكون للمضغة ، وبين الحديث أن ذلك يكون فيها إذا تكاملت الأربعين ، وهي المدة التي إذا انتهت سميت مضغة ، وذكر الله النطفة ثم العلقة ثم المضغة في سور أخرى وزاد في سورة ( المؤمنون ) بعد المضغة ( فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ) الآية ، ويؤخذ منها ومن حديث الباب أن تصير المضغة عظاما بعد نفخ الروح . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(١٠) ( م ) ٢٦٤٥

(١١) المراد بالكلمات القضايا المقدرة ، وكل قضية تسمى كلمة . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(١٢) ( خ ) ٧٠١٦

(١٣) المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة والعمل والذكورة والأنوثة أنه يظهر ذلك للملك ، ويأمره الله بإنفاذه وكتابته ، وإلا فقضاء الله تعالى سابق على ذلك ، وعلمه وإرادته لكل ذلك موجود في الأزل والله أعلم . شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٩٣)

(١٤) ( م ) ٢٦٤٥

(١٥) ( النكبة ) : ما يصيب الإنسان من الحوادث . تحفة الأحوذي - (ج ٧ / ص ٣٥٩)

(١٦) ( حب ) ٦١٧٨ ، صححها الألباني في ظلال الجنة : ١٨٦ ، وصحيح موارد الظمآن : ١٥٢٠

(١٧) اتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ، وقد قيل إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر ، وهو الدخول في الشهر الخامس ، ومعنى إسناد النفخ للملك أنه يفعله بأمر الله ، والنفخ في الأصل إخراج ريح من جوف النافخ ليدخل في المنفوخ فيه ، وجمع بعضهم بأن الكتابة تقع مرتين : فالكتابة الأولى في السماء ، والثانية في بطن المرأة . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(١٨) ( خ ) ٣١٥٤ ، ٧٠١٦

(١٩) ( م ) ٢٦٤٥ ، ٢٦٤٤

(٢٠) أي : أنه يتعارض عمله في اقتضاء السعادة والمكتوب في اقتضاء الشقاوة ، فيتحقق مقتضى المكتوب ، فعبر عن ذلك بالسبق ، لأن السابق يحصل مراده دون المسبوق ، ولأنه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين ، لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٢١) أي : من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٢٢) ( خ ) ١٢٢٦ ، ( م ) ٢٦٤٣

(٢٣) ( ت ) ٢١٣٧

(٢٤) ( خ ) ١٢٢٦ ، ( م ) ٢٦٤٣

(٢٥) المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه ، وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض ذراع ، والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس ، لا أنه غالب فيهم ، ثم أنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة ، وهو نحو قوله تعالى : ﴿ إن رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي ﴾ ، ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية ، لكن يختلفان في التخليد وعدمه ؛ فالكافر يخلد في النار ، والعاصي الذي مات موحدا لا يخلد فيها ، وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر ، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها ، وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر ، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة . شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٨٩)

وفي الحديث أن الأعمال حسنها وسيئها أمارات وليست بموجبات ، وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء وجرى به القدر في الابتداء ، وفيه أن الاعتبار بالخاتمة ، قال ابن أبي جمرة : هذه التي قطعت أعناق الرجال ، مع ما هم فيه من حسن الحال ، لأنهم لا يدرون بماذا يختم لهم ، وفيه أن عموم مثل قوله تعالى ( من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم ) الآية مخصوص بمن مات على ذلك وأن من عمل السعادة وختم له بالشقاء فهو في طول عمره عند الله شقي ، وبالعكس ، وما ورد مما يخالفه يؤول إلى أن يؤول إلى هذا ، وقد اشتهر الخلاف في ذلك بين الأشعرية والحنفية ، وتمسك الأشاعرة بمثل هذا الحديث ، وتمسك الحنفية بمثل قوله تعالى ( يمحو الله ما يشاء ويثبت ) وأكثر كل من الفريقين الاحتجاج لقوله ، والحق أن النزاع لفظي ، وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل ، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل ، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي ، فيقع فيه المحو والإثبات ، كالزيادة في العمر والنقص ، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات ، والعلم عند الله ، وفيه أن في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق ، فالسابق ما في علم الله تعالى ، واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه كما وقع في الحديث ، وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، فهو محمول على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى ، واستدل به على أن السقط بعد الأربعة أشهر يصلى عليه ؛ لأنه وقت نفخ الروح فيه ، وهو منقول عن القديم للشافعي ، والراجح عند الشافعية أنه لا بد من وجود الروح ، وهو الجديد ، وقد قالوا : فإذا بكى أو اختلج أو تنفس ثم بطل ذلك صلي عليه وإلا فلا ، والأصل في ذلك ما أخرجه النسائي وصححه ابن حبان عن جابر رفعه : " إذا استهل الصبي ورث وصلي عليه " ، وفيه أن كلا من السعادة والشقاء قد يقع بلا عمل ولا عمر ، وعليه ينطبق قوله صلى الله عليه وسلم " الله أعلم بما كانوا عاملين " ، وفيه أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ، ولا يعارض ذلك حديث " لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله " ، وفيه الحث على الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة ، وقد عمل به

جمع جم من السلف وأئمة الخلف ، وأما ما قال عبد الحق في "كتاب العاقبة " : إن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره ، وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ، ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر والمجترئ على العظائم ، فيهجم عليه الموت بغتة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ، فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة نسأل الله السلامة ، فهو محمول على الأكثر الأغلب ، واستدل على أنه لا يجب على الله رعاية الأصلح ، خلافا لمن قال به من المعتزلة ، لأن فيه أن بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله ، ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله ، فيموت على ذلك فيدخل النار ، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ، ولا سيما إن طال عمره وقرب موته من كفره ، واستدل به بعض المعتزلة على أن من عمل عمل أهل النار وجب أن يدخلها لترتب دخولها في الخبر على العمل ، وترتب الحكم على الشيء يشعر بعليته ، وأجيب بأنه علامة لا علة والعلامة قد تتخلف ، سلمنا أنه علة ، لكنه في حق الكفار ، وأما العصاة فخرجوا بدليل ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) فمن لم يشرك فهو داخل في المشيئة ، واستدل به الأشعري في تجويزه تكليف ما لا يطاق ، لأنه دل على أن الله كلف العباد كلهم بالإيمان ، مع أنه قدر على بعضهم أنه يموت على الكفر ، وقد قيل : إن هذه المسألة لم يثبت وقوعها إلا في الإيمان خاصة ، وما عداه لا توجد دلالة قطعية على وقوعه ، وأما مطلق الجواز فحاصل ، وفيه أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات ، بمعنى أنه خالقها ومقدرها ، لا أنه يحبها ويرضاها ، وفيه أن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده ، وخالف في ذلك القدرية والجبرية ، فذهبت القدرية إلى أن فعل العبد من قبل نفسه ، ومنهم من فرق بين الخير والشر ، فنسب إلى الله الخير ، ونفى عنه خلق الشر ، وقيل : إنه لا يعرف قائله ، وإن كان قد اشتهر ذلك ، وإنما هذا رأي المجوس ، وذهبت الجبرية إلى أن الكل فعل الله ، وليس للمخلوق فيه تأثير أصلا ، وتوسط أهل السنة ، فمنهم من قال أصل الفعل خلقه الله ، وللعبد قدرة غير مؤثرة في المقدور ، وأثبت بعضهم أن لها تأثيرا ، لكنه يسمى كسبا ، وبسط أدلتهم يطول ، وفي الحديث أن الأقدار غالبة ، والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال ، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة ، وسيأتي في حديث علي " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " وظاهره قد يعارض حديث ابن مسعود المذكور في هذا الباب ، والجمع بينهما حمل حديث علي على الأكثر الأغلب ، وحمل حديث الباب على الأقل ، ولكنه لما كان جائزا تعين طلب الثبات . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٢٦) ( ت ) ٢١٣٧." (١)

"( حم ) ، وعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا (١) إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر (٢) ولزوم جماعة المسلمين (٣) فإن دعوتهم تحيط (٤) من ورائهم (٥) " (٦)

---

(١) ( لا يغل ) : من غل إذا خان ، أو من غل يغل إذا صار ذا حقد وعداوة ، أي : دوام المؤمن على هذه الخصال لا

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١٢٦٤/١

يدخل في قلبه خيانة أو حقد يمنعه من تبليغ العلم ، فينبغي **له الثبات على** هذه الخصال . حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٦ / ص ١١١)

(٢) أي : إرادة الخير ولو للأئمة ، وفيه أن إرادة النصح للأئمة يكفي في إرادته لكل أحد ، لأن فساد الرعاة يتعدى آثاره إليهم . حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ١ / ص ٢١٤)

(٣) أي : موافقة المسلمين في الإعتقاد والعمل الصالح ، من صلاة الجمعة والجماعة وغير ذلك . مرقاة المفاتيح - (ج ٢ / ص ١٤١)

(٤) أي : تحفظ وتكنف .

(٥) أي أن دعوة المسلمين قد أحاطت بهم ، فتحرسهم عن كيد الشيطان وعن الضلالة ، وفيه تنبيه على أن من خرج عن جماعتهم لم ينل بركتهم وبركة دعائهم ، لأنه خارج عما أحاطت بهم من ورائهم ، وفيه إيماء إلى تفضيل الخلطة على العزلة . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (ج ٢ / ص ١٤١)

(٦) ( حم ) ٢١٦٣٠ ، ( ت ) ٢٦٥٨ ، انظر صحيح الجامع : ٦٦٧٦ ، صحيح الترغيب والترهيب : ٤." [1]

"فضائل الأعمال

أحاديث جامعة في فضائل الأعمال

( م ت س ) ، عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" الطهور شطر الإيمان (١) الوضوء شطر الإيمان (٢) إسباغ الوضوء شطر الإيمان (٣) والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض والتسبيح والتكبير يملأ السموات والأرض (٤) والصلاة نور (٥) والصدقة برهان (٦) والزكاة برهان (٧) والصبر ضياء (٨) والقرآن حجة لك أو عليك (٩) كل الناس يغدو (١٠) فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها (١١) " (١٢)

---

(١) قال النووي : اختلف العلماء في معناه ، فقيل : معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان ، وقيل : معناه أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا ، وكذلك الوضوء ، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان ، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر ، وقيل : المراد بالإيمان هنا الصلاة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ ، والطهارة شرط في صحة الصلاة ، فصارت كالشطر ، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا ، وهذا القول أقرب الأقوال ، ويحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ، والطهارة متضمنة الصلاة فهي انقياد في الظاهر انتهى . تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٢) ( ت ) ٣٥١٧

(٣) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٢/٢٦٤

(٤) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

(٥) أي : أنها تمنع من المعاصي ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به ، وقيل : معناه أنه يكون أجرها نورا لصاحبها يوم القيامة ، وقيل : لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ، وقيل : معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ، ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل . تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٦) أي : الصدقة دليل على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها ، لكونه لا يعتقدها ، فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه . تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٧) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

(٨) قال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة ، والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب . تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٩) أي : تنتفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك . تحفة الأحوذي

(١٠) الغدو : السير والذهاب أول النهار .

(١١) أي : كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أي : يهلكها . تحفة الأحوذي

(١٢) ( م ) ١ - ( ٢٢٣ ) ، ( ت ) ٣٥١٧ ، ( جة ) ٢٨٠ ، ( حم ) ٢٢٩٥٩." [1]

"( م ت س ) ، عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" الطهور شطر الإيمان (١) الوضوء شطر الإيمان (٢) إسباغ الوضوء شطر الإيمان (٣) والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض والتسبيح والتكبير يملأ السموات والأرض (٤) والصلاة نور (٥) والصدقة برهان (٦) والزكاة برهان (٧) والصبر ضياء (٨) والقرآن حجة لك أو عليك (٩) كل الناس يغدو (١٠) فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها (١١) " (١٢)

---

(١) قال النووي : اختلف العلماء في معناه ، فقيل : معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان ، وقيل : معناه أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا ، وكذلك الوضوء ، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان ، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر ، وقيل : المراد بالإيمان هنا الصلاة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ ، والطهارة شرط في صحة الصلاة ، فصارت كالشطر ، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا ، وهذا القول أقرب الأقوال ، ويحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ، والطهارة متضمنة

---

[1] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١١٥٢/٢

الصلاة فهي انقياد في الظاهر انتهى . تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٢) ( ت ) ٣٥١٧

(٣) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

(٤) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

(٥) أي : أنها تمنع من المعاصي ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به ، وقيل : معناه أنه يكون أجرها نورا لصاحبها يوم القيامة ، وقيل : لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ، وقيل : معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ، ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل . تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٦) أي : الصدقة دليل على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها ، لكونه لا يعتقدها ، فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه . تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٧) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

(٨) قال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة ، والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب . تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٩) أي : تنتفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك . تحفة الأحوذي

(١٠) الغدو : السير والذهاب أول النهار .

(١١) أي : كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أي : يهلكها . تحفة الأحوذي

(١٢) ( م ) ١ - ( ٢٢٣ ) ، ( ت ) ٣٥١٧ ، ( جة ) ٢٨٠ ، ( حم ) ٢٢٩٥٩." [١]

"( جة ) ، وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" يقول الله سبحانه : يا ابن آدم ، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثوابا دون الجنة (١) " (٢)

---

(١) أي : إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع ، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر . فتح الباري لابن حجر - (ج ٤ / ص ٣٢٦)

(٢) ( جة ) ١٥٩٧ ، انظر صحيح الجامع : ٨١٤٣ ، المشكاة : ١٧٥٨." [٢]

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٢/١٢٨٣

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٢/١٩٩٠

"( م ت س ) ، عن أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :
" الطهور شطر الإيمان (١) الوضوء شطر الإيمان (٢) إسباغ الوضوء شطر الإيمان (٣) والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض والتسبيح والتكبير يملأ السموات والأرض (٤) والصلاة نور (٥) والصدقة برهان (٦) والزكاة برهان (٧) والصبر ضياء (٨) والقرآن حجة لك أو عليك (٩) كل الناس يغدو (١٠) فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها (١١) " (١٢)

---

(١) قال النووي : اختلف العلماء في معناه ، فقيل : معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان ، وقيل : معناه أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا ، وكذلك الوضوء ، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان ، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر ، وقيل : المراد بالإيمان هنا الصلاة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ ، والطهارة شرط في صحة الصلاة ، فصارت كالشطر ، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا ، وهذا القول أقرب الأقوال ، ويحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ، والطهارة متضمنة الصلاة فهي انقياد في الظاهر انتهى . تحفة الأحوذي – (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٢) ( ت ) ٣٥١٧

(٣) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

(٤) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

(٥) أي : أنها تمنع من المعاصي ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به ، وقيل : معناه أنه يكون أجرها نورا لصاحبها يوم القيامة ، وقيل : لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ، وقيل : معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ، ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل . تحفة الأحوذي – (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٦) أي : الصدقة دليل على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها ، لكونه لا يعتقدها ، فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه . تحفة الأحوذي – (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٧) ( س ) ٢٤٣٧ ، ( جة ) ٢٨٠

(٨) قال إبراهيم الخواص : الصبر **هو الثبات على** الكتاب والسنة ، والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب . تحفة الأحوذي – (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٩) أي : تنتفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك . تحفة الأحوذي

(١٠) الغدو : السير والذهاب أول النهار .

(١١) أي : كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان

والهوى باتباعهما فيوبقها أي : يهلكها . تحفة الأحوذي

(١٢) ( م ) ١ - ( ٢٢٣ ) ، ( ت ) ٣٥١٧ ، ( جة ) ٢٨٠ ، ( حم ) ٢٢٩٥٩." [١]

"( ٣ ) الصبر عند الصدمة الأولى

( خ م حم ) ، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

( " مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بامرأة تبكي عند قبر فقال لها : اتقي الله واصبري " ، فقالت له : إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه - ) (١) ( " فجاوزها ومضى " ، فمر بها رجل فقال : ما قال لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ ، قالت : ما عرفته ، قال : إنه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ) (٢) ( فأخذ بها مثل الموت ) (٣) ( فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بوابا ، فقالت : يا رسول الله والله ما عرفتك ) (٤) ( فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إنما الصبر عند الصدمة الأولى (٥) " ) (٦)

---

(١) ( خ ) ١٢٢٣ ، ( م ) ١٥ - ( ٩٢٦ )

(٢) ( خ ) ١٢٢٣ ، ( م ) ١٥ - ( ٩٢٦ )

(٣) ( حم ) ١٢٤٨٠ ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح .

(٤) ( خ ) ٦٧٣٥ ، ( م ) ١٥ - ( ٩٢٦ )

(٥) قوله : ( إنما الصبر عند الصدمة الأولى ) المعنى إذا **وقع الثبات أول** شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر ، وأصل الصدم ضرب الشيء الصلب بمثله ، فاستعير للمصيبة الواردة على القلب ، قال الخطابي : المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة ، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو .

وقال الطيبي : صدر هذا الجواب منه - صلى الله عليه وسلم - عن قولها لم أعرفك على أسلوب الحكيم كأنه قال لها : دعي الاعتذار فإني لا أغضب لغير الله وانظري لنفسك .

وقال الزين بن المنير : فائدة جواب المرأة بذلك أنها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى والصبر معتذرة عن قولها الصادر عن الحزن بين لها أن حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال ، فهو الذي يترتب عليه الثواب انتهى . ويؤيده أن في رواية أبي هريرة المذكورة " فقالت أنا أصبر ، أنا أصبر " . فتح الباري لابن حجر - (ج ٤ / ص ٣٢٦)

(٦) ( خ ) ١٢٢٣ ، ( م ) ١٥ - ( ٩٢٦ ) ، ( د ) ٣١٢٤ ، ( ت ) ٩٨٨ ، ( س ) ١٨٦٩." [٢]

"( جة ) ، وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" يقول الله سبحانه : يا ابن آدم ، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثوابا دون الجنة (١) " (٢)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٧٣٢/٣

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٧٤٠/٣

---

(١) أي : إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع ، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر . فتح الباري لابن حجر - (ج ٤ / ص ٣٢٦)

(٢) ( جة ) ١٥٩٧ ، انظر صحيح الجامع : ٨١٤٣ ، المشكاة : ١٧٥٨." (١)

"( جة ) ، وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" يقول الله سبحانه : يا ابن آدم ، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثوابا دون الجنة (١) " (٢)

---

(١) أي : إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع ، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر . فتح الباري لابن حجر - (ج ٤ / ص ٣٢٦)

(٢) ( جة ) ١٥٩٧ ، انظر صحيح الجامع : ٨١٤٣ ، المشكاة : ١٧٥٨." (٢)

"( ٢ ) النصيحة لأئمة المسلمين

( حم ) ، وعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا (١) إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر (٢) ولزوم جماعة المسلمين (٣) فإن دعوتهم تحيط (٤) من ورائهم (٥) " (٦)

---

(١) ( لا يغل ) : من غل إذا خان ، أو من غل يغل إذا صار ذا حقد وعداوة ، أي : دوام المؤمن على هذه الخصال لا يدخل في قلبه خيانة أو حقد يمنعه من تبليغ العلم ، فينبغي له الثبات على هذه الخصال . حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٦ / ص ١١١)

(٢) أي : إرادة الخير ولو للأئمة ، وفيه أن إرادة النصح للأئمة يكفي في إرادته لكل أحد ، لأن فساد الرعاة يتعدى آثاره إليهم . حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ١ / ص ٢١٤)

(٣) أي : موافقة المسلمين في الإعتقاد والعمل الصالح ، من صلاة الجمعة والجماعة وغير ذلك . مرقاة المفاتيح - (ج ٢ / ص ١٤١)

(٤) أي : تحفظ وتكنف .

(٥) أي أن دعوة المسلمين قد أحاطت بهم ، فتحرسهم عن كيد الشيطان وعن الضلالة ، وفيه تنبيه على أن من خرج عن جماعتهم لم ينل بركتهم وبركة دعائهم ، لأنه خارج عما أحاطت بهم من ورائهم ، وفيه إيماء إلى تفضيل الخلطة على العزلة .

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٧٤١/٣

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٧٤٢/٣

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (ج ٢ / ص ١٤١)

(٦) ( حم ) ٢١٦٣٠ ، ( ت ) ٢٦٥٨ ، انظر صحيح الجامع : ٦٦٧٦ ، صحيح الترغيب والترهيب : ٤." [١]

" **أوان الثبات والمسكة** فاختلست لمعة من ظلمة الدهر وانتهزت رقدة من عين الزمان واغتنمت نبوة من أنياب النوائب وخفة من زحمة الشوائب واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة وتحريرها من بين النسخ الكثيرة بعد أن غيرت ترتيبها وجددت تبويبها وأعدت ترصيفها وأحكمت تأليفها وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه وفيها عيشه فلا يزال ينقض أركانها ويعيد بنيانها ويستجدها على أنحاء عدة وهيئات مختلفة ويستضيف إليها مجالس كالطواوس ويستحدث فيها كنائس كالعرائس ثم يقورها آخر الأمر قوراء توسع العين قرة والنفس مسرة ويدعها حسناء تخجل منها الدور وتتقاصر عنها القصور

فإن مات فيها مغفورا له انتقل من جنة إلى أخرى وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلا وسبقهم يسيرا ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ولم تفتض عذره ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره وتشتمل من نسج طباعهم وسبك أفهامهم وصوغ أذهانهم على الحلل الفاخرة الفائقة والحلى الرائقة الشائقة وتتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار وأطيب من فوح نسيم الأسحار بروائح الأنوار والأزهار ما ." [٢]

" ( رأيت سيوفا قد سللن على الثرى ... وصارت لها أيدي الرياح صياقلا )

( وروض كعيش السائليك نضارة ... ووجهك بشرا حين تلحظ آملا )

( أصائله للنور أضحت هواجرا ... هواجره للطيب أضحت أصائلا )

( هي الدار أمست مطرح العلم فاغتدى ... لها ناهل الآمال ريان ناهلا )

( إذا ما انتحاها اركب لم يتطلبوا ... إليها دليلا غير من كان قافلا )

( وأنت امرؤ أعطيت ما لو سألته ... إلهك قال الناس أسرفت سائلا )

( وإني وإلزاميك بالشعر بعدما ... تعلمته منك الندى والفواضلا )

(كملزم رب الدار أجرة داره ... ومثلك أعطى من طريقين نائلا ) - الطويل -

وأنشدني أيضا لنفسه فيها

( بنيت الدار عالية ... كمثل بنائك الشرفا )

( فلا زالت رءوس عداك ... في حيطانها شرفا ) - مجزوء الوافر -

ذكر البرذونيات

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١٧١٨/٣

(٢) قرى الضيف، ٢٨/١

لما نفق برذون أبي عيسى بن المنجم بأصبهان وكان أصدا قد حمله الصاحب عليه وطالت عليه وطالت صحبته له أوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين في جملته أن يغزو أبا عيسى ويرثوا أصداه فقال كل منهم قصيدة فريدة فمن قصيدة أبي القاسم الزعفراني

(كن مدى الدهر في حمى النعماء ... مستهينا بحادث الأرزاء )

( ينثني الخطب حين يلقاك عن طود ... **شديد الثبات للنكباء** ) ." [1]

" وقوله في الفرس

( حكى فرسي الليل في لونه ... ولازمه البدر عند اضطرار )

( فكان له غرة في التمام ... ونعلا لحافره في السرار )

وقوله في الهلال

( أقبل الليل والظلام ... عن الأفق منجلي )

( فرأيت الهلال فيه ... كتعفيف منجل )

وقوله

( إذا ما تبينت ضعف العدو ... فثاوره تجربه **عند الثبات** )

( وسالمه إن عصفت ريحه ... كما سالم الريح نجم النبات )

وقوله في الغزل

( أرى شفتيك من مسك وخمر ... وطعمهما إذا ما ذيق مر )

( فإن يمرر كلامك ليس بدعا ... فإن ممره مسك وخمر )

وقوله في الأمير أبي أحمد محمد وبكائه على أبيه

( لا غرو أن تأسى على ملك مضى ... أذرت مدامعها عليه عيون )

( ولئن بكيت وأنت طود للنهى ... فلقد تسيل من الجبال عيون )

٩٤ - أبو القاسم إبراهيم بن عبد الله الكاتب الطائي

من أفراد الكتاب وفضلاء الزمان نقل من الري إلى الحضرة بغزنة حرسها الله تعالى واستخدم في ديوان الرسائل بها ثم ضم إلى الشيخ العميد أبي الطيب طاهر بن ." [2]

" من رأى رجلا به بلاء فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا إلا كان شكر تلك النعمة

قال نصر ومحمد بن جابر إلا عوفي من ذلك البلاء

---

(١) قرى الضيف، ٢٥٣/٣

(٢) قرى الضيف، ١٥١/٥

٤ – حدثنا محمد بن جابر قال حدثنا أبو سلمة التبوذكي قال حدثنا سلام عن قتادة

وفي قوله تعالى إن ربنا لغفور شكور قال غفر لهم الذنب العظيم وشكر لهم اليسير

٥ – حدثنا أبو موسى عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال قال شداد بن أوس

احفظوا عني ما أقول لكم سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول

إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب [ ١٢٨آ ] ." (١)

"٥ – حدثنا أبو موسى عمران بن موسى قال : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، قال : قال شداد بن أوس : احفظوا عني ما أقول لكم ، سمعت رسول الله A يقول : « إذا كنز الناس الذهب والفضة ، فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر ، والعزيمة على الرشد (١) ، وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب »

---

(١) الرشْد : خلافُ الغَيِّ ، وهو من الهداية والصواب." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم. رب زدني علماً وفهماً

الحمد لله جامع الشتات، ومخرج النبات، ومحيي الرفات، أحمده حمد من يسأله على ذلك الثبات. وأشهد أن لا إله إلا هو، شهادةً أدخرها ليوم الممات. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنقذ به من الهلكات، المظهر على يديه من المعجزات خوارق العادات. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً تتضاعف على مر الأوقات.

وبعد،

فإنه كان من جملةٍ نعم الله تعالى علي، وعميم إحسانه إلي، أن قيض له في حال النشأة والصغر من فعل في حقي عنايةً ظهرت بركاتها أوان الشيخوخة والكبر، فحملني إلى مجالس الحديث، وأثبت اسمي في أهل الرواية والتحديث، وأخذ لي خطوط جماعة كبيرة، وثلة خطيرة من متعيني الرواة، وممن تقدم دروجه بالوفاة، والمتولي لذلك هو جدي الشيخ الأجل الصالح أبو القاسم هبة الله بن رمضان ابن أبي العلاء المقرئ –تغمده الله تعالى برضوانه، وأسكنه غرف جنانه– فاستخرت الله تعالى، وخرجت في هذا الكتاب جملةً من مشايخي المجيزين، متكلماً على حال كل واحد منهم على جهة الاختصار، متجنباً في ذلك للتطويل والإكثار، مرتباً لهم على قدم وفياتهم –أعاد الله تعالى علينا من بركاتهم– وخرجت في ترجمة كل شخص منهم

---

(١) فضيلة الشكر. موافق. ط الفكر، ص/٣٤

(٢) فضيلة الشكر لله على نعمته. مفهرس، ص/٦

حديثاً واحداً ليكون ذلك لي إن شاء الله تعالى يوم القيامة شاهداً فيها عليه بحسب ما يقتضيه الحال، منكباً عما يفضي إلى السآمة والإملال. وبدأت بذكر جدي المذكور أول الكتاب لما أشرت إليه في ترجمته من الأسباب. وإلى الله –سبحانه– الرغبة في حسن النية، وأن ينفعنا بذلك وسائر المسلمين بفضله – ورحمته. آمين.." (١)

" فإن قال فمن أين اصطلحوا على جعل علامته علامة الحركة قيل من وجهين أحدهما أنه لما كان مخصوصا بمتابعة الحركات دون السواكن جعلوا علامته في النقط علامتهن إشعارا بذلك التخصيص وإعلاما به والثاني أن الحركة لما لزمت أوائل الكلم ولزم التنوين أواخرهن واجتمعا معا **في الثبات في** الوصل والحذف في الوقف تأكد ما بين الحركة والتنوين بذلك فجعلت علامته علامتها دلالة على ذلك التأكيد وتنبيها على تناسب ما بينهما في أن كل واحد منهما يثبت بثبات الآخر ويسقط بسقوطه

فإن قيل فهلا جعلوا علامته السكون من حيث كان ساكنا قيل لم يفعلوا ذلك لما عدمت صورته في الخط لزيادته والسكون والحركة لا يجعلان إلا في حرف ثابت الخط قائم الصورة

فإن قيل فلم لم يرسم نونا في الخط على اللفظ قيل لم يرسم نونا من حيث كان زائدا في الاسم الذي يلحق آخره فرقا بين ما ينصرف وبين ما لا ينصرف من الاسماء لئلا يشتبه الزائد لمعنى الذي يلحقه التغيير في بعض الاحوال بالأصلي اللازم الذي لا يتغير كقوله وأحسن كما أحسن الله إليك و لا تمنن تستكثر و لا تحزن عليهم وشبه ذلك فلو رسم التنوين نونا وهو زائد يتغير في حال الوقف لاشتبه بالنون الاصلية في هذه المواضع التي لا يلحقها تغيير في وصل ولا وقف ففرق بينهما بالحذف والإثبات ." (٢)

" ومنهم من يجعل إحدى النقطتين وهي الحركة على الحرف المتحرك ويجعل الثانية وهي التنوين على الالف وعلى الياء وصورة ذلك في الالف كما ترى عذابا أليما ملجئا جزءا وفي الياء مولى عن مولى و غزى و سوى وشبهه

ومنهم من يجعل نقطة واحدة على الحرف المتحرك ونقطتين على الالف وصورة ذلك كما ترى وعادا وثمودا و مثلا رجلا ردءا وفي الياء هدى عمى غزى سدى وشبهه وذهب الى هذين الوجهين قوم من متأخري النقاط ولا إمام لهم فيهما علمناه

فأما علة من جعل النقطتين معا على الالف فإنه لما كان التنوين ملازما للحركة متابعا لها غير منفك منها ولا منفصل عنها في حال الوصل ولا منفرد دونها في اللفظ يلزمه ما يلزمها **من الثبات في** الوصل ويلحقه ما يلحقها من الحذف في الوقف وكان النقط كما قدمناه موضوعا على الوصل دون الوقف بدليل تعريبهم أواخر الكلم وتنوينهم المنون منها وكان ذلك من فعل من ابتدأ بالنقط من السلف الذين مخالفتهم خروج عن الاتباع ودخول في الابتداع وكان الذين عنوا بكتابة

---

(١) مشيخة النعال، ص/٥٥

(٢) نقط المصاحف، ص/٥٩

المصاحف من الصحابة رضي الله عنهم قد رسموا بعد الحرف المتحرك في جميع ما تقدم ألفا وهي التي تعوض من التنوين في حال الوقف أو ياء تعود الفا فيه ولم يكن بد من إثبات علامته ." (١)

"باب أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا محمد بن كثير العبدي أنبأنا سفيان عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن طليق بن قيس الحنفي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي واهدني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شكارا لك ذكارا لك أواها لك مطواعا إليك مخبتا إليك أواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن يحي بن سعيد القطان حدثنا أبي قال حدثني عمرو بن مرة قال حدثني عبد الله بن الحارث المعلم قال حدثني طليق بن قيس فذكر نحوه أخبرنا أبو يعلى حدثنا كامل بن طلحة حدثنا حماد بن سلمة عن سعيد

الجريري عن أبي العلاء عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر وعزيمة الرشد وشكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم أخبرنا عمر بن محمد بن بجير الهمداني حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب قال حدثني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو اللهم اغفر لنا ذنوبنا وظلمنا وهزلنا وجدنا وعمدنا وكل ذلك عندنا اللهم أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العباد وشماتة الأعداء أخبرنا محمد بن المعافى العابد بصيداء حدثنا هشام بن عمار حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم." (٢)

"قال خرجت مع شداد بن أوس فنزلنا منزل الصفر فقال ائتوني بالسفرة نعبث بها فكانوا يحفظونها منه فقال يا بني أخي لا تحفظوها عني ولكن احفظوا مني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم فاكتنز أبي هؤلاء الكلمات اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون حدثنا أبو ثور حدثنا علي بن الحسن ابن شقيق حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر بن عبيد الله قال سمعت أبا إدريس الخولاني أنه سمع النواس بن سمعان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك قال والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويخفض قوما باب أخبرنا عبد الله بن

محمد الأزدي حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن سلمان بن عامر الكلاعي عن أوسط بن عامر البجلي قال قدمت المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أبا بكر يخطب

---

(١) نقط المصاحف، ص/٦١

(٢) موارد الظمآن، ص/٥٩٩

الناس وقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أول فخنقته العبرة ثلاث مرات ثم قال أيها الناس سلوا الله المعافاة فإنه لم يعط أحد مثل اليقين بعد المعافاة ولا أشد من الريبة بعد الكفر وعليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور وهما في النار حدثنا ابن قتيبة حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح قال سمعت عبد الملك بن الحارث الفهمي عن أبي هريرة قال سمعت أبا بكر رضوان الله عليه على هذا المنبر يقول فذكر نحوه باختصار إلا أنه قال لن تؤتوا شيئا بعد كلمة الإخلاص مثل العافية فسلوا الله العافية." (١)

"١٩٨٩- إذا رأيت الناس تنافسوا الذهب والفضة فادع بهذه الدعوات اللهم إنى **أسألك الثبات فى** الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك والصبر على بلائك وحسن عبادتك والرضا بقضائك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم (الطبرانى فى الكبير والأوسط عن البراء)

أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٥/٢ ، رقم ١١٧٢) ، والأوسط (٢٤٨/٧ ، رقم ٧٤٠٨) . قال الهيثمى (١٧٣/١٠) : فيه موسى بن مطير ، وهو متروك .

ومن غريب الحديث : "عزيمة الرشد" : هو حسن التصرف فى الأمر والإقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم .

١٩٩٠- إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أنامله فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة أمر نفسك ودع عنك أمر العامة (الحاكم عن ابن عمرو)." (٢)

"أخرجه ابن حبان فى الضعفاء (١٤٩/٣ ، ترجمة ١٢٦١) ، والذهبى فى الميزان (٣٥٣/٧ ، ترجمة ١٠٠٩٥) ، والحافظ فى اللسان (٣٢/٧ ، رقم ٣٠٠) جميعا فى ترجمة مولى للزهرى سماه ابن حبان أبو جرير ، وقال : لا تحل الرواية عنه بحال إلا على سبيل الاعتبار . وسماه الذهبى والحافظ : أبا حرب .

١٨٥٧٨- لقنوا موتاكم لا إله إلا الله **وقولوا الثبات الثبات** ولا قوة إلا بالله (الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة)

أخرجه أيضا : الطبرانى فى الصغير (٢٥٤/٢ ، رقم ١١١٩) ، وابن عساكر (٣٩/٦٣) . قال الهيثمى (٣٢٣/٢) : هو فى الصحيح باختصار ، رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ، وفيه عمر بن صهبان .

١٨٥٧٩- لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ولا تملوهم فإنهم فى سكرات الموت (الديلمى عن أبى هريرة)

أخرجه أيضا : تمام (٩٨/٢ ، رقم ١٢٤١) مختصرا .." (٣)

"٢٥٩٥٨- يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فاكنز أنت هؤلاء الكلمات اللهم إنى **أسألك الثبات فى** الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك يقينا صادقا وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب (ابن أبى شيبة ، وابن سعد ، وأحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والطبرانى ، والحاكم ، وأبو نعيم فى الحلية عن شداد بن أوس)

---

(١) موارد الظمآن، ص/٦٠٠

(٢) جامع الأحاديث، ١٧٢/٣

(٣) جامع الأحاديث، ٤٥٣/١٧

أخرجه ابن أبى شيبة (٤٦/٦ ، رقم ٢٩٣٥٨) ، وأحمد (١٢٣/٤ ، رقم ١٧١٥٥) ، وابن حبان (٣١٠/٥ ، رقم ١٩٧٤) ، والطبرانى (٢٧٩/٧ ، رقم ٧١٣٥) ، والحاكم (٦٨٨/١ ، رقم ١٨٧٢) وقال : صحيح على شرط مسلم . وأبو نعيم فى الحلية (٧٧/٦) . وأخرجه أيضا : النسائى (٥٤/٣ ، رقم ١٣٠٤) .

[ ياء النداء مع الصاد ]." (١)

"٣٦٣٩٩- عن موسى بن مطير عن أبى إسحاق قال : قال لى البراء بن عازب ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إذا رأيت الناس قد تنافسوا الذهب والفضة فادع بهذه الدعوات : اللهم إنى **أسألك الثبات فى** الأمر ، وأسألك عزيمة الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، والصبر على بلائك ، وحسن عبادتك ، والرضا بقضائك ، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم (الطبرانى ، وأبو نعيم قال فى المغنى موسى بن مطير قال غير واحد متروك الحديث) [كنز العمال ٨٥٧٦]

أخرجه الطبرانى (٢٥/٢ ، رقم ١١٧٢) .

٣٦٤٠٠- عن البراء قال : كان أبى سفيان يقود بالنبى - صلى الله عليه وسلم - بغلته يوم حنين فلما غشى النبى - صلى الله عليه وسلم - المشركون نزل وهو يرتجز :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال فما رؤى من الناس أشد منه (ابن جرير) [كنز العمال ٣٠٢٠٨]

أخرجه ابن جرير فى التاريخ (١٦٨/٢) .." (٢)

"٣٨٠٨٢- عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن رجل من أهل بلقين قال : دخلت أنا وصاحب لى على شداد بن أوس فقال : أذودكما حديثا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمناه فى الحضر والسفر فأملى علينا وكتبناه : بسم الله الرحمن الرحيم : اللهم إنى **أسألك الثبات فى** الأمر ، وأسألك عزيمة الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك يقينا صادقا ، وأسألك قلبا سليما ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب ، قال شداد : قال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فأكنز أنت هؤلاء الكلمات (ابن عساكر) [كنز العمال ٥١١٤]

أخرجه ابن عساكر (٤١٢/٢٢) .." (٣)

"٤٤٧٥٩- اللهم إنى **أسألك الثبات فى** الأمر ، وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأسألك من خير ما تعلم واستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب (الترمذى ، والنسائى عن شداد بن أوس)

---

(١) جامع الأحاديث، ٢٥١/٢٣

(٢) جامع الأحاديث، ٣٥٥/٣٣

(٣) جامع الأحاديث، ٢٠٦/٣٥

٤٤٧٦٠- اللهم إنى أسألك العفة والعافية ، فى دنياى ودينى وأهلى ومالى اللهم استر عورتى وآمن روعتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بك أن أغتال من تحتى (البزار عن ابن عباس)." (١)

" | يدعو يقول : | ' رب عني ولا تعن علي ، وانصرني على من بغى علي ، رب اجعلني | لك شكارا ، لك ذكارا ، لك رهابا ، لك مطواعا ، لك مخبتا ، إليك أواها | منيبا ، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبت حجتي ، | وسدد لساني ، وأهد قلبي ، واسلل سخيمة صدري ' . |

[ ١٨٧ ] وروى بريدة قال : سمع رسول اللَّهِ [ ] رجلا | يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك اللَّهِ الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد | الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال : | ' قد سأل باسم اللَّهِ الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به | أجاب ' . |

[ ١٨٨ ] وروى شداد بن أوس عن النبي [ ] قال : | ' إذا أكثر الناس الذهب والفضة ، فأكثروا هؤلاء الكلمات : اللهم إني | **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، | وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، وأسألك لسانا صادقا ، | وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، | إنك أنت علام الغيوب ' . |

---

". (٢)

" الناس والها

قال عطاء طوبي لمن نفعه عيشه فكان طول عمره زيادة في عمله ما أرى عطاء كذلك ثم بكى

٢٣٩ - حدثنا أبو بكر حدثنا أبو عبد الله العجلي حدثنا عمرو بن محمد حدثني عبد العزيز بن أبي رواد قال كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدا وجعل في قبلته سبعة أحجار فكان إذا قضى صلاته قال يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله قال فمرض الرجل فعرج بروحه قال فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى النار فرأيت حجرا من تلك الحجارة أعرفه قد عظم فسد عني باب جهنم قال ثم أتى إلى الباب الآخر فإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه بعينه قد عظم فسد عني بابا من أبواب جهنم قال حتى سد عني بقية الأحجار أبواب جهنم

٢٤٠ - حدثنا أبو بكر حدثني محمد بن موسى الصائغ حدثنا عبد الله بن نافع قال كانت امرأة متعبدة لها نوى تسبح الله تعالى بهن فرأت ذات ليلة في منامها كأن ذلك النوى قائم على سوقه ثلاث صفوف الصف الأول يقول سبحان الله **دائم الثبات والثاني** يقول سبحان مخرج النبات والثالث يقول سبحان محيي الأموات

٢٤١ - حدثنا أبو بكر حدثنا يوسف بن أبي سلام قال رأيت في المنام كأن تاليا يتلو قرآنا والآخر يبكي فلما أمسك التالي عن القراءة قال ذلك الباكي طوبي لمن غمرت أحزان الآخرة قلبه

---

(١) جامع الأحاديث، ٢٣٥/٤١

(٢) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، ص/٢٥٩

٢٤٢ – حدثنا أبو بكر حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم ." (١)

"٩٢٨– (أخبرنا) : الثقة، أنبأنا: ابن أبي نجيح، أو سفيان، أو هما، عن هشام بن عروة، عن أبيه:

–أن ابن عمر كان يحرك ف محسر، ويقول شعرا: –[٣٥٩]–

إليك تعدو قلقا وضينها * مخالفا دين النصارى دينها (محسر بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة: موضع بمنى وقيل واد بين عرفات ومنى والوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والتصدير للرحل والحزام للسرج وقيل هو بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير ووضين قلق: سريع الحركة فهو وصف بالخفة وقلة الثبات كالحزام إذا كان رخوا وفي اللسان أنشد أبو عبيدة:

إليك تعدو قلقا وضينها * معترضا في بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

أراد دينه لأن الناقة لا دين لها قال ابن بري وهذه الأبيات يروى أن ابن عمر أنشدها لما اندفع من جمع ووردت في حديثه أراد أنها قد هزلت ودقت للسير عليها قال ابن الأثير أخرجه البروي والزمخشري عن ابن عمر وأخرجه الطبراني في المعجم عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفات وهو يقول: إليك تعدو قلقا وضينها اهـ وتعدو: تقارب الهرولة ومشيها والعدو دون الجري) .." (٢)

"٢٩٣٥٨ – حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن شداد بن أوس، أنه قال: احفظوا عني ما أقول، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هذه الكلمات، اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»." (٣)

"١٧١١٤ – حدثنا روح، قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، قال: كان شداد بن أوس، في سفر، فنزل منزلا، فقال لغلامه: ائتنا بالسفرة نعبث بها، فأنكرت عليه، فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه، فلا تحفظوها علي، واحفظوا مني ما أقول لكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، وأسألك لسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب "." (٤)

---

(١) المنامات، ص/١١٥

(٢) مسند الشافعي – ترتيب السندي الشافعي ٣٥٨/١

(٣) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٤٦/٦

(٤) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٣٣٨/٢٨

"١٧١٣٣ – قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات ندعو بهن في صلاتنا، أو قال في دبر صلاتنا: «اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأستغفرك لما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم»." (١)

"بين دفتي المصحف، فما وجدت فيه الذي تقول!، قال: فهل وجدت فيه ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؟، قالت: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نهى عن النامصة، والواشرة، والواصلة، والواشمة إلا من داء، قالت المرأة: فلعله في بعض نسائك؟، قال لها: ادخلي، فدخلت، ثم خرجت فقالت: ما رأيت بأسا، قال: ما حفظت إذن وصية العبد الصالح: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾.

٣٩٤٦ – حدثنا أسود بن عامر قال أخبرنا أبو بكر عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان".

٣٩٤٧ – حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا يدخل الجنة رجل في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال ذرة من إيمان".

٣٩٤٨ – حدثنا أسود أخبرنا أبو بكر عن الحسن بن عمرو عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن المؤمن ليس باللعان ولا الطعان ولا الفاحش ولا البذيء".

٣٩٤٩ – حدثنا روح وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة، قال

---

(٣٩٤٦) إسناده صحيح، وهو مختصر ٣٥٧٦، ٣٥٩٧.

(٣٩٤٧) إسناده صحيح، وهو مكرر ٣٩١٣.

(٣٩٤٨) إسناده صحيح، الحسن بن عمرو: هو الفقيمي. محمد بن عبد الرحمن بن يزيد: هو النخعي. والحديث مكرر ٣٨٣٩.

(٣٩٤٩) إسناده صحيح، والقسم الثاني منه، في **فضل الثبات في** الغزو، رواه أبو داود ٢: ٣٢٦ من طريق حماد، والقسم الأول منه، في قيام الليل، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢: =." (٢)

---

(١) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٣٥٦/٢٨

(٢) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ٩٥/٤

"وقول الله عز وجل: ﴿انفروا خفافا وثقالا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، لو كان عرضا قريبا، وسفرا قاصدا لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله﴾ [التوبة: ٤٢] الآية وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ [التوبة: ٣٨] إلى قوله ﴿على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ٢٠] يذكر عن ابن عباس: ﴿انفروا ثبات﴾ سرايا متفرقين " يقال: **أحد الثبات ثبة** "

__________ W [ ش (انفروا) اجرجوا للجهاد إذا دعيتم. (خفافا وثقالا) أغنياء وفقراء وقيل غير ذلك والمعنى اخرجوا في جميع الأحوال حسب طاقتكم وغاية جهدكم. (عرضا) غنيمة ونحوها. (قاصدا سهلا قريبا ومتوسطا. (الشقة) السفر وطول المسافة. (الآية) وتتمتها ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون﴾. (يهلكون أنفسهم) يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب. (أثاقلتم) تباطأتم وتكاسلتم وملتم إلى المقام وترك الجهاد. (من الآخرة) بدل الآخرة. (إلى قوله) وتتمتها ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا. (يستبدل قوما غيركم) ينصرون نبيه ويقيمون دينه ويصونون شريعته. (ثبات) جمع ثبة وهي الجماعة]." (١)

"تصعدون: تذهبون، أصعد وصعد فوق البيت "

__________ W [ ش (تصعدون) من الإصعاد وهو الذهاب في الأرض والإبعاد فيها. (تلوون) تعرجون وتقيمون أي لا يلتفت بعضكم على بعض من شدة الهرب وأصله من لي العنق في الالتقات. (يدعوكم) يناديكم إلي يا عباد الله أنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من يكرمه الله تعالى بالشهادة فله الجنة. (في أخراكم) مؤخرتكم من خلفكم. (فأثابكم) فجازكم. (غما بغم) غما مضاعفا فكان غما بعد غم متصلا بغم من جرح وقتل وفوات الغنيمة وظفر العدو وغير ذلك. (لكيلا تحزنوا) لتتمرنوا **على الثبات وعدم** الحزن المضعف للعزائم عند نزول المصائب ولتبتعدوا عن كل ما يسبب الغم. (ما فاتكم) من الغنيمة وغيرها. (ما أصابكم) من القتل والجرح]." (٢)

"٤٣٣٧ – حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن معاذ، حدثنا ابن عون، عن هشام بن زيد بن أنس بن مالك، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما كان يوم حنين، أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم، ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف، ومن الطلقاء، فأدبروا عنه حتى بقي وحده، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: «يا معشر الأنصار». قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: «يا معشر الأنصار» قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء فنزل فقال: «أنا عبد الله ورسوله». فانهزم المشركون، فأصاب يومئذ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئا، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى، ويعطى الغنيمة غيرنا، فبلغه ذلك فجمعهم في قبة، فقال: «يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني عنكم» فسكتوا، فقال: «يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم» قالوا: بلى، فقال

---

(١) صحيح البخاري البخاري ٢٣/٤

(٢) صحيح البخاري البخاري ٩٩/٥

النبي صلى الله عليه وسلم: «لو سلك الناس واديا، وسلكت الأنصار شعبا، لأخذت شعب الأنصار» وقال هشام: قلت: يا أبا حمزة وأنت شاهد ذاك قال: «وأين أغيب عنه»

________ W4082 (١٥٧٦/٤) -[ ش (بنعمهم) ما عندهم من غنم وإبل ونحوها. (ذراريهم) أهليهم وأولادهم ليحثوهم على الثبات. (شديدة) قضية ذات شدة كالحرب. (تحوزونه) يكون لكم وفي جماعتكم من حازه إذا قبضه]

[ر ٢٩٧٧]." (١)

"إلى قوله: ﴿إنك إذا لمن الظالمين﴾ [البقرة: ١٤٥]

________ W [ ش (آية) حجة واضحة وبرهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة حق وأمر إلهي. (إلى قوله) وتتمتها ﴿وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم. ﴾ (أهواءهم) مرادهم وما يرضيهم. (العلم) الوحي الإلهي في شأن القبلة. (الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بتركهم الحق بعد وضوحه وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك ولكنه المنهج الإلهي في بيان أن الثبات على الحق الواضح المؤيد بالحجة والبرهان هو العدل وسبيل الظفر وأن اتباع الهوى والإعراض عن الهدى بعد استنارة الطريق ظلم فاحش وخسران بين أيا كان الفاعل]." (٢)

"٤٦٥٣ - حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا جرير بن حازم، قال: أخبرني الزبير بن خريت، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " لما نزلت: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ شق ذلك على المسلمين، حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف "، فقال: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) قال: «فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم»

________ W4376 (١٧٠٧/٤) -[ ش (الآن) اسم للوقت الذي أنت فيه والمعنى في هذا الوقت بعد ما ظهر منكم امتثال الأمر رغم ثقله على نفوسكم. (ضعفا) عدم جلد وقدرة على قتال عشرة أمثالكم / الأنفال ٦٦ /. وتتمتها ﴿وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾. (العدة) العدد الذي يجب عليهم الثبات عند لقائه. (نقص من الصبر) أي من صبر المسلمين وثباتهم عند لقاء عدوهم]

[ر ٤٣٧٥]." (٣)

"٢١١٤م - حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، حدثنا معاوية بن سلام، عن يحيى بن أبي كثير، عن عكرمة، عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحوه (١).

---

(١) صحيح البخاري البخاري ١٦٠/٥
(٢) صحيح البخاري البخاري ٢٢/٦
(٣) صحيح البخاري البخاري ٦٣/٦

١٢ - باب إبرار المقسم

٢١١٥ - حدثنا علي بن محمد، حدثنا وكيع، عن علي بن صالح، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن معاوية بن سويد بن مقرن

عن البراء بن عازب، قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإبرار المقسم (٢).

---

= وأخرجه البخاري (٦٦٢٥)، ومسلم (١٦٥٥) من طريق عبد الرزاق الصنعاني، عن معمر، بهذا الإسناد.

وهو في "مسند أحمد" (٧٧٤٣) وانظر تمام تخريجه فيه.

وانظر ما بعده.

قوله: "إذا استلج"، قال ابن الأثير: من اللجاج، ومعناه: أن يحلف على شيء، ويرى أن غيره خير منه، فيقيم على يمينه، ولا يحنث، فيكفر، فذلك آثم له. وقيل: هو أن يرى أنه صادق فيها مصيب، فيلج فيها ولا يكفرها.

وقال السندي: إذا حلف يمينا يتعلق بأهله، وهم يتضررون بالإصرار عليه، فاللائق به أن يحنث ويكفر عن يمينه، **وأما الثبات على** اليمين، والإصرار عليه، وترك الحنث، فهو لجاج.

"فإنه آثم له"، أي: أكثر إثما من الكفارة، وآثم بالمد اسم تفضيل، وصيغة التفضيل باعتبار ظن الحالف بلجاجه في حنثه وتكفيره إثما، وإلا فلا إثم فيهما، أي: في الحنث والتكفير.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه البخاري (٦٦٢٦) عن إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه، عن يحيى بن صالح الوحاظي، بهذا الإسناد.

وانظر ما قبله.

(٢) إسناده صحيح. =." (١)

"٣٠٥٧ - حدثنا إسماعيل بن توبة، حدثنا زافر بن سليمان، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة، عن مرة (١)

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على ناقته المخضرمة بعرفات، فقال: "أتدرون أي يوم هذا، وأي شهر هذا، وأي بلد هذا؟ " قالوا: هذا بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرام، قال: ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام، كحرمة شهركم هذا، في بلدكم هذا، في يومكم هذا، ألا وإني فرطكم على الحوض، وأكاثر بكم الأمم، فلا تسودوا وجهي، ألا وإني مستنقذ أناسا، ومستنقذ مني أناس، فأقول: يا رب، أصيحابي؟ فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" (٢).

---

= قال السندي في حاشيته على "المسند": قوله: "لا يغل"، بكسر الغين المعجمة وتشديد اللام على المشهور، والياء تحتمل الضم والفتح، فعلى الأول: من أغل: إذا خان، وعلى الثاني من غل: إذا صار ذا حقد وعداوة.

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ٣/٢٥٠

و"عليهن" في موضع الحال، أي: ثلاث خصال، لا يخون قلب المؤمن، أو لا يدخل فيه الحقد كائنا عليهن، أي: ما دام المؤمن على هذه الخصال لا يدخل في قلبه خيانة أو حقد يمنعه من تبليغ العلم، فينبغي له الثبات على هذه الخصال حتى لا يمنعه شيء من التبليغ.

(١) قوله: "عن مرة" سقط من مطبوعة محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) حديث صحيح، زافر بن سليمان -وإن كان ضعيفا- قد توبع، إلا أنه انفرد بتعيين الصحابي، وقد رواه غيره مبهما كما سيأتي. أبو سنان: هو سعيد بن سنان الشيباني.

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٠٨٤) من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة، عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -. =." (١)

"٣١٢٤/ ٢ - حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا بقية، عن إسماعيل بن عياش، عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن أبي عمران، عن أبي سلام الحبشي، عن ابن غنم عن أبي موسى، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "الصبر رضا" (١).

---

= وقولها: وما تبالي أنت بمصيبتي، ولفظ البخاري: إليك عني لم تصب بمصيبتي، ولمسلم: ما تبالي بمصيبتي، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" المعنى: إذا وقع الثبات في أول شيء يهجم على القلب من مقضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر. وأصل الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله، فاستعير للمصبة الواردة على القلب.

قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو، وحكى الخطابي عن غيره أن المرء لا يؤجر على المصيبة، لأنها ليست من صنعه، وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره. وقال ابن بطال: أراد أن لا يجتمع عيها مصيبة الهلاك وفقد الأجر.

قال الحافظ: في هذا الحديث من الفوائد، منها ما كان عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفق بالجاهل ومسامحة المصاب، وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنها أن القاضي لا ينبغي أن يتخذ من يحجبه عن حوائج الناس.

ومنها أن الجزع من المنهيات لأمره لها بالتقوى مقرونا بالصبر. ولأبي يعلى (٦٠٦٧) من حديث أبي هريرة أنها قالت: يا عبد الله إني أنا الحرى الثكلى، ولو كنت مصابا عذرتني.

(١) إسناده ضعيف لضعف بقية -وهو ابن الوليد- وتدليسه، وضعف عاصم بن رجاء. أبو عمران: هو الأنصاري الشامي، وأبو سلام الحبشي: اسمه ممطور، وابن غنم: هو عبد الرحمن.

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ٢٤٥/٤

وأخرجه ابن أبي الدنيا في "الرضا عن الله وقضائه" (٣) من طريق محمد بن المصفى، بهذا الإسناد.

تنيه: هذا الحديث أثبتناه من (أ) وأشار هناك إلى أنه من رواية ابن العبد.." (١)

"١٥ - باب ما جاء في الثبات عند القتال." (٢)

"٣٤٠٧ - حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا سفيان، عن الجريري، عن أبي العلاء بن الشخير، عن رجل من بني حنظلة، قال: صحبت شداد بن أوس في سفر، فقال: ألا أعلمك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك لسانا صادقا، وقلبا سليما، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم يأخذ مضجعه، يقرأ سورة من كتاب الله، إلا وكل الله به ملكا، فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هب.

هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، والجريري هو: سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري، وأبو العلاء اسمه: يزيد بن عبد الله بن الشخير.." (٣)

"باب ما جاء في الثبات عند القتال." (٤)

"٣٤٠٧ - حدثنا محمود بن غيلان قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا سفيان، عن الجريري، عن أبي العلاء بن الشخير، عن رجل من بني حنظلة، قال: صحبت شداد بن أوس في سفر، فقال: ألا أعلمك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك لسانا صادقا، وقلبا سليما، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب»

---

Kضعيف." (٥)

"١٣٠٤ - أخبرنا أبو داود، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن شداد بن أوس، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٤٣/٥

(٢) سنن الترمذي ت بشار الترمذي، محمد بن عيسى ٢٥١/٣

(٣) سنن الترمذي ت بشار الترمذي، محمد بن عيسى ٣٤٨/٥

(٤) سنن الترمذي ت شاكر الترمذي، محمد بن عيسى ١٩٩/٤

(٥) سنن الترمذي ت شاكر الترمذي، محمد بن عيسى ٤٧٦/٥

ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم "

______________Kضعيف." (١)

"٥ – حدثنا أبو موسى عمران بن موسى قال: حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، قال: قال شداد بن أوس: احفظوا عني ما أقول لكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب "." (٢)

"وإنا ١نملي كل قسم بما فيه من الأنواع وكل نوع بما فيه من الاختراع الذي لا يخفي تحضيره على ذوي الحجا ولا تتعذر كيفيته على أولي النهى.

ونبدأ منه بأنواع تراجم الكتاب ثم نملي الأخبار بألفاظ الخطاب بأشهرها إسنادا وأوثقها عمادا من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها لأن الاقتصار على أتم المتون أولى والاعتبار بأشهر الأسانيد أحرى من الخوض في تخريج التكرار وإن آل أمره إلى صحيح الاعتبار.

والله الموفق لما قصدنا بالإتمام وإياه **نسأل الثبات على** السنة والإسلام وبه نتعوذ من البدع والآثام والسبب الموجب للانتقام إنه المعين لأوليائه على أسباب الخيرات والموفق لهم سلوك أنواع الطاعات وإليه الرغبة في تيسير ما أردنا وتسهيل ما أومأنا إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

______________

١ في هامش الأصل وفي نسخة دار الكتب "وإنما".." (٣)

"ذكر البيان، **بأن الثبات في** الحرب عند انهزام المسلمين مما يحبه الله

٤٧٧١ – أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد، حدثنا عمر بن شبة بن عبيدة، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن ربعي، عن زيد بن ظبيان، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة يحبهم الله، رجل أتى قوما، فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابة بينهم، وبينه، فتخلف رجل بأعقابهم، (١) فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته، إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلهم، حتى إذا كان النوم أحب إليهم نزلوا، فوضعوا رءوسهم، فقام يتملقني، ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية، فلقوا العدو، فهزموا، وأقبل بصدره، حتى يقتل، أو يفتح لهم» (٢) . [١: ٢]

______________

= قال: خذها وأنا ابن فلان، و (٤٣١٥) في المغازي، ومسلم (١٧٧٦) (٧٨) و (٧٩) و (٨٠) ، والترمذي (١٦٨٨)

______________

(١) سنن النسائي  النسائي ٥٤/٣

(٢) فضيلة الشكر لله على نعمته  الخرائطي ص/٣٤

(٣) صحيح ابن حبان – محقق  ابن حبان ١٠٤/١

في الجهاد: باب ما جاء في الثبات عند القتال، والطبري (١٦٥٨١) ، والبيهقي في " السنن " ٤٣/٧ و ١٥٤/٩ و١٥٥، وفي " الدلائل " ١٧٧/١ و ١٣٣/٥، والبغوي (٢٧٠٦) ، وفي "تفسيره" ٢٧٨/٢ من طرق عن أبي إسحاق السبيعي، به.

(١) جملة " فتخلف رجل بأعقابهم " سقطت من الأصل، وأثبتت من مصادر التخريج، والحديث المتقدم برقم (٣٣٤٩) .

(٢) حديث صحيح، عمر بن شبة صدوق روى له ابن ماجه، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين غير زيد بن ظبيان فقد ذكره المؤلف في " الثقات " ٢٤٩/٤، وأخرج هو وابن خزيمة حديثه في " الصحيح ". وهو مكرر الحديث رقم (٣٣٤٩) و (٣٣٥٠) .

وقوله " يتملقني " أي: يتودد إلي، من الملق، وهو الود واللطف الشديد.." (١)

"بالإسلام قاعدا، واحفظني بالإسلام قائما، واحفظني بالإسلام راقدا، ولا تطع في عدوا حاسدا (١) ، وأعوذ بك من شر ما أنت آخذ بناصيته، وأسألك من الخير الذي هو بيدك كله» (٢) . [١: ١٠٤]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: توفي عمر بن الخطاب، وهاشم بن عبد الله بن الزبير ابن تسع سنين

ذكر الأمر باكتناز سؤال المرء ربه جل وعلا الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد عند اكتناز الناس الدنانير والدراهم

٩٣٥ - أخبرنا محمد بن المعافى العابد بصيدا ولم يشرب الماء في الدنيا ثمان (٣) عشرة سنة، ويتخذ كل ليلة حسوا فيحسوه، قال: حدثنا هشام (٤) بن عمار، قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم (٥) ، قال:

---

(١) في "الإحسان": حاسد، والتصوب من "الأنواع".

(٢) العلاء بن رؤية، ويقال له: المعلى ترجمه الفسوي في تابعي أهل المدينة من مصر ممن روى عنهم الزهري، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وكذا شيخه هاشم بن عبد الله مترجم في " الجرح والتعديل " ١٠٤/٩، وباقي رجاله ثقات، وأخرجه يعقوب بن سفيان في تاريخه ٤٠٣/١ من طريق أصبغ، عن ابن وهب بهذا الإسناد. وللمرفوع منه شاهد من حديث ابن مسعود عند الحاكم ٥٢٥/١ من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي الصهباء، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي، فقال: أبو الصهباء لم يخرج له البخاري.

(٣) في الأصل: ثمانية.

(٤) تحرف في "الإحسان" إلى هاشم، والتصويب من "الأنواع" ١/لوحة ٦٥٨.

(٥) تحرف في " الإحسان " إلى مسلم، والتصويب من " الأنواع ".." (٢)

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٩١/١١

(٢) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢١٥/٣

"خرجت مع شداد بن أوس، فنزلنا مرج الصفر (١) ، فقال: ائتوني بالسفرة (٢) نعبث بها، فكان القوم يحفظونها منه، فقال: يا بني أخي، لا تحفظوها عني، ولكن احفظوا (٣) مني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم، فاكتنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب» (٤) . [١: ١٠٤]

---

(١) مرج الصفر: موضع بضواحي دمشق من جهة الشمال كانت به وقعة للمسلمين مع الروم بعد وقعة أجنادين بعشرين يوما، وكان ذلك قبل وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأربعة أيام. انظر الطبري ٣/٣٩١ و ٤٠٤ و ٤٠٦ و ٤١٠.

(٢) في "المسند" الشفرة.

(٣) في "الإحسان": احفظوها، والمثبت من "الأنواع".

(٤) سويد بن عبد العزيز: لين الحديث، وباقي رجاله ثقات، وأخرجه أحمد ٤/١٢٣ من طريق روح، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، قال: كان شداد بن أوس ... ، ورجاله ثقات إلا أن حسان بن عطية لم يدرك شدادا.

وأخرجه أحمد ٤/١٢٥، والترمذي (٣٤٠٧) ، والطبراني في الكبير (٧١٧٥) و (٧١٧٦) و (٧١٧٧) من طرق عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن الحنظلي أو عن رجل من بني حنظلة، عن شداد بن أوس.

ورواه الطبراني (٧١٧٨) ، وقال. عن رجل من بني مجاشع.

وأخرجه الطبراني (٧١٧٩) من طريق الجريري، عن أبي العلاء، عن رجلين من بني حنظلة، عن شداد بن أوس.

وأخرجه النسائي ٣/٥٤ في السهو: باب نوع آخر من الدعاء، والطبراني (٧١٧٦) و (٧١٨٠) من طريق الجريري، عن أبي العلاء، عن شداد.

وصححه الحاكم ١/٥٠٨ على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، من طريق عمر بن يونس بن القاسم اليمامي، عن عكرمة بن عمار، قال: سمعت شدادا أبا عمار، يحدث عن شداد بن أوس ...." (١)

"ذكر الخبر الدال على أن المرء مكروه له أن يدعو بضد ما وصفنا من الدعاء

٩٤١ - أخبرنا عمر بن محمد الهمداني، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع (١) ، قال: حدثنا بشر بن المفضل، قال: حدثنا حميد، عن ثابت، عن أنس، قال: عاد النبي صلى الله عليه وسلم رجلا قد جهد حتى صار مثل الفرخ، فقال صلى الله عليه وسلم: «هل كنت دعوت الله بشيء؟» ، قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تستطيعه، أو لا تطيقه، فهلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار؟» قال: فدعا الله فشفاه (٢) . [٥: ١٢]

ذكر ما يجب على المرء من سؤال الباري **تعالى الثبات والاستقامة** على ما يقربه إليه بفضل الله علينا بذلك

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٣/٢١٦

٩٤٢ - أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة، قال: حدثنا العباس بن الوليد القرشي، قال: حدثنا وهيب (٣) بن خالد، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل

---

= وزياد بن أيوب، عن إسماعيل بن علية، عن عبد العزيز بن صهيب، كما تقدم فى تخريج الحديث السابق. وانظر الطرق الأخرى في الروايات المتقدمة.

(١) بزيغ: بفتح الباء الموحدة وكسر الزاي، وقد تحرف في الأصل إلى "زريع".

(٢) إسناده صحيح، وقد تقدم برقم (٩٣٦) من طريق خالد بن الحارث، عن حميد، به.

(٣) وهيب بالتصغير ابن خالد بن عجلان الباهلي مولاهم البصري، ثقة، ثبت، روي له الستة، وقد تحرف في "الإحسان" إلي "وهب" والتصويب من "الأنواع" ٣/لوحة ٢٥١.." (١)

"وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم» ، قال: هؤلاء لربي، فما لي؟، قال: «قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني» (١) . [١: ١٠٤]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: كل ما في هذه الأخبار: اللهم اهدني، اللهم إني أسألك الهدى، وما يشبهها من الألفاظ إنما أريد **بها الثبات على** الهدى والزيادة فيه، إذ محال أن يؤمن المؤمن بسؤال الزيادة وقد هداه الله قبل ذلك

ذكر ما يستحب للمرء سؤال الرب جل وعلا المعونة والنصر والهداية

٩٤٧ - أخبرنا الفضل بن الحباب، قال: حدثنا محمد بن كثير العبدي، قال: أخبرنا سفيان، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن طليق بن قيس الحنفي، عن ابن عباس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي، ولا

---

(١) إسناده صحيح، موسى الجهني: هو موسى بن عبد الله، ويقال: ابن عبد الرحمن الجهني أبو سلمة الكوفي ثقة عابد من رجال مسلم، وأخرجه أحمد ١/١٨٥ عن عبد الله بن نمير ويعلى بن عبيد، بهذا الإسناد.

وأخرجه مسلم (٢٦٩٦) في الذكر والدعاء: باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن ابن نمير، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد ١/١٨٠ عن يحيي بن سعيد، ومسلم (٢٦٩٦) من طريق على بن مسهر، كلاهما عن موسي الجهني، به.." (٢)

---

(١) صحيح ابن حبان - محقق ا ابن حبان ٣/٢٢١

(٢) صحيح ابن حبان - محقق ا ابن حبان ٣/٢٢٧

"ذكر جواز دعاء المرء في صلاته بما ليس في كتاب الله جل وعلا

١٩٧٤ - أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا كامل بن طلحة قال: حدثنا حماد بن سلمة عن سعيد الجريري عن أبي العلاء عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وعزيمة الرشد وشكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك

---

= وأخرجه أحمد "١٨٤/٣"، ومسلم "٦٧٧" "٣٠٠"، وأبو داود "١٤٤٥" في الصلاة: باب القنوت في الصلوات، وأبو عوانة "٢٨٦/٢"، من طرق عن حماد بن سلمة، عن أنس بن سيرين، عن أنس.

وأخرجه البخاي "١٠٠١" في الوتر: باب القنوت قبل الركوع وبعده، ومسلم "٦٧٧" "٢٩٨"، وأبو داود "١٤٤٤" في الصلاة: باب القنوت في الصلوات، والنسائي "٢٠٠/٢" في التطبيق: باب القنوت في صلاة الصبح، وابن ماجه "١١٨٤" في الإقامة: باب ما جاء في القنوت قبل الركوع وبعده، والدارمي "٣٧٥/١"، والطحاوي "٢٤٣/١" من طرق عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أنس.

وأخرجه أحمد "٢٥٩/٣"، ومسلم "٦٧٧" "٣٠٣"، وأبو عوانة "٢٨١/٢"، من طريق شعبة، عن موسى بن أنس، عن أنس.

وأخرجه البخاري "١٠٠٤" من طريق أبي قلابة، و "٤٠٨٨" من طريق عبد العزيز بن صهيب، و "٤٠٩٢" من طريق ثمامة بن عبد الله بن أنس، وابن ماجه "١١٨٣"، والطحاوي "٢٤٤/١" من طريق حميد، كلهم عن أنس، وسيورده المؤلف برقم "١٩٨٢" و "١٩٨٥" من طريق قتادة، عن أنس، ويرد تخريجه هناك.." (١)

"ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الدعاء بما ليس في كتاب الله يبطل صلاة الداعي فيها

١٩٧٥ - أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزي حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى

عن صهيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم همس شيئا لا نفهمه فقال: "أفطنتم لي؟ " قلنا نعم قال: "إني ذكرت نبيا من الأنبياء أعطي جنودا من قومه فقال من يقوم لهؤلاء فأوحى الله إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث إما أن أسلط عليهم عدوا من غيرهم أو الجوع أو الموت فاستشار قومه في ذلك فقالوا أنت نبي الله نكل ذلك إليك خر لنا فقام إلى صلاته وكانوا إذا١ فزعوا فزعوا إلى الصلاة فصلى

---

= وأخرجه الطبراني "٧١٣٥" من طريق جعفر بن محمد الفريابي، وسليمان بن أيوب بن حذلم الدمشقي قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثني محمد بن يزيد الرحبي الدمشقي، عن أبي الأشعث الصنعاني شراحيل بن آدة، عن شداد بن أوس قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا شداد، إذا رأيت الناس قد

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٣١٠/٥

اكتنزوا الذهب والفضة، فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر ... " وهذا سند حسن، رجاله ثقات غير محمد بن يزيد، فقد أورده ابن أبي حاتم ١٢٧/٨، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وروى عنه جمع، فمثله يكون حسن الحديث.

١ تحرفت في الإحسان إلى إلا، والتصويب من التقاسيم ٢/لوحة ٣٠٦.." (١)

"ذكر ما يجب على المرء **من الثبات على** الدين عند تواتر البلايا عليه

٢٩٠٣ - أخبرنا جعفر بن أحمد بن صليح بواسط حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير

عن بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مر بريح طيبة فقال: "يا جبريل ما هذه الريح؟ " قال: هذه ريح ماشطة بنت فرعون وأولادها بينما هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المدرى١ من يدها فقالت: بسم الله فقالت بنت فرعون: أبي؟ قالت: بل ربي وربك الله قالت: وإن لك ربا غير أبي؟

---

١ أي: المشط.." (٢)

". . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= وأخرجه دون قوله: "فإنه من كان آخر كلمته...." ابن الجارود "٥١٣"، ومسلم "٩١٧" في الجنائز: باب تلقين الموتى لا إله إلا الله، وابن أبي شيبة "٢٣٧/٣"، وابن ماجه "١٤٤٤" في الجنائز: باب ما جاء في تلقين الميت لا إله إلا الله، والبيهقي "٣٨٣/٣" من طريق أبي خالد الأحمر، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة.

وأخرجه الطبراني في "الصغير" "١١١٩" من طريق عمر بن محمد بن صهبان المدني، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، **وقولوا: الثبات الثبات**، ولا قوة إلا بالله". وقال الهيثمي في "المجمع" "٣٢٣/٢": رواه الطبراني في "الصغير" و"الأوسط"، وفيه عمر بن صهبان، وهو ضعيف.

وذكر الحافظ في "التلخيص" "١٠٢/٤": وروى أبو القاسم القشيري في "أماليه" من طريق ابن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعا: "إذا ثقلت مرضاكم، فلا تملوهم قول لا إله إلا الله، ولكن لقنوهم، فإنه لم يختم به فمنافق قط". وقال: غريب. قلت: فيه محمد بن الفضل بن عطية، وهو متروك وفي الباب عن عائشة عند النسائي "٥/٤" في الجنائز: باب تلقين الميت، من طريق وهيب عن منصور بن صفية، عن أمه صفية بنت شيبة عن عائشة رفعته بلفظ: "لقنوا هلكاكم قول لا إله إلا الله". ورواه عبد الرزاق "٦٠٤٢" عن ابن جريج، عن منصور، به موقوفا على عائشة.

وعن عبد الله بن جعفر عند ابن ماجه "١٤٤٦" وسنده ضعيف، ورواه ابن أبي شيبة "٢٣٨/٣" موقوفا على عبد الله بن

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٣١٢/٥

(٢) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ١٦٣/٧

جعفر وعن معاذ بن جبل عند أبي دود "٣١١٦"، والحاكم "٣٥١/١" رفعه بلفظ: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" وسنده حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وحديث المسيب بن رافع عن ابن مسعود عند ابن أبي شيبة "٢٣٨/٣" بلفظ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنها لا تكون آخر كلام امرىء مسلم إلا حرمه الله على النار". المسيب بن رافع روايته عن ابن مسعود مرسلة.." (١)

"ذكر سماع الميت عند سؤال ١ منكر إياه وقع أرجل المنصرفين عنه نسأل الله الثبات لذلك

٣١١٨ - أخبرنا أحمد بن يحيى بن زهير بتستر حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي حدثنا وكيع عن سفيان الثوري عن السدي عن أبيه

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين" ٢. [٣:٧١]

---

١ تحرف في الأصل إلى: "سماع"، والتصحيح من "التقاسيم" "٤٣٠/٣".

٢ إسناده ضعيف. والد إسماعيل السدي- وهو عبد الرحمن بن أبي كريمة- لم يرو عنه غير ابنه، ولم يوثقه غير المؤلف، فهو مجهول الحال كما قال الحافظ في "التقريب"، وباقي رجال ثقات، وله طرق يتقوى بها الحديث.

وأخرجه البزار "٨٧٣" من طريق محمد بن عبد الله المخرمي، بهذا الإسناد. وقال الهيثمي في "المجمع".

وأخرجه ابن أبي شيبة "٣٧٨/٣"، وأحمد في "السنة" "١٣٤٣" من طريق وكيع، به.

وأخرجه أحمد في "السنة" "١٣٨٠" من طريق حماد بن سلمة عن محمد عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وتقدم مطولا من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة برقم "٣١١٣".

وفي الباب: حديث ابن عباس عند الطبراني "١١١٣٥"، وقال الهيثمي في "المجمع" "٥٤/٣": رواه الطبراني في "الكبير" ورجاله ثقات.

وحديث أنس وهو الآتي برقم "٣١٢٠".." (٢)

"ذكر الأمر باكتناز سؤال المرء ربه جل وعلا الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد عند اكتناز الناس الدنانير والدراهم." (٣)

"٩٣٥ - أخبرنا محمد بن المعافى العابد بصيدا ولم يشرب الماء في الدنيا ثمان عشرة سنة، ويتخذ كل ليلة حسوا فيحسوه، قال: حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم، قال: -[٢١٦]- خرجت مع شداد بن أوس، فنزلنا مرج الصفر، فقال: ائتوني بالسفرة نعبث بها، فكان القوم يحفظونها منه، فقال: يا بني أخي، لا تحفظوها عني، ولكن احفظوا مني ما سمعت من رسول الله

---

(١) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ٢٧٣/٧

(٢) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ٣٨٨/٧

(٣) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٢١٥/٣

صلى الله عليه وسلم: «إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم، فاكتنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب». [١: ١٠٤]

(Z (931

L

صحيح لغيره - «الصحيحة» (٣٢٢٨).

S

إسناده ضعيف، سويد بن عبد العزيز: لين الحديث، وباقي رجاله ثقات.." (١)

"ذكر ما يجب على المرء من سؤال الباري **تعالى الثبات والاستقامة** على ما يقربه إليه بفضل الله علينا بذلك." (٢)

"٩٤٦ - أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني، قال: حدثنا ابن نمير، ويعلى بن عبيد، قالا: حدثنا موسى الجهني، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، علمني كلاما أقوله، قال: «قل: لا إله إلا الله -[٢٢٧]- وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم»، قال: هؤلاء لربي، فما لي؟، قال: «قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني» [١: ١٠٤]

(٩٤٢) Z

قال أبو حاتم رضي الله عنه: كل ما في هذه الأخبار: اللهم اهدني، اللهم إني أسألك الهدى، وما يشبهها من الألفاظ إنما أريد **بها الثبات على** الهدى والزيادة فيه، إذ محال أن يؤمن المؤمن بسؤال الزيادة وقد هداه الله قبل ذلك

L

صحيح - «الكلم الطيب» (١٤).

S

إسناده صحيح، موسى الجهني: هو موسى بن عبد الله، ويقال: ابن عبد الرحمن الجهني أبو سلمة الكوفي ثقة عابد من رجال مسلم.." (٣)

"١٩٧٤ - أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا كامل بن طلحة، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن شداد بن أوس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، وعزيمة الرشد، وشكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك -[٣١١]- قلبا سليما، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم». [٥: ١٢]

---

(١) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٢١٥/٣

(٢) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٢٢١/٣

(٣) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٢٢٦/٣

(Z (1971

L

صحيح لغيره - «الصحيحة» (٣٢٢٨)، وتقدم (٩٣١) من طريق آخر.

تنبيه!!

رقم (٩٣١) = (٩٣٥) من «طبعة المؤسسة».

- مدخل بيانات الشاملة -.

S

رجاله ثقات إلا أنه منقطع، سقط من إسناده رجل من بني حنظلة بين أبي العلاء وبين شداد بن أوس كما يتبين من التخريج، سعيد الجريري: هو سعيد بن إياس الجريري، ورواية حماد بن سلمة عنه قبل الاختلاط، وأبو العلاء: هو يزيد بن عبد الله بن الشخير.." (١)

"ذكر ما يجب على المرء **من الثبات على** الدين عند تواتر البلايا عليه." (٢)

"ذكر سماع الميت عند سؤال منكر إياه وقع أرجل المنصرفين عنه، نسأل **الله الثبات لذلك**." (٣)

"ذكر البيان، **بأن الثبات في** الحرب عند انهزام المسلمين مما يحبه الله." (٤)

"٦٢٦ - حدثنا أبو مسلم الكشي، ثنا أبو عمر الضرير حفص بن عمر، ثنا عدي بن الفضل، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشخير، عن رجلين، قد سماهما عن شداد بن أوس، رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، وعزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»." (٥)

"٦٢٧ - حدثنا أبو مسلم الكشي، ثنا أبو عمر الضرير، ثنا حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن شداد بن أوس، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، وعزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»." (٦)

---

(١) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٣١٠/٥

(٢) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ١٦٣/٧

(٣) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٣٨٨/٧

(٤) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٩١/١١

(٥) الدعاء للطبراني الطبراني ص/٢٠٠

(٦) الدعاء للطبراني الطبراني ص/٢٠١

"٦٢٨ – حدثنا معاذ بن المثنى، ثنا مسدد، ثنا بشر بن المفضل، ثنا الجريري، عن أبي العلاء، عن الحنظلي، عن شداد بن أوس، رضي الله عنه أنه سمعه يعني النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**أسألك الثبات في** الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما وأسألك لسانا صادقا، وأستغفرك لما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم»

٦٢٩ – حدثنا معاذ بن المثنى، ثنا مسدد، ثنا بشر بن المفضل، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن رجل، من بني مجاشع عن شداد بن أوس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول في صلاتنا: اللهم إني أسألك التثبيت في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد " فذكر نحوه." (١)

"٦٣٠ – حدثنا محمد بن أبي زرعة الدمشقي، ثنا هشام بن عمار، ثنا سويد بن عبد العزيز، ثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم، أنه سمع شداد بن أوس، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كنز الناس الدنانير والدراهم فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم "." (٢)

"٦٣١ – حدثنا سليمان بن أيوب بن حذلم الدمشقي، ثنا سليمان بن عبد الرحمن، ثنا إسماعيل بن عياش، حدثني محمد بن يزيد الرحبي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن شداد بن أوس، رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم وأنت علام الغيوب "." (٣)

"٦٣٢ – حدثنا حفص بن عمر الرقي، ثنا حفص بن عمر الحوضي، ثنا مرجى بن رجاء، عن حسين بن ذكوان، عن عبد الله بن بريدة، عن بشير بن كعب العدوي، عن شداد بن أوس الأنصاري، رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا شداد بن أوس إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك الغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب، اللهم لا تدع لي ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا كربا إلا نفسته، ولا ضرا إلا كشفته، ولا دينا إلا قضيته، ولا عدوا إلا أهلكته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا أرحم الراحمين "

---

(١) الدعاء للطبراني  الطبراني ص/٢٠١

(٢) الدعاء للطبراني  الطبراني ص/٢٠١

(٣) الدعاء للطبراني  الطبراني ص/٢٠٢

٦٣٣ - حدثنا محمد بن أبان الأصبهاني، ثنا إسماعيل بن عمرو، ثنا موسى بن مطير، عن أبي إسحاق، عن البراء، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات، فذكر نحوه." (١)

"١١١٩ - حدثنا وصيف الأنطاكي الحافظ، حدثنا سليمان بن سيف أبو داود الحراني، حدثنا سعيد بن سلام العطار، حدثنا عمر بن محمد بن صهبان المدني، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، **وقولوا: الثبات الثبات** ، ولا قوة إلا بالله " لم يروه عن صفوان بن سليم إلا عمر بن محمد." (٢)

"٧٤٠٨ - حدثنا محمد بن أبان، ثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، ثنا موسى بن مطير، عن أبي إسحاق قال: قال لي البراء بن عازب: ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «إذا رأيت الناس قد تنافسوا الذهب والفضة، فادع بهذه الدعوات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، وأسألك عزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، والصبر على بلائك، وأسألك حسن عبادتك، والرضا بقضائك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»

لم يرو هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا موسى بن مطير، تفرد به: إسماعيل بن عمرو "." (٣)

"١١٧٢ - حدثنا محمد بن أبان الأصبهاني، ثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، ثنا موسى بن مطير، عن أبي إسحاق، قال: قال لي البراء بن عازب: ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «إذا رأيت الناس قد تنافسوا الذهب، والفضة، فادع بهذه الدعوات، اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، والصبر على بلائك، وحسن عبادتك، والرضا بقضائك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»." (٤)

"٧١٣٥ - حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، وسليمان بن أيوب بن حذلم الدمشقي، قالا: ثنا سليمان بن عبد الرحمن، ثنا إسماعيل بن عياش، حدثني محمد بن يزيد الرحبي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن شداد بن أوس، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا شداد بن أوس، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر ، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر

---

(١) الدعاء للطبراني الطبراني ص/٢٠٢

(٢) المعجم الصغير للطبراني الطبراني ٢/٢٥٤

(٣) المعجم الأوسط الطبراني ٧/٢٤٨

(٤) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢/٢٥

نعمتك ، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب "." (١)

"٧١٥٧ - حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، ومحمد بن أبي زرعة الدمشقي، قالا: ثنا هشام بن عمار، ثنا سويد بن عبد العزيز، ثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم، أنه سمع شداد بن أوس، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كنز الناس الدنانير والدراهم فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم "." (٢)

"٧١٧٥ - حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، ثنا محمد بن يوسف الفريابي، ثنا سفيان، عن سعيد الجريري، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن رجل من بني حنظلة، عن شداد بن أوس، قال: ألا أعلمكم ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا، «اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم» ، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد مسلم يقرأ سورة من كتاب الله عند نومه، إلا وكل الله به ملكا لا يقربه شيء، حتى يهب متى يهب»." (٣)

"٧١٧٦ - حدثنا معاذ بن المثنى، ثنا مسدد، ثنا خالد بن عبد الله، ثنا الجريري، عن أبي العلاء، عن الحنظلي، عن شداد بن أوس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة من القرآن حين يأخذ مضجعه وكل به ملك يحفظه حتى يهب متى يهب» وسمعته يقول: «**أسألك الثبات في** الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأستغفرك لما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم»

-[٢٩٤]-

٧١٧٧ - حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، ثنا وهب بن بقية، ثنا خالد، عن الجريري، عن أبي العلاء، عن الحنظلي، عن شداد بن أوس، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه.

٧١٧٨ - حدثنا معاذ بن المثنى، ثنا مسدد، ثنا بشر بن المفضل، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن رجل من بني

---

(١) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢٧٩/٧

(٢) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢٨٧/٧

(٣) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢٩٣/٧

مجاشع، عن شداد بن أوس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول في صلاتنا: «اللهم إني أسألك التثبيت في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد» فذكر نحوه." (١)

"٧١٧٩ – حدثنا أبو مسلم الكشي، ثنا أبو عمر الضرير، ثنا عدي بن الفضل، ثنا سعيد الجريري، عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشخير، عن رجلين قد سماهما، عن شداد بن أوس، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، وعزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»." (٢)

"٧١٨٠ – حدثنا أبو مسلم الكشي، ثنا أبو عمر الضرير، ثنا حماد بن سلمة، ح وحدثنا خليفة، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن شداد بن أوس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وعزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»." (٣)

"ح نصر بن الفتح قال: ح أبو عيسى، قال ح هناد قال: ح وكيع، عن الربيع بن صبيح، عن يزيد بن أبان، وهو الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله: في هذا الحديث معنيان: أحدهما: الترغيب في الزهد في الدنيا والإعراض عنها، والرغبة في الآخرة والإقبال عليها، والتشجيع في ترك الدنيا بمعنى الإنفاق ممن هي في يديه، والإعراض عنها ممن ليست عنده كأنه صلى الله عليه وسلم يقول: من أعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، رزق الفراغ والتنعم وجمع الشمل، وأتته الدنيا أي الرفق فيها والمهنأ منها فيكون له المهنأ دون الشغل، والرفق من غير تعب فهو غني وإن عدم القوت، ومن أقبل على الدنيا وأعرض عن الآخرة شغل بما لا يجري، وتعب فيما لا يغني عنه، فتزداد الدنيا عنه بعدا؛ لأنه لا يصيب منها إلا المقدور، والمقدور لا يغنيه، وإن كثر لغلبة الحرص عليه والتأسف على فوت ما لم يقدر له. تعب الطلب، والخيبة في التعب، فهو فقير وإن ملك الدنيا. والمعنى الآخر: تنبيه وإرشاد في الرجوع إلى الله تعالى والإقبال على الله، وأنه أسير القدرة سليب القبضة، وإن أفعاله تبع لفعل الله به، وإنها إنما تكون بالله تعالى، فيكون العبد مأخوذا عن أوصافه مصروفا عن نظره إلى أفعاله معترفا بعجزه، مقرا باضطراره، عالما بضرورته وافتقاره، كأنه صلى الله عليه وسلم يقول: إنما تكون الآخرة همه من جعل الله الغناء في قلبه وجمع له شمله؛ لأنه لا يقبل على الآخرة إلا من استغنى عن الدنيا، فإن الدنيا حجاب الآخرة فإذا رفع الحجاب عن بصر القلب رأى -[٣٣٤]- الآخرة بعين إيقانه، ومن نظر إلى الآخرة شغل عن الدنيا، صارت مرفوعة منه متروكة عنه، قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فكأني أنظر إلى أهل الجنة، إلى آخر الحديث. فمن أغناه الله

---

(١) المعجم الكبير للطبراني  الطبراني ٢٩٣/٧

(٢) المعجم الكبير للطبراني  الطبراني ٢٩٤/٧

(٣) المعجم الكبير للطبراني  الطبراني ٢٩٤/٧

تعالى عن الدنيا بالزهد فيها، والرغبة عنها صارت الآخرة همه؛ لأن الإنسان حريص، والنفس راغبة ، إما ترغب إلى الدنيا أو إلى الآخرة، فإذا حجبت عن الدنيا بالعزوف عنها، والاستغناء منها افتقرت إلى الآخرة، ورغبت فيها. قيل لعمر بن عبد العزيز لما أفضت الخلافة إليه: قد زهدت في الدنيا أمير المؤمنين؟ فقال: إن أنفسنا تواقة تاقت إلى الدنيا، فلما أصابتها تاقت إلى الآخرة. فمن جعل الله الغناء في قلبه وجعل له، يسره بالاستغناء عن الدنيا وحطامها صارت همته الآخرة وما قدر له من الدنيا، والرفق فيها، يأتيه في راحة من بدنه وفراغ من سره، وهذا معنى قوله: «راغمة» ، أي تأتيه من غير طلب لها؛ لأنها قل ما يؤتى طلابها إلا بجهد وطلب لها حثيث، فإذا جاءت من غير طلب فكأنها جاءت راغمة صاغرة ذليلة، ومن جعل الله فقره إلى الدنيا وحجبه عن الآخرة بميله إلى الدنيا، صارت الدنيا نصب عينيه، والدنيا فقر كلها؛ لأن حاجة الراغب فيها لا تقتضي ، فهي العطاش كلما ازداد شرابا ازداد عطشا، فمن كانت الدنيا نصب عينيه صار الفقر بين عينيه، وفقر سره واختلفت طرقه، وتشتت همته، وتعب بدنه، وشرهت نفسه، وازدادت الدنيا عنه بعدا؛ لأنه لا يأتيه منها إلا المقدور، والمقدور منها لا يغنيه، كأنه يقول: من كانت الآخرة همه هو الذي جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، ومن كانت الدنيا همه هو الذي جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، وكل لا يفوته مقدوره من الدنيا. نبه صلى الله عليه وسلم على محض العبودية، كأنه يقول: من أهمته الآخرة فلير فضل الله عليه في وضع الغناء في قلبه حتى رفض الدنيا، وأقبل على الآخرة، ومن أهمته الدنيا فليفتقر إلى الله بالدعاء وإزالة الفقر من بين عينيه، والحرص من قلبه: والتعب من بدنه، والشغل من قلبه. فكأنه صلى الله عليه وسلم دل على الافتقار إلى الله في الأحوال كلها فيما يرضى بالحمد له، ورؤية الفضل من عنده، والرغبة إليه في الثبات عليه، فقد قال ﴿ولدينا مزيد﴾ [ق: ٣٥] وقال ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧]

-[٣٣٥]- وفيما يكره بالاستغفار له والاستعانة به في نقل ما يكره، لا ما يحب، فقد قال الله تعالى ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ [نوح: ١١] وقال تعالى في الاستغاثة به ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ [النمل: ٦٢] الآية." (١)

"أعلم بالمهتدين)

وقال سبحانه ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير﴾

وقال ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمين ما لهم من ولي ولا نصير

وقال أيضا فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداهم أجمعين

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا نكتفي بهذا القدر خوف الإطالة فالرب سبحانه وتعالى خلق خلقه لما شاء وكيف شاء خلقهم وما يعملون فالمشيئة له وحده فهو يحول بين المرء وقلبه قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فلهذا كان صلى الله عليه وسلم يكثر في دعائه من القول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ فسأل صلى الله عليه وسلم الثبات من ربه فلو كان الأمر بيد العبد لا يحتاج إلى مشيئة الرب وإرادته كما تدعيه القدرية التي تزعم أن للعبد مشيئة مستقلة عن مشيئته سبحانه لما سأل

---

(١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي أبو بكر الكلاباذي ص/٣٣٣

صلى الله عليه وسلم الثبات والاستقامة من ربه ففي الأثر عن الحسن البصري في تفسير هذه الآية ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ قال حيل بينهم وبين الإيمان فالآية نصت على أن الله." (١)

"حدثنا أبو عمرو بن حمدان، ثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه، ثنا إسحاق بن راهويه، ثنا عبد الوهاب الثقفي، ثنا برد بن سنان، عن سليمان بن موسى، أن شداد بن أوس، قال يوما: " هاتوا السفرة نعبث بها، قال: فأخذوها عليه، قال: انظروا إلى أبي يعلى ما جاء منه، فقال: " أي بني أخي، إني ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مزمومة مخطومة قبل هذه، فتعالوا حتى أحدثكم، ودعوا هذه وخذوا خيرا منها: اللهم إنا نسألك التثبت في الأمر، ونسألك عزيمة الرشد، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، ونسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، ونسألك خير ما تعلم -[٢٦٦]-، ونعوذ بك من شر ما تعلم، فخذوا هذه ودعوا هذه "كذا رواه سليمان بن موسى موقوفا. ورواه حسان بن عطية، عن شداد مرفوعا حدثنا محمد بن معمر، ثنا أبو شعيب الحراني، ثنا يحيى بن عبد الله، ثنا الأوزاعي، قال: حدثني حسان بن عطية، قال: نزل شداد بن أوس منزلا فقال: ائتوننا بالسفرة نعبث بها، قيل: يا أبا يعلى، ما هذه؟ فأنكرت عليه، قال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها ثم أزمها غير هذه، فلا تحفظوها علي واحفظوا عني ما أقول لكم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد "، فذكر مثله وزاد: «وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب». هكذا رواه يحيى وعامة أصحاب الأوزاعي عنه مرسلا، وجوده عنه سويد بن عبد العزيز. حدثناه محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا أحمد بن زنجويه، ثنا هشام بن عمار، ثنا سويد بن عبد العزيز، ثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم قال: خرجنا مع شداد بن أوس فنزلنا مرج الصفر فقال: ائتونا بالسفرة نعبث بها، فكأن القوم تحفظوها عنه، فقال: يا بني أخي، لا تحفظوها عني، ولكن احفظوا مني ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كنز الناس الدنانير والدراهم فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر "، فذكر مثله. ورواه أبو الأشعث الصنعاني، عن شداد مرفوعا حدثناه سليمان بن أحمد، ثنا جعفر الفريابي، وسليمان بن أيوب بن حذلم، قالا: ثنا سليمان بن عبد الرحمن، ثنا إسماعيل بن عياش، حدثني محمد بن يزيد الرحبي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن شداد بن أوس، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا شداد، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر -[٢٦٧]-، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك "، فذكر مثله. ورواه الجريري، عن أبي العلاء بن الشخير، عن الحنظلي، عن شداد مرفوعا. حدثناه أبو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا وهب بن بقية، ثنا خالد بن عبد الله، عن الجريري، عن أبي العلاء، عن الحنظلي، عن شداد بن أوس، رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر»، فذكر مثله. ورواه الثوري، وبشر

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري، ابن بطة ٢٠٢/٣

بن المفضل، وعدي بن الفضل، وحماد بن سلمة، عن الجريري، على اختلاف بينهم فيمن بين شداد وأبي العلاء. ورواه محمد بن أبي معشر، عن أبيه، عن الشعيثي، عن شداد، نحوه." (١)

"حدثنا أبي، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، ثنا محمد بن أبي معشر، ثنا أبي، ثنا محمد بن عبد الله الشعيثي، قال: " شيع شداد غزاة فدعوه إلى سفرتهم، فقال: لو كنت أكلت طعاما منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعلم من أين هؤلاء لأكلت، ولكن عندي هدية، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فقل: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، وعزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبا تقيا، ولسانا صادقا نقيا "كذا رواه الشعيثي وخالف الجماعة في قصة السفرة." (٢)

"فاطمة بنت رسول الله قال الشيخ رحمه الله: ومن ناسكات الأصفياء وصفيات الأتقياء فاطمة رضي الله تعالى عنها، السيدة البتول البضعة الشبيهة بالرسول ألوط أولاده بقلبه لصوقا وأولهم بعد وفاته به لحوقا كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة وقد قيل: إن **التصوف الثبات في** الوفاق والبتات للحاق." (٣)

"حدثنا محمد بن معمر، ثنا أبو شعيب الحراني، ثنا يحي بن عبد الله، ثنا الأوزاعي، حدثني حسان، قال: نزل شداد بن أوس منزلا فقال: ائتونا بالسفرة نعبث، قيل: يا أبا يعلى ما هذه فأنكرت عليه فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير هذه فلا تحفظوها علي واحفظوا عني ما أقول لكم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، وأسألك لسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من -[٧٨]- شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم إنك علام الغيوب، كذا رواه الأوزاعي، عن حسان، عن شداد، ورواه سويد بن عبد العزيز عن الأوزاعي عن حسان، عن مسلم بن مشكم، عن شداد." (٤)

"حدثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون يقول: «اللهم اجعلنا من الذين استظلوا تحت رواق الحزن، وقرءوا صحف الخطايا، ونشروا دواوين الذنوب، فأورثهم الفكر الصالحة في القلب، اللهم واجعلنا من الذين أدبوا أنفسهم بلذة الجوع وتزينوا بالعلم، وسكنوا حظيرة الورع، وغلقوا أبواب الشهوات، وعرفوا مسير الدنيا بموقات المعرفة حتى نالوا علو الزهد فاستعذبوا مذلة النفوس فظفروا بدار الجلال وتواسوا بينهم بالسلام، واجعلنا من الذين فتقت لهم رتق غواشي جفون القلوب، حتى نظروا إلى تدبير حكمتك وشواهد حجج تبيانك فعرفوك بموصول فطن القلوب، فرقيت أرواحهم عن أطراف أجنحة الملائكة، فسماهم أهل الملكوت زوارا وأهل الجبروت عمارا، وترددوا في مصاف المسبحين

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١/٢٦٥

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١/٢٦٧

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٢/٣٩

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٦/٧٧

ولاذوا بأفنية المقدسين فتعلقوا بحجاب العزة وناجوا ربهم عند مطارفة كل شهوة حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عز الجلال إلى عظيم الملكوت، فرجعت القلوب إلى الصدور على الثبات بمعرفة توحيدك فلا إله إلا أنت»." (١)

"ومال؟ فقد روي عن أبي بكر أنه قال لقوم جاءوه تائبين: «تدون قتلانا ولا ندي قتلاكم»، فقال عمر: «لا نأخذ لقتلانا دية»، فرأى أبو بكر عليهم الضمان، وهو أصح قولي الشافعي.

وأما قول عمر: «فلا نأخذ لقتلانا دية» فيحتمل أنه ذهب إلى أنه لا ضمان عليهم على خلاف رأي أبي بكر، كما لا يجب على أهل الحرب ضمان ما أتلفوا على المسلمين، ويحتمل أنه كان يرى رأي أبو بكر في وجوب الضمان غير أنه رأى الإعراض عنه ترغيبا لهم في الثبات على الإسلام.

قال شعبة: سألت الحكم عن العبد يأبق، فيلحق بأرض الشرك؟ قال: لا تزوج امرأته، وسألت حمادا، فقال: تزوج امرأته.

باب تحريم قتله إذا أسلم على أي دين كان

٢٥٦٢ - أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، نا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، نا أبو حذيفة، نا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن أسامة بن زيد، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أناس من جهينة يقال لهم الحرقات، قال: فأتيت على رجل منهم، فذهبت أطعنه، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فقتلته، فجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بذلك،." (٢)

"يقال: إنما قيل له ذلك، لأن نفسه إنما يخرج بتنفسه من فيه وأنفه، غلب أحد الاسمين على الآخر، والقعص: أن يضرب، فيموت قبل أن يبرح، والمآب: المرجع، معناه: استوجب حسن المآب.

باب فرض الجهاد

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ [التوبة: ٤١]، قيل: معناه: موسرين ومعسرين.

وقيل: خفت عليكم الحركة أو ثقلت، وقال قتادة: أراد نشاطا وغير نشاط.

يعني جمع نشيط، وقال جل ذكره: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما﴾ [التوبة: ٣٩]، وقال الله تعالى: ﴿فانفروا ثبات﴾ [النساء: ٧١]، قال ابن عباس: سرايا متفرقين، وواحد الثبات: ثبة.

٢٦٣٦ - أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله." (٣)

"ومن الدليل أيضا: نهيه - صلى الله عليه وسلم - المحدث عن مسه.

٢١٠ - أخبرنا عمر بن أحمد، أنا أبو الحسن بن عبدكويه، نا الطبراني، نا إسحاق الديري، نا عبد الرزاق، عن معمر، عن

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٣٨٣/٩

(٢) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ٢٤١/١٠

(٣) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ٣٧٠/١٠

عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه قال في كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - لعمرو بن حزم: لا تمس القرآن إلا على طهر ".

فصل

قال الخطابي: عصمنا الله وإياك من الأهواء المضلة، والآراء المغوية، والفتن المحيرة، ورزقنا **وإياك الثبات على** السنة والتمسك بها، ولزوم الطريقة المستقيمة التي درج عليها السلف، وانتهجها بعدهم صالحوا الخلف، وجنبنا وإياك مداحض البدع، وبنيات طرقها العادلة عن نهج الحق وسواء." (١)

"أي رب، أذنبت ذنبا فاغفر لي، قال ربك عز وجل: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت فليعمل ما شاء)) (١) .

١١٨ - أخبرنا أحمد، حدثنا الحسن بن جعفر بن محمد (٢) السمسار،

---

(١) إسناده صحيح.

أخرجه مسلم (٢١١٢/٤-٢١١٣/ح٢٧٥٨) كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٨٨/١٠) من طريق أبي الوليد الطيالسي به.

وأخرجه البخاري (٤٦٦/١٣/ح٧٥٠٧. مع الفتح .) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله من طريق عمرو بن عاصم عن همام بن يحيي به.

وأخرجه أحمد (٢٩٦/٢) عن يزيد بن هارون، وفي (٤٠٥/٢) عن عفان كلاهما عن عفان به.

وفي حديث يزيد بن هارون زيادة "ثم عمل ذنبا آخر" في المرة الرابعة، وليست في بعض نسخ المسند كما بين ذلك الشيخ الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

وأخرجه ابن حبان (١١/٢) من طريق الحسن بن محمد بن الصباح، والحاكم (٢٤٢/٤و٢٧٠) من طريق إبراهيم بن عبد الله كلاهما عن يزيد بن هارون به، وليست فيه ذكر الذنب مرة رابعة.

وأخرجه أحمد (٤٩٢/٢) عن بهز عن حماد عن إسحاق بن أبي طلحة به نحوه.

* هذا الحديث استدركه الحاكم على الشيخين، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

وتعقبه الحافظ ابن حجر في "إتحاف المهرة" (١٥٧/١٥) حيث قال: "بل أخرجاه جميعا البخاري في التوحيد، ومسلم في التوبة من حديث همام بهذا الإسناد".

قلت: وهو كما قال، كم تقدم تخريجه.

---

(١) الحجة في بيان المحجة إسماعيل الأصبهاني ٤٠٢/١

* قوله "فليعمل ما شاء" قال السندي: "أي إنه يغفر له ما يعمل ما دام يستغفر، فهذا ترغيب له في الاستغفار، وفي الثبات على الرجاء والخوف، لا إذن له في الذنوب والله أعلم.

(٢) ابن الوضاح الحربي، البغدادي، أبو سعيد المعروف بالحرفي- بضم الحاء وسكون الراء -، هذه النسبة للبقال في بغداد، ومن يبيع الأشياء التي تتعلق بالبذور والبقالين، والسمسار لقب له.

قال العتيقي: "كان فيه تساهل، توفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة"، وقال الذهبي: "الشيخ المسند".

انظر تاريخ بغداد (٢٩٢/٧-٢٩٣) ، والأنساب (١١٣/٤) ، وكشف النقاب (رقم٧٧٩) ، والعبر (٢٠١/٣) ، ومشتبه النسبة (٢٢٥/١) ، وميزان الاعتدال (٤٨١/١) ، وسيرأعلام النبلاء (٣٦٩/١٦) ، ولسان الميزان (١٩٨/٢) ، وشذرات الذهب (٨٦/٣) .." [١]

"١٣٧ - وبه حدثنا أبو مسلم، حدثنا أبو عمر الضرير حفص بن عمر، حدثنا عدي بن الفضل، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن رجلين قد سماهما، عن شداد بن أوس، وحدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا مسدد، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا الجريري، عن أبي العلاء، عن الحنظلي، عن شداد بن أوس، وحدثنا سليمان بن أيوب بن حذلم الدمشقي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثني محمد بن يزيد الرحبي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن شداد بن أوس، قال الجريري في حديثه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أبو الأشعث في حديثه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" يا شداد بن أوس، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكتنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، وأنت علام الغيوب "." [٢]

"ابن هارون أنبأ أبو مسعود الجريري عن أبي العلاء بن الشخير عن الحنظلي عن شداد بن أوس عن النبي قال (ما من رجل يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله عز وجل إلا بعث الله إليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب)

قال وكان رسول الله يعلمنا دعوات ندعو بهن في صلاتنا أو قال في دبر صلاتنا اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأستغفرك مما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم // السند ضعيف //

٨٦ - أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بندار بن إبراهيم البقال أنبأ أبي أنبأ أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي أنبأ أبو محمد." [٣]

---

(١) الطيوريات أبو طاهر السِّلَفي ١٥٨/١

(٢) أخبار الصلاة لعبد الغني المقدسي المقدسي، عبد الغني ص/٧٤

(٣) الترغيب في الدعاء والحث عليه لعبد الغني المقدسي المقدسي، عبد الغني ص/١٤٨

"[فضل الثبات في الغزو]

٢٠- وأنبأنا غير واحد أنبأنا أبو علي الحداد أبنا أبو نعيم، أبنا أبو علي الصواف، ثنا بشر بن موسى [ثنا الحسن بن موسى]-[١٢٨]- الأشيب، ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

-[١٢٩]-

((عجب ربنا من رجلين، رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي ثار عن وطائه ولحافه إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي.

ورجل غزا في سبيل [الله] فانهزم فعلم ما عليه من الانهزام وماله في الرجوع، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته: أنظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي)) .." (١)

"[الثبات في الجهاد والذود عن إمام المسلمين]

٣١- وأنبأنا محمد بن أبي زيد أبنا محمود الصيرفي، أبنا أبو بكر بن شاذان أبنا القباب، ثنا أبو بكر بن أبي عاصم، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا محمد بن عبد الله الأسدي، عن إسرائيل، عن [مخارق] عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال: لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: يا رسول الله! إنا والله لا نقول كما قال أصحاب موسى [لموسى] : ((اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون)) ولكن نقاتل من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك.

قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق وجهه لذلك.." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم. رب زدني علما وفهما

الحمد لله جامع الشتات، ومخرج النبات، ومحيي الرفات، أحمده حمد من يسأله على ذلك الثبات. وأشهد أن لا إله إلا هو، شهادة أدخرها ليوم الممات. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المنقذ به من الهلكات، المظهر على يديه من المعجزات خوارق العادات. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تتضاعف على مر الأوقات.

وبعد،

فإنه كان من جملة نعم الله تعالى علي، وعميم إحسانه إلي، أن قيض له في حال النشأة والصغر من فعل في حقي عناية ظهرت بركاتها أوان الشيخوخة والكبر، فحملني إلى مجالس الحديث، وأثبت اسمي في أهل الرواية والتحديث، وأخذ لي خطوط جماعة كبيرة، وثلة خطيرة من متعيني الرواة، وممن تقدم دروجه بالوفاة، والمتولي لذلك هو جدي الشيخ الأجل الصالح أبو القاسم هبة الله بن رمضان ابن أبي العلاء المقرئ -تغمده الله تعالى برضوانه، وأسكنه غرف جنانه- فاستخرت الله تعالى، وخرجت في هذا الكتاب جملة من مشايخي المجيزين، متكلما على حال كل واحد منهم على جهة الاختصار، متجنبا في

---

(١) فضل الجهاد لأحمد بن عبدالواحد المقدسي المقدسي، أحمد بن عبد الواحد ص/١٢٧

(٢) فضل الجهاد لأحمد بن عبدالواحد المقدسي المقدسي، أحمد بن عبد الواحد ص/١٧٥

ذلك للتطويل والإكثار، مرتبا لهم على قدم وفياتهم -أعاد الله تعالى علينا من بركاتهم- وخرجت في ترجمة كل شخص منهم حديثا واحدا ليكون ذلك لي إن شاء الله تعالى يوم القيامة شاهدا فيها عليه بحسب ما يقتضيه الحال، منكبا عما يفضي إلى السآمة والإملال. وبدأت بذكر جدي المذكور أول الكتاب لما أشرت إليه في ترجمته من الأسباب. وإلى الله -سبحانه- الرغبة في حسن النية، وأن ينفعنا بذلك وسائر المسلمين بفضله - ورحمته. آمين.." (١)

"والآية التي نزلت في توبته: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ .

اسم أبي لبابة رفاعة، وقيل: بشير بن عبد المنذر الأنصاري.

وروى حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن علي بن الحسين أن فاطمة عليها السلام أرادت حله حين نزلت توبته.

فقال: قد أقسمت ألا يحلني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن فاطمة بضعة مني)) .

قوله: ((بضعة)) ، البضعة، والبضع من الشيء: القطعة منه.

والجهش: أن يفزع الإنسان إلى غيره ويلجأ إليه، وهو مع ذلك يريد البكاء، كما يفزع الصبي إلى أمه، يقال: جهشت وأجهشت.

في الحديث دليل على أن من سب فاطمة رضوان الله عليها فقد سب أباها، ومن سب أباها فقد كفر، وفي حديث علي رضوان الله عليه لما أراد أن ينكح ابنة أبي جهل.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها)) .

يؤكد ما قلناه.

نعوذ بالله من الخذلان في سبها، ونستعفيه من الخسران في بغضها، **ونسأله الثبات على** حب أبيها وحبها، وأن يجعلنا من حزبه وحزبها، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين، ورضي الله عن صحابته والتابعين، وأن يحشرنا مع المؤمنين، ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين، وأن يرينا وجه نبينا صلى الله عليه وسلم، ويوردنا حوضه غير مخالفين ولا مبدلين.

وقد اختلف أهل التفسير في توبة أبي لبابة رضي الله عنه؟ فقال قوم:." (٢)

"الحديث الثامن والثلاثون

٢١٧٩ - أخبرنا يوسف بن عمر بن حسين الختني، قراءة عليه وأنا أسمع، ثنا أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله الحافظ، أنا الحافظ أبو محمد القاسم بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن في كتابه إلي من دمشق، أنا الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي، بقراءة عمي عليهما، قال: فيما قرئ على القاضي أبي منصور محمد بن أحمد بن علي بن سكرويه وأنا أسمع فأقر به، قيل له حدثكم إبراهيم بن عبد الله بن محمد، ثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي،

---

(١) مشيخة النعال النَّعَّال ص/٥٥

(٢) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر لأبي اليمن ابن عساكر أبو اليمن بن عساكر ص/١٠١

ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ثنا المعتمر، عن أبيه، عن أنس، قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» .

هذا حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، وأبو داود في سننه، كلاهما عن مسدد.

أخرجه مسلم في صحيحه، والنسائي في سننه، كلاهما عن محمد بن عبد الأعلى، كلاهما عن المعتمر، فوقع لنا بدلا عاليا لهم

الحديث التاسع والثلاثون

٢١٨٠ - أخبرنا أبو المحاسن بن أبي حفص بن أبي عبد الله الصوفي رحمه الله، قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو محمد المنذري، أنا أبو الحسن أحمد بن عثمان، قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو الفضل إسماعيل بن علي الدمشقي، أنا القاضي أبو الثبات محمد بن عبد الرزاق بن عبد الله بدمشق، أنا والدي القاضي أبو غانم عبد الرزاق، ثنا أبو الفرج عمر بن عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا أبو الحسن علي بن أحمد الحلبي، ثنا محمد بن الحسن بن صالح، ثنا محمد بن معاذ، ثنا محمد بن كثير، أنا سفيان، عن عمرو بن مرة، عن عبيد الله بن الحارث، عن طليق بن قيس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدعو: «اللهم أعني ولا تعن على، وانصرني على من بغى على، رب اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك راهبا، لك مطواعا، إليك مخبتا أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي» .." (١)

"١٢- باب أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٤١٤- أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا محمد بن كثير العبدي أنبأنا سفيان عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن طليق بن قيس الحنفي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي واهدني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شكارا لك ذكارا لك أواها لك مطواعا إليك مخبتا إليك أواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي".

٢٤١٥- أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن يحي بن سعيد القطان حدثنا أبي قال حدثني عمرو بن مرة قال حدثني عبد الله بن الحارث المعلم قال حدثني طليق بن قيس.. فذكر نحوه.

٢٤١٦- أخبرنا أبو يعلى حدثنا كامل بن طلحة حدثنا حماد بن سلمة عن سعيد الجريري عن أبي العلاء عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وعزيمة الرشد وشكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم".

٢٤١٧- أخبرنا عمر بن محمد بن بجير الهمداني حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب قال حدثني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو: "اللهم اغفر لنا ذنوبنا وظلمنا وهزلنا وجدنا وعمدنا وكل ذلك عندنا اللهم أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العباد وشماتة الأعداء".

---

(١) الثاني من شعار الأبرار في الأدعية والأذكار ابن الشيخة ٢/٣٣٢

٢٤١٨- أخبرنا محمد بن المعافى العابد بصيداء حدثنا هشام بن عمار حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم." (١)

"قال خرجت مع شداد بن أوس فنزلنا منزل الصفر فقال ائتوني بالسفرة نعبث بها فكانوا يحفظونها منه فقال يا بني أخي لا تحفظوها عني ولكن احفظوا مني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم فاكتنز هؤلاء الكلمات اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب".

٢٤١٩- أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون حدثنا أبو ثور حدثنا علي بن الحسن ابن شقيق حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر بن عبيد الله قال سمعت أبا إدريس الخولاني أنه سمع النواس بن سمعان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه" قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك" قال: "والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويخفض قوما".." (٢)

"٦٤٤ - أخبرنا أبو يعلى، عن عبد الواحد بن غياث، حدثنا حماد ابن سلمة ... فذكر نحوه (١).

٦٤٥ - حدثنا أحمد بن يحيى بن زهير (٢) بتستر، حدثنا محمد بن عثمان العجلي، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن الأعمش، عن علي بن الأقمر (٣)، عن الأغر.

عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من

---

(١) إسناده صحيح، وقد بينا عند الحديث (٤٣٦٤) في مسند أبي يعلى أن حماد بن سلمة سمع من عطاء قبل الاختلاط.

والحديث في الإحسان ٤/ ١١٤ - ١١٥ برقم (٢٥٤٨).

وهو في مسند أبي يعلى الموصلي ٩/ ١٧٩ برقم (٥٢٧٢) و (٥٣٦٢) بهذا الإسناد فانظره لتمام التخريج.

وأخرجه البيهقي في السير ٩/ ١٦٤ باب: فضل المشي في سبيل الله، من طريق يوسف بن يعقوب، حدثنا عبد الواحد بن غياث، بهذا الإسناد.

وأخرجه أيضا أبو يعلى درقم (٥٣٦١)، وأحمد ١/ ٤١٦، والبغوي ٤/ ٤٣ من طريق عفان، حدثنا حماد، به.

وأخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" ٤/ ١٦٧ من طريق أبي ربيعة، عن حماد بن سلمة، به.

وأخرج الشطر الثاني منه- في **فضل الثبات في** المعركة- الحاكم في المستدرك ٢/ ١١٢، والبيهقي في السير ٩/ ٤٦ باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، من طريق موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، به. وقد سقط من (س) لفظ "عن" قبل (عبد الواحد).

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان نور الدين الهيثمي ص/٥٩٩

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان نور الدين الهيثمي ص/٦٠٠

ويقال أراق الماء يريقه، وهراقة يهريقة هراقة، على أن الهاء في (هراق) بدل من همزة (أراق).

(٢) تقدم عند الحديث (١٤٤).

(٣) في الأصلين "الأحمر" وهو خطأ.." (١)

"أسألك الثبات في الأمر، وعزيمة الرشد، وشكر نعمتك، وحسن عبادتك. وأسألك قلبا سليما، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم" (١).

---

(١) إسناده صحيح أن كان أبو العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير سمعه من شداد بن أوس، فإنني لا أعرف له رواية عنه فيما أعلم، والله أعلم. والحديث في الإحسان ٣/ ٢١٤برقم (١٩٧٤).

وأخرجه النسائي في السهو ٣/ ٥٤ باب: نوع آخر من الدعاء، من طريق أبي داود، حدثنا سليمان بن حرب، وأخرجه الطبراني في الكبير ٧/ ٢٩٤ برقم (٧١٨٠) من طريق أبي عمر الضرير، وموسى بن إسماعيل.

جميعهم حدثنا حماد بن سلمة، بهذا الإسناد.

وأخرجه الترمذي في الدعوات (٣٤٠٤) باب: سؤال الثبات في الأمر، والطبراني في الكبير ٧/ ٢٩٣ برقم (٧١٧٥) من طريق سفيان، وأخرجه الطبراني في الكبير ٧/ ٢٩٣ برقم (٧١٧٦، ٧١٧٧)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ١/ ٢٦٧ من طريق خالد بن عبد الله، كلاهما عن الجريري، عن أبي العلاء، عن رجل من فى حنظلة قال: صحبت شداد بن أوس في سفر فقال: ألا أعلمك ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلمنا أن نقول؟ ...

وأخرجه أحمد ٤/ ١٢٥ من طريق يزيد بن هارون، حدثنا أبو مسعود الجريري، بالإسناد السابق.

وأخرجه الطبراني في الكبير ٧/ ٢٩٤ برقم (٧١٧٨) من طريق بشر بن المفضل، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن رجل من فى مجاشع، عن شداد بن أوس، به.

وأخرجه الطبراني في الكبير برقم (٧١٧٩) من طريق عدي بن الفضل، حدثنا سعيد الجريري عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشخير، عن رجلين قد سماهما، عن شداد بن أوس، به.

ولتمام تخريجه والحكم عليه انظر الحديث الآتي برقم (٢٤١٨)، وانظر "تحفة =." (٢)

"٢٤١٨ - أخبرنا محمد بن المعافى العابد بصيداء، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم قال:

خرجت مع شداد بن أوس، فنزلنا مرج (١) الصفر فقال: ائتوني بالسفرة (٢)، نعبث بها. فكان القوم يحفظونها منه (٣)، فقال: يا بني أخي لا تحفظوها عني، ولكن احفظوا مني ما سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم، فاكتنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد،

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد نور الدين الهيثمي ٢/٣٨٤

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد نور الدين الهيثمي ٨/٥٩

= وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي. نقول: حي بن عبد الله المعافري ليس من رجال مسلم، والله أعلم.

وانظر "تحفة الأشراف" ٦/ ٣٥٤ برقم (٨٨٦٦)، وجامع الأصول ٤/ ٣٥٩.

(١) في الأصلين، وفي الأحسان "منزل الصفر". والتصويب من مصادر التخريج. ومرج الصفر: مكان في الغوطة بين دمشق والجولان، حيث كانت الوقعة المشهورة التي استشهد بها خالد بن سعيد بن العاصي الذي قال:

هل فارس كره النزال يعيرني ... رمحا إذا نزلوا بمرج الصفر؟

وانظر معجم البلدان ٣/ ٤١٣، و ٥/ ١٠١، ومعجم ما استعجم للبكري

١/ ٤٧٧ - ٤٧٨. وتاريخ الطبري ٣/ ٤٠٤ - ٤٠٦.

(٢) السفرة: طعام يتخذه المسافر، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إلى الجلد وسمي به كما سميت المزادة راوية، فالسفرة في طعام السفر، كاللهنة للطعام الذي يؤكل بكرة.

وقال ابن فارس في "مقاييس اللغة" ٣/ ٨٢: "السين، والفاء، والراء أصل واحد يدل على الانكشاف والجلاء ... ". وانظر بقية كلامه هناك.

(٣) في الأصلين: "فكان يحفظوها منه". والتصويب من الإحسان.." (١)

"٢٦ - باب من حدث بمشاهده في الحرب

٦٤٣ - قالة أبو عثمان عن سعد.

١٢٥٢ - عن السائب بن يزيد قال: صحبت طلحة بن عبيد الله، وسعدا، والمقداد بن الأسود، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فما سمعت أحدا منهم يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ إلا أني سمعت طلحة يحدث عن يوم احد.

٢٧ - باب وجوب النفير، وما يجب من الجهاد والنية، وقوله: ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله﴾ الآية، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ إلى قوله: ﴿على كل شيء قدير﴾

٦٤٤ - يذكر عن ابن عباس: ﴿انفروا ثبات﴾: سرايا متفرقين، يقال: أحد الثبات: ثبة.

١٢٥٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال يوم الفتح (وفي رواية: فتح مكة ٤/ ٣٨): "لا هجرة بعد الفتح؛ ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا".

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد نور الدين الهيثمي ٨/٦١

٦٤٣ - يشير بذلك إلى ما سيأتي موصولا في "ج ٣/ ٦٤ - المغازي/ ٥٨ - باب" عن أبي عثمان قال: سمعت سعدا- وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله- ... وقد روى هذا عنه غير أبي عثمان، وسيأتي موصولا في "٦٢ - الفضائل/ ١٥ - باب".

٦٤٤ - وصله الطبري بسند منقطع عنه.." (١)

"(م ت س) ، وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (" الطهور شطر الإيمان (١)) (٢) وفي رواية: (الوضوء شطر الإيمان) (٣) وفي رواية: (إسباغ الوضوء شطر الإيمان) (٤) (والحمد لله ، تملأ الميزان ، وسبحان الله ، والحمد لله ، تملآن ما بين السموات والأرض) (٥) وفي رواية: (والتسبيح والتكبير ، يملأ السموات والأرض) (٦) (والصلاة نور (٧) والصدقة برهان (٨) والزكاة برهان (٩) والصبر ضياء (١٠) والقرآن حجة لك أو عليك (١١) كل الناس يغدو (١٢) فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها (١٣) ") (١٤)

---

(١) قال النووي: اختلف العلماء في معناه ، فقيل: معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان، وقيل: معناه أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا ، وكذلك الوضوء ، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان ، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر، وقيل: المراد بالإيمان هنا الصلاة ، كما قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ ، والطهارة شرط في صحة الصلاة ، فصارت كالشطر ، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا ، وهذا القول أقرب الأقوال، ويحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ، والطهارة متضمنة الصلاة فهي انقياد في الظاهر انتهى. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٢) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩

(٣) (ت) ٣٥١٧

(٤) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(٥) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩

(٦) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(٧) أي: أنها تمنع من المعاصي ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به، وقيل: معناه أنه يكون أجرها نورا لصاحبها يوم القيامة ، وقيل: لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ ، وقيل: معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ، ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

---

(١) مختصر صحيح الإمام البخاري ناصر الدين الألباني ٢/٢٧٤

(٨) أي: الصدقة دليل على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها ، لكونه لا يعتقدها ، فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه. تحفة (ج٨ / ص ٤١٤)

(٩) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(١٠) قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة ، والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(١١) أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك. تحفة الأحوذي

(١٢) الغدو: السير والذهاب أول النهار.

(١٣) أي: كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها ، أي: يهلكها. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(١٤) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩." [١]

"الصبر عند الصدمة الأولى

(خ م حم) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (" مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال لها: اتقي الله واصبري " فقالت له: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه -) (١) (" فجاوزها ومضى " ، فمر بها رجل فقال: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ، قالت: ما عرفته ، قال: إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم) (٢) (فأخذ بها مثل الموت) (٣) (فجاءت إلى بابه ، فلم تجد عليه بوابا، فقالت: يا رسول الله ، والله ما عرفتك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الصبر عند أول صدمة) (٤)

وفي رواية (٥): " إنما الصبر عند الصدمة الأولى (٦) "

---

(١) (خ) ١٢٢٣ ، (م) ١٥ - (٩٢٦)

(٢) (خ) ١٢٢٣ ، (م) ١٥ - (٩٢٦)

(٣) (حم) ١٢٤٨٠ ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) (خ) ٦٧٣٥ ، (م) ١٥ - (٩٢٦)

(٥) (خ) ١٢٢٣ ، (م) ١٥ - (٩٢٦) ، (د) ٣١٢٤ ، (ت) ٩٨٨ ، (س) ١٨٦٩

(٦) المعنى: إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع ، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر.

وأصل الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله ، فاستعير للمصيبة الواردة على القلب.

قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ، ما كان عند مفاجأة المصيبة ، بخلاف ما بعد ذلك ، فإنه على

---

[١] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٠/٨٠

الأيام يسلو.

وحكى الخطابي عن غيره: أن المرء لا يؤجر على المصيبة ، لأنها ليست من صنعه ، وإنما يؤجر على حسن تثبته ، وجميل صبره.

وقال ابن بطال: أراد صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمع عليها مصيبة الهلاك ، وفقد الأجر.

وقال الطيبي: صدر هذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم عن قولها (لم أعرفك) على أسلوب الحكيم ، كأنه قال لها: دعي الاعتذار ، فإني لا أغضب لغير الله، وانظري لنفسك.

وقال الزين بن المنير: فائدة جواب المرأة بذلك: أنها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى والصبر ، معتذرة عن قولها الصادر عن الحزن ، بين لها أن حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال ، فهو الذي يترتب عليه الثواب. انتهى ويؤيده أن في رواية أبي هريرة المذكورة فقالت: أنا أصبر ، أنا أصبر.

وفي مرسل يحيى بن أبي كثير المذكور: " فقال: اذهبي إليك ، فإن الصبر عند الصدمة الأولى ". فتح الباري (٣/ ١٥٠)."

(١)

"النصيحة لأئمة المسلمين

(حم) ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (" ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا (١) إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر (٢) ولزوم جماعة المسلمين (٣) فإن دعوتهم تحيط (٤) من ورائهم")

(٥)

الشرح (٦)

---

(١) (لا يغل): من غل ، إذا خان ، أو من غل يغل ، إذا صار ذا حقد وعداوة ، أي: دوام المؤمن على هذه الخصال لا يدخل في قلبه خيانة أو حقدا يمنعه من تبليغ العلم ، فينبغي **له الثبات على** هذه الخصال. حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٦ / ص ١١١)

(٢) أي: إرادة الخير ولو للأئمة ، وفيه أن إرادة النصح للأئمة يكفي في إرادته لكل أحد ، لأن فساد الرعاة يتعدى آثاره إليهم. حاشية السندي (ج ١ / ص ٢١٤)

(٣) أي: موافقة المسلمين في الاعتقاد والعمل الصالح ، من صلاة الجمعة والجماعة وغير ذلك. مرقاة المفاتيح - (ج ٢ / ص ١٤١)

(٤) أي: تحفظ وتكنف.

(٥) (حم) ٢١٦٣٠ ، (ت) ٢٦٥٨ ، (جة) ٢٣٠ ، (حب) ٦٧ ، انظر صحيح الجامع: ٦٦٧٦ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٤

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٩٢/١٠

(٦) أي أن دعوة المسلمين قد أحاطت بهم ، فتحرسهم عن كيد الشيطان ، وعن الضلالة ، وفيه تنبيه على أن من خرج عن جماعتهم لم ينل بركتهم وبركة دعائهم لأنه خارج عما أحاطت بهم من ورائهم ، وفيه إيماء إلى تفضيل الخلطة على العزلة. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (ج ٢ / ص ١٤١)." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا﴾ (١)

قال البخاري ج٤ص٢٣: يذكر عن ابن عباس: ﴿انفروا ثبات﴾: سرايا متفرقين ، يقال: أحد الثبات: ثبة.

---

(١) [النساء: ٧١]." (٢)

"من علامات الساعة الصغرى ارتداد بعض القبائل عن الإسلام بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -

(خ د) ، عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: (إن الناس كانوا يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت: يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ ، قال: " نعم) (١) (فتنة وشر " ، قلت: فما العصمة من ذلك (٢)؟ ، قال: " السيف (٣) (" (٤)

---

(١) (خ) ٣٤١١

(٢) أي: فما طريق النجاة من الثبات على الخير والمحافظة عن الوقوع في ذلك الشر. عون المعبود (ج٩ص ٢٨٨)

(٣) أي: تحصل العصمة باستعمال السيف ، أو طريقها أن تضربهم بالسيف ، قال قتادة: المراد بهذه الطائفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - في زمن خلافة الصديق - رضي الله عنه -. عون المعبود (ج٩ص ٢٨٨)

(٤) (د) ٤٢٤٤." (٣)

"سورة التغابن

تفسير السورة

﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير﴾ (١)

(خ م ت حب) ، عن عبد الله بن ربيعة قال: (كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فذكر القوم رجلا ، فذكروا من خلقه ، فقال عبد الله: أرأيتم لو قطعتم رأسه ، أكنتم تستطيعون أن تعيدوه؟ ، قالوا: لا ، قال: فيده؟ ، قالوا: لا ، قال: فرجله؟ ، قالوا: لا ، قال: فإنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خلقه ، حتى تغيروا خلقه) (٢) (فالشقي من شقي في

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٧٨/١٢

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٣٣٧/١٨

(٣) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٧١/٢

بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره ، فقيل له: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟) (٣) (قال: حدثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق (٤) – قال: " إن أحدكم يجمع (٥) في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة (٦) مثل ذلك ، ثم يكون مضغة (٧) مثل ذلك (٨)) (٩) (ثم يبعث الله إليه ملكا فصوره ، وخلق سمعه وبصره ، وجلده وشعره ، ولحمه وعظامه (١٠)) (١١) (ويؤمر بأربع كلمات (١٢): فيكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد) (١٣) (يقول: يا رب ، أذكر أو أنثى؟ ، فيجعله الله ذكرا أو أنثى ، ثم يقول: يا رب ، أسوي أو غير سوي؟ ، فيجعله الله سويا أو غير سوي ، ثم يقول: يا رب ، ما رزقه؟ ، فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول: يا رب ، ما أجله؟ ، فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول: يا رب ، ما خلقه؟ ، أشقي أو سعيد؟ ، فيجعله الله شقيا أو سعيدا ، ويكتب الملك (١٤)) (١٥) (فيقضي الله تعالى إليه أمره، فيكتب ما هو لاق حتى النكبة ينكبها (١٦)) (١٧) (ثم ينفخ فيه الروح (١٨)) (١٩) (ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص) (٢٠) (فوالله إن الرجل يعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب (٢١) فيعمل بعمل أهل الجنة (٢٢)) (٢٣) (فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها) (٢٤) (وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار) (٢٥) (فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها") (٢٦)

الشرح (٢٧)

---

(١) [التغابن: ٢]

(٢) (خد) ٢٨٣ ، انظر صحيح الأدب المفرد: ٢١٥

(٣) (م) ٢٦٤٥

(٤) أي: الصادق في قوله، المصدوق فيما يأتيه من الوحي الكريم. شرح النووي على مسلم – (ج ٨ / ص ٤٨٩)

(٥) قال ابن الأثير في النهاية: يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم، أي: تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه ، حتى تتهيأ للتصوير ، ثم تخلق بعد ذلك. فتح الباري – (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٦) العلقة: الدم الجامد الغليظ ، سمي بذلك للرطوبة التي فيه، وتعلقه بما مر به. فتح الباري – (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٧) المضغة: قطعة اللحم ، سميت بذلك لأنها قدر ما يمضغ الماضغ. فتح الباري (١٨/ ٤٣٧)

(٨) يحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئا فشيئا، فيخالط الدم النطفة في الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها، وتجري في أجزائها شيئا فشيئا حتى تتكامل علقة في أثناء الأربعين، ثم يخالطها اللحم شيئا فشيئا إلى أن تشتد فتصير مضغة ، ولا تسمى علقة قبل ذلك ما دامت نطفة، وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة. فتح الباري – (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٩) (خ) ١٢٢٦

(١٠) حديث ابن مسعود بجميع طرقه يدل على أن الجنين يتقلب في مائة وعشرين يوما في ثلاثة أطوار ، كل طور منها في أربعين ، ثم بعد تكملتها ينفخ فيه الروح وقد ذكر الله تعالى هذه الأطوار الثلاثة من غير تقييد بمدة في عدة سور، منها في الحج ، ودلت الآية المذكورة على أن التخليق يكون للمضغة، وبين الحديث أن ذلك يكون فيها إذا تكاملت الأربعين ،

وهي المدة التي إذا انتهت سميت مضغة، وذكر الله النطفة ، ثم العلقة ، ثم المضغة في سور أخرى ، وزاد في سورة (المؤمنون) بعد المضغة ﴿فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما﴾ الآية، ويؤخذ منها ومن حديث الباب أن تصير المضغة عظاما بعد نفخ الروح. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(١١) (م) ٢٦٤٥

(١٢) المراد بالكلمات: القضايا المقدرة، وكل قضية تسمى كلمة. فتح (١٨/ ٤٣٧)

(١٣) (خ) ٧٠١٦

(١٤) المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة والعمل والذكورة والأنوثة ، أنه يظهر ذلك للملك، ويأمره الله بإنفاذه وكتابته، وإلا فقضاء الله تعالى سابق على ذلك، وعلمه وإرادته لكل ذلك موجود في الأزل ، والله أعلم. شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٩٣)

(١٥) (م) ٢٦٤٥

(١٦) (النكبة): ما يصيب الإنسان من الحوادث. تحفة الأحوذي (٧/ ٣٥٩)

(١٧) (حب) ٦١٧٨ ، وصححه الألباني في ظلال الجنة: ١٨٦، وصحيح موارد الظمآن: ١٥٢٠

(١٨) اتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ،

وقد قيل: إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر ، وهو الدخول في الشهر الخامس.

ومعنى إسناد النفخ للملك: أنه يفعله بأمر الله، والنفخ في الأصل: إخراج ريح من جوف النافخ ، ليدخل في المنفوخ فيه.

وجمع بعضهم بأن الكتابة تقع مرتين: فالكتابة الأولى في السماء ، والثانية في بطن المرأة. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(١٩) (خ) ٣١٥٤ ، ٧٠١٦

(٢٠) (م) ٢٦٤٥ ، ٢٦٤٤

(٢١) أي: أنه يتعارض عمله في اقتضاء السعادة ، والمكتوب في اقتضاء الشقاوة ، فيتحقق مقتضى المكتوب، فعبر عن ذلك بالسبق ، لأن السابق يحصل مراده دون المسبوق ، ولأنه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين ، لظفر شخص الكتاب ، وغلب شخص العمل. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٢٢) أي: من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية. فتح الباري (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٢٣) (خ) ١٢٢٦ ، (م) ٢٦٤٣

(٢٤) (ت) ٢١٣٧

(٢٥) (خ) ١٢٢٦ ، (م) ٢٦٤٣

(٢٦) (ت) ٢١٣٧

(٢٧) المراد بالذراع: التمثيل للقرب من موته ، ودخوله عقبه، وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض ذراع،

والمراد بهذا الحديث: أن هذا قد يقع في نادر من الناس، لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته ، انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ، ففي غاية الندور ، ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: " إن رحمتي سبقت غضبي ، وغلبت غضبي " ، ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية، لكن يختلفان في التخليد وعدمه؛ فالكافر يخلد في النار، والعاصي الذي مات موحدا لا يخلد فيها.

وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها، وأن من مات على شيء ، حكم له به من خير أو شر، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة. شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٨٩)

قال الحافظ في الفتح (ج ١٨ / ص ٤٣٧): وفي الحديث أن الأعمال حسنها وسيئها أمارات ، وليست بموجبات.

وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء ، وجرى به القدر في الابتداء وفيه أن الاعتبار بالخاتمة ، قال ابن أبي جمرة: هذه التي قطعت أعناق الرجال ، مع ما هم فيه من حسن الحال ، لأنهم لا يدرون بماذا يختم لهم.

وفيه أن عموم مثل قوله تعالى ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم﴾ الآية مخصوص بمن مات على ذلك.

وأن من عمل السعادة وختم له بالشقاء ، فهو في طول عمره عند الله شقي ، وبالعكس ، وما ورد مما يخالفه يؤول إلى أن يؤول إلى هذا.

وقد اشتهر الخلاف في ذلك بين الأشعرية والحنفية ، وتمسك الأشاعرة بمثل هذا الحديث ، وتمسك الحنفية بمثل قوله تعالى ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ وأكثر كل من الفريقين الاحتجاج لقوله، والحق أن النزاع لفظي، وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل ، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي ، فيقع فيه المحو والإثبات ، كالزيادة في العمر والنقص ، وأما ما في علم الله ، فلا محو فيه ولا إثبات ، والعلم عند الله.

وفيه أن في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق، فالسابق: ما في علم الله تعالى ، واللاحق: ما يقدر على الجنين في بطن أمه ، كما وقع في الحديث.

وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " ، فهو محمول على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى.

واستدل به على أن السقط بعد الأربعة أشهر يصلى عليه؛ لأنه وقت نفخ الروح فيه، وهو منقول عن القديم للشافعي ، والراجح عند الشافعية: أنه لا بد من وجود الروح ، وهو الجديد، وقد قالوا: فإذا بكى ، أو اختلج ، أو تنفس ، ثم بطل ذلك ، صلي عليه ، وإلا فلا، والأصل في ذلك ما أخرجه النسائي وصححه ابن حبان عن جابر رفعه: " إذا استهل الصبي ، ورث ، وصلي عليه ".

وفيه أن كلا من السعادة والشقاء قد يقع بلا عمل ولا عمر ، وعليه ينطبق قوله - صلى الله عليه وسلم - " الله أعلم بما كانوا عاملين ".

وفيه أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ، ولا يعارض ذلك حديث " لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله ".

وفيه الحث على الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة، وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف.

وأما ما قال عبد الحق في "كتاب العاقبة ": إن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره ، وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ، ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر ، والمجترئ على العظائم ، فيهجم عليه الموت بغتة ، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة ، نسأل الله السلامة، فهو محمول على الأكثر الأغلب.

واستدل على أنه لا يجب على الله رعاية الأصلح ، خلافا لمن قال به من المعتزلة لأن فيه أن بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله ، ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله ، فيموت على ذلك فيدخل النار، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ، ولا سيما إن طال عمره ، وقرب موته من كفره.

واستدل به بعض المعتزلة على أن من عمل عمل أهل النار ، وجب أن يدخلها ، لترتب دخولها في الخبر على العمل، وترتب الحكم على الشيء يشعر بعليته، وأجيب بأنه علامة ، لا علة ، والعلامة قد تتخلف.

سلمنا أنه علة ، لكنه في حق الكفار ، وأما العصاة فخرجوا بدليل ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فمن لم يشرك فهو داخل في المشيئة.

واستدل به الأشعري في تجويزه تكليف ما لا يطاق ، لأنه دل على أن الله كلف العباد كلهم بالإيمان ، مع أنه قدر على بعضهم أنه يموت على الكفر،

وقد قيل: إن هذه المسألة لم يثبت وقوعها إلا في الإيمان خاصة ، وما عداه لا توجد دلالة قطعية على وقوعه ، وأما مطلق الجواز فحاصل.

وفيه أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات ، بمعنى أنه خالقها ومقدرها ، لا أنه يحبها ويرضاها.

وفيه أن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده، وخالف في ذلك القدرية والجبرية ، فذهبت القدرية إلى أن فعل العبد من قبل نفسه، ومنهم من فرق بين الخير والشر ، فنسب إلى الله الخير ، ونفى عنه خلق الشر، وقيل: إنه لا يعرف قائله ، وإن كان قد اشتهر ذلك ، وإنما هذا رأي المجوس.

وذهبت الجبرية إلى أن الكل فعل الله ، وليس للمخلوق فيه تأثير أصلا.

وتوسط أهل السنة ، فمنهم من قال: أصل الفعل خلقه الله ، وللعبد قدرة غير مؤثرة في المقدور.

وأثبت بعضهم أن لها تأثيرا ، لكنه يسمى كسبا ، وبسط أدلتهم يطول.

وفي الحديث أن الأقدار غالبة، والعاقبة غائبة ، فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين ، وبحسن الخاتمة ، وسيأتي في حديث علي " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " ، وظاهره قد يعارض حديث ابن مسعود المذكور في هذا الباب، والجمع بينهما: حمل حديث علي على الأكثر الأغلب ، وحمل حديث الباب على الأقل، ولكنه لما كان جائزا ، تعين طلب الثبات. أ. هـ." (١)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٨٥/٢١

"(خ م حم) ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (" مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بامرأة تبكي عند قبر، فقال لها: اتقي الله واصبري " فقالت له: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه -) (١) (" فجاوزها ومضى " ، فمر بها رجل فقال: ما قال لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ ، قالت: ما عرفته ، قال: إنه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (٢) (فأخذ بها مثل الموت) (٣) (فجاءت إلى بابه ، فلم تجد عليه بوابا، فقالت: يا رسول الله ، والله ما عرفتك ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " إن الصبر عند أول صدمة) (٤)

وفي رواية (٥): " إنما الصبر عند الصدمة الأولى (٦) "

---

(١) (خ) ١٢٢٣ ، (م) ١٥ - (٩٢٦)

(٢) (خ) ١٢٢٣ ، (م) ١٥ - (٩٢٦)

(٣) (حم) ١٢٤٨٠ ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) (خ) ٦٧٣٥ ، (م) ١٥ - (٩٢٦)

(٥) (خ) ١٢٢٣ ، (م) ١٥ - (٩٢٦) ، (د) ٣١٢٤ ، (ت) ٩٨٨ ، (س) ١٨٦٩

(٦) المعنى: إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع ، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر.

وأصل الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله ، فاستعير للمصيبة الواردة على القلب.

قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ، ما كان عند مفاجأة المصيبة ، بخلاف ما بعد ذلك ، فإنه على الأيام يسلو.

وحكى الخطابي عن غيره: أن المرء لا يؤجر على المصيبة ، لأنها ليست من صنعه ، وإنما يؤجر على حسن تثبته ، وجميل صبره.

وقال ابن بطال: أراد - صلى الله عليه وسلم - أن لا يجتمع عليها مصيبة الهلاك ، وفقد الأجر.

وقال الطيبي: صدر هذا الجواب منه - صلى الله عليه وسلم - عن قولها (لم أعرفك) على أسلوب الحكيم ، كأنه قال لها: دعي الاعتذار ، فإني لا أغضب لغير الله، وانظري لنفسك.

وقال الزين بن المنير: فائدة جواب المرأة بذلك: أنها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى والصبر ، معتذرة عن قولها الصادر عن الحزن ، بين لها أن حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال ، فهو الذي يترتب عليه الثواب. انتهى ويؤيده أن في رواية أبي هريرة المذكورة فقالت: أنا أصبر ، أنا أصبر.

وفي مرسل يحيى بن أبي كثير المذكور: " فقال: اذهبي إليك ، فإن الصبر عند الصدمة الأولى "

وزاد عبد الرزاق فيه من مرسل الحسن: " والعبرة لا يملكها ابن آدم " وذكر هذا الحديث في زيارة القبور.

مع احتمال أن تكون المرأة المذكورة تأخرت بعد الدفن عند القبر ، والزيارة إنما تطلق على من أنشأ إلى القبر قصدا من جهة

استواء الحكم في حقها ، حيث أمرها بالتقوى والصبر لما رأى من جزعها ، ولم ينكر عليها الخروج من بيتها ، فدل على أنه جائز ، وهو أعم من أن يكون خروجها لتشييع ميتها ، فأقامت عند القبر بعد الدفن ، أو أنشأت قصد زيارته بالخروج بسبب الميت.

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم: ما كان فيه عليه - صلى الله عليه وسلم - من التواضع والرفق بالجاهل ، ومسامحة المصاب ، وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه أن القاضي لا ينبغي له أن يتخذ من يحجبه عن حوائج الناس.

وأن من أمر بمعروف ينبغي له أن يقبل ، ولو لم يعرف الآمر.

وفيه أن الجزع من المنهيات ، لأمره لها بالتقوى مقرونا بالصبر.

وفيه الترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ، ونشر الموعظة ، وأن المواجهة بالخطاب إذا لم تصادف المنوي ، لا أثر لها ، وبنى عليه بعضهم ما إذا قال: يا هند أنت طالق ، فصادف عمرة ، أن عمرة لا تطلق.

واستدل به على جواز زيارة القبور ، سواء كان الزائر رجلا أو امرأة ، كما تقدم ، وسواء كان المزور مسلما أو كافرا ، لعدم الاستفصال في ذلك ،

قال النووي: وبالجواز قطع الجمهور وقال صاحب الحاوي: لا تجوز زيارة قبر الكافر ، وهو غلط. انتهى

وحجة الماوردي: قوله تعالى: ﴿ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ وفي الاستدلال به نظر لا يخفى. فتح الباري (٣/ ١٥٠)." (١)

"(خ م ت حب) ، وعن عبد الله بن ربيعة قال: (كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فذكر القوم رجلا ، فذكروا من خلقه ، فقال عبد الله: أرأيتم لو قطعتم رأسه؟ ، أكنتم تستطيعون أن تعيدوه؟ ، قالوا: لا ، قال: فيده؟ ، قالوا: لا ، قال: فرجله؟ ، قالوا: لا ، قال: فإنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خلقه ، حتى تغيروا خلقه) (١) (فالشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره ، فقيل له: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟) (٢) (قال: حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق (٣) - قال: " إن أحدكم يجمع (٤) في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة (٥) مثل ذلك ، ثم يكون مضغة (٦) مثل ذلك (٧)) (٨) (ثم يبعث الله إليه ملكا فصوره ، وخلق سمعه وبصره ، وجلده وشعره ، ولحمه وعظامه (٩)) (١٠) (ويؤمر بأربع كلمات (١١): فيكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد) (١٢) (يقول: يا رب ، أذكر أو أنثى؟ ، فيجعله الله ذكرا أو أنثى ، ثم يقول: يا رب ، أسوي أو غير سوي؟ ، فيجعله الله سويا أو غير سوي ، ثم يقول: يا رب ، ما رزقه؟ ، فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول: يا رب ، ما أجله؟ فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول: يا رب، ما خلقه؟ ، أشقي أو سعيد؟ ، فيجعله الله شقيا أو سعيدا ، ويكتب الملك (١٣)) (١٤) (فيقضي الله تعالى إليه أمره، فيكتب ما هو لاق حتى النكبة ينكبها (١٥)) (١٦) (ثم ينفخ فيه الروح (١٧)) (١٨) (ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص) (١٩) (فوالله إن

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٣٧/٢٩

الرجل يعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب (٢٠) فيعمل بعمل أهل الجنة (٢١)) (٢٢) (فيختم له بعمل أهل الجنة ، فيدخلها) (٢٣) (وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار) (٢٤) (فيختم له بعمل أهل النار ، فيدخلها") (٢٥)
الشرح (٢٦)

---

(١) (خد) ٢٨٣ ، انظر صحيح الأدب المفرد: ٢١٥

(٢) (م) ٢٦٤٥

(٣) أي: الصادق في قوله، المصدوق فيما يأتيه من الوحي الكريم. النووي (٨/ ٤٨٩)

(٤) قال ابن الأثير في النهاية: يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم، أي: تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه، حتى تتهيأ للتصوير، ثم تخلق بعد ذلك فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٥) العلقة: الدم الجامد الغليظ ، سمي بذلك للرطوبة التي فيه، وتعلقه بما مر به. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٦) المضغة: قطعة اللحم سميت بذلك لأنها قدر ما يمضغ الماضغ. فتح (١٨/ ٤٣٧)

(٧) يحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئا فشيئا، فيخالط الدم النطفة في الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها، وتجري في أجزائها شيئا فشيئا حتى تتكامل علقة في أثناء الأربعين، ثم يخالطها اللحم شيئا فشيئا إلى أن تشتد فتصير مضغة ، ولا تسمى علقة قبل ذلك ما دامت نطفة، وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٨) (خ) ١٢٢٦

(٩) حديث ابن مسعود بجميع طرقه يدل على أن الجنين يتقلب في مائة وعشرين يوما في ثلاثة أطوار ، كل طور منها في أربعين ، ثم بعد تكملتها ينفخ فيه الروح وقد ذكر الله تعالى هذه الأطوار الثلاثة من غير تقييد بمدة في عدة سور، منها في الحج ، ودلت الآية المذكورة على أن التخليق يكون للمضغة، وبين الحديث أن ذلك يكون فيها إذا تكاملت الأربعين ، وهي المدة التي إذا انتهت سميت مضغة، وذكر الله النطفة ، ثم العلقة ، ثم المضغة في سور أخرى ، وزاد في سورة (المؤمنون) بعد المضغة ﴿فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما﴾ الآية ويؤخذ منها ومن حديث الباب أن تصير المضغة عظاما بعد نفخ الروح. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(١٠) (م) ٢٦٤٥

(١١) المراد بالكلمات: القضايا المقدرة، وكل قضية تسمى كلمة. فتح (١٨/ ٤٣٧)

(١٢) (خ) ٧٠١٦

(١٣) جمع بعضهم بأن الكتابة تقع مرتين: فالكتابة الأولى في السماء ، والثانية في بطن المرأة. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

فالمراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة والعمل والذكورة والأنوثة ، أنه يظهر ذلك للملك، ويأمره الله بإنفاذه وكتابته، وإلا فقضاء الله تعالى سابق على ذلك، وعلمه وإرادته لكل ذلك موجود في الأزل ، والله أعلم. شرح النووي

على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٩٣)

(١٤) (م) ٢٦٤٥

(١٥) (النكبة): ما يصيب الإنسان من الحوادث. تحفة الأحوذي (٧/ ٣٥٩)

(١٦) (حب) ٦١٧٨ ، وصححه الألباني في ظلال الجنة: ١٨٦، وصحيح موارد الظمآن: ١٥٢٠

(١٧) اتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ، وقد قيل: إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر، وهو الدخول في الشهر الخامس.

ومعنى إسناد النفخ للملك: أنه يفعله بأمر الله، والنفخ في الأصل: إخراج ريح من جوف النافخ ، ليدخل في المنفوخ فيه.

وجمع بعضهم بأن الكتابة تقع مرتين: فالكتابة الأولى في السماء ، والثانية في بطن المرأة. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(١٨) (خ) ٣١٥٤ ، ٧٠١٦

(١٩) (م) ٢٦٤٥ ، ٢٦٤٤

(٢٠) أي: أنه يتعارض عمله في اقتضاء السعادة ، والمكتوب في اقتضاء الشقاوة ، فيتحقق مقتضى المكتوب، فعبر عن ذلك بالسبق ، لأن السابق يحصل مراده دون المسبوق ، ولأنه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين ، لظفر شخص الكتاب ، وغلب شخص العمل. فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٢١) أي: من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية. فتح الباري (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

(٢٢) (خ) ١٢٢٦ ، (م) ٢٦٤٣

(٢٣) (ت) ٢١٣٧

(٢٤) (خ) ١٢٢٦ ، (م) ٢٦٤٣

(٢٥) (ت) ٢١٣٧

(٢٦) المراد بالذراع: التمثيل للقرب من موته ، ودخوله عقبه، وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض ذراع،

والمراد بهذا الحديث: أن هذا قد يقع في نادر من الناس، لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته ، انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ، ففي غاية الندور ، ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: " إن رحمتي سبقت غضبي ، وغلبت غضبي " ، ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية، لكن يختلفان في التخليد وعدمه؛ فالكافر يخلد في النار، والعاصي الذي مات موحدا لا يخلد فيها.

وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها، وأن من مات على شيء ، حكم له به من خير أو شر، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة. شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٨٩)

قال الحافظ في الفتح (ج ١٨ / ص ٤٣٧): وفي الحديث أن الأعمال حسنها وسيئها أمارات ، وليست بموجبات.

وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء ، وجرى به القدر في الابتداء وفيه أن الاعتبار بالخاتمة.

قال ابن أبي جمرة: هذه التي قطعت أعناق الرجال ، مع ما هم فيه من حسن الحال ، لأنهم لا يدرون بماذا يختم لهم.
وفيه أن عموم مثل قوله تعالى ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم﴾ الآية مخصوص بمن مات على ذلك وأن من عمل السعادة وختم له بالشقاء ، فهو في طول عمره عند الله شقي ، وبالعكس ، وما ورد مما يخالفه يؤول إلى أن يؤول إلى هذا.
وقد اشتهر الخلاف في ذلك بين الأشعرية والحنفية ، وتمسك الأشاعرة بمثل هذا الحديث ، وتمسك الحنفية بمثل قوله تعالى ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ وأكثر كل من الفريقين الاحتجاج لقوله، والحق أن النزاع لفظي، وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل ،
ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي ، فيقع فيه المحو والإثبات ، كالزيادة في العمر والنقص ، وأما ما في علم الله ، فلا محو فيه ولا إثبات ، والعلم عند الله.
وفيه أن في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق، فالسابق: ما في علم الله تعالى ، واللاحق: ما يقدر على الجنين في بطن أمه ، كما وقع في الحديث.
وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة "
فهو محمول على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى.
واستدل به على أن السقط بعد الأربعة أشهر يصلى عليه؛ لأنه وقت نفخ الروح فيه، وهو منقول عن القديم للشافعي ، والراجح عند الشافعية: أنه لا بد من وجود الروح ، وهو الجديد، وقد قالوا: فإذا بكى ، أو اختلج ، أو تنفس ، ثم بطل ذلك ، صلي عليه ، وإلا فلا، والأصل في ذلك ما أخرجه النسائي وصححه ابن حبان عن جابر رفعه: " إذا استهل الصبي ، ورث ، وصلي عليه ".
وفيه أن كلا من السعادة والشقاء قد يقع بلا عمل ولا عمر ، وعليه ينطبق قوله – صلى الله عليه وسلم – " الله أعلم بما كانوا عاملين ".
وفيه أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ، ولا يعارض ذلك حديث " لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله ".
وفيه الحث على الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة، وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف.
وأما ما قال عبد الحق في "كتاب العاقبة ": إن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره ، وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ، ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر ، والمجترئ على العظائم ، فيهجم عليه الموت بغتة ، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة ، نسأل الله السلامة، فهو محمول على الأكثر الأغلب.
واستدل على أنه لا يجب على الله رعاية الأصلح ، خلافا لمن قال به من المعتزلة لأن فيه أن بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله ، ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله ، فيموت على ذلك فيدخل النار ، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح ، لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ، ولا سيما إن طال عمره ، وقرب موته من كفره.
واستدل به بعض المعتزلة على أن من عمل عمل أهل النار ، وجب أن يدخلها ، لترتب دخولها في الخبر على العمل،

وترتب الحكم على الشيء يشعر بعليته، وأجيب بأنه علامة ، لا علة ، والعلامة قد تتخلف.
سلمنا أنه علة ، لكنه في حق الكفار ، وأما العصاة فخرجوا بدليل ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فمن لم يشرك فهو داخل في المشيئة.
واستدل به الأشعري في تجويزه تكليف ما لا يطاق ، لأنه دل على أن الله كلف العباد كلهم بالإيمان ، مع أنه قدر على بعضهم أنه يموت على الكفر.
وقد قيل: إن هذه المسألة لم يثبت وقوعها إلا في الإيمان خاصة ، وما عداه لا توجد دلالة قطعية على وقوعه ، وأما مطلق الجواز فحاصل.
وفيه أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات ، بمعنى أنه خالقها ومقدرها ، لا أنه يحبها ويرضاها.
وفيه أن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده، وخالف في ذلك القدرية والجبرية ، فذهبت القدرية إلى أن فعل العبد من قبل نفسه، ومنهم من فرق بين الخير والشر ، فنسب إلى الله الخير ، ونفى عنه خلق الشر، وقيل: إنه لا يعرف قائله ، وإن كان قد اشتهر ذلك ، وإنما هذا رأي المجوس.
وذهبت الجبرية إلى أن الكل فعل الله ، وليس للمخلوق فيه تأثير أصلا.
وتوسط أهل السنة ، فمنهم من قال: أصل الفعل خلقه الله ، وللعبد قدرة غير مؤثرة في المقدور.
وأثبت بعضهم أن لها تأثيرا ، لكنه يسمى كسبا ، وبسط أدلتهم يطول.
وفي الحديث أن الأقدار غالبة، والعاقبة غائبة ، فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين ، وبحسن الخاتمة ، وسيأتي في حديث علي " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " ، وظاهره قد يعارض حديث ابن مسعود المذكور في هذا الباب، والجمع بينهما: حمل حديث علي على الأكثر الأغلب ، وحمل حديث الباب على الأقل، ولكنه لما كان جائزا ، تعين طلب الثبات. أ. هـ." (١)

"(طب) ، وعن شداد بن أوس - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يا شداد بن أوس، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب " (١)

---

(١) (طب) ج٧/ص٢٧٩ ح٧١٣٥ ، (حب) ٩٣٥ ، (حم) ١٧١٥٥ ، انظر الصحيحة: ٣٢٢٨، صحيح موارد الظمآن: ٢٠٤٧." (٢)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٣٥١/٣

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٣٩٧/٣٢

"ما جاء في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

(م ت س) ، عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (" الطهور شطر الإيمان (١)) (٢)

وفي رواية: (الوضوء شطر الإيمان) (٣)

وفي رواية: (إسباغ الوضوء شطر الإيمان) (٤) (والحمد لله ، تملأ الميزان ، وسبحان الله، والحمد لله، تملآن ما بين السموات والأرض) (٥)

وفي رواية: (والتسبيح والتكبير ، يملأ السموات والأرض) (٦) (والصلاة نور (٧) والصدقة برهان (٨) (وفي رواية: والزكاة برهان) (٩) والصبر ضياء (١٠) والقرآن حجة لك أو عليك (١١) كل الناس يغدو (١٢) فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها (١٣) ") (١٤)

---

(١) قال النووي: اختلف العلماء في معناه ، فقيل: معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان.

وقيل: معناه أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا ، وكذلك الوضوء ، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان ، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر.

وقيل: المراد بالإيمان هنا: الصلاة ، كما قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ ، والطهارة شرط في صحة الصلاة ، فصارت كالشطر ، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا ، وهذا القول أقرب الأقوال. ويحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب ، وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ، والطهارة متضمنة الصلاة ، فهي انقياد في الظاهر انتهى.

تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٢) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩

(٣) (ت) ٣٥١٧

(٤) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(٥) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩

(٦) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(٧) أي: أنها تمنع من المعاصي ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به.

وقيل: معناه أنه يكون أجرها نورا لصاحبها يوم القيامة.

وقيل: لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف ، وانشراح القلب ، ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾.

وقيل: معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ، ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل.

تحفة الأحوذي (٨/ ٤١٤)

(٨) أي: الصدقة دليل على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها ، لكونه لا يعتقدها ، فمن تصدق ، استدل بصدقته

على صدق إيمانه. تحفة (٨/ ٤١٤)

(٩) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(١٠) قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة ، والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(١١) أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك. تحفة (٨/ ٤١٤)

(١٢) الغدو: السير والذهاب أول النهار.

(١٣) أي: كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته ، فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما ،

فيوبقها ، أي: يهلكها. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(١٤) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩." [1]

"(حم) ، وعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (" ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا (١) إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر (٢) ولزوم جماعة المسلمين (٣) فإن دعوتهم تحيط (٤) من ورائهم") (٥)

الشرح (٦)

---

(١) (لا يغل): من غل ، إذا خان ، أو من غل يغل ، إذا صار ذا حقد وعداوة ، أي: دوام المؤمن على هذه الخصال لا يدخل في قلبه خيانة أو حقدا يمنعه من تبليغ العلم ، فينبغي له الثبات على هذه الخصال. حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٦ / ص ١١١)

(٢) أي: إرادة الخير ولو للأئمة ، وفيه أن إرادة النصح للأئمة يكفي في إرادته لكل أحد ، لأن فساد الرعاة يتعدى آثاره إليهم. السندي (١/ ٢١٤)

(٣) أي: موافقة المسلمين في الاعتقاد والعمل الصالح ، من صلاة الجمعة والجماعة وغير ذلك. مرقاة المفاتيح - (ج ٢ / ص ١٤١)

(٤) أي: تحفظ وتكنف.

(٥) (حم) ٢١٦٣٠ ، (ت) ٢٦٥٨ ، (جة) ٢٣٠ ، (حب) ٦٧ ، انظر صحيح الجامع: ٦٦٧٦ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٤

(٦) أي أن دعوة المسلمين قد أحاطت بهم ، فتحرسهم عن كيد الشيطان ، وعن الضلالة ، وفيه تنبيه على أن من خرج

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٣٢/٤٤٥

عن جماعتهم لم ينل بركتهم وبركة دعائهم ، لأنه خارج عما أحاطت بهم من ورائهم ، وفيه إيماء إلى تفضيل الخلطة على العزلة. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ١٤١)." (١)

"(م ت س) ، وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (" الطهور شطر الإيمان (١)) (٢) وفي رواية: (الوضوء شطر الإيمان) (٣) وفي رواية: (إسباغ الوضوء شطر الإيمان) (٤) (والحمد لله ، تملأ الميزان ، وسبحان الله، والحمد لله، تملآن ما بين السموات والأرض) (٥) وفي رواية: (والتسبيح والتكبير ، يملأ السموات والأرض) (٦) (والصلاة نور (٧) والصدقة برهان (٨) (وفي رواية: والزكاة برهان) (٩) والصبر ضياء (١٠) والقرآن حجة لك أو عليك (١١) كل الناس يغدو (١٢) فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها (١٣) ") (١٤)

---

(١) قال النووي: اختلف العلماء في معناه ، فقيل: معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان.

وقيل: معناه أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا ، وكذلك الوضوء ، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان ، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر.

وقيل: المراد بالإيمان هنا: الصلاة ، كما قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ ، والطهارة شرط في صحة الصلاة ، فصارت كالشطر ، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا ، وهذا القول أقرب الأقوال. ويحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب ، وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ، والطهارة متضمنة الصلاة ، فهي انقياد في الظاهر انتهى. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٢) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩

(٣) (ت) ٣٥١٧

(٤) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(٥) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩

(٦) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(٧) أي: أنها تمنع من المعاصي ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به.

وقيل: معناه أنه يكون أجرها نورا لصاحبها يوم القيامة.

وقيل: لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف ، وانشراح القلب ، ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾.

وقيل: معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ، ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل. تحفة الأحوذي (٨/ ٤١٤)

(٨) أي: الصدقة دليل على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها ، لكونه لا يعتقدها ، فمن تصدق ، استدل بصدقته

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٩٧/٤

على صدق إيمانه. تحفة (٨/ ٤١٤)

(٩) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(١٠) قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة ، والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(١١) أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك. تحفة (٨/ ٤١٤)

(١٢) الغدو: السير والذهاب أول النهار.

(١٣) أي: كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته ، فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما ، فيوبقها ، أي: يهلكها. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(١٤) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩." [1]

"(م ت س) ، وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (" الطهور شطر الإيمان (١)) (٢) وفي رواية: (الوضوء شطر الإيمان) (٣) وفي رواية: (إسباغ الوضوء شطر الإيمان) (٤) (والحمد لله ، تملأ الميزان ، وسبحان الله، والحمد لله، تملآن ما بين السموات والأرض) (٥) وفي رواية: (والتسبيح والتكبير ، يملأ السموات والأرض) (٦) (والصلاة نور (٧) والصدقة برهان (٨) (وفي رواية: والزكاة برهان) (٩) والصبر ضياء (١٠) والقرآن حجة لك أو عليك (١١) كل الناس يغدو (١٢) فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها (١٣) ") (١٤)

---

(١) قال النووي: اختلف العلماء في معناه ، فقيل: معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان.

وقيل: معناه أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا ، وكذلك الوضوء ، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان ، فصار لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر.

وقيل: المراد بالإيمان هنا: الصلاة ، كما قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ ، والطهارة شرط في صحة الصلاة ، فصارت كالشطر ، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا ، وهذا القول أقرب الأقوال. ويحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب ، وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ، والطهارة متضمنة الصلاة ، فهي انقياد في الظاهر انتهى. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(٢) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩

(٣) (ت) ٣٥١٧

(٤) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(٥) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩

(٦) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٦/٢٨٤

(٧) أي: أنها تمنع من المعاصي ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به.

وقيل: معناه أنه يكون أجرها نورا لصاحبها يوم القيامة.

وقيل: لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف ، وانشراح القلب ، ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾.

وقيل: معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ، ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل. تحفة الأحوذي (٨/ ٤١٤)

(٨) أي: الصدقة دليل على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها ، لكونه لا يعتقدها ، فمن تصدق ، استدل بصدقته على صدق إيمانه. تحفة (٨/ ٤١٤)

(٩) (س) ٢٤٣٧ ، (جة) ٢٨٠

(١٠) قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة ، والمراد أن الصبر المحمود لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(١١) أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك. تحفة (٨/ ٤١٤)

(١٢) الغدو: السير والذهاب أول النهار.

(١٣) أي: كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته ، فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما ، فيوبقها ، أي: يهلكها. تحفة الأحوذي - (ج ٨ / ص ٤١٤)

(١٤) (م) ١ - (٢٢٣) ، (ت) ٣٥١٧ ، (جة) ٢٨٠ ، (حم) ٢٢٩٥٩." [(١)]

"(جة) ، وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يقول الله سبحانه: يا ابن آدم ، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى ، لم أرض لك ثوابا دون الجنة (١) " (٢)

---

(١) أي: إذا وقع الثبات عند أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر. فتح الباري (٤/ ٣٢٦)

(٢) (جة) ١٥٩٧ ، انظر صحيح الجامع: ٨١٤٣ ، المشكاة: ١٧٥٨." [(٢)]

"٣ - حدثنا محمود بن غيلان قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا سفيان، عن الجريري، عن أبي العلاء بن الشخير، عن رجل من بني حنظلة، قال: صحبت شداد بن أوس في سفر، فقال: ألا أعلمك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك لسانا صادقا، وقلبا سليما، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٦/٤٧٥

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٨/١٨٥

إنك أنت علام الغيوب" ، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يأخذ مضجعه، يقرأ سورة من كتاب الله، إلا وكل الله به ملكا، فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هب"،: "هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه"، " والجريري هو: سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري، وأبو العلاء اسمه: يزيد بن عبد الله بن الشخير " ، (ت) ٣٤٠٧ [قال الألباني]: ضعيف

– أخبرنا أبو داود، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن شداد بن أوس، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم " ، (س) ١٣٠٤ [قال الألباني]: ضعيف

– حدثنا روح، قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، قال: كان شداد بن أوس، في سفر، فنزل منزلا، فقال لغلامه: ائتنا بالسفرة نعبث بها، فأنكرت عليه، فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه، فلا تحفظوها علي، واحفظوا مني ما أقول لكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، وأسألك لسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب " (حم) ١٧١١٤

– قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات ندعو بهن في صلاتنا، أو قال في دبر صلاتنا: «اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأستغفرك لما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم» (حم) ١٧١٣٣

– أخبرنا محمد بن المعافى العابد بصيدا ولم يشرب الماء في الدنيا ثمان عشرة سنة، ويتخذ كل ليلة حسوا فيحسوه، قال: حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم، قال: خرجت مع شداد بن أوس، فنزلنا مرج الصفر، فقال: ائتوني بالسفرة نعبث بها، فكان القوم يحفظونها منه، فقال: يا بني أخي، لا تحفظوها عني، ولكن احفظوا مني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم، فاكتنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب". (رقم طبعة با وزير: ٩٣١) ، (حب) ٩٣٥ [قال الألباني]: صحيح لغيره – "الصحيحة" (٣٢٢٨).

– أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا كامل بن طلحة، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء، عن

شداد بن أوس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وعزيمة الرشد، وشكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم". [رقم طبعة با وزير] = (١٩٧١) ، (حب) ١٩٧٤ [قال الألباني]: صحيح لغيره - "الصحيحة" (٣٢٢٨)، وتقدم (٩٣١) من طريق آخر.." (١)

"تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا﴾ [النساء: ٧١]

٤٩ - قال البخاري ج٤ص: " يذكر عن ابن عباس: ﴿انفروا ثبات﴾: سرايا متفرقين " ،يقال: أحد الثبات: ثبة.." (٢)

"فقلت له فاذهب وهارون فادعوا ... إلى الله فرعون الذي كان طاغيا

وقولا له أأنت سويت هذه ... بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا

وقولا له أأنت رفعت هذه ... بلا عمد ارفق إذا تك بانيا

وقولا له أأنت سويت وسطها ... منيرا إذا ما جنه الليل هاديا

وقولا له من يرسل الشمس غدوة ... فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا

وقولا له من ينبت الحب في الثرى ... فيصبح منه البقل يهتز رابيا

ويخرج منه حبه في رؤسه ... ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وأنت بفضل منك نجيت يونسا ... وقد بات في بطن لحوت لياليا

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (٣)

"تذكري للبلى في قعر مظلمة ... أصار بي زاهدا في المال والرتب

إني أسر بحال سوف أسلبها ... عما قريب وأبقى رمة الترب

آخر:

دوام الورى ما لا يكون لرئم ... بدار الفنا من عربها والأعاجم

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ١٥/٦

(٢) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٥٥/٧

(٣) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٣٧١/١

وما هذه الدنيا بدار إقامة ... سيرحل عنها عالم بعد عالم

ولا يبق إلا الله جل جلاله ... هو الواحد الديان أحكم حاكم

فنسأل مولانا الثبات على الهدى ... ومغفرة تمحو الذنوب بدائم

وأختم نظمي بالصلاة مسلما ... على المصطفى المبعوث من نسل هاشم

آخر:

طارت بنا لديار البين أطيار ... فأقفرت بعدنا الأوطان والدار

وللمقادير يجري العبد كيف تشا ... بحكمة الله يرضاها ويختار

قضى وقدر فينا الموت أجمعنا ... ونحن لله بالمقضي صبار

والموت نغص دنيانا وزهرتها ... وسوف تفنى وما في الحي ديار

نسير بموتانا مساء وبكرة ... وسوف بنا بعد الممات يسار

ولابد يوما أن نزور حفائرا ... يجاورنا فيها تراب وأحجار

ولابد أن تبلى جسوم تنعمت ... بلذات دنيا سوف تفنى وتنهار

آخر:

قل للذي تاه في دنياه مفتخرا ... ضاع افتخارك بين الماء والطين

إذا تفقدت في الأجداث معتبرا ... هناك تنظر تيجان السلاطين." (١)

"فإن كان من يتلو أو يقف طريقهم ... بآثارهم يبغى الهدى غير ظالم

خوارج فاشهد أننا نحن هكذا ... وكل إمام ألمعي وحاكم

فإن أخطئوا يوما وعابوا لمن على ... مذاهب أشياخ هداة أكارم

قد اجتهدوا في نصر سنة أحمد ... وتبيين أحكام الهدى للعوالم

فليس خطاهم بالإعابة موجبا ... لبهتانهم بالمعضلات العظائم ...

كما أن من أخطا من العلماء لا ... يذمم إذا أخطا وليس بآثم

بلى بل له أجر بحسب اجتهاده ... فإن كنت لا تدري فسل كل عالم

وإن كان هجران العصاة ومقتهم ... وملة إبراهيم ذات الدعائم

بحب وبغض والمعادات والولا ... خروج كفعل المارقين البهائم

فنشهدكم بل نشهد الله أننا ... بهذا ندين الله بين العوالم

ونرجو من الله الثبات على الهدى ... على ملة المعصوم صفوة آدم

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/٢٣٤

كذلك أنكرنا على كل من يرى ... إقامته بين الغواة الغواشم

مباحا له والنص في ذاك واضح ... بتحريمها إذ قد أتى بالجرائم

وساكن عباد القبور تساهلا ... بما كان يأتي من عضال المآثم

وتسفيه آراء الهداة لنهيهم ... وتنفيرهم عن من أتى بالعظائم

وإنكارهم جهرا على من لأرضهم ... يسافر من عاص مديم وآثم

إذا لم يكن للدين والحق مظهرا ... وهذا هو الحق المبين لرائم

وذلك سدا للذريعة حيث لا ... بصاحبها تفضي لكفر ملازم

فخال سفاها من تقاصر فهمه ... وعض على الدنيا بأنياب ظالم

بأنا نرى رأي الخوارج أن ذا ... لجهل صريح من حسود ولائم." (١)

"إبراهيم عليه السلام وإكرامه لضيفه

ومن إكرام الضيف نبدأ بإكرام الضيف بما جاء عن إبراهيم الخليل عليه السلام ثم ما جاء في السنة وفي قصص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في كلام العلماء في كتب الأدب.

قال الله تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * ﴿فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾ [الذاريات:٢٤ - ٢٧] ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله يقول: أولا: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا من إكرام الله تعالى للملائكة على قول، والقول الثاني: إكرام إبراهيم لضيوفه ولا تنافي بين القولين كلاهما صحيح، فإذا وصف الله ضيوف إبراهيم بأنهم مكرمين لأن إبراهيم أكرمهم وهم مكرمون.

ثانيا: قال تعالى: ﴿إذ دخلوا عليه﴾ [الذاريات:٢٥] فلم يذكر استئذانهم ففي هذا دليل على أنه عليه السلام كان معروفا بإكرام الضيفان، فمنزله مطروق وبابه مفتوح ولا يحتاج إلى استئذان أحد فيدخلون مباشرة، بل إن استئذان الداخل هو دخوله، وهذا غاية ما يكون من الكرم، فقد تقدم معنا في أدب الاستئذان أن الإنسان إذا فتح بابه للضيوف فدعاهم إلى وليمة أن فتح الباب هو إذن، فلا يحتاجون إلى طرق ولا استئذان مادام فتح الباب الخارجي وفتح المجلس معناها هذا هو الإذن، وكان إبراهيم عليه السلام بابه مفتوح دائما وعنده مكان خاص للضيوف يدخلون إليه مباشرة من غير استئذان ﴿إذ دخلوا عليه﴾ [الحجر:٥٢].

ثالثا: قوله: (سلام) بالرفع وهم سلموا عليه بالنصب ﴿فقالوا سلاما قال سلام)) [الذاريات:٢٥] والسلام بالرفع أكمل، لماذا؟ لأن قولهم (سلاما) هي جملة فعلية أسلم سلاما.

و (سلام) جملة اسمية (سلام) مبتدأ، ومعنى الدوام والثبوت والاستقرار في الجملة الاسمية أكثر من الجملة الفعلية؛ لأن الجملة الاسمية دالة على الثبات وعدم التجدد، والجملة الفعلية تدل على أن الشيء يذهب ويجيء، يزول ويرجع، فإبراهيم حياهم

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/٥٤٠

بتحية أحسن من تحيتهم فإن قوله سلام أي: عليكم، دال على الثبوت.
رابعا: أنه حدث المبتدأ من قوله: (قوم منكرون) فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم عن مواجهتهم بذلك ولم يقل: إني أنكرتكم، لم يقل: أنتم قوم منكرون ﴿قال سلام قوم منكرون﴾ [الذاريات:٢٥] وهذا الحذف ألطف في الكلام.
خامسا: أنه بني الفعل من مفعول فقال: (منكرون) ولم يقل: إني أنكركم من أنتم؟ ومنكر صيغة المبني للمفعول حذف فاعله؛ لأنه كره أن يقول: أنا أنكركم أنا لا أعرفكم فقال: أنتم غير معروفين.
فهناك فرق في أن يقول لهم مواجهة: إني لا أعرفكم، أنت لست بمعروف، هذا مبني والمبني للمفعول لا يعرف لكن أنت غير معروف، كره أن يقول لهم ذلك فهذا أبعد عن التنفير والمواجهة بالخشونة.
سادسا: أنه راغ إلى أهله ليجيئهم بالنزل وهي الكرامة، والروغان هو: الذهاب باختفاء، بحيث لا يشعر به الضيف وهذا من كرم رب المنزل -المضيف- أن يذهب باختفاء حتى لا يشق على الضيف ويستحي فلا يشعر الضيف إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه ويقول لمن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، فحفظ مشاعر الضيف من إكرامه، وعدم إحراجه أيضا من إكرامه.
سابعا: أن إبراهيم ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة، وذلك معناه أنه كان بيته مستعدا للإكرام ولم يذهب إلى السوق ليشتري أو يذهب إلى الجيران ليستعير أو يذهب ويقترض وإنما كل شيء جاهز عنده في البيت، يعني مجهز البيت لخدمة الضيوف فهذا ما حصل، ثم مجيئه بسرعة ﴿فراغ إلى أهله فجاء﴾ [الذاريات:٢٦] ما قال: ثم جاء، لأن ثم تقتضي التراخي، والفاء للتعقيب، مباشرة ﴿فراغ إلى أهله فجاء﴾ [الذاريات:٢٦] وهذا يدل على أنه يوجد استعداد دائم ما عنده خبر أن هؤلاء سيأتون، دخلوا عليه وفاجئوه ومع ذلك كان مستعدا؛ لأن الإنسان إذا كان مستعدا لعمل الخير فأول ما تأتيه الفرصة يكون جاهزا، أما الذي ليس بمستعد والمسألة ليست في باله وهو غير متهيئ لها، فإذا فوجئ بها تفوت الفرصة عليه.
أهل الجهاد في بدر خرجوا مباشرة مستعدين للجهاد، لكنها فاتت على من؟ على الذي كان يحتاج إلى استعداد، فطوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخرج على أول صيحة، وهذا هو المستعد دائما.
فإذا: الاستعداد لعمل الخير يكسب الإنسان فرصا عظيمة، كمن يأتي لصلاة الجمعة مستعد دائما للصدقات -مثلا- في هذا اليوم الفضيل، بخلاف من تأتيه فرصة عظيمة ثم يبحث فلا يجد ويذهب ليقترض أو يذهب إلى البيت ويرجع وقد ذهبت الفرصة، فالمسألة هي قضية زيادة في الإيمان، مستوى الإيمان المرتفع بالاستعداد الدائم للخيرات، إبراهيم عليه السلام كان مستعدا باستمرار لعمل الخير ﴿فجاء بعجل سمين﴾ [الذاريات:٢٦] من الذي جاء؟ هو وليس الخادم ولا السائق ولا صاحب المطعم، هو الذي جاء بالعجل بنفسه، وهذا أبلغ في الإكرام، أن يأتي الإنسان بالضيافة لضيفه بنفسه ولو كان عنده خدم، ولم يقل: فأمر لهم بعجل سمين بل هو الذي ذهب وهذا أبلغ في إكرام الضيف.
ثامنا: أنه جاء بعجل كامل ولم يأت ببعض منه، وهذا من تمام كرمه، فلم يأت بفخذ ولا بكتف ولا بظهر بل بعجل كامل، والعجل: البقر الصغير لحمه من أطيب اللحوم، وليس بقرا غليظا.
تاسعا: أنه سمين وليس بهزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أمواله، يذبح العجل الصغير وهذا إكرام متناهي؛ لأن العجل الصغير عادة يتخذ للاعتناء والتربية ولكن آثر به ضيفانه وجاءهم بهذا الصغير ذا اللحم الطري لأجل إكرامهم.

عاشرا: أنه قربه بنفسه ولم يقل للخدم قربوه أنتم أو قرب المائدة يا غلام، وإنما قربه هو ولم يأمر خادمه بذلك.

الحادي عشر: أنه قربه إليهم ولم يقربهم إليه، وهذا أبلغ في الكرامة أن تجلس الضيف ثم تأتي له بالطعام إليه وتحمله إلى حضرته ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك أن يقترب إليه، طبعا الآن في البيوت هذا قد يكون شبه متعسر؛ لأن الألوان كثيرة فسيأتي بهذا وبهذا ويضعونه ويجهزونه ثم يقول للضيوف: ادخلوا، لا حرج في ذلك وهو من الإكرام على أية حال وليس ضد الإكرام، لكن إذا جيء به وسيق به إليهم أفضل وأحسن افرض أن عندك ما لا يشق نقله فجئت به على عربة إليهم أو على طاولة تدرج بها إليهم، هذا أولى من أن تضعه وتقول: تعالوا أو انزلوا عندك.

الثاني عشر: أنه قال: ألا تأكلون؟! فاستخدم أسلوب العرض وهذا تلطف، وهو أحسن من أن يقول: كلوا مدوا أيديكم؟ مالكم لا تمدوا أيديكم؟ نحن أتينا به لمن؟ قال: ألا تأكلون؟ الثالث عشر: أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون ولم يكن ضيوفه يحتاجون إلى إذن؛ لأن مجرد تقديم الطعام للضيف هو إذن بأكله؛ وأنت قدمته لأي شيء؟ يتفرجوا عليه؟ فبمجرد التقديم أبحت لهم الأكل فإذا لو قلت: (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه) فيقول قائل: لم يأذن فيقال: إن مجرد التقديم عرفا هو إذن بالأكل فحلال عليهم، طيب فلماذا قال إبراهيم: ألا تأكلون؟ لأنه لاحظ أنهم لا يأكلون، وفي الأصل قدمه إليهم تقديما كاملا مع الإذن ولا يحتاجون إلى كلمة تفضل، لكن لما رأى أنهم لا يأكلون قال: ألا تأكلون؟ ولهذا أوجس منهم خيفة وأحسها.

الرابع عشر: أنهم لما امتنعوا من الأكل من طعامه وخاف منهم لم يظهر لهم ذلك الخوف، أوجس منهم خيفة وأخفاه لكن الملائكة علمهم الله قالوا: لا تخف وبشروه بالغلام، فجمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، قال ابن القيم رحمه الله: وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم وكفى بهذه الآداب شرفا وفخرا فصلى الله على إبراهيم.

ومن الآداب فتح الباب للضيف قبل وصوله قال الله تعالى: ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾ [الزمر:٧٣] فأبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله تعالى: ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ [ص:٥٠] مفتحة قبل وصولهم، وذلك لأن تقديم فتح الباب في الضيافة على وصول الضيف هو إكرام له، وتأخير باب العذاب على أهل جهنم من باب المفاجأة حتى يؤخذوا بأشد الأخذ وهو من زيادة العذاب، فلذلك إذا جاءوها فتحت أبوابها.." (١)

"سبب مشروعية الأذكار في السفر

فإذا مجموعة هذه الأذكار التي تقال في السفر لأي شيء شرعت؟ أليس من الحكم أن تذكر المسافر بالله عز وجل؟!! أليس تذكره ألا يعصي ربه سبحانه وتعالى؟!! (اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور) كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أدعية السفر أعوذ بك من النقصان بعد الزيادة، أو من الزوال والنكصان **بعد الثبات والاستقرار** من أدعيته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سلسلة الآداب - المنجد، محمد صالح المنجد ٦/٨

وكان يقول في سفره إذا أسحر -في وقت السحر-: (سمع سمعا بحمد لله وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا وأفضل علينا، عائذا بالله من النار) أي: ليسمع السامع ويشهد الشاهد بنعمة الله علينا.

ثم يدعو يقول: (ربنا صاحبنا وكن معنا، واحفظنا وأفضل علينا، وأتم علينا النعمة والفضل).

فمعنى الكلام: أقول هذا وأنا مستعيذ بالله من النار.

فإذا كل هذه الأدعية يدعو بها الإنسان ليحفظ نفسه، لو أن الناس اليوم عقلوا هذا؛ فهل سيذهبون إلى الخارج مثلا ليفسقوا ويجرموا ويذنبوا، ويرتكبوا الكبائر في حق الله عز وجل؟!!." (١)

"علو همة السرماري في الجهاد

من منازل علو الهمة في الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى علو همة فارس الإسلام السرماري وهو الذي قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في وصفه: الإمام الزاهد العابد المجاهد فارس الإسلام أبو إسحاق، يقول الذهبي: وكان أحد الثقاة، وبشجاعته يضرب المثل.

وقال أيضا في موطن آخر: أخبار هذا الغازي تسر قلب المسلم.

وقال: قال إبراهيم بن عفان البزاز: كنت عند أبي عبد الله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاق السرماري فقال: ما نعلم في الإسلام مثله.

فخرجت فإذا أحمد رئيس المطوعة، فأخبرته بما قاله أبو عبد الله البخاري في السرماري، فلما سمع أحمد بذلك غضب، ودخل على البخاري وسأله، فقال: ما كذا قلت! بل ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا في الجاهلية مثله.

يعني: في الشجاعة.

وعن أحمد بن إسحاق السرماري قال: ينبغي لقائد الغزاة أن يكون فيه عشر خصال: أن يكون في قلب الأسد لا يجبن، وفي كبر النمر لا يتواضع للأعداء، وفي شجاعة الدب يقتل بجوارحه كلها، وفي حنة الخنزير لا يولي دبره، وفي غارة الذئب إذا أيس من وجه أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنملة تحمل أكثر من وزنها، **وفي الثبات كالصخر**، وفي الصبر كالحمار، وفي الوقاحة كالكلب لو دخل صيده النار لدخل خلفه، وفي اقتناص الفرصة كالديك.

قال إبراهيم بن شماس: كنت أكاتب أحمد بن إسحاق السرماري فكتب إلي: إذا أردت الخروج إلى بلاد الغزية في شراء الأسرى فاكتب إلي.

فكتبت إليه، فقدم سمرقند، فخرجنا، فلما علم جعبويه استقبلنا في عدة من جلوسه -وهو قائد جيش الكفار- فأقمنا عنده، فعرض يوما جيشه -وهو الاستعراض العسكري- فمر رجل، فعظمه وخلع عليه -أي: أن هذا جندي في جيش الكفار أخذ جعبويه يمدحه ويعظمه، وخلع عليه من الهدايا والهبات- فسألني عن السرماري فقلت: هذا رجل مبارز يعد بألف فارس.

قال: أنا أبارزه.

---

(١) سلسلة الآداب - المنجد، محمد صالح المنجد ١١/٢٠

فسكت، فقال: جعبويه: ما يقول هذا؟ قلت: يقول كذا وكذا.

قال: لعله سكران لا يشعر، ولكن غدا نركب.

فلما كان الغد ركبوا، فركب السرماري ومعه عمود خبأه في كمه، فقام بإزاء المبارز الذي هو مقدم عندهم، فقصده فهرب أحمد حتى باعده من الجيش، فظل يتراجع ويظهر التراجع أمامه حتى يبعده عن باقي الجيش، ثم كر عليه وضربه بالعمود فقتله، فتبعه إبراهيم بن شماس -لأنه كان سبقه- فلحقه، وعلم زيغويه فجهز في طلبه خمسين فارسا نقاوة فأدركوه، فثبت تحت تل من الرمال مختفيا، حتى مروا كلهم واحدا بعد واحد، وجعل يضربهم بعموده من ورائهم، إلى أن قتل تسعة وأربعين من الوراء، وأمسك واحدا، فقطع أنفه وأذنيه وأطلقه حتى يرجع ويخبر بما حدث؛ لأنه شاهد عيان.

ثم بعد عامين توفي أحمد، وذهب ابن شماس في الفداء فقال له جعبويه: من ذاك الذي قتل فرساننا؟! قال: ذلك أحمد السرماري.

قال: فلم لم تحمله معك؟ قلت: توفي.

فصك في وجهي -أي: ضربه في وجهه- وقال: لو أعلمتني أنه هو لكنت أعطيته خمسمائة برذون وعشرة آلاف شاة.

وعن عبيد الله بن واصل قال: سمعت أحمد السرماري يقول وأخرج سيفه: أعلم يقينا أني قتلت به ألف تركي، وإن عشت قتلت به ألفا آخر، ولولا خوفي أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي.

فانظر إلى غاية اتباعه وورعه في أدق الأشياء، يعني: لولا خوفه أن يكون بدعة لأوصى أن يدفن سيفه معه في قبره، مع أن هذا السيف استعمله في الجهاد، فيا عجبا ممن يوصي أن يدفن معه العود -آلة الموسيقى- في قبره! وعن محمود بن سهل الكاتب قال: كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكانا، ورئيس العدو قاعد على صفة -يعني: على ظلة وعلى بهو واسع وسقفه عال-، فرمى السرناري سهما فغرزه في الصفة، فأومأ الرئيس إلى أحد الجند لينزعه، فرماه بسهم آخر فأصاب يده فثبتها في الخشبة، فتطاول الكافر لينزعه من يده فرماه بسهم ثالث في نحره، فانهزم العدو وكان الفتح.

وعن عمران بن محمد المطوعي قال: سمعت أبي يقول: كان عمود السرناري ثمانية عشر منا، والمن رطلان، فلما شاخ جعله اثني عشر منا، وكان يقاتل بالعمود رحمه الله تعالى.." (١)

"دور الفتور في انحطاط الهمم

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك).

وقوله: (إن لكل عمل شرة)، يعني: نشاط وقوة، وقوله: (ولكل شرة فترة)، أي: ضعف وفتور، يعني: أن هذه هي طبيعة النفس البشرية، فهي تبدأ بهمة وبحمية، ثم بعد وقت يصيبها نوع من الفتور والملل.

ومن الطبيعي أن الإنسان لا يستطيع أن يلزم نفسه الجد بصورة مستمرة، والفترة والفتور أمر لابد منه، لكن على أن يكون إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فمثلا: يقف الإنسان بالسيارة في محطة البنزين لبضع دقائق، وهذا نوع من الفتور

---

(١) سلسلة علو الهمة - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٣/١٤

والضعف أو الراحة أو التوقف من أجل أن يزودها بوقود، ومثل هذه الاستراحة تزود الإنسان بطاقة؛ حتى يستطيع أن يستمر بعد ذلك، فمعنى ذلك: أنه لا يتخذ محطة البنزين مستقرا، ولا يذهب ليأتي بالعفش والسرير والمطبخ والأكل والأواني ويضعها في محطة البنزين ليتخذها مقرا ومسكنا له؛ لأن هذا الشيء لا يعقل، لكن هذا ما نفعله نحن بالفعل، فمحطة الراحة لأجل التزود -كمحطة البنزين بالضبط- نتخذها وطنا، وما يكون في حياتنا إلا اللهو واللعب والكرة، ولا يكاد يوجد مظهر من مظاهر الجد في حياتنا.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة)، يعني: فترة قليلة، وبعد ذلك يعاود الجهد، (فمن كانت فترته إلى سنتي)، أي: تبعني في الفترة كما تبعني في الشرة فقد اهتدى، (ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك).

وليس هذا مثل من يقول: ساعة لربك، وساعة لقلبك، ويقصد: القلب المريض، يقولها لك إذا نهيته عن المعاصي والمحرمات، وإطلاق البصر، والأغاني، أو أي شيء من المنكرات، حيث يقول: ساعة لربك، وساعة لقلبك! يعني: ساعة لقلبك المريض أو ساعة لشيطانك، وهذه قسمة كما قال عز وجل: ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾ [النجم:٢٢].

فالمسلم مطالب بطاعة الله سبحانه وتعالى في كل أحواله، ومطالب باحترام شرع الله في جميع عاداته، ومطالب باحترام الشرع في حالة الهزل والجد.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا أيها الناس! خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل) متفق عليه، ويقول الشاعر: لكل إلى شأو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات ومعنى هذا: أن الواحد ممكن أن يفهم ويسمع مثل هذا الكلام على ذوي الهمة في عبادة الله تعالى، ويسمع الأسباب في النهوض بالهمة فتتحرك همته إلى أنه يفعل مثل هؤلاء الخيرين الأخيار، وتقريبا أن كل من يسمع عن هذا تتحرك همته إلى الاقتداء بهم، لكن ليس كل الناس يثبتون، بل ترتفع الهمة عند هذا ثم لا تلبث أن تعود من جديد، وتأملوا ذلك في مناسبات كثيرة، فمثلا: شهر رمضان، تجد في أول يوم من رمضان المساجد مكتظة في الصلوات الخمس؛ لأن رمضان أتى، وكل إنسان يريد أن يتوب ويستقيم ويصلح حاله مع الله سبحانه وتعالى، فالهمة موجودة، حتى في عوام الناس، فيقبلون إقبالا شديدا جدا، ثم انظر إلى الانحدار الذي يحصل في أيامه البواقي، فمع مضي أيام الشهر يبدأ الناس يتقلصون رويدا رويدا، حتى يعود أهل المسجد العاديون هم الذين يعمرون المسجد من قبل كما كانوا عليه، وقس على ذلك أحوالا كثيرة جدا.

وهكذا في طلب العلم وحفظ القرآن؛ حيث إن الطالب يبدأ في حفظ القرآن بنشاط، ثم لا يلبث أن يتراخى، فمن رأى أن الله سبحانه وتعالى وفقه **إلى الثبات في** طاعة بدأها واستمر فيها فهذا من فضل الله عليه الذي حرم منه الكثيرون، فلذلك عبر الشاعر عن هذا المعنى أدق تعبير، فالعبرة بأن تثبت، وإلا فأغلب الناس يفترون ويملون، ولا يواصلون، ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لـ عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: (لا تكن مثل فلان؛ كان يقوم الليل فترك قيام الليل)، يعني: أنه فتر عن قيام الليل، فانظر إلى طاقتك الجسمية وظروف العمل والوقت وغير ذلك، وانظر ما هو الذي يدخل في طاقتك من الأوراد ومن قراءة القرآن ومن التعبد واجعله على قدر طاقتك بلا مبالغة، واستمر عليه، فمثلا: لا

تقم كل الليل ثم بعد ذلك تترك قيام الليل تماما؛ لأن مثل هذا لن يؤثر في القلب ولن يعالج قسوة القلب، بل الذي يعالج القلب هو العمل المداوم عليه حتى ولو كان قليلا، فمثلا: لو أن معك برميلا من الماء، وصببته مرة واحدة على صخرة، فإنه لن يؤثر فيها على الإطلاق، لكن لو أن نفس الكمية من الماء سقطت على هذه الصخرة الصماء قطرة قطرة فإنها ستحدث فيها حفيرة، وهكذا نفس الشيء المقصود من العبادة: علاج القلب وترقيقه وإحياؤه، وهذا لا يحصل إلا بالمداومة، حتى لو كانت جرعات قليلة في علاج أي مرض فإنها تؤثر.

فالإنسان لو أراد أن يتعاطى -مثلا- مضادا حيويا فإنه لا يأخذ الشريط كله، ولا يقول: حتى أستعجل الشفاء فسأبلع الشريط كله؛ لأن هذا يسبب تسمما، فسنة الله سبحانه وتعالى في العلاج أنه يكون رويدا رويدا، فعلى العبد أن يراعي سنن الله سبحانه وتعالى بالمداومة في كل الأمور، حتى في أذكار النوم، فلا يأت من يقول: أنا سأقول كل أذكار النوم كل ليلة، ثم إذا به لا يواظب عليها، وينام بعد ذلك ويهجرها.

لكن لو أنه قسم أذكار النوم إذا كانت خمسة عشر أو ثمانية عشر ذكرا وقال: اليوم الأول أقول ثلاثة أو أربعة، واليوم الثاني أقول أربعة، والذي يليه أربعة، وهكذا بطريقة دورية، فإنه مع الوقت يأتي بها كلها، وفي نفس الوقت لا يهجرها كلها، وإنما يهجر بعضها إلى حين، ثم يعود، والثواب الأكثر يكون للأكثر، لكن الأوسط أبسط وأجدر أن يداوم عليه صاحبه ويستمر، وقد كان أحب العمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما داوم عليه صاحبه، وكان إذا عمل عملا أثبته وداوم عليه صلى الله عليه وسلم.

وتجد في بعض الأحاديث إشارة إلى هذا، كقوله عليه الصلاة والسلام: (من صلى في يومه وليلته اثنتي عشرة ركعة دخل الجنة)، يعني: من واظب ولم ينقطع، ولم يصبه الفتور والملل.." (١)

"فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه

لقد جاءت عدة نصوص في السنة الشريفة في فضل تعليم القرآن الكريم وتعلمه، فقد ثبت عن أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى)، رواه مسلم، وقوله: (أقرؤهم) يعني: أحفظهم لكتاب الله تعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان القراء -الحفاظ- أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا) رواه البخاري في صحيحه.

فكان عمر يجعل مجلس شوراه وأصحاب شوراه هم القراء بغض النظر عن سنهم، فما دام أنهم قد حفظوا القرآن فقد استحقوا أن يكونوا في مجلس شورى عمر رضي الله تعالى عنه.

يقول الإمام النووي: واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء: أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار.

أي: لأن القرآن كلام الله، وأحسن الكلام هو كلام الله.

---

(١) سلسلة علو الهمة - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٥/١٦

وأيضا ذكرنا في صدر الكلام حديث عثمان رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، والذي روى هذا الحديث عن عثمان هو أبو عبد الرحمن السلمي، فكان يروي هذا الحديث ثم يقول: فذلك الذي أقعدني مقعدي هذا.

وكان يعلم من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج.

أي: كان طوال هذه الفترة يجلس ليحفظ الناس القرآن الكريم، فمن أجل هذا الحديث قعد أبو عبد الرحمن السلمي أربعين سنة يقرئ الناس بجامع الكوفة، مع جلالة قدره وسعة علمه.

وقد سئل سفيان الثوري عن الجهاد وتعليم القرآن أيهما أفضل؟ فرجح الثاني؛ مستدلا بهذا الحديث: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلم) يقول: وأخذ بيدي، وأقعدني في مجلس أقرئ، يعني: أحفظ الناس؛ حيث إن هذه الوظيفة هي أشرف الوظائف.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في المسجد فقال: أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان والعقيق فيأتي كل يوم بناقتين كوماوين زهراوين فيأخذهما بغير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: كلنا يا رسول الله يحب ذلك، قال: لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله تعالى خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهن من الإبل)، يعني: أن تعلم آية والاشتغال بحفظها أفضل من ناقة بهذه الصفة المذكورة.

وقال عليه الصلاة والسلام: (أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان؟)، خلفات: جمع خلفة، وهي: الحامل من النوق، وخص الحامل من النوق لأنها ستأتي بذرية أيضا، وليست فقط ناقة بمفردها لكن بذريتها، قال عليه الصلاة والسلام: (أيكم يحب إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان؟ فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)، والنفي والاستثناء يدل على الحصر والتوكيد لهذه الفضيلة؛ فمن كان يؤمن أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى فليوقن بهذا الثواب العظيم؛ إذ لا يمكن أن يقول هذا إلا ويقع هذا الشيء حتى لو لم نحس به، لأن الذي أخبرنا به هو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

فالإنسان عليه ألا يذهب إلى مجالس تعلم وحفظ القرآن إلا ويستحضر هذا الأمر الذي يحدوه ويعينه على الجلوس والتعلم، فالإنسان إذا استحضر هذا الثواب وهذه الفضيلة فإنه بلا شك يكون عنده طاقة تعينه **على الثبات والاستمرار**.

قال صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)، فهل الإنسان العاقل بعدما يسمع مثل هذا الحديث الشريف يعرض عن الجلوس في بيت الله سبحانه وتعالى ليتدارس القرآن الكريم، وينال هذا الثواب العظيم، وهذه الفضائل

التي لا تكاد تحصى، ويجلس أمام التلفزيون أو الفيديو أو غير ذلك من أجهزة الفساد؟! هل الإنسان الذي عنده عقل وإيمان ويقين بوعد الله سبحانه وتعالى ووعيده يعرض عن مجالس الذكر وفيها كل هذا الخير العظيم، ويجلس حيث شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، ويقطعون الطريق إلى الله على خلق الله؟! وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: قلت لـ ابن عباس: أي العمل أفضل؟ قال: (ذكر الله أكبر) يعني: أن أفضل شيء هو الذكر، قال ابن عباس: (ذكر الله أكبر، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله عز وجل يتدارسون كتاب الله ويتعاطونه بينهم إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، وكانوا أضياف الله ما داموا فيه، حتى يخوضوا في حديث غيره) أي: إذا خرجوا عن القرآن إلى غيره لا تبقى لهم هذه الفضيلة الموعودة في هذا الأثر.

وذكر الخطيب البغدادي: أن أحد العلماء توفي، فرئي في المنام، فقالوا: ما فعل الله بك؟ فقال: ذهبت تلك الشطحات وذهبت تلك العلوم -يعني: علوم الدنيا- وبقيت لنا سورة الفاتحة كنا نعلمها عجائز في قريتنا نفع الله بها.

فإذا كان هذا بتحفيظ الفاتحة فحسب، فكيف بمن يكون سببا في تحفيظ الناس كلام الله سبحانه وتعالى؟!." (١)

"* والدرجة الثانية: أنْ يصبرَ على البلاء، وهذه لمن لم يستطع الرِّضا بالقضاء، فالرِّضا فضلٌ مندوبٌ إليه مستحب، والصبرُ واجبٌ على المؤمن حتمٌ، وفي الصَّبر خيرٌ كثيرٌ، فإنَّ الله أمرَ به، ووعدَ عليه جزيلَ الأجر. قال الله – عز وجل –: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

- الفرق بين الرضا والصبر:

- الصَّبر: كفُّ النَّفس وحبسُها عن التسخط مع وجود الألم، وتمنِّي زوال ذلك، وكفُّ الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع.

- والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمنِّي زوال ذلك المؤلم، وإنْ وجدَ الإحساسُ بالألم.

- لكن الرضا يخفِّفُه لما يباشر القلبَ من رَوح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرِّضا، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

- بعض ما ينافي الرضا بالقضاء والقدر:

١ - الاعتراض على قضاء الله الشرعي الديني.

٢ - ترك التوكل على الله.

٣ - السخط بما قسم الله.

٤ - الحزن على ما فات.

٥ - النياحة واللطم وشق الجيوب.

٦ - تمني الموت لضر نزل أو بلاء.

٧ - عدم الرضا بالمقسوم من الرزق.

٨ - الجزع والهلع.

---

(١) سلسلة علو الهمة – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٨/١٥

- ثمرات الرضا بالقضاء والقدر:

- الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك؛ لأن المؤمن يعتقد أن النافع والضار، والمعز والمذل، والرافع والخافض هو الله وحده سبحانه وتعالى.

**- الثبات عند** مواجهة الأزمات، واستقبال مشاق الحياة بقلب ثابت ويقين صادق.

- أنه يهدئ روع المؤمن عند المصائب وعند فوات المكاسب، فلا تذهب نفسه عليها حسرات، ولا يلوم نفسه أو يعنفها، بل يصبر ويرضى بحكم الله تعالى، ويعلم أن هذا هو عين قضاء الله وقدره.

- أنه يدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والقوة والشهامة؛ فالمجاهد في سبيل الله يمضي في جهاده ولا يهاب الموت.." (١)

"بالصدق في الأقوال والأعمال والمقاصد؛ فإن الدعاة إلى الله تعالى من باب أولى وأوجب.

٢ - للصدق أثره الحميد في التآلف والتآزر والتوادد وتقارب القلوب، على عكس الكذب الذي يغرس الضغينة ويرفع الثقة، ويورث الريبة بفعل التلوّن والتغيّر **وعدم الثبات الذي** يتصف به الكاذب، ومن هذا المنطلق كان من لوازم الصدق ترك كل آفات اللسان: كالهمز، واللمز، والقيل، والقال، وكثرة السؤال .. ومتى تآلفت القلوب وتصافت واجتمعت على محبة الله سرت الدعوة في المجتمع سريان الماء في الزرع، فأمدته بالحياة والنماء والبقاء، ونما في المجتمع -كذلك - الإيمان، واستوثقت عراه وارتفعت أعلامه.

٣ - الصدق يزرع في النفوس الثقة والطُّمأْنينة والراحة والأنس، فيركن الناس إلى الدعاة الصادقين، ويثقون فيهم وبهم ويأمنونهم، وتقوية هذه الوشائج بين الدعاة والمدعوين من أهم أسباب نجاح الدعوة، ولا يتحقق ذلك إلا بالصدق .. على عكس الكذب الذي يزرع في النفوس بذور الريبة والشك والحذر، فليس أمر أهل الكذب من الوضوح والثبات بالمكان الذي يألفه الناس ويحبذونه.

ومتى وثق الناس في الداعي لصدقه فتحوا له القلوب فاستمعوا إليه إذا تحدّث وقبلوا إرشاده وتوجيهه إذا وجّه وأرشد وبيّن وحدّث، وتوجهوا إليه يسألون ويستفتون .. وحصل التواصل بينه وبينهم وهي نعمة لا تُقدَّر بثمن ولم تحصل إلا بفضل اللَّه، ثم بفضل الصدق، ونقاء الصفحة، وخلو السيرة من مساوئ الأعمال والأخلاق (١).

---

(١) انظر: أصول الدعوة وطرقها للدكتور عبد الرب بن نوّاب، ٢/ ١٢٨.." (٢)

"وقال العلامة السعدي رحمه الله: ((والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل، والزلازل، والمفظعات، مما يثبّتها، ويسكِّنها، ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد)) (١)، وهي: ((الثبات والطمأنينة، والسكون المُثَبِّتَة

---

(١) دروس تربوية من الأحاديث النبوية، خالد الحسينان ص/١٠

(٢) الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٤٥

للفؤاد)) (٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (((السكينة) إذا نزلت على القلب اطمأنّ بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب، والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا، والفحش، واللغو، والهجر، وكل باطل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((كُنَّا نَتَحدَّث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه)) (٣).

وكثيراً ما ينطق صاحب (السكينة) بكلام لم يكن عن فكرة منه، ولا روِّية، ولا هبة، ويستغربه هو من نفسه، كما يستغرب السامع له، وربّما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه.

وأكثر ما يكون: هذا عند الحاجة، وصدق الرغبة من السائل، والمجالس، وصدق الرغبة منه: هو إلى الله، والإسراع بقلبه إلى بين يديه، وحضرته، مع تجرُّدِه من الأهواء، وتجريده النصيحة لله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٨.

(٣) مدارج السالكين، ٢/ ٥٠٦، والأثر رواه الإمام أحمد، برقم ٥١٤٥ عن ابن عمر، وهو عند أبي داود، برقم ٢٩٦٣، وابن ماجه، برقم ١٠٨، عن أبي ذر – رضي الله عنه –، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٠٨، ولم أجد رواية ابن عباس التي أشار إليها الإمام ابن القيم رحمه الله.." (١)

"ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهِ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) (١).

والمشروع في البكاء أن يكون الباعث عليه: التفكُّر في الذنب، أو عدد الذنوب، أو التفكُّر في تقصيره، أو خوف عذاب الله تعالى، أو الخوف من أن لا يقبل عمله؛ لفقد شرطٍ من شروط صحته، أو خوف الموت قبل الاستعداد، أو توقير الله وتعظيمه، أو خوف الفتن، أو خوف **عدم الثبات على** الدين، أو التذلّل لله في الدعاء، أو الطَّمع في رضوان الله والجنّة، أو الشوق إلى لقاء الله تعالى، وأعظم البكاء من خشية الله في الخلوات.

رابعاً: الخشوع في الصلاة يعطي الصلاة معناها الحقيقي، وهو التوجه والحضور بالقلب، والجسد بين يدي الله تعالى، والتقرُّب له بذلك.

خامساً: الخشوع في الصلاة يهوّن الوقوف على العبد يوم القيامة؛ ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هُوِّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا

---

(١) الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٦

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، برقم ١٤٢٣، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم ١٠٣١.." (١)

"أسباب عدم تمكين أهل الحق

اعلم أن طائفة الحق قد لا تمكن لأمور: إما لأن الله سبحانه وتعالى ادخر لهم من الفضل والإنعام ما لا يخطر ببالهم، ويرشدنا إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: (ما من سرية تسلم وتغنم إلا قد تعجلوا ثلثي أجرهم، وما من سرية تخفق وتصاب إلا كان لهم أجرهم كاملا)، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وإما أن يكون ذلك لقصور وجد في السائرين إلى الله سبحانه وتعالى ويحتاج منهم إلى تعديل، وغالبا لا يكون النظر في التعديل إلا عند أوقات الشدائد والمحن، فيفكر الإنسان من أين أصابنا ما أصابنا؟ كما قال الله تعالى: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير﴾ [آل عمران:١٦٥].

فهكذا يبين لنا كتاب ربنا سبحانه وتعالى الحكم من وراء تقدير المحن، فيكون في ضمنها منح وفضائل على أهل الإسلام؛ ليراجعوا قلوبهم وأعمالهم ودعوتهم، ويتأملوا فيما يجري حولهم من تغير موازين القوى حتى تكون النهاية بفضل الله سبحانه وتعالى حتما وقطعا لصالح أهل الإسلام، ولكن لا يلزم أن يكون ذلك لجيل أو طائفة، ولذلك نقول: عندما يشتد الأمر على المسلمين يحتاجون إلى الرجوع إلى كتاب الله والسنة؛ ليجدوا في الكتاب والسنة قصص الدعاة إلى الله عز وجل، وقصص أنبياء الله سبحانه وتعالى.

ومن لم تثمر دعوته النتائج المرجوة التي قد يرجوها الإنسان، فلا يظن أن النتيجة هي أن يحصل التمكين وأن يظهر الدين ويعلو، فهذا ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [المائدة:٥٤]، وقد قص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه أنه عرضت عليه الأمم صلى الله عليه وسلم فرأى النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد.

وبعض الدعاة إلى الله عز وجل كانت نتيجة دعوتهم في الدنيا موت جميع المؤمنين بل قتلهم، وكان في ذلك الانتصار، وكان في ذلك الفوز العظيم، فقصة أصحاب الأخدود التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ترشدنا إلى هذه النقطة العظيمة الأهمية، فنحن نريد أن يؤمن الناس مهما حصل بعد ذلك، وإذا حققنا معاني العبودية لله سبحانه وتعالى فلا يضرنا ما جرى بعد ذلك، فإن الخطر الأعظم في فترات المحن أن يقع التنازل عن مفهوم من مفاهيم العبودية، أو أصل من أصول الإيمان، أو أن يحرف الدين ويبدل، أو أن يعتقد الناس خلاف الحق تحت ضغط الباطل، فنحن نعلم يقينا أن الموازين بيد الله سبحانه وتعالى، وأن القوى ليست بأيدي البشر، بل الله هو الذي يهبهم الملك إذا أراد وينزعه منهم إذا شاء كما قال تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ [آل عمران:٢٦].

فإذا أيقنا بذلك، فإن القضية التي ابتلينا بها اليوم هي أن جعل الله عز وجل القوة بأيدي أعدائنا؛ لينظر كيف نثبت على

(١) الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٣٨

الإيمان، وكيف نزداد لله إيمانا وتسليما في فترات المحن والشدائد، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويقلب قلوب العباد بما أراد، ونحن نرى في واقع الحال من ينهار إيمانه، ويزول التزامه عندما يقف في محنة، وعندما يرى أمته مستضعفة ولا يدري ما المخرج لها مما يصيبها من أعدائها، فيختار لها طريق الذل والهوان، وهو طريق التبعية والخنوع لعدوها، وأن تقبل بما يصلها من ذلك العدو الذي كان بالأمس يترك الناس أن يقولوا ما يريدون، أما اليوم فهو يقول لهم: لا تتكلموا إلا بما أريد أنا، فلا تتكلموا بما يعاديني ويعارضني، قولوا كذا ولا تقولوا كذا، علموا أولادكم كذا ولا تعلموهم كذا، وهذا موطن الخطر العظيم.
لذلك نقول: يجب ثبات المؤمنين والدعاة إلى الله عز وجل على دينهم كاملا غير منقوص لا يترك منه أي جزء، ولا يقال: إن الدين واسع، ويمكننا أن نتكلم في الدين بأشياء كثيرة بغير ما يغضب عدونا، وبغير ما يغضب من يخالفنا في ديننا كطريقة من يريد جعل إبليس والعياذ بالله من المؤمنين؛ لأنه يقر بالربوبية ويقول: ربي الله، ويدعو الله وحده حين يدعو، فلم يتوسل إليه بأموات ولا بملائكة وإنما كما قال الله عنه: ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ [الحجر:٣٦]، وهو يقر بأن الله الخالق، ويقر بأن هناك يوم بعث فيجعله مؤمنا بالله واليوم الآخر، ولا تتعجب، فإن من الزنادقة والمنافقين والكفرة الملحدين من يجعل أكفر الكفرة أعداء الله ورسله من أكمل الناس إيمانا وتقوى، وأنهم ينبغي أن يقبل منهم كلما يقولون وما يعلنون، لذلك نحتاج إلى أن نتذاكر دائما، ونكرر ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من تلك القصص الذي تعطينا معنى الثبات، وتوضح لنا عدم قبول الاحتواء الذي يريده العدو والذي يريده من حارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسعى في الأرض فسادا، نريد أن نتذكر حتى لا نضيع في وسط هذا الخضم الهائل من الفتن المتلاطمة، والتي نعلم ونوقن أن المقصود الذي يقصده الأعداء هو أن يهدموا هذه الصورة الحقيقية لدين الله، فهم يجزمون أن القوة المادية التي بأيديهم لا يمكن أن تقف في وجه طائفة قليلة ضعيفة من أهل الحق، وأن النمو الأكيد والحقيقي والطبيعي الذي فطر الله العباد عليه هو أن الحق ينمو في قلوب الناس إذا وجد، ولا يقف الباطل أمامه، بل ينهار بكل قوته المادية إذا ثبت الحق، فالحق صخرة صلبة لا يمكن أن يقف في وجهها تلك الهشاشات الباطلة، لكن بشرط أن يكون ثابتا في القلوب، نقيا صافيا، لا يقبل الاحتواء، ولا يقبل التوجيه المنكر الباطل، ونحن نعلم أن أهل الباطل لهم وسائلهم المتعددة لكي يفرضوا باطلهم.
وفي قصة أصحاب الأخدود ما نحتاج إلى تذكره دائما، نذكر به أنفسنا، ويذكر به بعضنا بعضا، والقصة من قصص الكتاب ومن قصص السنة كذلك، وقد ذكرت نهايتها في القرآن العظيم، وذكر تفصيلها وبدايتها ونهايتها في سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.
فالله عز وجل إنما ذكر النهاية لكي تتضح لنا قضية الأهداف كما ذكرنا، ولكي نعلم أن تحقيق الإيمان هو الفوز وإن قتل من قتل من المسلمين، بل حتى لو قتلوا عن آخرهم.." (١)

"الثبات على الحق ولو كان الإنسان وحده

ذكر ابن كثير رحمه الله قصة تعرف هؤلاء على بعضهم، وأن كلا منهم كان يفر بدينه ولا يريد أن يبينه؛ لأنه لا يدري أن أحدا سيكون معه، وهذا من أعظم ما ينبغي أن ينتبه إليه كل داع إلى الله عز وجل، وكل عامل في مجال الدعوة إلى الله،

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ٣/١

وكل مجاهد في سبيل الله، بل كل مسلم في الحقيقة، كل منهم خرج وهو يظن أنه الوحيد، ولم ينتظر أن يكون معه أحد ليتبرأ ويترك دين الباطل، كلهم تركوا قومهم يعبدون الأوثان، وانصرفوا إلى الأرض الواسعة، وكل منهم يظن نفسه وحيدا.

لذلك لابد أن تكون ملتزما بالحق ولو كنت ترى نفسك وحيدا، وهذه فائدة عظيمة، وهذه هي الغربة التي يستشعرها المؤمن حين يرى أكثر أهل الأرض يبتعدون عن دين الله سبحانه وتعالى، ولربما كان في مكان أو زمان لا يرى غيره على الحق، ولا شك أن النفوس تتأثر بمن حولها، وأكثر الناس يتبعون الغوغاء والكثرة، ويقولون: وجدنا الناس يقولون شيئا فقلناه.

ولا حول ولا قوة إلا بالله! والناس دائما تحتاج إلى من يحركها ويوقظها ويدفعها دفعا إلى الخير أو الشر، إلا الأفذاذ من العالم الذين يتحملون أن يكونوا أفرادا في الحق ولو لم يجدوا على الحق معينا، فكل منهم كان في نفسه أنه وحده وليس معه أحد، ثم جعل الله صداقتهم وأخوتهم وارتباطهم واجتماعهم على توحيده سبحانه وتعالى بعد ذلك.

إذا: سر في الطريق وسوف تجد لك رفاقا بإذن الله، خصوصا في أمتنا التي قال عنها النبي عليه الصلاة والسلام، (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة)، وإياك أن تقول: هل أصنع ذلك وحدي؟ لو لم تجد أحدا يدعو إلى الله فكن أنت، لو لم تجد أحدا ينصر الإسلام فكن أنت، لو لم تجد أحدا يقول الحق فقل أنت، لو لم تجد من يطع الله سبحانه وتعالى فكن أنت الذي تطيع، واستحضر في ذلك من سبقك على طريق الهدى وما حولك من الكون المطيع؛ فإن من أقوى ما يعينك **على الثبات على** الحق: أن تستحضر أن الطريق الذي تسير عليه قد سار قبلك فيه خيرة الخلق، أنبياء الله وأولياؤه، فاستحضر على بعد الديار والأزمان مسيرهم، وأنك معهم، وإن افترقت الأبدان الآن فإن الأرواح مجتمعة، وكذلك استحضر أن الكون كله -إلا الثقلين- يعبد الله سبحانه وتعالى، وأن الله يسبح له من في السموات ومن في الأرض والطير صافات، وأن الله يسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن.

فإذا استحضرت ذلك هان عليك أن تكون وحدك، وسهل عليك أن تقوم لله عز وجل بحقه، وإذا فعلت ذلك وسرت في الطريق يسر الله لك من إخوان الخير المعينين عليه من لا تعلم وجودهم الآن، ولا ترى مسيرهم معك، كيف إذا كنت ترى من يدعوك إلى الله عز وجل لتسير معه وتسمعه ليل نهار؟! لا عذر لك إذا، ولكن هؤلاء الأفاضل الأفذاذ رضي الله تعالى عنهم من أصحاب الكهف كان كل منهم يرى نفسه وحده، ومع ذلك قام وخرج وترك الباطل ولم يقلده قال عز وجل: ﴿إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾ [الكهف:١٤].." (١)

"لجوء أصحاب الكهف إلى التخفي خوف الفتنة

وقال تعالى: ﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم﴾ [الكهف:٢٠]، والظاهر أن الرجم هنا على حقيقته من الرمي بالحجارة. وقيل: يشتموكم، وليس بظاهر؛ لأن فرارهم لم يكن بسبب الشتم، والشتم شيء يسير.

قوله تعالى: ((أو يعيدوكم في ملتهم)) أي: إن لم تصبروا وتتحملوا فلقومكم إحدى غايتين: إما أن تعودوا إلى الملة الباطلة، أو يرجموكم، ثم قالوا لبعضهم: ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ [الكهف:٢٠].

وقد يقول قائل: لماذا لا يفلحون وهم مؤمنون وقد أكرهوا بالرجم؟ فإنه لا نزاع بين أهل العلم أن من أكره بالرجم أو هدد

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ٦/١٠

به أو بدءوا برجمه جاز له أن يقول كلمة الكفر، ويكون معذورا، والجواب على هذا: أن شرط الإكراه أن يكون القلب مطمئنا بالإيمان، ولربما كان المفتون لا يصبر عند الفتنة، فقد يختار الباطل إيثارا للتخلص من شر الفتنة، كالرجل الذي دخل النار في ذبابة قربها لغير الله حين طلبوا منه ذلك، وقال: ما أجد ما أقرب، قالوا: قرب ولو ذبابا، فقرب، لذلك فأصحاب الكهف خافوا على أنفسهم من أن يوافقوا قومهم على الكفر، نسأل الله عز وجل أن يثبتنا والمسلمين، وأن يثبت قلوبنا على دينه.

إذا: استبان لنا وجهان: الوجه الأول: وهو قوله ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ [الكهف:٢٠] قال ابن كثير رحمه الله: فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا، وإن وافقتموهم على العود في الدين فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ [الكهف:٢٠].

الوجه الثاني: أن الإكراه إنما كان معتبرا في أمة الإسلام، وأن ذلك من خصائص هذه الأمة، واحتجوا بذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)، وليس هذا بظاهر؛ لأن النسيان قد جعله الله عز وجل عذرا لمن سبق، كما قال موسى عليه الصلاة والسلام للخضر: (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾ [الكهف:٧٣]، فقبل عذره في هذه المرة وكان نسيانا؛ ولذلك فإن الوجه الأول هو الأظهر، فإن المؤمن لو ترك وشأنه لما اختار الباطل، ولكن لما فتن افتتن والعياذ بالله، وقاده ذلك إلى الفتنة: ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾ [الأحزاب:١٤].

فذمهم الله على عدم الثبات على الدين.

والله أعلى وأعلم.." (١)

"فرار الفتية بدينهم طلبا للرحمة

قال تعالى: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾ [الكهف:١٠].

فالرحمة تطلب من الله عز وجل: ((ربنا آتنا من لدنك رحمة)) فهذه الرحمة بأن يسترهم ويحفظهم وينصرهم على قومهم الذين أرادوهم بالسوء، وهم فروا بدينهم؛ ليثبتوا عليه، فهو أحب إليهم من كل شيء، ولن يحصلوا على ذلك إلا برحمة من الله خالق أفعال العباد، ومقلب قلوبهم سبحانه وتعالى، وكيف يثبت الإنسان على دينه والناس يطاردونه يريدونه أن يتنازل عن شيء منه أو عنه كله؟ لن يثبت إلا برحمة من الله، ((ربنا آتنا من لدنك رحمة))، والرحمة المطلوبة في هذا الموضع هي ستر الله عز وجل عليهم، لنجاتهم ممن يريد أن يفتنهم ويصرفهم منه.

فالإنسان إذا ثبت على الدين فإنما هو بسبب رحمة الله له، فعليه أن يسأله المزيد من التوفيق والثبات، ((ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا))، وذلك أن الإنسان يمر بمواطن كثيرة تعتبر فرقانا وفيصلا في حياته، يتخذ فيها قرارات إما أن يسير يمينا وإما أن يسير شمالا، إما أن يستجيب لداعي الغي الذي يطلب منه أن يبتعد عن طريق الالتزام، وإما أن يستجيب لداعي الرشاد؛ ليتخذ طريق الحق طريقا وسبيلا لا يسلك غيره، فهناك لحظات تاريخية في حياة الإنسان يتخذ

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ١٠/١١

فيها قرارا حاسما، إما أن يظل سائرا في طريق الالتزام، وإما أن ينحرف عنه ويبتعد، لأن الناس يطاردونه ويريدونه أن يترك هذا الدين.

هكذا كان هؤلاء الفتية، وفي يوم ما قرروا الانصراف من بلدهم والهجرة فرارا بدينهم ثباتا عليه، وإيثارا له، وإيثارا لأمر الله سبحانه وتعالى، وهم في ذلك يريدون أن يرشدهم الله، وماذا سوف يصنعون بعد ذلك؟ وإلى أين يذهبون؟ لا يدرون، إنما **يريدون الثبات على** الدين؛ ولا يدرون كيف يكون عملهم بعد ذلك، كما خرج موسى عليه الصلاة والسلام إلى طريق لا يعرفها، وإلى غاية لا يدركها، إنما يريد الفرار بدينه من الملأ الذين ائتمروا به ليقتلوه، فدعا ربه سبحانه وتعالى: ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ [القصص:٢٢]، ودعا ربه أن ينجيه من القوم الظالمين، فنجاه وهداه الله عز وجل سواء السبيل.

قال الله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾ [الكهف:١١]، فكان من هداية الله لهم أن ضرب الله على آذانهم بحيث إنهم صاروا لا يسمعون، وهذا من الآيات البينة المعجزة، فإن الإنسان وهو نائم- كما أثبتت الدراسات الحديثة، وكما هو ظاهر ممن ينظر إلى النائم- حواسه كلها غير مدركة، إلا حاسة السمع فهي أعظمها إدراكا، فلو أنك حاولت أن توقظ النائم بأنواع من الحركات، كالضوء الشديد وغير ذلك ما شعر بشيء من هذا، فبصره أغلقه أو لم يغلقه -لأن بعض النائمين يفتحون أعينهم أحيانا- يكون في أعمق فترات السبات والسكون، وكذا الشم والذوق، وأكثر حاسة يمكن أن تحرك الإنسان النائم هي الأذن التي يسمع بها؛ لذلك إذا ضرب على أذنه لا يمكن أن يستيقظ إلا أن يوقظه الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾ [الكهف:١١]، أجملها هنا ثم بينها بعد ذلك بأنهم لبثوا ثلاثمائة وتسع سنين.

وقال: ((ثم بعثناهم))؛ لأن الموت أخو النوم، وهو آية من آيات الله على البعث، وهذه القصة مما ذكره الله عز وجل في أدلة الإيمان بالبعث، ذلك أنهم ناموا نوما مثل الموت، وبقيت الأبدان محفوظة بلا غذاء، ولكن يمكن أن يعرف ذلك في الواقع المشهود، فهناك كائنات تستكين وتنام نوما طويلا تستهلك فيه أقل جزء من الطاقة، ثم تستيقظ بعد شهور، فقدر الله لهؤلاء بقدرته العظيمة سبحانه وتعالى أن يظلوا في نومهم أحياء نائمين، ((ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا))؛ ليدلنا على قدرته على البعث والنشور، وكذلك ليعلم العباد ((أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا))، ليعلموا أنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، ولذا وجب عليهم أن يفوضوا الأمر إلى الله، ويردوا العلم إليه سبحانه وتعالى.." (١)

"معصية إبليس أهبطته من الجنة

قال سبحانه وتعالى: ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ [الأعراف:١٣].

تعالى إبليس على أمر الله فأهبطه الله، وتكبر فصغره الله، فالعاصي يعاقب بنقيض قصده، والله عز وجل يعاقب من خالف أمره بعكس ما يريد مما أراد من المعصية والمخالفة، فإبليس لما أبى ظن أن ذلك عزة له فصار ذلك سببا لذله، وظن أن ذلك يحقق ذاتيته ويقول: أنا أعلى وأفضل، فجعله الله عز وجل حقيرا مذموما مذءوما، مدح نفسه فذمه الله لما قال: ((أنا خير

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ٦/١٥

منه))، وقال: ((اخرج منها مذءوما مدحورا)) يعني: مذموما، فعاقبه الله عز وجل بعكس ما قصد، فكل من تعزز بمعصية الله أذله الله، وكل من تكبر على طاعة الله صغره الله عز وجل، وكل من تعالى على أمر الله أهبطه الله سبحانه وتعالى.

((قال فاهبط منها)) أي: من المنزلة التي كنت فيها، من السموات العلى، لأنها لا تتناسب مع هذا الكبر، قال: ((فما يكون لك أن تتكبر فيها)).

وعندها خرج مرض إبليس الدفين بهذا الابتلاء، حيث ابتلي إبليس فما نجح في الامتحان، إذا: فليست العبرة بطول العبادة بقدر ما **يكون الثبات في** مواطن الابتلاء، قال تعالى: ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ [الأعراف:١٣].

فإذا ذكر الله عز وجل تصاغر حتى يصير مثل الذبابة، وربما يكون المكذب الكافر من بني آدم يسمع الآيات تلو الآيات ونفسه لا تصغر، لكن إبليس يصير بقدرة الله مثل الذبابة إذا سمع ذكر الله عز وجل، هوان فظيع والعياذ بالله! ثم ينتظره الهوان الأشد يوم القيامة، فهو الآن في هوان، ويوم القيامة يكون في هوان أشد نعوذ بالله من النار!." (١)

"النهي عن طلب البلاء والفرار منه مشروع **مع الثبات في** المواجهة

إن الشرع يأمرنا أن نسأل الله العافية، لذلك لا يشرع لنا طلب البلاء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وسلوا الله العافية) ولذلك نقول: إن سؤال الله عز وجل العافية هو مما أمر به الشرع، ولا يجوز للإنسان أن يعرض نفسه للبلاء فتعريض النفس للبلاء، والمجازفة بها، وقول الإنسان: إنه لا يهمه البلاء، نوع من الغرور، والإعجاب بالنفس، والثقة الزائدة بها، وهذا أمر خطير للغاية، فهذا يدل على وجود أمراض كامنة في القلب ربما كانت سببا لعدم التوفيق وعدم الثبات، وكانت سببا لحصول الخذلان والعياذ بالله! فالأمر الذي أمرنا به من سؤال الله العافية هو الأمر الشرعي، ووقوع البلاء أمر قدري كوني، يجري علينا بغير طلبنا، فإذا وقع فعلى الإنسان ألا يترك الواجب، وألا يفعل المحرمات إلا عند الإكراه، ولا يكون كالذي قال الله عز وجل فيه: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين * وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ [العنكبوت:١٠ - ١١].

ولذلك نقول: إن الفرار من البلاء مشروع، فإذا وقع فعلى المرء أن يثبت، وليقدم على الجهاد الذي أمر الله به، ولذا جاء في الحديث: (لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)، فأنت تؤدي واجبا فلا تفر من المعركة فرارا من البلاء، قال تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [التوبة:٤٩].

فلذلك نقول: إن الإنسان لا يتعرض للبلاء بنفسه، بل يجب عليه أن يسير في طريق الحق ملتزما بالواجبات، تاركا

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ١٢/٤

للمحرمات، سائلا الله العافية، فإذا وقع البلاء ثبت، ولا يقول: أنا لا يهمني شيء، وأنا لا أعبأ بهذا البلاء، فهذا كلام خطير -كما ذكرنا- يدل على أنواع من الأمراض القلبية.." (١)

"عدم فقدان ولاية الله للدعاة بتسليط العدو عليهم، وحكم اعترافهم بإخوانهم عند الإكراه

لا يظنن أحد أن تسليط العدو على الدعاة بأنواع الأذى هو من فقدان ولاية الله، أو علامة سخطه، بل هذا الغلام ولي من أولياء الله تعالى بنص السنة، ومع ذلك سلط الله عليه عدوه حتى وصل التعذيب به إلى درجة أن اعترف بأستاذه ومعلمه الذي قال له يوما: (فإن ابتليت فلا تدل علي)، لكن عجز الغلام وأكره على أن يخبر بمعلمه، وهو في ذلك معذور لا إثم عليه، قال تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ [النحل:١٠٦]، وليس الاعتراف بإخوانه في الدين عند تعرضه لمثل هذا النوع من العذاب -وإن كان يعلم أنه يصيبهم الأذى- بداخل فيما لا يجوز عند الإكراه من أذية مسلم أو معصوم؛ فإن ما أجمع عليه العلماء من أن الإكراه لا يبيح قتل مسلم أو معصوم أو انتهاك حرمته كما نقله القرطبي وغيره إنما هو في مباشرة ذلك، لا في مجرد الإخبار عن حقيقة معتقد أخيه ودينه وعمله الذي قد يكون سببا لقتله عند الكفار الظالمين.

ولنتأمل في حكمة الله عز وجل الذي استجاب دعوة الغلام في كل ما سبق، فقد كان الغلام مستجاب الدعوة في قتل الدابة، وفي شفاء الأمراض، ومع ذلك قدر الله عليه هذا البلاء دون أن يصرفه عنه، فإما أنه صرفه عن الدعاء أصلا برفع هذا العذاب، فلم يجعل الغلام يدعو؛ ليتم الابتلاء، وترفع الدرجات، وتكفر السيئات، ويكمل التمحيص، ويعرف الناس القدوة الصالحة في الثبات على الدين، وليس في الإخبار عن الراهب نقص في الدين؛ لأن ذلك من الرخص كما ذكرنا، وإن كان الأفضل الصبر على العزيمة، أو إن الله عز وجل لم يستجب دعوة الغلام في الوقت عندما دعاه؛ حتى نعلم أنه ليس لأحد مع الله عز وجل في الأمر شيء، كما قال أفضل الخلق وخليل الله وسيد الناس محمد صلى الله عليه وسلم، عندما جرح في وجهه وكسرت رباعيته يوم أحد: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته! فأنزل الله: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ [آل عمران:١٢٨]).

وكما دعا على أقوام من المشركين بأعيانهم فلم يستجب له فيهم صلى الله عليه وسلم، وجعل من أدلة التوحيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء، والذي يظهر من القصة أن الغلام صرف عن الدعاء، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر في الحديث أن الغلام دعا ولم يستجب له، وإنما ذلك كان -والله أعلى وأعلم- صرفا له عن أن يدعو لتفريج الكرب في هذه اللحظة؛ لكي يظهر أثر الثبات على الدين، ولكي يستفيد الدعاة إلى الله عز وجل، وأيضا لبيان أن تسلط العدو عليهم ليس معناه فقد الولاية من الله.." (٢)

"التضحية من أجل دين الله

والله عز وجل إنما ذكر وصف أهل الكهف بالفتية ليكونوا أسوة حسنة للشباب على الدوام في الثبات على دين الله،

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ٥/٧

(٢) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ٤/٨

والقيام بالدعوة إلى الله، وإن خالفهم من خالفهم، قال الله عز وجل: ((إذ أوى الفتية إلى الكهف))، تركوا القصور والبيوت المهيأة وأووا إلى الكهف الذي لم يتعودوا أن يعيشوا فيه، ومع ذلك رجوا في هذا الكهف الرحمة والرشد؛ لأن العادات والمساكن المرضية، والمطعم الهنيء، والملابس النظيفة، ومكان النوم المهيأ كل ذلك لا يأسر العبد المؤمن، فتحملوا أن يكونوا في كهف، وقد كانوا في قصور وبيوت مهيأة، وكانوا في مدينة، وربما تحتاج مرة أن تعيش في بيئة غير التي نشأت فيها، وفي مسكن غير الذي تعودت عليه، وفي فراش غير الذي تنام عليه لتعلم مدى الفرق بين أن يعيش الإنسان في بيت أو قصر وبين أن يبيت في كهف، ومع ذلك لم يعبئوا بذلك، ولم يكن ذلك همهم؛ لأنهم ملتفتون إلى ما هو أعظم، ما الذي يهون على الإنسان أن ينال طعاما دون طعام، ولباسا دون لباس؟! كما قال الإمام أحمد: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وصبر أيام معدودة.

والدنيا هي أيام قليلة يمكن أن يكون للإنسان فيها طعام أقل من طعام غيره، ولباس أقل من لباس غيره؛ لكنه سوف يأخذ رزقه الذي قدره الله سبحانه وتعالى له، فما الذي يجعل الإنسان يقبل ذلك ولا يلتفت إليه؟ إنه اهتمامه بما هو أعظم وأخطر وهو أن ينال الرحمة والهداية والرشد من الله سبحانه وتعالى.

وأن يسعى في مرضات الله، وعندها يهون عليه أن يفارق القصور فضلا عن البيوت الضيقة، وفضلا عن الحال الذي هو في الحقيقة نوع من الضيق والكرب، والله سبحانه وتعالى إنما رغب المؤمنين في طلب الآخرة لكي لا تشغلهم الدنيا، وأما اليوم فإننا نجد أكثر الناس يقتتلون على البيوت الضيقة، ويقتتلون على المعيشة الضنكة، ويتحاسدون على أدنى أنواع اللذات والعياذ بالله! ووالله إن لذاتهم لا تساوي شيئا عند أهل الشهوات والملذات، فإذا بالناس يحسد بعضهم بعضا، ويقتتل بعضهم مع بعض، ويكيد بعضهم لبعض على أتفه الأمور، وإن كان أهل الأموال والدنيا هم الذين ساقوا الناس إلى هذه الغايات، وألهوهم بوسائل الإفساد عن التفكير فيما هو أهم وأعظم من أمر الآخرة، فهذا الذي دفع الناس إلا أن يتوبوا، وهم حريصون على ذلك الضنك لا يستطيعون التضحية بشيء منه على الإطلاق، فقد تكون المعيشة الضنكة من أسباب تضحيته، أما أن تجد إنسانا يعيش في ضيق وغم، وكرب وفقر، ومع ذلك لا يريد التضحية بشيء فهذا أمر عجيب! يعني: أنه يريد البقاء في المسكن الضيق الذي يعيش فيه، وإن انتقل إلى غيره لم يكن فرقا بين مسكن ضيق وبين كهف في جبل، ومع ذلك فالهمم الوضيعة هي التي جعلت الإنسان لا يريد التضحية بشيء ولا حول ولا قوة إلا بالله!." (١)

"طلب الفتية الرحمة من الله والثبات على هذا الدين

هؤلاء الفتية ضحوا بمنازلهم المرفهة، وبوضعهم الذي كانوا فيه، وكانوا من أهل غنى كما سيذكر ابن كثير رحمه الله وغيره من المفسرين، فقد كانوا أهل سعة ومع ذلك صاروا إلى كهف، فليكن ذلك أيضا أسوة الشباب إذا ضاق بهم أمر في سبيل الله، وإذا حصل لهم ما قد يضيق به كثير من الناس فلا بد من التحمل والصبر والاحتساب، والذي يعينك على ذلك أن ترجو الرحمة والرشد، وأن تدعو الله سبحانه وتعالى ألا يجعل الدنيا أكبر الهم، ومبلغ العلم، قال تعالى: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾ [الكهف:١٠]، فالرحمة من الله عز وجل لتطلب: ربنا آتنا من

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ٧/٩

لدنك رحمة، وهذه الرحمة بأن يستر عليهم ويحفظهم، وأن ينصرهم على قومهم الذين أرادوهم بالسوء وهم أرادوا الفرار بدينهم؛ ليثبتوا على ذلك الدين الذي هو أحب إليهم من كل شيء **يريدون الثبات عليه**، ولن يحصلوا على ذلك إلا برحمة من الله، فالله هو خالق أفعال العباد، ومقلب قلوبهم سبحانه وتعالى.

وكيف يثبت الإنسان على دينه والناس يطاردونه ويريدونه أن يتنازل عن شيء منه أو عنه كله؟ لن يثبت إلا برحمة من الله ((ربنا آتنا من لدنك رحمة))، وكما ذكرنا أن الرحمة المطلوبة في هذا الموضع: هي ستر الله عز وجل عليهم، ونجاتهم ممن يريدهم ليفتنهم عن دينهم، وليصرفهم عن هذا الدين، فأنت إذا ثبت على الدين كنت في رحمة من الله عز وجل، وتطلب منه المزيد: بأن يؤتيك الله عز وجل مزيدا من التوفيق والثبات: ((ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا))، وذلك أن الإنسان عنده مواطن كثيرة تعتبر فرقانا وفيصلا في حياته يتخذ فيها قرارات، ويسير من خلالها يمينا أو شمالا، فإما أن يستجيب لداعي الضلال الذي يطلب منه أن يبتعد عن طريق الالتزام، وإما أن يستجيب لداعي الرشاد فيتخذ طريق الحق طريقا وسبيلا، فهناك لحظات في تاريخ الإنسان لابد أن يستخرج فيها قرارا حازما، إما أن يظل سائرا في طريق الالتزام، وإما أن ينحرف عنه ويبتعد، ويترك ذلك الدين؛ لأن الناس يطاردونه ويريدونه أن يترك هذا الدين، وهكذا كان هؤلاء الفتية، وفي يوم قرروا الانصراف من بلدهم والهجرة فرارا بالدين وثباتا عليه، وإيثارا لأمر الله سبحانه وتعالى وهم في ذلك يريدون أن يرشدهم الله، وماذا سيصنعون بعد ذلك؟! وإلى أين سيذهبون؟ فهم لا يعلمون، بل يطلبون من الله أن يهيئ لهم من أمرهم رشدا، فإنما **يريدون الثبات على** الدين، ولا يأبهون بعملهم بعد ذلك، كما خرج موسى عليه الصلاة والسلام إلى طريق لا يعرفها، وإلى غاية لا يعلمها، فإنما يريد الفرار بدينه من الملأ الذين ائتمروا به ليقتلوه، فدعا ربه سبحانه وتعالى: ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ [القصص:٢٢]، ودعا ربه أن ينجيه من القوم الظالمين، وقد كان، وهداه الله عز وجل سواء السبيل.

كذلك كان هؤلاء الفتية، فقد ثبتهم الله، وستر عن الظالمين حقيقتهم، وحفظهم سبحانه وتعالى، وثبتهم على الدين، وأرشدهم إلى ما صاروا إليه لقرارهم في ثباتهم على دينهم، وصاروا في هذه المنزلة الرفيعة حيث ذكرهم الله عز وجل في كتابه الذي يتلى إلى يوم القيامة، وصاروا ممدوحين للمؤمنين عبر العصور، يمدحهم المؤمنون ويحبونهم رغم أنهم لا يعرفون أسماءهم، ولا بلدهم، ولا زمانهم، ولا من النبي الذي كانوا يتبعون دينه، إنما هو دين الإسلام، لكن ما هو الزمان أو المكان الذي كانوا فيه يعبدون الله سبحانه وتعالى؟ لا يعلم ذلك، فجعل لهؤلاء الفتية هذا الشرف العظيم، وهيأ لهم من أمرهم رشدا كما سألوا ربهم سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء من أعظم وأجمع الأدعية التي ينبغي أن يدعو بها كل مكروب مطارد أو كل خائف يريد أن يأوي إلى مكان يصبر فيه، ويثبت على دين الله سبحانه وتعالى، فاللهم ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدا.." (١)

"شكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١). وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر

---

(١) القصص القرآني – ياسر برهامي، ياسر برهامي ٨/٩

فكان خيراً له ... )) (٢).

الخامس عشر: الصبر سبب حصول كل كمال، فأكمل الخلق أصبرهم؛ لأن كمال الصبر بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كان له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص، فإذا **انضم الثبات إلى** العزيمة أثمر كل مقام شريف وحالٍ كامل، ولهذا يُرْوَى: ((اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد)) (٣)، **وشجرة الثبات والعزيمة** لا تقوم إلا على ساق الصبر (٤).

السادس عشر: الصبر يجعل الداعية إلى الله – عز وجل – يضبط نفسه عن أمور لابد له من الابتعاد عنها، ومنها: ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الضجر، والجزع، والسأم، والملل، والعجلة، والرعونة، والغضب، والطيش، والخوف، والطمع، والأهواء، والشهوات، وبالصبر يتمكن الداعية أن يضع الأشياء مواضعها، ويتصرف في الأمور بعقل واتّزان، وينفِّذ ما يريد من تصرف في الزمن المناسب بالطريقة المناسبة الحكيمة،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم ٢٩٩٩.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، برقم ٣٤٠٧، ٥/ ٤٧٦، والنسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، برقم ١٣٠٤، ٣/ ٥٤، وأحمد في المسند، ٤/ ١٢٥.

(٤) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، ص٤٤٠.." (١)

"نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فثبت النبي – صلى الله عليه وسلم – على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ لأنه على الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب **هذا الثبات ويئس** من موافقة النبي – صلى الله عليه وسلم – لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوسَّد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقرّ بذاك منك عيونا (١)

الصورة الثالثة: مع عتبة:

بعد أن أسلم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب أخذت السحائب تنقشع، وأقلق هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم وزادهم هولاً وفزعاً تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجال قريش يساومون رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فبعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول

---

(١) أنواع الصبر ومجالاته، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٢

الله – صلى الله عليه وسلم – أموراً لعله يقبل بعضها فيُعطَى من أمور الدنيا ما يريد.
فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال: يا ابن أخي إنك منَّا حيث قد علمت من السطة (٢) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ١/ ٢٧٨، وانظر: البداية والنهاية، ٣/ ٤٢، وفقه السيرة للغزالي، ص١١٤، والرحيق المختوم، ص٩٤.

(٢) يعني: المنزلة الرفيعة. انظر: المصباح المنير، مادة ((سطا))، ص٢٧٦، والقاموس المحيط، باب الواو، فصل السين، ص١٦٧٠.." (١)

"حب الالتجاء والاعتصام بالله غريزة وفطرة إنسانية

من أعراض هذه الغريزة حب الالتجاء، فالإنسان يحب أن يلتجىء، وتلاحظون أن التجار يحاولون أن يعزفوا على هذا الوتر في قلب كل إنسان، فيتكلمون على التأمين، ويقولون: هو حصن حصين وأمان الملايين؛ لأنهم يعلمون أن هذه الغريزة موجودة في كل إنسان، من الشعور بالخوف من المستقبل، والقلق والخوف من الفقر وعلى الأولاد، فلذلك يحاولون أن يستثمروا هذه الفطرة بأن يخدعوا الناس بها، وأنهم سيلبون طلبهم.

إذا: الإنسان عنده غريزة الالتجاء والاعتصام والاحتماء والدعاء والمناجاة، والاطراح على عتبة القوي الغني الجواد الكريم الرءوف الرحيم، اللطيف الودود المعطي المانع السميع المجيب.

فالصلاة أقرب إلى المؤمن وأكثر إيواء، وسنذكر إن شاء الله بعض عجائب الصلاة، وهي كثير من القصص وسنقتصر على نماذج قليلة.

هناك أناس من الكفار ولدوا كفارا وما رأوا الصلاة من قبل، وبعضهم كان يفعل بعض أفعال الصلاة باجتهاد منه، كمن يصاب مثلا: بمرض نفسي واكتئاب أو غيره، فلا يجد راحته إلا في وضع السجود، ولا يعرف أن هذا جزء من صلاة المسلمين، فهو ما رأى مسلما يصلي، فلما رأى هذا السجود فوقف مندهشا مذهولا فسأل: ماهذا؟ فقيل: هذه صلاتنا، فهو عرف بالفطرة أن هذا السجود تعبير عن الالتجاء والاعتصام والاحتماء وتلبية لنداء هذه الفطرة، وهي فطرة الاحتياج إلى الله سبحانه وتعالى.

إذا: الصلاة أقرب إلى المؤمن، وأكثر إيواء وأسرع نجدة وإسعافا، وأتقى وأحنى وأعطف على العبد المؤمن من حجر الأم الحنون على الطفل الشريد اليتيم الضائع الضعيف العاجز، فهذا الطفل كلما هدد أو أصابه الروع أو الفزع أو مسه الجوع أو العطش آوى إلى أمه، فرمى نفسه في أحضانها أو تشبث بأذيالها، كذلك الصلاة هي أبلغ من هذا بالنسبة للمؤمن، فهي معقل المسلم وملجؤه الذي يأوي إليه، والعروة الوثقى التي يعتصم بها، وهي الحبل الموجود بينه وبين ربه الذي يتعلق به، وهي غذاء الروح، وبلسم الجروح، ودواء النفوس، وإغاثة الملهوف، وأمان الخائف وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل، وقد قال

---

(١) أنواع الصبر ومجالاته، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٨

الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة:١٥٣].
وقال أيضا: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ [البقرة:٤٥ – ٤٦].
يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة.
وقال أيضا: إن الصلاة من أكبر العون **على الثبات في** الأمر.." (١)
"عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَال:
" لَقِّنُواْ مَوْتَاكُمْ " لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله " **وَقُولُواْ: الثَّبَاتَ الثَّبَاتَ** وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله " . [الإِمَامُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَط.وَفِي كَنْزِ العُمَّالِ بِرَقْم: ٤٢١٦٦]
وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَال:
" لَقِّنُواْ مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله " .
[الإِمَامُ مُسْلِمٌ . فِي كِتَابِ الجَنَائِزِ بَابِ: تَلقِينِ المَوْتَى " لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله " بِرَقْم: (٩١٧)، وَفِي " الكَنْزِ " بِرَقْم: ٤٢١٦٧]." (٢)
"﴿آلِ عِمْرَان/٢٠٠﴾
فَإِذَا أَصبَحتُمْ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللهُ سَالِمِين: فَاغْدُواْ إِلى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِين، وَبِاللهِ عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِين، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الحَرْبَ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا، وَاضْطَرَمَتْ لَظَىً عَلَى سَيَّاقِهَا؛
فَعَلَيْكُمْ بِوَطِيسِهَا، وَمجَالَدَةِ رَئِيسِهَا، عِنْدَ احْتِدَامِ خَمِيسِهَا ـ أَيِ الْزَمُواْ قَلْبَ المَعْرَكَةِ وَتَعَقَّبُواْ قَائِدَهَا عِنْدَ التِحَامِ الجَيْشَين ـ تَظْفَرُواْ بِالغُنمِ وَالكَرَامَة، فِي دَارِ الخُلدِ وَالمُقَامَة، فَاسْتَقْبَلَ بَنُوهَا كَلاَمَهَا أَحْسَنَ اسْتِقْبَال، وَبَاتُواْ عَازِمِينَ **عَلَى الثَّبَاتِ وَالاَسْتِبْسَال**،
فَلَمَّا أَضَاءَ لَهُمُ الصُّبْحُ بَكَّرُواْ إِلى سَاحَةِ القِتَال، فَشَدَّ عَلَى العِدَى أَوَّلُهُمْ وَقَال:." (٣)
"خُطْبَةٌ جَمِيلَةٌ لأَبِي بَكْر .. **فِي الثَّبَاتِ الصَّبر**." (٤)
"وازدَادَ إيماني ويقيني بالله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالى) وفي ختام حديثي أوجهها نصيحةً صادقة إلى جميع الشبابِ فأقولُ يا شباب الإسلاَمْ: لن تجدوا السعادة في السفر، ولاَ في المخدراتِ والتخبط، لن تجدوها أو تشموا رائحتها إلاَّ في الاَلتزام بِتَعَالِيمِ الإِسْلاَمِ وَخدمة دين اللهِ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكرْ .
شَبَابَ الجِيلِ لِلإِسْلاَمِ عُودُواْ فَأَنْتُمْ رُوحُهُ وَبِكُمْ يَسُودُ
وَأَنْتُمْ سِرُّ نَهْضَتِهِ قَدِيمَاً وَأَنْتُمْ فَجْرُهُ الزَّاهِي الجَدِيدُ

---

(١) لماذا نصلي – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٢/٥
(٢) موسوعة الرقائق والأدب – ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٣٥٥١
(٣) موسوعة الرقائق والأدب – ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٤٢٠٥
(٤) موسوعة الرقائق والأدب – ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٤٥٥٧

أسأل اللهَ لي **ولكم الثباتَ وصلى** الله على نبينا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلى يَوْمِ الدِّين ....................... (أبو خالد)

(العَائِدُونَ إِلى الله الجُزْءُ الثَّالِثْ بِتَصَرُّفْ لِلشَّيخْ / مُحمَّد عَبْد العَزِيزْ المُسْنَد)

﴿بُشْرَى مِنْ رَسُولِ اللهِ إِلى الشَّبَابْ﴾." (١)

"اللَّهُم .. قاتل الكفرة أهل الكتاب اللذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق.

اللَّهُمَّ .. إني **أسألك الثبات في** الأمر، وأسألك العزيمة علي الرشد وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك لساناً صادقاً، وقلباً سليماً، وخُلقاً مستقيماً، وأعوذ بك من شر ما تعلم .. وأسألك من خير ما تعلم، واستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

اللَّهُمَّ .. أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علي عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللَّهُمَّ .. إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك وفي قبضتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حُكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو عملته أحداً من خلقك، واستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي.

اللَّهُمَّ .. قنعنى بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف علي كل غائبة لي بخير.

اللَّهُمَّ .. قني شر نفسي، واعزم لي علي أرشد أمري.." (٢)

"صور من التعاون

للتعاون صور كثيرة نذكر منها ما يلي:

- التعاون على تجهيز الغازي.
- التعاون على دفع الظلم.
- التعاون **في الثبات على** الحق والتمسك به.
- التعاون في الدعوة إلى الله.
- التعاون في تحرير الرقيق من رقهم.

---

(١) موسوعة الرقائق والأدب - ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٦٥٩٤

(٢) أحلي الكلام في مناجاة ذى الجلال والإكرام، محمد علي محمد إمام ص/٣٠

- التعاون في تزويج العزاب.
- التعاون في طلب العلم والتفقه في الدين.
- التعاون لتفريج كربات المهمومين وسد حاجات المعوزين.
- التعاون مع الأمير الصالح وتقديم النصح له ومساعدته على القيام بواجباته.
- تقديم النصيحة لمن يحتاجها.
- معاونة الخدم.
- التعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- التعاون في جمع التبرعات والصدقات والزكاوات وتوزيعها على مستحقيها.
- التعاون على حل الخلافات والنزاعات التي تقع في وسط المجتمع المسلم.
- التعاون في إقامة الحدود وحفظ أمن البلاد.." (١)

"قال ابن تيمية: (لا يتم رعاية الخلق وسياستهم إلا بالجود الذي هو العطاء والنجدة التي هي الشجاعة بل لا يصلح الدين والدنيا إلا بذلك ولهذا كان من لا يقوم بهما سلبه الأمر ونقله إلى غيره كما قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير [التوبة: ٣٨ - ٣٩] وقال تعالى: ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم [محمد: ٣٨]، وقد قال الله تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى [الحديد:١٠] فعلق الأمر بالإنفاق الذي هو السخاء والقتال الذي هو الشجاعة وكذلك قال الله تعالى في غير موضع: وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله [التوبة: ٤١]) (١).

وقال في موضع آخر: (كما أن عليهم- أي ولاة الأمور - من الشجاعة والسماحة ما ليس على غيرهم لأن مصلحة الإمارة لا تتم إلا بذلك) (٢).

وأيضا من آثار الشجاعة:

٦ - كبر النفس:

وهو الاستهانة باليسير والاقتدار على حمل الكرائه فصاحبه أبدا يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها.

٧ - النجدة:

وهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع.

٨ - عظم الهمة:

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/١٣٤

وهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت.

٩ - الثبات:

وهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها في الأهوال خاصة.

١٠ - الحلم:

وهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

١١ - السكون:

وهو عدم الطيش فهو إما عند الخصومات وإما في الحروب التي يذب بها عن الحريم أو عن الشريعة. وهو قوة للنفس تقسر حركتها في هذه الأحوال لشدتها.

١٢ - الشهامة:

وهي الحرص على الأعمال العظام توقعا للأحدوثة الجميلة.

١٣ - احتمال الكد:

وهو قوة للنفس بها تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة) (٣).

---

(١) ((السياسة الشرعية)) لابن تيمية (ص ٧٤).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/ ١٨٠).

(٣) ((تهذيب الأخلاق)) لابن مسكويه (ص١٨) بتصرف.." (١)

"وسائل اكتساب خلق الشجاعة

خلق الشجاعة كسائر الأخلاق، فالأخلاق كلها منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب، فمن الشجاعة شجاعة فطرية، ومنها شجاعة مكتسبة.

ولاكتساب خلق الشجاعة وسائل ومن تلك الوسائل:

١ - اللجوء إلى الله بالدعاء والذكر:

قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون [الأنفال:٤٥]

( ... أمر بالثبات عند قتال الكفار، كما في الآية قبلها النهي عن الفرار عنهم، فالتقى الأمر والنهي على سواء. وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له.

قوله تعالى: واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين **على الثبات في** الشدائد.

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٢٧٩

الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين [البقرة: ٢٥٠]. وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس. الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم) (١).

٢ - (ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الإنسان لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

٣ - ترسيخ عقيدة الإيمان باليوم الآخر.

٤ - غرس اليقين بما أعده الله من النعيم في الجنة، للذين يقاتلون في سبيل الله.

٥ - التدريب العملي بدفع الإنسان إلى المواقف المحرجة التي لا يتخلص منها إلا بأن يتشجع.

٦ - الإقناع بأن معظم مثيرات الجبن لا تعدو أنها أوهام لا حقيقة لها.

٧ - القدوة الحسنة وعرض مشاهد الشجعان، وذكر قصصهم.

٨ - إثارة دوافع التنافس، ومكافأة الأشجع بعطاءات مادية) (٢).

---

(١) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (٨/ ٢٣).

(٢) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبدالرحمن حبنكة الميداني. بتصرف (٢/ ٥٦٨).." (١)

"ما يترتب على الشجاعة

- أن يستعان بالشجاعة في الجهاد في سبيل الله:

فيجب استعمال الشجاعة فيما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى من مقارعة الأعداء والإقدام في ساحات الوغى في الجهاد في سبيل الله.

قال ابن تيمية: (ومما ينبغي أن يعلم أن الشجاعة إنما فضيلتها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله كانت إما وبالا عليه إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان وإما غير نافعة له إن استعملها فيما لا يقربه إلى الله تعالى فشجاعة علي والزبير وخالد وأبي دجانة والبراء بن مالك وأبي طلحة وغيرهم من شجعان الصحابة إنما صارت من فضائلهم لاستعانتهم بها على الجهاد في سبيل الله فإنهم بذلك استحقوا ما حمد الله به المجاهدين وإذا كان كذلك فمعلوم أن الجهاد منه ما يكون بالقتال باليد ومنه ما يكون بالحجة والبيان والدعوة قال الله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا [الفرقان:٥١ - ٥٢]. فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجاهد الكفار بالقرآن جهادا كبيرا وهذه السورة مكية نزلت بمكة قبل أن يهاجر النبي وقبل أن يؤمر بالقتال ولم يؤذن له وإنما كان هذا الجهاد بالعلم والقلب والبيان والدعوة لا بالقتال وأما القتال فيحتاج إلى التدبير والرأي ويحتاج إلى

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٨٢/١

شجاعة القلب وإلى القتال باليد وهو إلى الرأي والشجاعة في القلب في الرأس المطاع أحوج منه إلى قوة البدن) (١).

- أن تكون الشجاعة في موضعها:

فيقدم الشجاع في موضع الإقدام، ويثبت في موضع الثبات، ويحجم في موضع الإحجام.

قال ابن القيم: (ولما كانت الشجاعة خلقا كريما من أخلاق النفس ترتب عليها أربعة أمور وهي مظهرها وثمرتها الإقدام في موضع الإقدام والإحجام في موضع الإحجام والثبات في **موضع الثبات والزوال** في موضع الزوال. وضد ذلك مخل بالشجاعة وهو إما جبن وإما تهور وإما خفة وطيش).

- أن يقترن مع الشجاعة الرأي الصحيح:

قال ابن القيم: (وإذا اجتمع في الرجل الرأي والشجاعة فهو الذي يصلح لتدبير الجيوش وسياسة أمر الحرب. والناس ثلاثة رجل ونصف رجل ولا شيء

فالرجل من اجتمع له أصالة الرأي والشجاعة فهذا الرجل الكامل كما قال أحمد بن الحسين المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكان

ونصف الرجل وهو من انفرد بأحد الوصفين دون الآخر والذي هو لا شيء من عري من الوصفين جميعا) (٢). وقال أيضا: (وصحة الرأي لقاح الشجاعة فإذا اجتمعا كان النصر والظفر وإن قعدا فالخذلان والخيبة وإن وجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز وإن حصلت الشجاعة بلا رأي فالتهور والعطب والصبر لقاح البصيرة فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما قال الحسن إذا شئت أن ترى بصيرا لا صبر له رأيته وإذا شئت أن ترى صابرا لا بصيرة له رأيته فإذا رأيت صابرا بصيرا فذاك) (٣).

---

(١) ((منهاج السنة النبوية)) لابن تيمية (٨/ ٦٣).

(٢) ((الفروسية)) لابن القيم (٥٠٥).

(٣) ((الفوائد)) لابن القيم (ص ٢٠٠).." (١)

"الفرق بين الصبر، والتصبر، والاصطبار، والمصابرة، والاحتمال

(الفرق بين هذه الأسماء بحسب حال العبد في نفسه وحاله مع غيره:

- فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسن إن كان خلقا له وملكة سمي صبرا.

- وإن كان بتكلف وتمرن وتجرع لمرارته سمي تصبرا.

كما يدل عليه هذا البناء لغة، فإنه موضوع للتكلف كالتحلم والتشجع والتكرم والتحمل ونحوها وإذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له.

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٩٣/١

كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ومن يتصبر يصبره الله)) (١) وكذلك العبد يتكلف التعفف حتى يصير التعفف له سجية، كذلك سائر الأخلاق ...

- وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبر:

فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب فالتصبر مبدأ الاصطبار، كما أن التكسب مقدمة الاكتساب، فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارا.

- وأما المصابرة فهي مقاومة الخصم في ميدان الصبر:

فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون [آل عمران: ٢٠٠] فأمرهم بالصبر، وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة وهي حالة في الصبر مع خصمه والمرابطة **وهي الثبات واللزوم** والإقامة على الصبر والمصابرة فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى، وأن الفلاح موقوف عليها فقال: واتقوا الله لعلكم تفلحون [آل عمران: ٢٠٠] فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته) (٢).

والفرق بين الاحتمال والصبر:

(أن الاحتمال للشيء يفيد كظم الغيظ فيه، والصبر على الشدة يفيد حبس النفس عن المقابلة عليه بالقول والفعل، والصبر عن الشيء يفيد حبس النفس عن فعله، وصبرت على خطوب الدهر أي حبست النفس عن الجزع عندها، ولا يستعمل الاحتمال في ذلك لأنك لا تغتاظ منه) (٣).

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) ((عدة الصابرين)) لابن القيم – بتصرف- (ص ٤١).

(٣) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص ٢٢).." (١)

"الوسائل المعينة على الصبر

من الوسائل التي تعين على الصبر:

١ - أن يتدبر المرء القرآن الكريم وينظر إلى آياته نظرة تأمل:

قال تعالى: ولنبلونكم بشيء من لخوف و لجوع ونقص من لأموال و لأنفس و لثمر ت وبشر لصـ برين لذين إذا أصـ بتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه ر جعون أولئك عليهم صلو ت من ربهم ورحمة وأولئك هم لمهتدون [البقرة:١٥٥ - ١٥٧]

٢ - أن يستعين بالله في مصابه:

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٠٧/١

من أصيب بمصيبة أن حظه من المصيبة ما يحدث له من رضا فمن رضي فله الرضا، ومن تسخط فله السخط.

٣ - أن يعلم أن ما أصابه مقدر من الله:

قال تعالى: ما أصاب من مصيبة في لأرض ولا في أنفسكم إلا في كتـ ب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءاتـكم و الله لا يحب كل مختال فخور [الحديد:٢٢، ٢٣].

٤ - أن يتذكر أعظم المصائب التي حلت بالأمة الإسلامية؛ وهي موت الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب)) (١).

٥ - أن يتجنب الجزع وأنه لا ينفعه بل يزيد من مصابه:

قال ابن القيم رحمه الله: (إن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه ورده خاسئا وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا **هو الثبات والكمال** الأعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور) (٢).

٦ - أن يتيقن بأن نعم الدنيا فانية ولا تستقر لأحد، فلا يفرح بإقبالها عليه، حتى لا يحزن بإدبارها عنه.

٧ - أن يتسلى المصاب بمن هم أشد منه مصيبة.

قال ابن القيم رحمه الله: (ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟ وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما ساءت دهرا وإن متعت قليلا خيرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور) (٣).

٨ - أن يتسلى المصاب بأنه لله وأن مصيره إليه:

قال ابن القيم رحمه الله: (إذا تحقق العبد بأنه لله وأن مصيره إليه تسلى عن مصيبته وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته. أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة ... الثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود.) (٤).

٩ - أن يعلم أن ابتلاء الله له هو امتحان لصبره:

---

(١) رواه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (٧/ ١٦٧)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٩٦٧٨)، والبغوي في ((معجم الصحابة)) (٤/ ٢٠)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (٣/ ١٤٤٠) من حديث سابط القرشي رضي الله عنه. قالابن حجر العسقلاني في ((الإصابة)) (٢/ ٢): إسناده حسن، لكن اختلف فيه على علقمة.

(٢) ((زاد المعاد)) لابن القيم (٤/ ١٧٣).

(٣) ((زاد المعاد)) لابن القيم (٤/ ١٧٣).

(٤) ((زاد المعاد)) لابن القيم – بتصرف- (٤/ ١٧٣).." (١)

"فوائد وآثار الصدق

إذا تمكن الصدق من القلب سطع عليه نوره، وظهرت على الصادق آثاره، في عقيدته وعباداته، وأخلاقه وسلوكياته، ومن هذه الآثار:

١ - سلامة المعتقد:

فمن أبرز آثار الصدق على صاحبه: سلامة معتقده من لوثات الشرك ما خفي منه وما ظهر.

٢ - البذل والتضحية لنصرة الدين:

فالصادق قد باع نفسه وماله وعمره لله، ولنصرة دين الله؛ إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، همه رضا مولاه.

٣ - الهمة العالية:

الصادقون أصحاب همة عالية، وعزيمة قوية ماضية، همهم رضا ربهم، يسيرون معها أين توجهت ركائبها، ويستقلون معها أين استقلت مضاربها؛ ترى الصادق قد عمر وقته بالطاعات، وشغله بالقربات، (فبينما هو في صلاة إذ رأيته في ذكر ثم في غزو، ثم في حج، ثم في إحسان للخلق بالتعليم وغيره من أنواع النفع، ثم في أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو في قيام بسبب فيه عمارة الدين والدنيا، ثم في عيادة مريض، أو تشييع جنازة، أو نصر مظلوم – إن أمكن – إلى غير ذلك من أنواع القرب والمنافع) (١).

٤ - تلافي التقصير واستدراك التفريط:

الصادق قد تمر به فترة ولكنها إلى سنة، وقد يعتريه تقصير ولكنه سرعان ما يتلاقاه بتكميل، وقد يلم بذنب ولكنه سريع التيقظ والتذكر فيقلع ويندم ويرجع: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون [الأعراف: ٢٠١]. وقد يحصل منه تفريط فيستدرك، فبالصدق (يتلاقى كل تفريط، فيصلح من قلبه ما مزقته يد الغفلة والشهوة، ويعمر منه ما خربته يد البطالة، ويلم منه ما شعثته يد التفريط والإضاعة) (٢).

٥ - حب الصالحين وصحبة الصادقين:

من علامات الصادق، وأثر الصدق في قلبه، أنه يضيق بصحبة أهل الغفلة، ولا يصبر على مخالطتهم إلا بقدر ما يبلغهم به دعوة الله وينشر الخير بينهم، فلا يصحبهم إلا لضرورة من دين أو دنيا؛ ذلك لأن ((المرء على دين خليله)) (٣)، والصاحب ساحب، وكل قرين بالمقارن يقتدي؛ ولهذا قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا [الكهف: ٢٨]، وقال الله تعالى للمؤمنين: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين [التوبة: ١١٩]. فمجالسة

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٢٠/١

الصالحين نعمة يستعين بها المرء للوصول إلى رضا ربه.

٦ – **الثبات على** الاستقامة:

فمن آثار الصدق تمسك الصادق بدينه عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، سلوكا وهديا؛ فالتزامه بهذا الدين ليس انتقائيا، يلتزم بما يهوى ويترك ما لا يروق له ولا تشتهيه نفسه، كما أنه التزام ثابت راسخ غير متذبذب ولا متردد، لا تغويه الشبهات، ولا تغريه الشهوات، ولا تستزله الفتن، ولا تزلزله المحن.

٧ – البعد عن مواطن الريب:

((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة)) (٤).

٨ – حصول البركة في البيع والشراء:

((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)) (٥).

١٠ – الوفاء بالعهود:

قال شيخ الإسلام الهروي رحمه الله: (وعلامة الصادق: ألا يتحمل داعية تدعو إلى نقض عهد)) (٦) (٧).

---

(١) ((المدارج)) (ص: ٣١٠).

(٢) ((المدارج)) (ص: ٣١٥).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٣٤) (٨٣٩٨)، والحاكم (٤/ ١٨٨)، والطيالسي (٤/ ٢٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال البغوي في ((شرح السنة)) (٦/ ٤٧٠): حسن غريب. وحسنه ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (١٥١)، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((تخريج المسند)) (١٥/ ١٧٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١). وقال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه النووي في ((المجموع)) (١/ ١٨١)، وصححه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٣١٨).

(٥) رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

(٦) ((المدارج)) (٢/ ٣١٥).

(٧) ((الرائد ... دروس في التربية والدعوة)) لمازن بن عبد الكريم الفريح (٣/ ٢٥٥). بتصرف يسير.." [١]

"- و (عن ابن مسعود، قال: لقد سألني رجل عن أمر ما دريت ما أرد عليه، فقال: أرأيت رجلا مؤديا نشيطا يخرج مع أمرائنا في المغازي، فيعزم علينا في أشياء لا نحصيها؟ فقلت له: والله ما أدري ما أقول لك إلا أنا كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فعسى أن لا يعزم علينا في أمر إلا مرة حتى نفعله، وإن أحدكم لن يزال بخير ما اتقى الله، وإذا شك في نفسه شيء سأل رجلا فشفاه منه، وأوشك أن لا تجدوه، والذي لا إله إلا هو ما أذكر ما غبر من الدنيا إلا كالثغب شرب صفوه وبقي كدره) (١).

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٤١/١

قال بدر الدين العيني: (قوله فيعزم علينا أي الأمير يشدد علينا في أشياء لا نطيقها وقال الكرماني فيعزم إن كان بلفظ المجهول فهو ظاهر يعني لا يحتاج إلى تقدير الفاعل ظاهرا هذا إن كان جاءت به رواية قوله حتى نفعله غاية لقوله لا يعزم أو للعزم الذي يتعلق به المستثنى) (٢).

- وعن جماعة من الصحابة مرفوعا (إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) (٣).

قال المناوي: (عزائمه أي مطلوباته الواجبة فإن أمر الله في الرخص والعزائم واحد) (٤).

قال القاري: (الرخصة إذا كانت حسنا فالعزيمة أولى بذلك) (٥).

- وعن شداد بن أوس- رضي الله عنه- قال: ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم)) (٦).

قال المناوي: (وأسألك عزيمة الرشد وفي رواية العزيمة على الرشد قال الحرالي وهو حسن التصرف في الأمر والإقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم) (٧).

من أقوال العلماء في العزم والعزيمة

- قال ابن منظور: (لا خير في عزم بغير حزم فإن القوة إذا لم يكن معها حذر أورطت صاحبها) (٨).

- وقال فخر الدين الرازي: (منصب النبوة والإمامة لا يليق بالفاسقين، لأنه لا بد في الإمامة والنبوة من قوة العزم والصبر على ضروب المحنة حتى يؤدي عن الله أمره ونهيه ولا تأخذه في الدين لومة لائم وسطوة جبار) (٩).

- وقال الغزالي: (التقوى في قول شيوخنا: تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق منك مثله حتى يحصل للعبد من قوة العزم على تركه وقاية بينه وبين المعاصي) (١٠).

- وقال ابن الجوزي) ليس في سياط التأديب أجود من سوط العزم) (١١).

---

(١) رواه البخاري (٢٩٦٤).

(٢) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)) بدر الدين العيني (٢٢/ ٢٩٩).

(٣) رواه ابن حبان (٢/ ٦٩) (٣٥٤)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٦/ ٢٧٦)، والضياء في ((المختارة)) (١٢/ ٢٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن حبان (٨/ ٣٣٣) (٣٥٦٨)، والبزار (١٢/ ٢٥٠)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٣/ ٢٠٠) (٥٤١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه الطبراني في ((الكبير)) (١٠/ ٨٤)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٢/ ١٠١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الطبراني في ((الأوسط)) (٨/ ٨٢)، والقضاعي في ((مسنده)) (٢/ ١٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها. وحسن المنذري إسناد البزار في ((الترغيب والترهيب)) (٢/ ٨٨)، وجود النووي إسناد البيهقي في ((الخلاصة)) (٢/ ٧٢٩)، وقال البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (١/ ٣٨٨) في إسناد ابن عباس: هذا إسناد رجاله ثقات. وصحح الحديث الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٨٨٥).

(٤) ((التيسير بشرح الجامع الصغير)) المناوي (١/ ٥٤٧).

(٥) ((مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) المباركفوري برقم (٢٠٤٩).

(٦) رواه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤). وضعفه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (١٥٠١)، والألباني في ((ضعيف الجامع)) (١١٩٠).

(٧) ((فيض القدير)) المناوي (٢/ ١٦٥).

(٨) ((لسان العرب)) ابن منظور (١٢/ ٣٩٩).

(٩) ((تفسير الرازي)) (٤/ ٤٩).

(١٠) ((بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)) الفيروز آبادي (٥/ ٢٥٧).

(١١) ((صيد الخاطر)) ابن الجوزي (٦٧).." (١)

"فوائد العزم والعزيمة

١ - مظنة قبول الدعاء:

فقوة العزم والجزم في الدعاء وعدم تعليقه بالمشيئة من آداب الدعاء وأرجى للقبول.

٢ - قوة العزم والعزيمة من وسائل تهذيب النفس وتحصيل الأخلاق الفاضلة قال تعالى: ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور [الشورى: ٤٣].

قال أحمد بن قدامة المقدسي: (وأشد حاجة الرائض لنفسه، قوة العزم، فمتى كان مترددا بعد فلاحه، ومتى أحس من نفسه ضعف العزم تصبر، فإذا انقضت عزيمتها عاقبها لئلا تعاود، كما قال رجل لنفسه: تتكلمين فيما لا يعنيك؟ لأعاقبنك بصوم سنة) (١) ومن صفات المؤمن القوي قوة العزم على الأمر.

٣ - قوة العزم والعزيمة تعين على تحقيق التقوى:

وذلك بحمل النفس على فعل المأمورات وترك المنهيات وهذه هي حقيقة التقوى قال تعالى: لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور [آل عمران: ١٨٦].

٤ - قوة العزم والعزيمة تعين على ترك المعاصي.

٥ - العزم والعزيمة من وسائل التخلص من تلبيس الشيطان ووسوسته:

قال الشيخ عطية سالم (إذا كانت مهمة الوسوسة التشكيك والذبذبة والتردد، فإن عمومات التكليف تلزم المسلم بالعزم واليقين والمضي دون تردد كما في قوله: فإذا عزمت فتوكل على الله [آل عمران: ١٥٩]، وامتدح بعض الرسل بالعزم وأمر بالاقتداء بهم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل [الأحقاف: ٣٥] .... فمن هذا كله كانت دوافع العزيمة مستقاة من التكاليف، مما يقضي على نوازع الشك والتردد، ولم يبق في قلب المؤمن جال لشك ولا محل لوسوسة) (٢).

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٩٣/١

٦ - العزم على ترك الذنب من شروط قبول التوبة:

فالتوبة واجبة من كل ذنب لها ثلاثة شروط: ومنها العزم على عدم العودة للذنب أبدأ (٣).

قال أبو حازم: (عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أمه الفتوح) (٤).

٧ - قوة العزم والعزيمة من علامات التوفيق:

قال ابن القيم: (الدين مداره على أصلين العزم والثبات وهما الأصلان المذكوران في (الحديث عن النبي اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأصل الشكر صحة العزيمة وأصل الصبر **قوة الثبات فمتى** أيد العبد بعزيمة وثبات فقد أيد بالمعونة والتوفيق) (٥).

٨ - قوة العزم والعزيمة تحصل للمرء كل مقام شريف ومنزلة رفيعة:

قال ابن القيم: (فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص فإذا **انضم الثبات إلى** العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل ولهذا في دعاء النبي الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه: ((اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد)) (٦) ومعلوم أن **شجرة الثبات والعزيمة** لا تقوم إلا على ساق الصبر) (٧).

٩ - صاحب العزم والعزيمة القوية الصادقة أكثر الناس صبرا على البلاء.

قال تعالى: ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور [الشورى: ٤٣].

١٠ - قوة العزم والعزيمة في الخير من صفات الأنبياء والمرسلين والصالحين

قال تعالى: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل [الأحقاف: ٣٥].

١١ - العزيمة دليل حسن الظن. ومتانة الدين وعلامة اليقين (٨).

١٢ - تصنع المستحيلات وتلين الصعوبات.

١٣ - هي خير معين على طلب العلم.

١٤ - العزيمة على طلب الحق تثمر نور الحق وجلال الإيمان.

١٥ - حسن العزيمة في الجهاد يضاعف قوة الرجال إلى ما لا نهاية.

---

(١) ((مختصر منهاج القاصدين)) لابن قدامة المقدسي (٢٠١).

(٢) ((أضواء البيان)) لمحمد الأمين الشنقيطي، تكملة عطية سالم (٩/ ١٨٩).

(٣) انظر ((رياض الصالحين)) النووي (١/ ٢٢).

(٤) ((حلية الأولياء)) أبو نعيم الأصبهاني (٣/ ٢٣٠).

(٥) ((عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين)) ابن القيم (١/ ٩٠).

(٦) رواه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤). وضعفه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (١٥٠١)، والألباني في

((ضعيف الجامع)) (١١٩٠).

(٧) ((طريق الهجرتين وباب السعادتين)) ابن القيم (١/ ٤٠١).

(٨) من رقم (١١) وما بعده انظر موسوعة نضرة النعيم (٧/ ٢٨٦٤)." (١)

"قال محمد الغزالي: (إن الإسلام يكره لك أن تكون مترددا في أمورك تحار في اختيار أصوبها وأسلمها وتكثر الهواجس في رأسك فتخلق أمامك جو من الريبة والتوجس فلا تدري كيف تفعل وتضعف قبضتك في الإمساك بما ينفعك فيفلت منك ثم يذهب سدى) (١)، ولهذا شرع لنا الله سبحانه مشاورة أهل الرأي والخبرة من أهل الصلاح قال تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون [الأنبياء: ٤٣]، وشرع لنا الرسول الاستخارة (٢)، إعانة للمرء على بلوغ الصواب وبعد المشاورة يكن التنفيذ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين [آل عمران: ١٥٩].

٦ - سوء الظن بالله سبحانه وتعالى واليأس وفقدان الأمل والنظرة التشاؤمية للحياة.

إن فقدان الأمل يقعد الإنسان عن طلب المعالي ليأسه وحكمه على المستقبل بما يعيشه من واقع أليم، قال محمد الغزالي: (عمل الشيطان هو تشييع الماضي بالنحيب والإعوال هو ما يلقيه في النفس من أسى وقنوط على ما فات، إن الرجل لا يلتفت وراءه إلا بمقدار ما ينتفع به في حاضره ومستقبله أما الوقوف مع هزائم الأمس واستعادة أحزانها والتعثر في عقابيلها وتكرار لو، وليت، فليس ذلك من خلق المسلم ... قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير [آل عمران: ١٥٦] (٣).

وانظر لنبي الله يعقوب لم يمنعه طول الزمان بعد فقدانه ليوسف في الأمل في الله أن يعيده له بل ازداد أمله بعد حبس ابنه الثاني بمصر فقال لأولاده يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون [يوسف: ٨٧].

٧ - قلة الصبر وعدم الثبات واستطالة الطريق واستعجال النتائج

قلة الصبر وعدم الثبات تحرم الإنسان من بلوغ أي هدف وتحقيق أي كمال وما أخرج آدم عليه الصلاة والسلام من جنة الخلد وجوار الرحمن والعيش الهني والمسكن الطيب إلى شقاء الدنيا وتعبها وهمومها إلا قلة الصبر عما نهاه الله عنه وعدم الثبات على ما أمر به قال تعالى: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما [طه: ١١٥] (٤).

٨ - صحبة أصحاب العزائم الخاوية والبطالين:

المرء على دين خليله، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم البعض.

الفتور والغفلة:

الغفلة ذهول المرء عن دوره في الحياة وتحقيق العبادة والفتور التقصير فيما ينبغي فعله وهما رأس البلاء ومكمن الداء وإن كانا يبتلى بهما الإنسان كما قال ابن القيم: (لابد من سنة الغفلة ورقاد الغفلة ولكن كن خفيف النوم) (٥) فلا يعني ذلك ترك

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٩٥/١

الواجبات وفعل المحرمات ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- ((إن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت شرته إلى سنتي فقد أفلح ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك)) (٦).

ومن مظاهر ذلك:

(تضييع الوقت وعدم الإفادة منه، وتزجيته بما لا يعود بالنفع، وتقديم غير المهم على المهم، والشعور بالفراغ الروحي والوقتي وعدم البركة في الأوقات، عدم إنجاز شيئا من العمل مع طول الزمن

- عدم الاستعداد للالتزام بشيء، والتهرب من كل عمل جدي؛

- الفوضوية في العمل: فلا هدف محدد، ولا عمل متقن، الأعمال ارتجالية، التنقل بين الأعمال بغير داع.

- خداع النفس؛ بالانشغال مع الفراغ، وبالعمل وهي عاطلة، الانشغال بجزئيات لا قيمة لها ولا أثر يذكر، ليس لها أصل في الكتاب أو السنة، وإنما هي أعمال تافهة ومشاريع وهمية لا تسمن ولا تغني من جوع.

النقد لكل عمل إيجابي؛ تنصلا من المشاركة والعمل، وتضخيم الأخطاء والسلبيات؛ تبريرا لعجزه وفتوره، تراه يبحث عن المعاذير، ويصطنع الأسباب؛ للتخلص والفرار وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون [التوبة: ٨١] (٧).

---

(١) ((خلق المسلم)) محمد الغزالي (٨٨).

(٢) البخاري برقم (١١٠٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه)

(٣) ((خلق المسلم)) لمحمد الغزالي (٨٩).

(٤) راجع أقوال المفسرين حول هذه الآية من هذا البحث.

(٥) ((علو الهمة)) للمقدم (ص ٣٣٧).

(٦) رواه أحمد (٢/ ١٨٨) (٦٧٦٤)، وابن حبان (١/ ١٨٧) (١١)، والبزار (٦/ ٣٣٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وصححه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (٢٤٢٦)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٢١٥٢).

(٧) انظر ((الفتور)) ناصر العمر (١٩ - ٢٠).." (١)

"الوسائل المعينة على تقوية العزم والعزيمة

- التوكل على الله وحسن الظن به سبحانه في الوصول للهدف.

أرشدنا الله سبحانه لهذا بقوله سبحانه: فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين [آل عمران: ١٥٩] (ذكر الأستاذ المودودي في كتابه القيم: مبادئ الإسلام آثار عقيدة التوحيد ... قوة العزم والصبر والثبات لعلمه أن الله معه وأنه مؤيده وناصره، ذاكرا قول الله تعالى: حسبنا الله ونعم الوكيل [آل عمران: ١٧٣] التي قالها إبراهيم عندما أريد إلقاءه في النار، ومحمد صلى الله عليه وسلم عندما خوف بصناديد المشركين، وقول هود عليه السلام لقومه: فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٩٧/١

إني توكلت على الله [هود: ٥٥ - ٥٦]) (١).

١ - الدعاء:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بأن يهدى لأحسن الأخلاق والعزم والعزيمة من الأخلاق الحسنة فكان من دعائه: ((واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت)) (٢).

٢ - صدق الإيمان وسلامة العقيدة:

قال محمد الغزالي: (العقيدة المكينة معين لا ينضب للنشاط الموصول والحماسة المذخورة واحتمال الصعاب ومواجهة الأخطار بل هي سائق حثيث يدفع إلى لقاء الموت دون تهيب إن لم يكن لقاء محب مشتاق!!

تلك طبيعة الإيمان إذا تغلغل واستمكن إنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله فإذا تكلم كان واثقا من قوله وإذا اشتغل كان راسخا في عمله وإذا اتجه كان واضحا في هدفه) (٣).

٣ - الاقتداء بذوي العزم والعزيمة من أهل الصلاح والدين:

قال تعالى: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى في الاقتداء بالصالحين قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده [الممتحنة: ٤].

٤ - مصاحبة أهل العزائم القوية والهمم العالية:

فالمرء على دين خليله قال ابن تيمية: (الناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض) (٤)، وقال لقمان الحكيم لابنه: (من يقارن قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم. يا بني كن عبدا للأخيار ولا تكن خليلا للأشرار) (٥).

أحب الصالحين ولست منهم ... عسى أن يدركني بحبهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي ... وإن كنا سواء في البضاعة

٥ - المسارعة في التنفيذ وعدم التردد بعد عقد العزم على العمل:

قال تعالى: فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم [محمد: ٢١].

٦ **- الثبات والصبر** على الصعوبات أثناء العمل:

قال تعالى: واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور [لقمان: ١٧].

٧ - أخذ الأمور بجدية:

الجدية في الحياة كلها وإلزام النفس بما يراد تحقيقه طريق الناجحين في حياتهم ومن جد وجد ومن زرع حصد ، قال تعالى: يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا [مريم: ١٢]، وقال تعالى: خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون [البقرة: ٦٣].

---

(١) ((مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة))، العدد ٣٢ توحيد الله (١٢/ ٣٦).

(٢) رواه مسلم (٧٧١).

(٣) ((خلق المسلم)) محمد الغزالي (٨٦).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) ابن تيمية (٢٨/ ١٥٠) ..

(٥) ((بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز))، الفيروز آبادي (٦/ ٩١).." (١)

"أحوال الإخلاف بالعهد والوعد

(من يخلف الوعد له أربع أحوال في إخلافه بالعهد والوعد:

الحالة الأولى: التعبير الملي عن الكذب منذ إعطاء الوعد أو العهد، وهو في هذا يحمل رذيلة الإخلاف المستند إلى رذيلة الكذب.

الحالة الثانية: النكث والنقض لما أبرمه والتزم به من وعد وعهد، وهذا يعبر عن ضعف الإرادة وعدم الثبات، وعدم احترام شرف الكلمة وثقة الآخرين بها، وهذا الخلق يفضي بصاحبه إلى النبذ من ملاك جماعة الفضلاء الذين يوثق بهم وبأقوالهم.

الحالة الثالثة: التحول إلى ما هو أفضل وخير عند الله، والانتقال إلى ما هو أكثر طاعة لله، إلا أن هذه الحالة لا تكون في العهود العامة، التي تدخل فيها حقوق دولية، ولا في العهود التي ترتبط بها حقوق مادية للآخرين من الناس. أما العهد مع الله في التزام أمر من الأمور، فقد تجري المفاضلة بينه وبين غيره، لاختيار ما هو أقرب إلى طاعة الله وتحقيق مرضاته.

الحالة الرابعة: العجز عن الوفاء لسبب من الأسباب، ومن عجز عن الوفاء مع صدق رغبته به وحرصه عليه فهو معذور لعدم استطاعته.

وأما حالة النسيان فهي من الأمور العامة التي تشمل كل واجب أو مستحب، وتنطبق عليها أحكام النسيان العامة. وصادق الوعد والعهد هو الذي يكون عازما على الوفاء منذ إعطائه الوعد أو العهد، ويظل حريصا على ذلك ما لم يمنعه مانع من التنفيذ يعذر به، أو كان ترك الوفاء استجابة لرغبة من كان الوعد أو العهد من أجله وابتغاء مرضاته أو مسرته) (١).

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/ ٥٠٣).." (٢)

"آثار ومضار الجبن

للجبن والخور أثار سيئة تعود على الجبان نفسه فمنها:

١ - (إهانة النفس وسوء العيش وطمع طبقات الأنذال وغيرهم.

٢ - **قلة الثبات والصبر**، في المواطن التي يجب فيها الثبات.

٣ - أنه سبب للكسل ومحبة الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة.

٤ - الاستحذاء لكل أحد والرضى بكل رذيلة وضيم.

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٩٨/١

(٢) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٠٤/٢

٥ – الدخول تحت كل فضيحة في النفس والأهل والمال.

٦ – سماع كل قبيحة فاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم من كل معامل وقلة الأنفة مما يأنف منه الناس) (١).

٧ – أنه يشك في القدر، ويسيء الظن بالله.

٨ – أن ما يوجبه الجبن من الفرار في الجهاد في سبيل الله هو من الكبائر الموجبة للنار.

---

(١) ملخص من كتاب ((تهذيب الأخلاق)) لابن مسكويه (ص١٧٠ – ١٧١).." (١)

"علاج الجبن

الجبن له أسباب تجعل الشخص جبانا، ويلزم في علاجه إزالة علته، وعلته:

(إما جهل فيزول بالتجربة، وإما ضعف فيزول بارتكاب الفعل المخوف مرة بعد أخرى، حتى يصير ذلك له عادة وطبعا، ... فالمبتدئ في المناظرة، والإمامة، والخطابة، والوعظ، ... قد تجبن نفسه، ويخور طبعه، ويتلجلج لسانه، وما ذاك إلا لضعف قلبه، ومواجهة ما لم يتعوده، فإذا تكرر ذلك منه مرات، فارقه الضعف، وصار الإقدام على ذلك الفعل ضروريا غير قابل للزوال، ... واعلم أن قوة النفس والعزم الجازم بالظفر سبب للظفر كما قال علي رضي الله عنه لما قيل له: كيف كنت تصرع الأبطال؟ قال: كنت ألقي الرجل فأقدر أني أقتله، ويقدر هو أيضا أني أقتله فأكون أنا ونفسه عونا عليه. ومن وصايا بعضهم: أشعروا قلوبكم في الحرب الجرأة، فإنها سبب الظفر. ومن كلام القدماء: من تهيب عدوه فقد جهز إلى نفسه جيشا) (١).

وقال ابن مسكويه في وسائل علاج الجبن: (وذلك بأن توقظ النفس التي تمرض هذا المرض —مرض الجبن – بالهز والتحريك. فإن الإنسان لا يخلو من القوة الغضبية رأسا حتى تجلب إليه من مكان آخر ولكنها تكون ناقصة عن الواجب فهي بمنزلة النار الخامدة التي فيها بقية لقبول الترويح والنفخ، فهي تتحرك لا محالة إذا حركت بما يلائمها وتبعث ما في طبيعتها من التوقد والتلهب.

وقد حكي عن بعض المتفلسفين أنه كان يتعمد مواطن الخوف فيقف فيها ويحمل نفسه على المخاطرات العظيمة بالتعرض لها ويركب البحر عند اضطرابه وهيجانه ليعود **نفسه الثبات في** المخاوف ويحرك منها القوة التي تسكن عند الحاجة إلى حركتها ويخرجها عن رذيلة الكسل ولواحقه ولا يكره لمثل صاحب هذا المرض بعض المراء والتعرض للملاحاة وخصومة من يأمن غائلته حتى يقرب من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين أعني الشجاعة التي هي صحة النفس المطلوبة فإذا وجدها وأحس بها من نفسه كف ووقف ولم يتجاوزها حذرا من الوقوع في الجانب الآخر) (٢).

---

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٩١/٢

(١) ((مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق)) لابن النحاس. بتصرف (٢/ ٩٥٤).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) لابن مسكويه (ص١٧٠ - ١٧١).." (١)

"من أخبار الجبناء

- قال أبو الفرج الأصفهاني: (كان أبو حية النميري وهو الهيثم بن الربيع بن زرارة جبانا بخيلا كذابا، قال ابن قتيبة: وكان له سيف يسميه، لعاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق، قال: وكان أجبن الناس، قال: فحدثني جار له، قال: دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصا، فأشرفت عليه، وقد انتضى سيفه وهو واقف في وسط الدار يقول: أيها المغتر بنا، المجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، إني والله إن أدع قيسا إليك لا تقم لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا، سبحان الله ما أكثرها وأطيبها فبينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلبا، وكفانا حربا) (١).

- (وليم بعض الجبناء على جبنه، فقال: أول الحرب شكوى، وأوسطها نجوى، وآخرها بلوى) (٢).

- (وقال آخر: الحرب مقتلة للعباد، مذهبة للطارف والتلاد.

- وقيل لجبان: لم لا تقاتل؟ فقال: عند النطاح يغلب الكبش الأجم.

- وقالوا: الحياة أفضل من الموت، والفرار في وقته ظفر.

- وقالوا: الشجاع ملقى، والجبان موقى. قال البديع الهمداني: ما ذاق هما كالشجاع ولا خلا. . . بمسرة كالعاجز المتواني

- وقالوا: الفرار في وقته، خير **من الثبات في** غير وقته.

- وقالوا: السلم أزكى للمال، وأبقى لأنفس الرجال). (٣).

- وقيل لأعرابي: ألا تعرف القتال؟ فإن الله قد أمرك به، فقال: والله إني لأبغض الموت على فراشي في عافية، فكيف أمضي إليه ركضا، قال الشاعر:

تمشي المنايا إلى قوم فأبغضها ... فكيف أعدو إليها عاري الكفن (٤)

- وقال الفرار السلمي:

وفوارس لبستها بفوارس ... حتى إذا التبست أملت بها يدي

وتركتهم نقض الرماح ظهورهم ... من بين مقتول وآخر مسند

هل ينفعني أن تقول نساؤهم ... وقتلت دون رجالهم لا تبعد

- وقال آخر:

قامت تشجعني هند فقلت لها ... إن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي منع الأبصار رؤيته ... ما يشتهي الموت عندي من له أرب

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/١٩٢

للحرب قوم أضل الله سعيهم ... إذا دعتهم إلى نيرانها وثبوا

- وقيل لجبان في بعض الوقائع: تقدم، فقال:

وقالوا: تقدم قلت لست بفاعل ... أخاف على فخارتي أن تحطما

فلو كان لي رأسان أتلفت واحدا ... ولكنه رأس إذا زال أعقما

وأوتم أولادا وأرمل نسوة ... فكيف على هذا ترون التقدما (٥).

- (وقيل لأعرابي: ألا تغزو العدو؟ قال: وكيف يكونون لي عدوا وما أعرفهم ولا يعرفوني؟) (٦).

- وقال أيمن بن خريم:

إن للفتنة ميطا بينا ... فرويد الميط منهم يعتدل

فإذا كان عطاء فأتهم ... وإذا كان قتال فاعتزل

إنما يسعرهم جهم لهم ... حطب النار فدعهم تشتعل

- وقال أبو دلامة: (كنت مع مروان أيام الضحاك الحروري، فخرج فارس منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم ثان فقتله، ثم ثالث فقتله فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم. فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟ قال: فلما سمعت عشرة آلاف هانت علي الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه، فإذا عليه فرو قد أصابه المطر فارمعل، ثم أصابته الشمس فاقفعل، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان. فلما رآني فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول:

---

(١) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٢٠).

(٢) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٢١).

(٣) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٢٢).

(٤) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٢٢).

(٥) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/ ٣٢٤).

(٦) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/ ١٤٤).." [١]

"كانت الأم كثيرًا ما تدعو لابنها الذي تظهر عليه بعض المظاهر السيئة، وفي يوم من الأيام وقفت بنفسها على بعض تصرفاته، فقامت آخر الليل ودعت له وأكثرت التضرع والالتجاء إلى الله – تعالى –، بأن يصلح فلذة كبدها الذي ترجو أن ينفعها في الحياة وبعد الممات، وارتفع صوت المؤذن لصلاة الفجر ينادي (الصلاة خير من النوم) وفجأة سمعت صوت أقدام تنزل من أعلى البيت واقترب الصوت شيئًا فشيئًا ثم دخل عليها في غرفتها، فرفعت رأسها وذهب لصلاة الفجر، والأم تتابعه بنظراتها وقد اغرورقت عيناها بالدمع، واستمر بعدها على الطاعة نسأل الله – تعالى **– الثبات للجميع**.

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/ ١٩٤

* * *

ثلاث وظائف

كتب كاتب في مجلة الدعوة قصة أم سعد – رحمها الله تعالى – وفيها ( ... ومن المواقف التي أذكرها لها أنها تخرجت إحدى بناتها من الكلية، ولم تتعين وأحست بتأثر ابنتها لعدم التعيين، فقامت ليلتها تلك تدعو الله – تعالى – وترجوه ... فلما أصبح الصباح اتصلت بالديوان، فوجدت ثلاث وظائف شاغرة ووجدت أن ابنتها من المرشحات فحمدت الله – تعالى – وشكرته) (١).

(١) بتصرف من مجلة الدعوة العدد ١٨٦٦ تاريخ ٢٥ شعبان ١٤٢٣هـ.." (١)

"قبلك. أما أهله فأحسنوا معاملتها وكفوا عن أذاها.

* * *

راحة في النوم

تقول إحدى النساء: كنت بعيدة عن الله – تعالى – أسمع الغناء وانظر للحرام، وفي إحدى السنوات ذهبنا لأداء العمرة في العشر الأواخر من رمضان ووافق ذلك شرف الزمان والمكان والوقت فانشرح صدري لما رأيته من الصفاء والبهاء والنقاء، ولجأت إلى رب الأرض السماء مبتهلة بدعوات صادقة من قلب خاشع منيب أن يجعلني أزداد طاعةً وعملاً صالحًا ولم أدع بشيء من أمور الدنيا. لقد كانت عشرة أيام عشتها سعيدة فرحة واستجاب الله تعالى دعائي فصرت أبغض الحرام سماعًا ونظرًا حتى استغربت من نفسي وتساءلت: هل أنا التي كنت أفعل وأفعل؟ ثم بدأت بحفظ القرآن الكريم وقد انتهيت الآن من حفظ سورة البقرة ولله الحمد، وأسأل الله – تعالى **– الثبات لي** وللمسلمين إلى الممات.

* * *

يطلب المسامحة

كانت الزوجة تحسن معاملتها لأهل زوجها ورأى الزوج ذلك بعينه، وفي يوم حدث أمر بين الزوجة وأهل زوجها فجعل الزوج." (٢)

"**– الثبات على** دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد، خصوصا في هذا الزمن الذي كثرت فيه المغريات والشهوات والفتن.

(١) من عجائب الدعاء – الجزء الثاني، الربعي، خالد ص/١٥٥

(٢) من عجائب الدعاء – الجزء الثاني، الربعي، خالد ص/٢٠٥

- وسائل الثبات:

١ - الإقبال على القرآن: القرآن العظيم وسيلة الثبات الأولى، وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

٢ - التزام شرع الله تعالى، والعمل به:

- قال الله تعالى: (يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاء).

- قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.

٣ - الدعاء: من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا). فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) رواه الترمذي.

٤ - ذكر الله تعالى: تأمل في هذا الاقتران بين الأمرين في قوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون).

فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

٥ - البيئة الصالحة وتهيئة الأجواء الإيمانية: والبحث عن الصالحين، والالتفاف حولهم خير معين على الثبات على الدين.

- الفرق بين خاتمتين:

- أما أهل الكفر والفجور فإنهم يحرمون الثبات في أشد الأوقات كربة فلا يستطيعون التلفظ بالشهادة عند الموت.

- صور من سوء الخاتمة:

- قيل لرجل عند موته: قل لا إله إلا الله فجعل يحرك رأسه يمينا وشمالا يرفض قولها.

- وآخر يقول عند موته: هذه قطعة جيدة، هذه مشتراها رخيص.

- وثالث يذكر أسماء قطع الشطرنج.

- ورابع يدندن بألحان أو كلمات أغنية، أو ذكر معشوق.

ذلك لأن مثل هذه الأمور أشغلتهم عن ذكر الله في الدنيا.." (١)

"العمل بالعلم

الصفة الرابعة: أن يعمل العالم بما علم، ألم نقل: أن يتعلم العلم النافع الذي ينبني عليه عمل؟ فالمشكلة أنك تتعلم العلم النافع الذي ينبني عليه عمل ثم لا تعمل به، ويعمل به الناس، فالعالم إذا أعطى درسا عن صلاة الفجر، وأتى بالأدلة على أهمية الصلاة في جماعة في المسجد، وعلى الوعيد الشديد في حق من تخلف عنها، ثم يتخلف هو عن أدائها فأي علم هذا، هذا العلم حجة عليه لا له، وقس على هذا كل أنواع العلوم.

---

(١) هكذا كان الصالحون، خالد الحسينان ص/٦١

جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وأيضا رواه أحمد وابن ماجه عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، وهو حديث لطيف جدا، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقسم فيه الناس إلى أربعة أنواع حسب علمهم وأموالهم؛ هناك أناس أنعم الله عز وجل عليهم بالعلم والمال، وهناك أناس حرمهم الله عز وجل من العلم والمال، وهناك أناس أعطاهم الله العلم ومنعهم المال، وهناك أناس أعطاهم المال ومنعهم العلم، فقسم الناس إلى أربعة أصناف حسب العلم والمال، فتعالوا بنا إلى سياق هذا الحديث، والروعة التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنرى أين نحن يا ترى في هذه الأصناف، قال صلى الله عليه وسلم: (إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما)، عنده علم يضبط حركة المال، فيتحكم في هذا المال تحكما شرعيا، يأتي به من الوجه الذي أحل الله عز وجل، وينفقه في الوجه الذي أحل الله عز وجل، ولا يخالف به أولويات المسلم في حياته، فالعلم يضبط له هذه الأمور ويضبط له حياته كلها؛ لأنه من الممكن أن تعيش (٢٤) ساعة تعمل في تحصيل المال الحلال، لكن قد تفوتك صلوات، وتفوتك صلة أرحام بر والدين، وتفوتك دعوة إلى الله، ويفوتك تحصيل علم، ويفوتك كذا وكذا من أمور الخير، نعم أصل التجارة حلال، لكن ضاعت أولويات مهمة جدا في حياتك، إننا نرى أناسا كثيرين على هذه الشاكلة، بل من الممكن أن نكون نحن المتهاونين بهذا الأمر، فقد نسهر ست عشرة ساعة أو سبع عشرة ساعة ونتغافل عن أعمال هامة عظيمة في حياتنا، ليس لها مردود مادي، وهذا شيء خطير، فالعلم يضبط هذه الناحية، يجعل الإنسان يعمل العمل المناسب في المكان المناسب في الوقت المناسب.

فأول واحد: (عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية)، انتبهوا إلى قضية الإخلاص التي تكلمنا عنها سابقا، قال: (فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء) لقد أفرحنا هذا الحديث جدا؛ لأننا نرى أغنياء ما شاء الله لا قوة إلا بالله من الناس الأتقياء، والله عز وجل أعطاهم، فيعمل الواحد منهم أعمالا خيرية كثيرة جدا، يقيم مستشفيات ومؤسسات تعليمية، وينفق على الفقراء والمساكين، ويجاهد في سبيل الله بماله يفعل أمورا كثيرة تتمنى أن يكون عندك مال فتفعل مثل ما يفعل؛ إن كنت صادقا في نيتك فأنت وهو في الأجر سواء بنص الحديث، يعني: نكون في هذه الدرجة وإن لم تملك المال، وقد يكون الذي معه مال في فتنة حفظ منها الذي منع من المال.

فنرضى بما قسم الله لنا ونصلح نياتنا، في غاية الأهمية أمر الإخلاص.

إذا: الأول معه مال وعلم، والثاني معه علم وليس معه مال، المشكلة في الثالث والرابع، الثالث: (وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما)، فهذه فتنة كبيرة، معه أموال، لكن ليس لديه علم يضبط حركة هذا المال: (فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل) نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء.

ليس كل الأغنياء الموجودين نطمع أن نكون مثلهم، بل إن غالب الأغنياء يفتنون، وقد ورد في البخاري ومسلم حوار بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين أبي ذر عندما ذكر له في آخر الحديث، قال: (إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة)، يعني: أن الأكثرين في الأموال هم الأقلون في الحسنات يوم القيامة؛ لأن من تكاثر ماله غالبا يفتن بماله، حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام بعد أن قال هذه الكلمة استثنى الطائفة التي تتقي الله عز وجل في مالها، فقال: (إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، وأشار عن يمينه وشماله ووراء ظهره، ثم قال: وقليل ما هم)، يعني: قليل جدا الذي يؤتى المال فيثبت، نسأل

**الله الثبات جميعا**، هذه فتنة خطيرة.

فهذا الرجل أو هذا الصنف الثالث الذي آتاه الله مالا ولم يؤته علما، فأضاع نفسه بهذا المال، فهو بأخبث المنازل، وما أكثرهم.

الصنف الرابع: (وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما)، واعلم أن المال رزق كفله الله عز وجل لك قبل أن تولد، لكن العلم تطلبه وتأتي به، لو تريد علما سيعطيك الله، ليس مثل المال، أناس كثيرون يريدون مالا فلا يعطيهم الله س." (١)

"العافية)) (١).

٥ – سؤال الله **تعالى الثبات على** دينه، وحسن العاقبة في الأمور كلها، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرِّفه حيث شاء)) ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((اللَّهم مُصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك)) (٢).

وحديث أم سلمة – رضي الله عنها – عندما سُئِلت عن أكثر دعائه إذا كان عندها، قالت: كان أكثر دعائه: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)). قالت: قلت: يا رسول الله مالِ أكثر دعائك: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))؟ قال: ((يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ)) (٣).

ولحديث بسر بن أرطأة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو: ((اللَّهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا

---

(١) الترمذي، برقم ٣٨١١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٨٠، وصحيح ابن ماجه، برقم ٣٨٤٩. وللحديثين شواهد في مسند الإمام أحمد بترتيب أحمد شاكر ١/ ١٥٦ – ١٥٧. ومن حديث أنس بن مالك في الترمذي، برقم ٣٨٤٦، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/ ١٧٠، ١٨٠، ١٨٥.

(٢) مسلم، ٤/ ٢٠٤٥، برقم ٢٦٥٤.

(٣) الترمذي، ٥/ ٢٣٨، برقم ٣٥٢٢، وأحمد، ٤/ ١٨٢، برقم ٢٤٦٠٤، والحاكم، ١/ ٥٢٥، و٥٢٨، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٧١.." (٢)

"وعذاب الآخرة)) (١).

٦ – سؤال الله تعالى دوام النعمة، والاستعاذة به من زوالها، وأعظم النعم نعمة الدين؛ لحديث أبي هريرة – رضي الله عنه –

---

(١) كيف تصبح عالما، راغب السرجاني ٦/٨

(٢) شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٠٧

قال: كان رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((اللَّهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر)) (٢).

وعن عبد اللَّه بن عمر – رضي الله عنه – قال: كان من دعاء رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم –: ((اللَّهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك)) (٣).

٧ – الاستعاذة باللَّه من جهد البلاء ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء؛ لحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((كان يتعوَّذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، ومن جهد البلاء)) (٤).

٨ – سؤال الله الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد؛

---

(١) أحمد، ٤/ ١٨١، برقم ١٧٦٢٨، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٧٨، إلى الطبراني في الكبير، وقال:[١].

(٢) مسلم، ٤/ ٢٠٨٧، برقم ٢٧٢٠.

(٣) مسلم، ٤/ ٢٠٩٧، برقم ٢٧٣٩.

(٤) مسلم، ٤/ ٢٠٨٠، برقم ٢٧٠٧.." (٢)

"لحديث شداد بن أوس – رضي الله عنه – قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)) (١)، في لفظ: ((وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ نَدْعُو بِهِنَّ فِي صَلاَتِنَا، أَوْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلاَتِنَا، وذكره)) (٢)، وفي لفظ: ((أن رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – كان يقول في صلاته، وذكره)) (٣).

هذه نماذج من أهم المطالب التي ينبغي للعبد أن لا يُغْفِلها، وعليه ألا يغفل الدعاء بالمغفرة له ولوالديه، وبالصلاح له ولذريته ولجميع المسلمين. وصلى اللَّه وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) أحمد في المسند، ٢٨/ ٣٣٨، برقم ١٧١١٤، وحسنه محققو مسند أحمد بطرقه.

(٢) أحمد في المسند، ٢٨/ ٣٥٦، برقم ١٧١٣٣، وحسنه محققو مسند أحمد بطرقه.

---

(١) رجال أحمد، وأحد أسانيد الطبراني ثقات

(٢) شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٠٨

(٣) النسائي، برقم ١٣٠٤، وابن حبان في صحيحه (موارد)، برقم ٢٤١٦، وصححه الألباني لغيره في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٣٢٢٨، وفي صحيح موارد الظمآن، برقم ٢٠٤٧ – ٢٤١٦.." (١)

"الإمام العادل، ودعوة الولد الصالح لوالديه، ودعوة المستيقظ من النوم إذا دعا بالمأثور، ودعوة المضطر، ودعوة من بات طاهراً على ذكر الله إذا استيقظ، ودعوة من دعا بدعوة ذي النون، ودعوة من أصيب بمصيبة إذا دعا بالمأثور، ودعوة من دعا بالاسم الأعظم، ودعوة الولد البار بوالديه، ودعوة الحاج، ودعوة المعتمر، ودعوة الغازي في سبيل الله، ودعوة الذاكر لله كثيراً، ودعوة من أحبه الله ورضي عنه.

وذكرت أهم ما يسأل العبد ربه وهي تسعة أمور: سؤال الله الهداية، وسؤال الله مغفرة الذنوب، وسؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار، وسؤال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وسؤال الله الثبات على دينه، وسؤال الله حسن العاقبة في الأمور كلها، وسؤال الله صلاح الدين والدنيا والآخرة، وسؤال الله دوام النعمة والاستعاذة به من زوالها، والاستعاذة بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

وقد ذكرت الأدلة على هذه المسائل كلها مع تخريجها، ومن أراد الرجوع إليها فليرجع إليها هناك، وبالله التوفيق] (١).

---

(١) انظر: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة (ص ٥ – ١٤٩)، وكتابي: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة (٣/ ٨٦٣ – ١١١٧) وقد ذكرت الأدلة كلها في هذه المواضع ولله الحمد [المصحح].." (٢)

"وإذَا أمْسَى قَالَ: أمْسَيْنَا وأمْسَى المُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمينَ.

وإذَا أمْسَى قَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَتْحَهَا، ونَصْرَهَا ونُوْرَهَا، وبَرَكَتَهَا، وَهُدَاهَا، وأعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيْهَا وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا)).

- صحابي الحديث هو أبو مالك الأشعري – رضي الله عنه –.

قوله: ((فتحه)) أو ((فتحها)) أي: الظفر على المقصود.

قوله: ((نصره)) أو ((نصرها)) أي: النصرة على العدو.

قوله: ((نوره)) أو ((نورها)) أي: بالتوفيق إلى العلم والعمل.

قوله: ((بركته)) أو ((بركتها)) أي: بتيسير الرزق الحلال الطيب.

قوله: ((هداه)) أو ((هداها)) أي: الثبات على متابعة الهدى ومخالفة الهوى.

قال الطيبي رحمه الله: ((قوله: فتحه ... وما بعده بيان لقوله: خير هذا اليوم)).

قوله: ((من شر ما فيه – أو ما فيها –)) أي: في هذا اليوم أو هذه الليلة.

---

(١) شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٠٩

(٢) شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، مجدي بن عبد الوهاب الأحمد ص/٤٠

قوله: ((شر ما بعده – أو ما بعدها –)) واكتفى به عن سؤال خير ما بعده – أو ما بعدها –؛ إشارة بأن درء المفاسد أهم من جلب المنافع.." (١)

"٨ – أهمية سؤال الله تبارك **وتعالى الثبات على** الإسلام، ((وهو يشمل على الاستسلام لله تعالى ظاهراً أو باطناً (١).

٩ – ((أنه ينبغي للإنسان أن يشمل ذريته في الدعاء، لأنّ الذرية الصالحة من آثار الإنسان الصالحة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾.

١٠ – ((شدة افتقار الإنسان إلى ربه تعالى؛ حيث كرر كلمة ((ربنا))، وأنه بحاجة إلى ربُوبيَّتِهِ الله تعالى الخاصة التي تقتضي عناية خاصة)) (٢).

٤ – ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٣).

بيّن الله جلّ في علاه في كتابه (الذكر الحكيم) دعوات لأهل الهمم القليلة، وأصحاب الحظوظ الدنيوية يسألون حظ الدنيا فقط: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ (٤).

ثم ثنّى. بأصحاب الهمم العالية الذين يسألون خيري الدنيا

---

(١) تفسير سورة البقرة، لابن عثيمين، ٢/ ٦٤.

(٢) تفسير سورة البقرة للعلامة ابن عثيمين، ٢/ ٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.." (٢)

"علينا، توسلوا بسابق إحسانه وإنعامه بعد التوسل بربوبيته دلالة على أهمية مطلبهم لربهم، وأنهم في تضرع كبير لهذا المطلب المهم، لا كالذين أزاغ الله قلوبهم من اتباع المتشابه في القرآن ابتغاء الفتنة، فهم ضلوا وأضلوا، والعياذ بالله، أما العلماء فقد اهتدوا وهدوا.

فتضمّن هذا المطلب الجليل سؤال الله **تعالى الثبات على** الدين القويم، والصراط المستقيم الذي عليه النجاة في يوم الدين، ولا يكون ذلك إلا بالتوفيق من الله تعالى رب العالمين.

لهذا كان أكثر دعاء نبي الرحمة – صلى الله عليه وسلم –: ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)) (١)، وجاء عنه – صلى الله عليه وسلم –: ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)) (٢).

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: ومن جميل تضرعهم وتوسلهم سألوا الله تعالى بلفظ الهبة إشارة إلى أن ذلك منه تعالى تفضل

---

(١) شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، مجدي بن عبد الوهاب الأحمد ص/١٧٧

(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/١٢٠

محض دون شائبة وجوب عليه – سبحانه وتعالى – (٣).

وسألوا ربهم ﴿رَحْمَةً﴾ بالتنوين والتنكير دلالة على التفخيم

---

(١) سنن الترمذي، كتاب القدر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، برقم ٢١٤٠، وسنن النسائي الكبرى، كتاب صفة الصلاة، باب الاستغفار بعد التسليم، برقم ٧٦٩٠، ومسند الإمام أحمد، برقم ١٢٢٠٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢١٤٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، برقم ٢٦٥٤.

(٣) روح المعاني، ٣/ ١٤٦.." (١)

"تجمع الناس)) (١). ((توسَّلوا إلى ربهم بالإيمان ومنة الله تعالى به، من الوسائل المطلوبة، فيكون هذا من تمام دعائهم)) (٢).

وفيه إقرار منهم بكمال صفاته الفعلية؛ لذلك قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾.

تضمنت هذه الدعوات المباركات كثيراً من المنافع والفوائد:

١ – أن العلم بالله تعالى هو أشرف العلوم على الإطلاق.

٢ – ((أن الرسوخ في العلم هو قدر زائد على مجرد العلم، فإن الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالماً محققاً)) (٣).

٣ – أن سؤال الله **تعالى الثبات على** الإيمان هو أعظم مقاصد الشارع المطلوبة.

٤ – ينبغي للعبد أن يستحضر دوماً نعم الله تعالى عليه، وخاصة نعمة الدين.

٥ – كما أن التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، كذلك يتوسل إليه بصفاته المنفية عنه تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ﴾. وهذا النفي يتضمّن صفات الكمال، ومنها كمال صدقه وقدرته جلَّ وعَلا.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣/ ١٦٩.

(٢) المواهب الربانية، ص ١٢٧.

(٣) تفسير ابن سعدي، ص ١٢٧.." (٢)

"والغفر – كما تقدم مراراً– هو: ((الستر، وترك المؤاخذة بالذنب، والرحمة إذا قُرنت مع الغفر يُراد بها أن لا يُوقعه في مثله في المستقبل)) (١).

ثم شرع سؤال خيري الدنيا والآخرة بأوجز لفظٍ، وأشمل معنى، فقال – عليه السلام –: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/١٣٣

(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/١٣٥

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فقوله: (اكتب): طلب ذلك بفعل الكتابة لإفادة **معنى الثبات والتجدد**، قال ابن عاشور رحمه الله: ((لمعنى العطاء المحقّق حصوله، المجدد مرة بعد مرة؛ لأن الذي يريد تحقيق عقد، وعدة، أو عطاء، وتعلقه بالتجدد في المستقبل يكتب به في صحيفته، ولو كان العطاء أو التعاقد لمرة واحدة لم يحتج للكتابة، فالمعنى آتنا الحسنة تلو الحسنة في أزمان حياتنا، ويوم القيامة)) (٢).

وقد تقدم سابقاً في تفسير معنى الحسنة في سورة البقرة، وهي كلمة جامعة لكل ما يتمنّاه العبد في دينه، ودنياه، وآخرته.

ثم ختم دعاءه بقوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: أي تبنا، وأنبنا إليك، في جميع أحوالنا: ((والجملة مستأنفة مسوق لتعليل الدعاء؛ فإن التوبة مما يوجب قبول الوعد المحتوم)) (٣).

وهي من أهم مؤكدات قبول وإجابة الدعاء، فَحَسُنَ الختام بها.

---

(١) تفسير ابن كثير، ص ٦٤٦.

(٢) التحرير والتنوير، ٨/ ٣١٠.

(٣) تفسير أبي السعود، ٣/ ٣٦.." (١)

"في جميع شؤونه، وفي كل صغيرة وكبيرة.

فصدر دعائه بأجمل الألفاظ، وأكمل المعاني، من أسمائه الحسنى، وصفاته العلا.

فقال: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي يا خالق السموات والأرض، ومبدعهما، ومبتدئهما من غير مثال سابق.

﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: مالك كل أموري، وكل أحوالي، في الأولى والآخرة. فسأل الله تعالى الولاية الخاصة التي من مقتضاها: العناية، والرعاية.

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: سأل الله **تعالى الثبات على** الإسلام حتى يتوفاه عليه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

وهذا المطلب الجليل كان المصطفى – صلى الله عليه وسلم – يسأله ربه تبارك وتعالى: ((يا وليَّ الإسلام وأهله، مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه)) (٢).

ثم سأل ربه تعالى أن يكمل له هذه النعمة في مرافقة الصالحين من أوليائه في جنات النعيم، فقال تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

ولا يدلّ هذا الدعاء المبارك على أن يوسف – عليه السلام – دعا باستعجال

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/١٧٣

(٢) ذكره صاحب العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٠، وصححه الشيخ الألباني في الموضع نفسه، كما ذكره الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٨٢٣، وقال: ((أخرجه السلفي في الفوائد المنتقاة))، وصححه.." (١)

"فسأل الله **تعالى الثبات على** التوحيد الصافي النقي، من كل أدران شرك، وكل شائبة تقدح فيه، له ولذريته، بكل شفقة وخوف ورجاء.

قال ابن كثير رحمه الله: ((ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته)) (١).

فقد تضمّن سؤاله – عليه السلام – الأمان وما يضادّه من سلب الإيمان.

وهذا الدعاء، وإن كان في القرون الغابرة، فمازال سارياً في عبادة الأصنام إلى يومنا هذا، بل وفي بعض البلاد، التي تنسب إلى الإسلام، ويدخل في هذا الدعاء، كل من عُبد دون الله تبارك وتعالى، من حجر، أو شجر، أو بشر؛ فلذلك كانت هذه الدعوة في غاية الأهمية في كل زمان، ومكان، وتُتلى في الكتاب الحكيم المعجز إلى قيام الساعة، وهذا من أوجه إعجازه.

ثم ذكر الموجب لخوفه منها، وعلى بنيه لكثرة من افتتن وابتلي بعبادتها من البشر: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ وهذا يدل على شدة شفقته على ذريته في مجانبتها، وأن ذلك شغله الشاغل، وهمّه الأكبر، وهذا يدلّنا على أهمية العناية بمسائل التوحيد، وما يضادّه من الشرك والكفر، وأنَّ أصفياء الله تعالى وأنبياءه؛ بل وخليله، يلوذون به تعالى في وقايتهم من الشرك بأنواعه وأشكاله، فيا ليت الدعاة يعتنون بهذا الأمر العظيم في تبليغه للناس، وكذلك كل من له ولاية عامة أو

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/ ٧٢٩.." (٢)

"* ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: أي لا يقي المرء من عذاب الله ولو افتدى بملء الأرض ومن عليها ذهباً وبشراً، إلاّ من أتى الله بقلب سليم من كل المساوئ، والعيوب من أمراض الشبهات، كالشرك، والشك، والنفاق، والإصرار على البدع والضلالات، ومن أمراض الشهوات مثل حب الدنيا، وغرورها، وبالجملة السالم من الخصال الذميمة، المتصف بالصفات الجميلة، وخصّ القلب بالذكر لأنه الذي إذا سلم سلمت الجوارح كلها، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح، وهذا المطلب المهمّ كان من مطالب النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((اللَّهُمَّ إِنِّي **أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي** الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا)) (١).

تضمنت هذه الدعوات الجليلات جملاً من الفوائد:

١ – يحسن بالداعي أن يجمع في دعائه من خيري الدنيا والآخرة، وأن تكون الدار الآخرة هي مقصده، ومطلبه الأعظم.

٢ – ينبغي للداعي أن يسأل الله تعالى أن يزيده من العلم والحكمة لما ينفعه في دينه ودنياه وآخرته.

---

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/١٨٦

(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/١٨٩

(١) سنن النسائي، كتاب السهو، نوع آخر من الدعاء، برقم ١٣٠٤، والسنن الكبرى له أيضاً، ١/ ٣٨٧، كتاب صفة الصلاة، نوع آخر، برقم ١٢٢٨، ومسند أحمد، ٢٨/ ٣٣٨، برقم ١٧١١٤، ومصنف ابن أبي شيبة، ١٠/ ٢٤١، والمعجم الكبير للطبراني، ٦/ ٤٥٠، وحسنه لغيره الأرناؤوط في تعليقه على المسند، ٢٨/ ٣٣٨، وسيأتي في الدعاء رقم ١٣٢ آخر الكتاب.." (١)

"الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١)؛ ولهذا كان – صلى الله عليه وسلم –: ((إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ)) (٢).

وتضمن هذا الدعاء المبارك، سؤال الله **تعالى الثبات في** الحياة الدنيا ((عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله تعالى على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب
الصحيح إذا قيل للميت: ((من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟)) (٣).

وهذا الدعاء الطيب له نظائر في أدعية المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، من جوامع الكلم التي أوتيها، فمنها: (( ... إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْمَمَاتِ وَثَبِّتْنِي ... )) (٤)، وكذلك في دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – لجرير بن عبد الله – رضي الله عنه –:

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، سورة إبراهيم، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، برقم ٤٦٩٩، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، برقم ٢٨٧١.

(٢) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف، برقم ٣٢٢٣، والزهد للإمام أحمد بن حنبل، ص ١٢٩، والسنن الكبرى للبيهقي، ٤/ ٥٦، والدعوات الكبير له، ٢/ ٢٩٤، والسنن الصغير له، ٢/ ٢٩، وإثبات عذاب القبر له أيضاً، ١٢٤، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٢٤، وفضائل الصحابة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، ص ٤٧٥، برقم ٧٧٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٠٧.

(٣) تفسير السعدي، ص ٤٨٤.

(٤) الحاكم، ١/ ٢٥، وصححه ووافقه الذهبي، والدعوات الكبير للبيهقي، ١/ ٣٤٨، المعجم الكبير للطبراني، ٢٣/ ٣١٦، والأوسط، ٦/ ٢١٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد،
١٠/ ٢٨٠: ((رواه الطبراني في الكبير، ورواه في الأوسط باختصار بأسانيد، وأحد إسنادي الكبير، والسياق له، ورجال الأوسط ثقات)).." (٢)

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٢٣٩

(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٢٨٩

"((اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا)) (١)، ومن دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((رَبِّ أَعِنِّي ... وَثَبِّتْ حُجَّتِي)) (٢)، وقوله: (وثبتني) يفيد العموم، أي سأل الله تعالى الثبات في الدنيا، والبرزخ والآخرة، فوافق هذا الدعاء الطيب الأدعية التي جاءت عن المصطفى – صلى الله عليه وسلم –.

٥٢ – ((اللَّهُمَ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ)) (٣).

هذا الدعاء المقتبس، قد جاء في دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم –، في أصل الكتاب رقم (١٢٧) فانظر شرحه هناك.

٥٣ – ((اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي وَاجْعَلْنِي مِنَ

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل، برقم ٣٠٣٦، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة – رضي الله عنهم –، باب من فضائل جرير بن عبد الله – رضي الله عنه –، برقم ٢٤٧٥.

(٢) أبو داود، كتاب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم، برقم ١٥١٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم –، برقم ٣٥٥١، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب أبواب الدعاء، برقم ٣٨٣٠، والنسائي في الكبرى، ٦/ ١٥٥، برقم ١٠٣٦٨، والإمام أحمد، ٣/ ٤٥٢، برقم ١٩٩٧، وابن أبي شيبة، ١/ ٢٣٦، وابن حبان، ٣/ ٢٢٧، وعبد بن حميد، ص ٢٣٦، والأدب المفرد للبخاري، ص ٢٣٢، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥١٧.

(٣) مقتبس من سورة الحجرات، الآية: ٧.." (١)

"وقوله: ((على [طاعتك])) أي أن ينقلب القلب من طاعة إلى طاعة أخرى، من صلاة إلى صيام إلى زكاة)) (١)، فسأل الله تعالى الثبات على الدين جملة وتفصيلاً، ودلَّ الحديث والذي بعده على أهمية التوسّل إلى الله تبارك وتعالى بأفعاله ومنها ((التصريف)) الفعلية التي تتضمّن كمال المشيئة، والحكمة البليغة، وكذلك [يدل على] صفة ((الأصابع)) الذاتية الجليلة، [على الوجه اللائق بالله – عز وجل –، لا يشبه أحداً من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾].

٧٠ – ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّت قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)) (٢).

عن أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ))، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: ((نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)) (٣).

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٢٩٠

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله، إنك تُكثر أن

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، ٤/ ٦١.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا أبو موسى الأنصاري، برقم ٣٥٢٢، وأحمد، ١٨/ ١٠٠، برقم ١٢١٠٧، والحاكم، ١/ ٥٢٥، و٥٢٨، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٦/ ٣٠٩، وصحيح الترمذي، ٣/ ١٧١. وقد قالت أم سلمة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((كان أكثر دعائه – صلى الله عليه وسلم –)).

(٣) الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، برقم ٢١٤٠، وأحمد، ١٩/ ١٦٠، برقم ١٢١٠٧، ومصنف بن أبي شيبة، ١١/ ٣٦، برقم ٣١٠٤٤، وشعب الإيمان للبيهقي، ٢/ ٢٠٩، ومسند أبي يعلى، ٦/ ٣٥٩، والمختارة للضياء المقدسي، ٢/ ٤٥٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢١٤٠.." (١)

"قوله: ((وخير النجاح)): أي التمام والكمال في الأمور، والحصول على كل المطلوب.

قوله: ((وخير العمل)): أي التوفيق إلى أفضل العمل، وأحسنه الذي يحبّه الربُّ جلَّ وعلا، الذي فيه الثواب الأكثر، والأجزل، ومنه الصلاة؛ لأنها أفضل العمل قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة)) (١).

قوله: ((وخير الثواب)): فيه سؤال الله أن يثيبه أكثر الثواب، وأحسنه، وأعظمه، بمضاعفة الأجر والثواب، فتضمّن هذا السؤال التوفيق إلى أفضل الأعمال، والأقوال عند الله تعالى، وأرفعها قدراً.

قوله: ((وخير الحياة)): أي أفضل الحياة، وأحسنها، بأن تكون في طاعة الرحمن، وحسن العبادة له، واجتناب معاصيه – عز وجل –، والحياة الطيبة المطمئنة الآمنة من البلاء، والمصائب، والأكدار.

قوله: ((وخير الممات)): بأن يموت مَرْضِيّاً عنه، مغفوراً له مثاباً، متشبثاً على الحق، وحسن الخاتمة من العمل الصالح، وكلمة الشهادة.

قوله: ((وثبتني)): سؤال الله الثبات، والاستقامة في جميع الأمور في الأقوال، والأفعال، والأخلاق في الدنيا، والبرزخ والآخرة؛ لما في حذف المفعول من إشعار بالتعميم والشمول.

---

(١) ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء، برقم ٢٧٧، وأحمد، ٣٧/ ١١٠، برقم ٢٢٤٣٦، وابن حبان، ٣/ ٣١١، والحاكم، ١/ ١٣٠، والبيهقي، ١/ ٨٢، والدارمي، ١/ ٦٦، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/ ١٨١، برقم ١١٥.." (٢)

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٣٤٢

(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٤٦٦

"وطلاقة الوجه: أن يلاقي الناس بوجه منبسط (١).

١٣١ - ((اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي وَاجْعَلْنِي هَادِياً مَهْدِيًّا)) (٢).

الشرح:

وأصل هذا الدعاء المبارك أن جرير بن عبد اللَّه البجلي - رضي الله عنه - شكا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لا يثبت على الخيل، فضرب - صلى الله عليه وسلم - بيده الكريمة على صدره ثم دعا له فقال: ((اللَّهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً)).

قوله: ((اللَّهم ثبته)): تضمن هذا الدعاء المبارك التوفيق **إلى الثبات في** كل الأحوال، ومن كل الأنواع **من الثبات الحسي** والمعنوي، الدنيوي والأخروي، كما أفاد حذف المفعول الذي يفيد العموم، وهذا من جوامع الكلم في الدعاء؛ فإن سؤال اللَّه **تعالى الثبات في** الدنيا يكون: في ثبات القلب أمام ملاقاة أعداء اللَّه تعالى يستلزم ثبات الأقدام والجسد، **وكذلك الثبات أمام** الفتن، والضلالات، والزيغ، والشهوات، والشبهات، وكذلك تضمّن سؤال اللَّه **تعالى الثبات عند** الاحتضار الذي يأتي الشيطان لإضلال العبد، وكذلك في البرزخ عند سؤال منكر ونكير، وكذلك في اليوم الآخر على الصراط، فتضمّنت هذه الكلمات القليلة المعاني الكثيرة والجليلة في الدين والدنيا والآخرة.

---

(١) شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، ٢/ ٣٤١.

(٢) دلّ عليه دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لجرير - رضي الله عنه -. انظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حرق الدور والنخيل، برقم ٣٠٢٠، وكذلك برقم ٤٣٥٦، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله، برقم ٢٤٧٥، و٢٤٧٦.." (١)

"قوله: ((واجعلني هادياً مهدياً)): وهذه أكمل الحالات، وأفضل الدرجات أن يجتمع في العبد الهداية القاصرة والمتعدية، أي أن يكون مهدياً بنفسه، هادياً لغيره، وهذا من أجل النعم من الرب - عز وجل - أن يثبت العبد، ويهديه على الهدى، ثم يرزقه التوفيق إلى دعوة الناس من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يترتب على ذلك من الأجر العظيم له، وهذا يدل على أهمّيّة الأدعية النبوية،

التي فيها أجلّ المقاصد، والمطالب الدنيوية والأخروية بأوجز الألفاظ.

١٣٢ - ((اللَّهُمَّ إِنِّي **أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي** الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبَاً سَلِيمَاً، وَلِسَاناً صَادِقَاً، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)) (١).

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٥١٠

(١) أحمد، ٢٨/ ٣٣٨، برقم ١٧١١٤، و٢٨/ ٣٥٦، برقم ١٧١٣٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، برقم ٣٤٠٧، والنسائي، كتاب السهو، نوع آخر من الدعاء، برقم ١٣٠٤، ومصنف ابن أبي شيبة، ١٠/ ٢٧١، برقم ٢٩٩٧١، والطبراني في المعجم الكبير بلفظه، برقم ٧١٣٥، وبرقم ٧١٥٧، و٧١٧٥، ورقم ٧١٧٦، و٧١٧٧، و٧١٧٨، و٧١٧٩، و٧١٨٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ٣/ ٢١٥، برقم ٩٣٥، و٥/ ٣١٠، برقم ١٩٧٤، وحسنه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، ٥/ ٣١٢، وحسنه بطرقه محققو المسند، ٢٨/ ٣٣٨، وذكره الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة في المجلد السابع، برقم ٣٢٢٨، وفي صحيح موارد الظمآن، برقم ٢٤١٦، ٢٤١٨، وقال: ((صحيح لغيره))..." (١)

"هذا الدعاء العظيم المبارك، في غاية الأهمية، فقد اشتمل على أعظم مطالب الدين، والدنيا، والآخرة، [و] فيه من جوامع الكلم التي لا تستقصيها هذه الوريقات لجلالة قدرها (١).

ولهذا أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – شداد بن أوس، والصحابة – رضي الله عنهم – بالإكثار من هذا الدعاء بأجمل الألفاظ، وأجلّ المعاني فقال: ((يا شداد بن أوس، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فاكنز هؤلاء الكلمات)) (٢).

وفي لفظ ((إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم، فاكتنزوا الكلمات ... )) (٣).

ومما يدل على أهمية هذه الدعوات الطيبات أن النبي – صلى الله عليه وسلم –[كان يقولها في صلاته، ففي رواية عند ابن حبان، والطبراني، ولفظ الحديث عند النسائي عن شداد – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم –] [كان يقول في صلاته]: اللهم إني **أسألك الثبات** ... )) الحديث (٤).

أي أنه كان يكثر من هذه الدعوات (٥) في أعظم الأعمال، وهي الصلاة، فقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((فأكثروا))، وأمر – صلى الله عليه وسلم – (باكتنازها)؛ لأن نفعها دائم لا

---

(١) قد شرح هذا الدعاء العلامة الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في مؤلف خاص له. انظر مجموع الرسائل له، ١/ ٣٦٢ – ٣٩٦.

(٢) أحمد، ٤/ ١٢٣، رقم ١٧١٥٥، أخرجه ابن أبي شيبة، ٦/ ٤٦، رقم ٢٩٣٥٨، والطبراني في الكبير، ٧/ ٢٧٩، برقم ٧١٣٥، وأبو نعيم في الحلية، ٦/ ٧٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٣٢٢٨.

(٣) ابن حبان، ٣/ ٢١٥، والمعجم الكبير للطبراني، ٧/ ٢٨٧، برقم ٧١٧٥، وصححه الألباني لغيره في التعليقات الحسان، برقم ٩٧١.

(٤) النسائي، برقم ١٣٠٤، والطبراني في المعجم الكبير، ٧/ ٢٩٤، برقم ٧١٧٨، ورقم ٧١٧٩، ورقم ٧١٨٠، وابن حبان في صحيحه، ٥/ ٣١٠، برقم ١٩٧٤، وقال الألباني في صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ٢/ ٤٤٦، برقم ٢٠٤٧

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٥١١

- ٢٤١٦: ((صحيح لغيره)).

(٥) [تقدم] مراراً أن فعل المضارع بعد كان يفيد الدوام على الفعل، والاستمرار عليه.." (١)

"ينقطع في الدنيا وفي الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (١)، وهذا هو الكنز الحقيقي الذي لا يفنى.

فتضمَّن هذا الدعاء المبارك على عدة مقاصد ومطالب جليلة في أعظم مهمات الدين، والمعاش، والمعاد، منها:

١ - سؤال الله **تعالى الثبات على** الهدى في كل الأحوال.

٢ - التوفيق إلى صالح الأعمال على التمام.

٣ - الشكر على النعم والآلاء في الليل والنهار.

٤ - إصلاح أعمال القلب، والأركان.

٥ - الفوز بكل خير ومنوال على الدوام.

٦ - السلامة من كل شر في كل الأحوال والأزمان.

٧ - مغفرة الذنوب في الماضي، والحال، والمآل.

المفردات:

الكنز: ((أصل الكنز المال المدفون تحت الأرض؛ فإذا أخرج منه الواجب عليه لم يبق كنزاً، وإن كان مكنوزاً)) (٢)، والكنز: هو الشيء النفيس المدخر، ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)) (٣). ((أي المدخر لقائلها، والمتصف بها، كما يدخر

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٢) انظر: المفردات، ص ٧٢٧ ، والنهاية، ص ٨١٤.

(٣) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، برقم ٦٣٨٤، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم ٢٧٠٤.." (٢)

"الكنز)) (١).

العزيمة: العزم والعزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، يقال: عزمتُ الأمر، وعزمت عليه، واعتزمت، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (٢). (٣)

الرشد: الرَّشَدُ والرُّشْدُ: خلاف الغي (٤) ، وهو الصلاح والفلاح، والصواب (٥).

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٥١٢

(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٥١٣

القلب السليم: هو الخالي من الشرك والكفر، والنفاق والإثم وكل وصف ذميم.

الشرح:

قوله: ((اللَّهم إني أسألك الثبات في الأمر)): سأل اللَّه تعالى الثبات في الأمر، وهي صيغة عامة يندرج تحتها كل أمر من الأمور)) (٦) من أمور الدنيا، والدين، والآخرة؛ فإن الثبات عليها يكون بالتوفيق [إليها] بالاستقامة، والسداد، وأعظم ذلك الثبات على الدين والطاعة، والاستقامة على الهدى، وأحوج ما يكون العبد [لهذه] الاستقامة، عند الاحتضار من نزغات الشيطان وإغوائه، والثبات في

---

(١) النهاية، ص ٨١٤.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٣) المفردات، ص ٥٦٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٥٤.

(٥) تحفة الذاكرين، ص ٤٢٨.

(٦) تحفة الذاكرين، ص ٤٢٨.." (١)

"سؤال الملكين، وعند المرور على الصراط وقد جمع اللَّه تبارك وتعالى كل هذه الأمور، في قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١)، فتضمّنت هذه الدعوة الجليلة الثبات في كل الأحوال، والأوقات، والأماكن.

وقوله: ((والعزيمة على الرشد)): ((سأل اللَّه تعالى عزيمة الرشد، وهي الجد في الأمر، بحيث ينجز كل ما هو رشد من أموره)) (٢) في

أمور معاشه وآخرته، والرشد كما [تقدم] هو الصلاح، والفلاح، والصواب، فلذلك كانت العزيمة على الرشد مبدأ الخير؛ فإن الإنسان قد يعلم الرشد، وليس له عليه عزيمة، فإذا عزم على فعله أفلح، والعزيمة: هي القصد الجازم المتصل بالفعل، وهو عقد القلب على إمضاء الفعل، ولا قدرة للعبد على ذلك إلا باللَّه تعالى؛ فلهذا كان من أهم الأمور سؤال اللَّه تعالى العزيمة على الرشد؛ ولهذا علَّم النبي – صلى الله عليه وسلم – أحد الصحابة أن يقول: ((قل اللَّهم قني شر نفسي، واعزم لي على أرشد أمري)) (٣).

فالعبد يحتاج إلى الاستعانة باللَّه، والتوكل عليه في تحصيل العزم، وفي العمل بمقتضى العزم بعد حصول العزم، قال اللَّه تعالى:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٥١٤

(٢) تحفة الذاكرين، ص ٤٢٨.

(٣) أخرجه أحمد، ٣٣/ ١٩٧، برقم ١٩٩٩٢، والنسائي في الكبرى، ٦/ ٢٤٦، كتاب صلاة العيدين، الصلاة بعد العيدين، برقم ١٠٧٦٤، وابن حبان، ٣/ ١٨١، برقم ٨٩٩، والحاكم، ١/ ٥١٠، وقال: ((صحيح على شرط الشيخين))، والطبراني في الكبير، ١٣/ ١٥١، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ٤/ ٣٢٣، برقم ٢٣٥٤، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم ٨٩٦، وصححه محققو المسند، ٣٣/ ١٩٧.." (١)

"يقود المسلم في أعماله كلها إلى حقيقة كبرى، وهي مرضاة الله عز وجل، فيجعله يزن كل قضية بميزان رضاه، ومن هنا يبدو هؤلاء أنصاف مسلمين، وقد لا يكون لهم من الإسلام سوى الاسم، وهذا الازدواج في الشخصية من أخطر ما ابتلي به المسلمون في هذا العصر.

مؤد الفرائض والأركان والنوافل:

والمسلم الصادق يؤدي فرائض الإسلام وأركانه أداء كاملا حسنا، لا تهاون فيه ولا تساهل ولا ترخص.

يقيم الصلوات الخمس:

فهو يقيم الصلوات الخمس بأوقاتها؛ إذ الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين (١)، وهي أجل الأعمال وأفضلها كما في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي الأعمال أفضل؟ قال: ((الصلاة على وقتها))، قلت: ثم أي؟ قال: ((بر الوالدين))، قلت: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)) (٢). ذلك أن الصلاة صلة بين العبد وربه، ينقطع فيها الإنسان عن شواغل الحياة، ويتجه بكيانه كله إلى ربه، يستمد منه الهداية والعون والتسديد، **ويسأله الثبات على** الصراط المستقيم.

فلا غرو أن تكون الصلاة أجل الأعمال وأفضلها؛ لأنها المورد الثر الذي يتزود منه المسلم تقواه، ولأنها المنهل العذب النقي الذي يغسل بنميره خطاياه:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ١/ ١٤٧.

(٢) متفق عليه.." (٢)

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٥١٥

(٢) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي ص/١٧

"يُظهرهم على عدوهم وقد تطول فترة الابتلاء لأمر يريده الله وانتظار الفرج من الله عبادة.

من يتوكل على الله فهو حسبه قدراً وشرعاً قدراً باعتبار العاقبة وشرعاً **باعتبار الثبات في** الأمر من ربط على القلب ونحوه والعزيمة على الرشد ، ومن توكل على الله فإن الله يُقدَر له الخير حيث كان وييسره له ويبارك له فيه في دينه ومعاشه وعاقبة أمره ثم يُرضيه به والله يعلم ما هو خير للعبد والعبد لا يعلم ما هو خيرٌ لنفسه.

شبهات وإشكالات وتساؤلات في باب التوكل والقدر:

- السؤال الأول: قرأت كثيراً عن التوكل، ولكن عندي شبهات أرجو كشفها،

وهي: هل التوكل يرد المقدور؟ وهل التوكل يؤدي إلى وقوع المقدور حسب ما يريد العبد؟ وهل معنى الحسب والكفاية في قوله تعالى: ومن يتوكل على الله فهو حسبه"، وقوله: "أليس الله بكاف عبده" أن يقضي الله الخير للعبد حيث كان ثم يُرضيه به، وإن كان في قالب ضراء في نظر العبد القاصر بخفايا الأمور ومآلاتها، وأن تكون العاقبه له ولو بعد حين كما قال تعالى: "والعاقبة للمتقين"؟ وكيف نجمع بين قوله عليه الصلاة والسلام: "احفظ الله يحفظك"، وقوله تعالى: "والله يعصمك من الناس" وبين أنهُ سُحِرْ وقد شجَّت رباعيته يوم أحد وهناك من أهل العلم من يقول: إنه قتل بالشاة المسمومة؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالتوكل وغيره من الأسباب الشرعية كالدعاء وتقوى الله تعالى والاستغفار، مما يُستدفع به المقدور المكروه، ويُستجلب به المقدور المحبوب، بل هو من أعظم أسباب ذلك، قال الشيخ حافظ حكمي في معارج القبول: ليس في فعل الأسباب ما ينافي التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب، وليس التوكل بترك الأسباب، بل التوكل من الأسباب وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها. اهـ.

وفي (زاد المعاد) لابن القيم: القدر يُدفع بعضه ببعض، كما يُدفع قدر المرض بالدواء، وقدر الذنوب بالتوبة، وقدر العدو بالجهاد، فكلاهما من القدر ... والله يلوم على العجز ويحب الكيس ويأمر به، والكيس هو مباشرة الأسباب التي ربط الله بها مسبباتها النافعة للعبد في معاشه ومعاده، فهذه تفتح عمل الخير، وأما العجز فإنه يفتح عمل الشيطان. اهـ.." (١)

"فصل

في حقوق الصحبة وآدابها ظاهرًا وباطنًا

واعلم أن لقوام الصحبة حقوقًا، فبقدر تأديتها أو الإخلال بها: تدوم الأخوة أو تنخرم.

وكانت الحكماء تقول: إن مما يجب للأخ على أخيه: مودته بقلبه، وتزيينه بلسانه، ورفده بماله، وتقويمه بأدبه، وحسن الذب والمدافعة عنه في غيبته.

وقد جمع هذه الحقوق أبو حامد في «إحيائه»، وهي: الإخلاص والوفاء، والإعانة، وحفظ اللسان بالسكوت عن المكاره

---

(١) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٦٥

وإطلاقه بالنطق بالمحاب، والعفو عن الزلات، والتخفيف عليه، وإخبار صاحبه بمحبته له، والدعاء له.

أما الإخلاص والوفاء؛ فقال: «ومعنى **الوفاء: الثبات على** الحق، وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده." (١)

"عُلُوّ هِمَّةِ فَارسِ الإِسلَامِ السُّرمَارِي

الذي قال في وصفه الإمام الذهبي رحمه الله:

(الإمام، الزاهد، العابد، المجاهد، فارس الإسلام، أبو إسحاق). (وكان أحد الثقات، وبشجاعته يضرب المثل) (أخبار هذا الغازي تَسُرُّ قلب المسلم)، (قال إبراهيم بن عفان البَزَّاز: كنت عند أبي عبد الله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاق السُّرْماري، فقال: "ما نعلم في الإسلام مثله"، فخرجتُ، فإذا أحيد رئيسُ المُطَّوِّعة، فأخبرتُه، فغضبَ ودخل على البخاري، وسأله، فقال: "ما كذا قلتُ: بل: ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا في الجاهلية مثلُه".

وعن أحمد بن إسحاق قال: "ينبغي لقائد الغزاة أن يكون فيه عشرُ خصال: أن يكون في قلب الأسد: لا يَجْبُنُ، وفي كِبَرِ النَّمِرِ: لا يتواضع، وفي شجاعة الدب: يقتل بجوارحه كلِّها، وفي حَمْلة الخنزير: لا يُوَلِّي دُبُرَه، وفي غارة الذئب: إذا أَيِس من وجهٍ أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنَّمْلة: تحمل أكثر من وزنها، **وفي الثبات كالصخر**، وفي الصبر كالحمار، وفي الوَقاحة كالكلب: لو دخل صيدُه النارَ لدخل خلفه، وفي التماس الفرصة كالدِّيك".

قال إبراهيم بن شماس: كنت أكاتب أحمد بن إسحق السُّرْماري،." (٢)

"دعاء من رغم لك أنفه، وخضعت لك رقبته، وذل لك قلبه وفاضت لك عيناه .. فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أعلنّا، وما أسررنا وما أنت أعلم به منا ..

- إلهي .. ببابك أنخنا، ولمعروفك تعرضنا، وبكرمك تعلقنا، وبتقصيرنا اعترفنا، وأنت أكرم مسئول وأعظم مأمول فارحمنا اللهم رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ..

- اللهم لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا على غرة، ولا تجعلنا من الغافلين ..

- اللهم اجعلنا من عبادك الذين يحبونك وتحبهم، واجعلنا ممن أكرمت فأجزلت ثوابهم، واجعلنا يا رب ممن زحزحت عن النار أجسادهم ..

- اللهم إنا **نسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ..

- اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك ويا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك، ولا تصرف قلوبنا إلى شيء صرفته عنا، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ..

- اللهم إنا نسألك الشهادة في سبيلك بعد طول عمر وحسن عمل، مقبلين غير مدبرين في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة

---

(١) غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص/٨٣

(٢) علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم ص/٣١٨

..

- اللهم أرنا عز الإسلام بأعيننا، ومتعنا بالنصر وارزقنا الشهادة." (١)

"صدر للمؤلف

د. محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف:

١ - تحقق ودراسة كتاب التلخيص في القراءات الثمان، للإمام عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري- رسالة ماجستير.

٢ - إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء، دراسة مقارنة- رسالة دكتوراة.

٣ - نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (١/ ٤).

٤ - المختار المصون من أعلام القرون (١/ ٣).

٥ - مختصر الروضتين في أخبار الدولتين.

٦ - استجابات إسلامية لصرخات أندلسية.

٧ - مختصر الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي.

٨ - الطرق الجامعة للقراءة النافعة.

٩ - حصول الطلب بسلوك الأدب.

١٠ - التنازع والتوازن في حياة المسلم.

١١ - الهمة طريق إلى القمة.

١٢ - الثبات.

١٣ - أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء.

١٤ - عجز الثقات.

١٥ - تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء.." (٢)

"٦ - أوقات إجابة الدعاء مهمة ينبغي أن يعتني الداعي في دعائه بها، ومن أعظمها: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تُقضى صلاة الجمعة، وآخر ساعة بعد عصر يوم الجمعة، فإذا حضر القلب في هذه الأوقات، وصادف خشوعاً وانكساراً بين يدي الرب، وذلاً له وتضرّعاً ورقّة، واستقبل الداعي القبلة؛ وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألحّ عليه في المسألة، وتوسّل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته، وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يُردّ أبداً (١).

---

(١) طوق النجاة، مجدي الهلالي ص/٥٠

(٢) الهمة طريق إلى القمة، محمد بن موسى الشريف /

٧ - أهم ما يسأل العبد ربه، لا شك أن العبد يسأل الله كلّ شيء يحتاجه في أمر دينه ودنياه؛ لأن الخزائن كلها بيده - سبحانه وتعالى -، وهو - عز وجل - لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ويحب - عز وجل - أن يُسأل، فليسألْه العبدُ كلّ شيء يحتاجه، حتى شِسعَ نعله، ويهتم العبد اهتماماً بالغاً بالأمور المهمّة العظيمة التي فيها السعادة الحقيقية، ومن أهمّ ذلك تسعة أمور، هي:

الأمر الخامس: سؤال الله - عز وجل -: **الثبات على** دينه.

الأمر السادس: سؤال الله سبحانه: حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، ص٢٧ - ٢٨، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، لسعيد بن علي بن وهف [المؤلف]، ص٤٥ - ٩١.." (١)

"منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾ [ص: ٦] فالصبر مع نفسك، والمصابرة: بينك وبين عدوك، **والمرابطة: الثبات وإعداد** العدة. وكما أن الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم منه العدو فكذلك الرباط أيضا، لزوم ثغر القلب، لئلا يهجم منه الشيطان فيملكه أو يخربه.

عجبا لك

عن أبي يحي صهيب بن سنان قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" [رواه مسلم].

اتقي الله

عن أنس قال: مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على امرأة تبكي عند قبر فقال:"اتقي الله واصبري" فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتت باب النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" [متفق عليه].

امرأة من أهل الجنة

عن عطاء بن أبي رباح: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي- صلى الله عليه وسلم -فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي قال:"إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك" فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. [متفق عليه].

بشرى

---

(١) نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٤١٣

عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" [متفق عليه].

وعن ابن مسعود قال: دخلت على النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يوعك فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكا شديدا قال: "أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم" قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: "أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها" [متفق عليه]..." (١)

"المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ [الفرقان: ٢٠].

وللتشكيك في الأحكام قالوا عن الذبائح: ما قتلتم أنتم بأيديكم تحلونه وما قتله الله تحرمونه؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام: ١٢١].

٢ – الثبات في وجه المغريات:

وهي كذلك من أسلحة الباطل المعروفة التي لا تؤثر في رجال باعوا أنفسهم وأموالهم لله، ووقفوا حياتهم لنصرة دينه ومنهجه، وأحبوا الحق وذابوا فيه فصغرت الدنيا في أعينهم بمناصبها وأموالها، وهذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يرد على قومه وقد أغروه بالمال والجاه لترك دعوته: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه".

خالد بن سعيد

بمجرد أن أسلم خالد بن سعيد – رضي الله عنه – تعرض للبلاء الشديد، فلما علم أبوه بإسلامه أرسل إليه مولاه رافعا أخويه أبان وعمرا، فرأوه يصلي فامتلأت قلوبهم نورا لهذا المشهد المهيب الذي رأوه، وعاد معهم خالد إلى أبيه فلما علم بإسلامه أمره أن يترك هذا الدين العظيم فأبى خالد بكل عزة. فقال له أبوه: إذن أحرمك من رزقي، فقال له خالد: الله خير الرازقين. فطفق والده يضربه ضربا شديدا حتى سالت الدماء الشريفة من هذا الجسد الطيب المبارك ثم أوثقه وزج به في غرفة مظلمة ومنع عنه الطعام والشراب ثلاثة أيام. ثم جاءه في اليوم الرابع نفر من أهله وقالوا: كيف أنت يا خالد؟ فقال: إني أتقلب في نعم الله عز وجل. فقالوا: أما آن لك أن تثوب إلى رشدك، وتطيع أباك؟! فقال: أما رشدي فما فارقني وما فارقته، وأما أبي فلا أطيعه فيما يعصى الله به عز وجل، فقالوا: قل لأبيك كلمة ترضيه في اللات والعزى يفرج عنك، فقال: إن اللات والعزى حجران أصمان أبكمان، وإني لا أقول فيهما إلا ما يرضي الله ورسوله، وليفعل بي ما يشاء.

شد "أبو أحيحة" وثاق خالد، وأمر أتباعه أن يخرجوا به كل يوم عند الهاجرة إلى بطحاء مكة وأن يلقوه بين الحجارة حتى تصهره الشمس، فكان كلما أخرجوه وألقوه في." (٢)

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ٣٣/١

(٢) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ٢٢٠/٢

"الهاجرة يقول: الحمد لله الذي أكرمني بالإيمان، وأعزني بالإسلام، إن ذلك أهون علي من لحظة عذاب في جهنم التي أراد أن يلقيني فيها "أبو أحيحة". ثم حانت لخالد فرصة، فتفلت من سجن أبيه، ومضى إلى نبيه، ثم ما لبث أن لحقه أخواه عمرو وأبان، وانضما معه إلى موكب الخير والنور، عند ذلك أسقط في يدي "أبي أحيحة".

وقال: واللات والعزى لأعتزلن بمالي بعيدا عن مكة، فذلك خير لي، ولأهجرن أولئك الصباة الذين يعيبون آلهتي أربابي، ثم انتقل إلى قرية قريبة من الطائف، وظل فيها حتى مات كمدا على الشرك.

ولما أذن الرسول – صلى الله عليه وسلم –لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة نجا إليها خالد بن سعيد بن العاص ومعه زوجته أمينة بنت خلف الخزاعية .. وقد أقام فيها بضع عشرة سنة داعيا إلى الله، ولم يغادرها إلى المدينة إلا بعد أن فتح الله على المسلمين خيبر فسر الرسول بمقدمه أبلغ السرور، وقسم له من غنائم خيبر كما قسم للمحاربين، ثم ولاه اليمن فظل واليا عليها إلى أن لحق الرسول الكريم بجوار ربه (١).

٣ **– الثبات أمام** بطش الظالمين:

أسلوب البطش من حيل المجرمين المفلسين حين لا تجدي الوسائل السالفة فيفقدون صوابهم ويثورون على أهل الحق لتمزيق أجسادهم إن استطاعوا حتى تغيب عن أعينهم رموز الصلابة، ويعتبر أسلوب البطش من أكثر أساليب الباطل شيوعا وتكرارا على مر التاريخ.

فهذا بلال بن رباح – رضي الله عنه – يجرد من ثيابه ويلقى على نار البطحاء ويثبت مستخفا بالظالمين، متحديا لهم، مصرا على مبدئه، معتزا به مهما لاقى في سبيله.

وهذا خباب بن الأرت – صلى الله عليه وسلم – كانوا يلقونه على فحم ملتهب ويضعون الصخرة عليه حتى لا يستطيع فكاكا من حريقه.

وهذا أفلح –مولى لبني عبد الدار– كانوا يربطونه من رجليه ويجرونه على الأرض.

وهذا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – يلفه عمه في حصير ثم يدخن عليه ليختنق بداخله.

---

(١) صور من حياة الصحابة ٤٥٥ – ٤٥٧.." (١)

"القناطر" مجاورة لبلدة أبي وهي عرب الصوالحة بالقليوبية– فهز والدي رأسه بطريقة تدل على الأسى، وأخبرني أنه من الشهداء، وأضاف أبي قائلا: لقد تعجبنا له لأن الذين كانوا يقومون بتعذيبه لا يسألونه إلا سؤالا واحدا فقط وهو: أنت كنت فين؟ فلا يجيب إلا بآيات من القرآن الكريم، حتى كسروا عموده الفقري وبرزت عظامه وضلوعه، وكان ممرض السجن "التمرجي" يخرج من مكان تعذيبه في يده (صفيحة) مليئة بالدم.

ويقول الأخ وهبي الفيشاوي: إن بعض الإخوة المسجونين الذين كانوا يقومون بتوزيع الطعام علينا كانوا يخبروننا بأحوال السجن والمعذبين فيه، وفي أحد الأيام أخبرني أحدهم أن جراح الأخ محمد الصوابي الديب فادحة جدا ومتقيحة، وأن حالته

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ٢/٢٢١

ساءت لدرجة أن الحشرات تسري بين جروحه، وأنه قد امتنع عن الطعام بعد أن منع عنه الماء، ولم تمض سوى أيام قليلة على هذا الحديث حتى أطفئت أنوار السجن الحربي كلها في إحدى الليالي، وشاهدت من ثقب زنزانتي حراس السجن الحربي يحملون شخصا ملفوفا داخل بطانية ويضعونه داخل سيارة جيب مغلقة. وعرفت أنه الشهيد محمد الصوابي الديب، وقلت في نفسي: استرحت وفزت بالجنة إن شاء الله.

ويختم الشيخ مخلوف حديثه عن الشهيد البطل قائلا: إذا كانت تربية الشهيد من تربية الإخوان المسلمين، فأنا أضم صوتي بقوة إلى علماء الأزهر في المطالبة بعودة الإخوان المسلمين فتربيتهم هي خير تربية (١).

٤ – **الثبات مع** كر الزمان:

فقد يفرط المرء في مبدئه وتسترخي قبضته على الحق الذي معه لا لشيء إلا لتوالي الأيام والليالي، وقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى فقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ [الحديد: ١٦].

ويعتبر كر الزمان من أخطر الأسباب الصارفة عن الطريق حيث لا يوجد عدو ماثل أمامك يريد استلاب دينك وعقيدتك فيفجر فيك طاقة التصدي والتحدي، ومن ثم اعتبر القرآن من يتصفون بهذه الصورة من **صور الثبات صفوة** المؤمنين فقال تعالى: ﴿من

---

(١) من أعلام الحركة الإسلامية: ٥٥٩ – ٥٦٥.." (١)

"المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ويقول البنا عن ركن الثبات: وأريد بالثبات أن يظل الأخ عاملا مجاهدا في سبيل غايته مهما بعدت المدة وتطاولت السنون والأعوام حتى يلقى الله على ذلك، وقد فاز بإحدى الحسنيين: إما الغاية أو الشهادة في النهاية، والوقت عندنا جزء من العلاج والطريق طويلة المدى متعددة المراحل كثيرة العقبات ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر والمثوبة.

٥ – **الثبات أمام** الضغوط والتقلبات الحياتية:

فهناك الهواتف الشاغلة من قبل النفس والأهل والمال والولد.

وقد يؤدي الاسترسال معها والاستغراق فيها إلى التخفف من أعباء الدعوة أولا، ثم الانصراف عنها كلية بعد ذلك، ونسأل الله العافية والثبات، وفي هذا الهلاك المبين قال تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] لقد نزلت هذه الآية فيمن حدثتهم أنفسهم بالقعود في أموالهم لإصلاحها بعد ضياع، وذلك بعد أن مكن الله لدينه .. وهذا الأمر هو السبب في اعتبار الأزواج والأولاد أعداء –وهم أقرب الناس منا وأحبهم إلينا– وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ [التغابن: ١٤].

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ٢/٢٢٩

هل تثبت على دعوتك وعقيدتك مهما كانت التقلبات والظروف الحياتية؟

٦ – الثبات عند تأخر النصر:

فقد يتسلل اليأس إلى بعض النفوس حين يتأخر النصر فينصرفون عن الطريق أو يتشككون فيه، وغاب عن هؤلاء أننا نحاسب على العمل ولن نحاسب على النتائج، قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور: ٥٥].

ثبات على المبدأ

قدم أبو بصير بن أسيد الثقفي مسلما مهاجرا فاستأجر الأخنس بن شريق رجلا." (١)

"كافرا من بني عامر بن لؤي ومولى معه وكتب معهما إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسأله الوفاء –أي أن يرد إليهم من جاءه مسلما– فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا للنبي: العهد الذي جعلت لنا فيه، فدفعه رسول الله إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك يا فلان هذا جيدا، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله: "لقد رأى هذا ذعرا" فلما انتهى إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد –والله– أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم [رواه أحمد].

٧ – الثبات عند الزحف:

حين تتقابل الصفوف والرايات في ساحة من الساحات يكون الثبات أول ما يطلب من جند الحق امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾ [الأنفال: ٤٥].

ومن هنا نرى ثبات جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – في مؤتة فلم تسمح نفسه الأبية بتنكيس الراية حتى بعد قطع كلتا يديه، فما كان منه إلا أن احتضنها بعضديه فكان جزاؤه من مثل عمله حين أبدله الكريم عوضا عنهما جناحين في الجنة، قال تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ [الأنفال: ١٦].

الجهاد

قاد يوسف طلعت معركة "دير البلح" التي استشهد فيها اثنا عشر من مجاهدي الإخوان المسلمين، وحين عقدت الهدنة لتسليم الجثث وحضرها قائد إنجليزي تفقد الجثث، فوقف مذهولا لأنه لاحظ أن جميع الإخوان مصابون في صدورهم، ودار نقاش علم منه الإنجليزي أن من صفات المؤمنين أن يقبلوا في المعارك ولا يولوا الأدبار، فقال القائد الإنجليزي: "لو أن عندي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم الدنيا" (١).

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ٢/٢٣٠

(١) من أعلام الحركة الإسلامية ٥٥١.." (١)

"فقال له ابنه عبيد الله: أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟

فقال الإمام أحمد: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف؟

وعن أبي عبد الله بن الخطيب قال: كان لأبي حمدون (أحد القراء المشهورين) صحيفة مكتوب فيها ثلاثمائة من أصدقائه، قال: وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركه ليلة فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون! لم لم تسرج مصابيحك الليلة؟ قال: فقعد وأسرج وأخذ الصحيفة، فدعا لواحد واحد حتى فرغ.

وقال القاضي محمد بن محمد بن إدريس الشافعي: قال لي أحمد بن حنبل: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سحرا.

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون مما خلفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

٤ - الوفاء والإخلاص

ومعنى **الوفاء الثبات على** الحب وإدامته إلى الموت، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة.

يقال: ما تآخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما.

وكان بشر يقول: إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين، بل الوفاء له المخالفة.

فقد كان الشافعي آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال:

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من جزعي عليه

وأتى الحبيب يعودني ... فبرئت من نظري إليه

وظن الناس من فرط محبته أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في." (٢)

"والله تبارك وتعالى عالم الغيب والشهادة، خلق المخلوقات كلها، وأحسن تصويرها، وأحاط بكل شيء علما، وهو أحكم الحاكمين، وضع كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه، وجعل له من الأوامر ما يناسبه، ويحقق الانتفاع به.

فوضع قوة النور في الشمس .. وقوة الإنبات في الأرض .. وقوة البصر في العين .. وقوة السمع في الأذن .. وقوة الشم في الأنف .. وقوة البطش في اليد .. وقوة النطق في اللسان .. وقوة المشي في الرجل .. وخص كل حيوان وغيره بما يليق به .. ويحسن أن يعطاه .. وشمل إتقانه وإحكامه لكل ما شمله خلقه كما قال سبحانه: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون (٨٨)﴾ [النمل: ٨٨].

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ٢/٢٣١

(٢) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ٢/٢٤٦

ودين الأنبياء والرسل وأتباعهم دين الأمر، فهم يدينون بأمر الله الشرعي، ويؤمنون بقدره الكوني.

وأعداء الله واقفون مع القدر الكوني، فحيث ما مال القدر مالوا معه، فدينهم دين القدر، فهم يعصون أمره، ويحتجون بقدره، ويقولون نحن واقفون مع مراد الله وقدره.

فهل فوق هذا من جهل؟، وهل بعد هذا من ضلالة؟: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين (٣٥)﴾ [النحل: ٣٥].

وإذا أمر الله عز وجل عبده بأمر وجب عليه فيه ثماني مراتب:

الأولى: العلم به. ... الخامسة: أداؤه خالصا صوابا.

الثانية: محبته. ... السادسة: عدم فعل ما يحبطه.

الثالثة: العزم على فعله. ... **السابعة: الثبات عليه**.

الرابعة: عدم العمل به. ... الثامنة: نشره والدعوة إليه.." (١)

"لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٤)﴾ [يوسف: ٢٤].

والصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن فعل الطاعة أحب إلى الله من ترك المعصية، وعدم الطاعة أبغض إليه وأكره من وجود المعصية.

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وهو على ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله.

فالأول: الاستعانة بالله ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه كما قال سبحانه: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧].

والثاني: الصبر لله وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، أو طلب حمد الخلق ونحو ذلك، فإن الصبر عمل، والعمل لا بد أن يكون خالصا لله.

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرا نفسه معها، سائرا بسيرها، مقيما بإقامتها، يتوجه معها أينما توجهت، وينزل معها حيث نزلت، قد جعل نفسه وقفا على محاب ربه وأوامره.

وهذا أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين، فالصبر من النفس إلى الله صعب شديد، والصبر مع الله أشد **وهو الثبات مع** الله، وتلاقي بلائه بالرحب والسعة، والثبات على أحكام الكتاب والسنة حتى يلقى ربه.

والصبر أكبر عون للعباد على جميع الأمور كما قال سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين (١٥٣)﴾ [البقرة: ١٥٣].

والذي يعين على الصبر أمور أهمها:

الأول: معرفة العبد ما في الطاعات من زيادة الإيمان وصلاح القلوب.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٤٢٧/١

الثاني: معرفة العبد ما في المحرمات والمعاصي من الضرر والرذائل، وما توجبه من العقوبات في الدنيا والآخرة.

الثالث: معرفة العبد ما في أقدار الله من البركة والحكمة والرحمة، وما لمن قام." (١)

"فليست رزية ولا هوان أن يستشهد المسلم، إنما هو تكريم وانتقاء وتشريف، وتكريم من الرب لعبده: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١)﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

وهؤلاء شهداء يتخذهم الله، فيؤدون الشهادة بجهادهم حتى الموت في سبيل إعلاء كلمة الله، وإحقاق الحق وتقريره في حياة البشرية بهؤلاء الذين تجردوا للحق .. وبذلوا أموالهم وأنفسهم من أجله .. وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء من أجله .. لعلمهم أن حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق والنور.

يستشهدهم الله على هذا كله فيشهدون، وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥)﴾ [الحجرات: ١٥].

والمجاهدون في سبيل الله ليس لهم هم إلا إعلاء كلمة الله في الأرض كلها، وهم يشعرون بمعية الله معهم، وهدايته لهم، ونصرهم على عدوهم.

فلا تضعف نفوسهم حينما يصيبهم البلاء والكرب، والشدة والجراح، ولا تضعف قواهم عن الاستمرار في الكفاح.

وهم حين يواجهون الأعداء، ويواجهون الهول الذي يذهل النفوس، يتوجهون إلى الله لا لطلب النصر أول ما تطلب، ولكن لتطلب العفو والمغفرة عن التقصير، ولتعترف بالذنب والخطيئة، قبل أن تطلب الثبات والنصر على الأعداء.

فيا لها من نفوس مطمئنة إلى وعد ربها واثقة بنصره، عارفة بحقه متوكلة عليه وحده، وذلك لكمال الإيمان والتقوى في قلوبهم: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (١٤٦) وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت." (٢)

"فأما الثبات عند لقاء العدو فهو بدء الطريق إلى النصر، فأثبت الفريقين أغلبهما، وما يدري الذين آمنوا أن عدوهم يعاني أشد مما يعانون، فلا مدد له من رجاء في الله يثبت أقدامه وقلبه، وأنهم لو ثبتوا لحظة أخرى فسينخذل عدوهم وينهار.

فلا يليق بالمؤمنين أن يفروا وقد وعدهم الله إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة كما قال سبحانه: ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (٥٢)﴾ [التوبة: ٥٢].

فالثبات في ميدان القتال أمام الكفار فيه نصرة لدين الله، وقوة لقلوب المؤمنين، وإرهاب للكافرين، والفرار من غير عذر من أكبر الكبائر يوجب غضب الله، ودخول النار، لما فيه من خذلان الدين، وتقوية قلوب الكافرين، وإحباط نفوس المؤمنين، ولهذا حذر الله منه بقوله: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار (١٥) ومن يولهم يومئذ دبره

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٩٤٤

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣/٢٠١٤

إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (١٦)﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

وأما ذكر الله كثيرا عند لقاء الأعداء، فهو التوجيه الدائم للمؤمن، وهو يؤدي وظائف شتى في ميدان الجهاد، إنه الاتصال بالقوي الذي لا يغلب، والقدير الذي لا يعجزه شيء، والثقة بالناصر الذي ينصر أولياءه.

وهو في الوقت ذاته استحضار لحقيقة المعركة وبواعثها، فهي معركة لله لتقرير ألوهية الله، وتحطيم الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية، فهي معركة لتكون كلمة الله هي العليا، لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي، وأما طاعة الله ورسوله فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداء، فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة.

فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى هو الذي يوجه الآراء والأفكار.." (١)

"ولا يسلم الله الرسل وأتباعهم إلى الجاهلية، فالتجمع الجاهلي لا يسمح لعنصر مسلم أن يعمل من داخله، إلا أن يكون عمل المسلم وجهده لحساب التجمع الجاهلي، ولتوطيد جاهليته.

والذين يخيل إليهم أنهم قادرون على العمل لدينهم من خلال التسرب في المجتمع الجاهلي، والتميع في تشكيلاته وأجهزته، هم ناس يجهلون أن كل فرد في المجتمع يعمل لحساب هذا المجتمع الشاذ.

لذلك لا يرتضي الرسل الكرام العودة في ملة قومهم بعد إذ نجاهم الله منها كما قال سبحانه: ﴿قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (٨٩)﴾ [الأعراف: ٨٩].

وهنا وبعد هذا التهديد من الكفار .. **وبعد الثبات على** الدين من المؤمنين .. ينزل عذاب الله .. ويحيط بالكافرين .. بضربة مدمرة قاضية لا تقف لها قوة البشر المهازل وإن كانوا طغاة متجبرين: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين (١٣) ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (١٤)﴾ [إبراهيم: ١٣ - ١٤].

ولا يفصل الله بين المؤمنين والكفار إلا بعد مفاصلة المؤمنين للكفار، ورفضهم أن يعودوا لملة قومهم، وبعد أن يصروا على تميزهم بدينهم .. وبعد أن يفاصلوا قومهم على أساس العقيدة .. ويتمايز الفريقان عقيدة ومنهجا .. وبعد أن تبذل القوة المؤمنة كل طاقة تمكنها.

عندئذ يأتي وعد الله بالنصر على الأعداء .. ويدمر الطواغيت الذين كانوا يتهددون المؤمنين .. ويمكن للمؤمنين في الأرض .. فتقف القوة الصغيرة الهزيلة .. قوة الطغاة الظالمين في صف .. ويقف المؤمنون المتواضعون ومعهم قوة الله في صف.

فإذا دعا كلاهما بالنصر والفتح كانت العاقبة كما يجب أن تكون: ﴿واستفتحوا." (٢)

"أعطى، ولا مُعطي لما منع، ويحب - عز وجل - أن يُسأل، فليسألْه العبدُ كلّ شيء يحتاجه، حتى شِسعَ نعله، ويهتم العبد اهتماماً بالغاً بالأمور المهمّة العظيمة التي فيها السعادة الحقيقية، ومن أهمّ ذلك تسعة أمور، هي:

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٥٤٦/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٣٢٥/٤

مم ف المصور منفض للأمر الأول حتى الرابع

الأمر الأول: سؤال الله الهداية والسداد.

الأمر الثاني: سؤال الله: المغفرة لجميع الذنوب.

الأمر الثالث: سؤال الله – عز وجل –: الجنة والاستعاذة به من النار.

الأمر الرابع: سؤال الله سبحانه: العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

الأمر الخامس: سؤال الله – عز وجل –: الثبات على دينه.

الأمر السادس: سؤال الله سبحانه: حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

الأمر السابع: سؤال الله تعالى: دوام النعمة والاستعاذة به من زوالها.

الأمر الثامن: الاستعاذة بالله: من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعدا.

الأمر التاسع: سؤال الله: صلاح الدين والدنيا والآخرة (١).

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وينفع به كل من انتهى إليه، فإنه تعالى خير مسؤول وأكرم مأمول وهو حسبي ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه: نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/ ٣٨ – ٤٠، وشروط الدعاء وموانع الإجابة، للمؤلف، ص١٣ ٦ – ١٤٩.." (١)

"والمناجاة الكفيلة بإذهاب ما يجده العبد في نفسه من الوساوس والتلبيس، والتخويف والإحباط والتيئيس، عسى أن نقتدي بالصالحين في هذا المجال، فنفزع إلى ذكر ذي الجلال، والثناء عليه بلساني الحال والمقال، وإلى التسبيح الموصل إلى الثبات والإقامة على جميل الصفات والخِلال.." (٢)

"الخليقة ويبرأ النسمة، وهذا أمر عظيم لا تُحيط به العقول؛ بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير (١)، قال الله – عز وجل –: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِير *، لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَالله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢).

٨ – ما أصاب من مصيبة في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم إلا بقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علمه، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، فإذا آمن العبد أنها من عند الله فرضي بذلك وسلَّم لأمره، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، ويهدي الله قلبه فيطمئن ولا ينزعج عند المصائب، ويرزقه الله الثبات عند

---

(١) نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٩٩

(٢) تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء، محمد بن موسى الشريف ص/٩

ورودها، والقيام بموجب الصبر فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدَّخره الله له يوم الجزاء من الثواب (٣)، قال الله تعالى:

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله وَمَن يُؤْمِن بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤)، قال علقمة عن عبد الله: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ هو الرجل الذي إذا أصابته مصيبة رضي بها وعرف أنها من الله)) (٥).

وما أحسن ما قال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير، ص١٣١٣، وتفسير السعدي، ص٨٤٢.

(٢) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ – ٢٣.

(٣) تفسير السعدي، ص٨٦٧.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١١.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، سورة التغابن، بعد الحديث رقم ٤٩٠٧.." (١)

"" قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها؟ قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة ". فازداد قراري بالفرار منها والبعد عنها وأسأل الله العون.

فلما وجدت ذلك أردت للقارئ الكريم أن يكون معي من المقررين الرجوع إلى الله ، وأن نكون سويا من المعاهدين الله الثبات على أمره، وأن نكون من الفارين بكل قوتنا من النار.

وكان هذا الكتاب وهو (التوهم) للحارث المحاسبي، فعلقت عليه بعض التعليقات وخدمت ما به من الأحاديث، ثم أردت أن أذكر الأحاديث التي منها ساق معلوماته عن الجنة أو النار أو أمر الساعة، فكل هذا غيب لا يستطيع أي عالم أن يتكلم فيه بالنظر أو بالفهم، وإنما هو غيب موقوف، فوجدت أن ذلك سيطيل الكتاب، فاكتفيت بما ذكرت على أن كل ما سيقوله عن الجنة، فإنها أعظم مما قال فقد أخرج البخاري ح ٣٢٤٤ بسند له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ (١) ، وأن ما سيقوله عن الساعة من تخويف فإن الله قال ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ (٢) .

وما سيقوله عن النار، فإن الله قال ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ (٣) ، وهكذا

وأسأل الله أن يكون ذلك في ميزاني يوم لقائه، وأن يتجاوز بذلك عن سيئات أعمالي، وأن يتقبل مني. فما كان من صواب فمن فضل الله علي، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، وأسأل الله السلامة وحسن التوفيق ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (٤) .

---

(١) تبريد حرارة المصيبة عند موت الأحباب وفقد ثمرات الأفئدة وفلذات الأكباد في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٩

(١) السجدة /١٧.

(٢) القمر /٤٦.

(٣) الزمر /٢٦.

(٤) هود /٨٨.." (١)

"الحشر إلى ربك، فتوهم نفسك في نزع الموت وكربه وغصصه وسكراته وغمه وقلقه، وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك، فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك، ثم تدارك الجذب واستحث النزع، وجذبت الروح من جميع بدنك، فنشطت من أسفلك متصاعدة إلى أعلاك، حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه، وعمت آلام (١) الموت جميع جسمك، وقلبك وجل محزون مرتقب منتظر للبشرى (٢) من الله عز وجل بالغضب أو الرضا، وقد علمت أنه لا محيص لك دون أن تسمع إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك (٣) .

فبينا أنت في كربك وغمومك وألم الموت بسكراته وشدة حزنك لارتقابك إحدى البشريين من ربك، إذ نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن الصورة أو بأقبحها، ونظرت إليه مادا يده إلى فيك ليخرج روحك من بدنك، فذلت نفسك لما عاينت ذلك وعاينت وجه ملك الموت، وتعلق قلبك بماذا يفجأك من البشرى منه (٤) ،

إذا سمعت صوته بنغمته: أبشر يا ولي الله برضا الله وثوابه، أو أبشر يا عدو الله بغضبه وعقابه، فتستيقن حينئذ بنجاتك وفوزك، ويستقر الأمر في قلبك، فتطمئن إلى (٥) الله نفسك، أو تستيقن بعطبك وهلاكك،

---

(١) كذا أثبتها (أ) من الهامش.

(٢) هكذا صوب الكلمة (أ) ، وكانت في أصله [للبشرا] .

(٣) أخرج الإمام أحمد في مسنده (٢٨٧/٤) : ثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال: " استعيذوا بالله من عذاب القبر ". مرتين أو ثلاثا ثم قال: " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: ((أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان)) ..قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض. قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟

---

(١) التوهم في وصف أحوال الآخرة الحارث المحاسبي ص/

فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: ((اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى)) . قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: ((من ربك)) ؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ((ما دينك)) ؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ((ما هذا الرجل الذي بعث فيكم)) ؟ فيقول: هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . فيقولان له: ((وما علمك)) ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي مناد في السماء: ((أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد؟ فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: ((يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها. فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض. فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ ، فيقول الله عز وجل: ((اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى)) . فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: ((من ربك)) ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ((ما دينك)) ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ((ما هذا الرجل الذي بعث فيكم)) ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة.
والحديث صحيح، فله طرق فقد أخرجه أبو داود (٢٣٩/٤، ٢٤٠) ح٤٧٥٣، ٤٧٥٤، وأحمد (٢٨٧/٤، ٢٨٨، ٢٩٥) ، والحاكم في مستدركه (٩٣/١) ح١٠٧، (٩٥/١) ح١٠٩، ١١٠، (٩٧/١) ح١١٣، ١١٤، (٢٠٨/١) ح٤١٤، وأبو داود الطيالسي ص١٠٢ ح٧٥٣، والطبراني في الأحاديث الطوال ص٢٣٨ ح٢٥، كما أخرجه مختصرا أبو داود ح٣٢١٢، والنسائي في المجتبى (٧٨/٤) ، وفي الكبرى ح٢١٢٨، وابن ماجة ح١٥٤٩، وأحمد (٢٩٧/٤) ، وانظر تحقيقنا لكتاب ((الثبات عند الممات)) لابن الجوزي طبعة ((دار الجيل)) ص ١٤٣.

(٤) وأخرج الإمام أحمد في مسنده (٣٦٤/٢) حدثنا [حسين] بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل

الصالح قالوا: ((اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان)) . قال: " فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقولون: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل.

وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج. فلا يزال حتى يخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر.

وإسناده صحيح، فرجاله كلهم ثقات رجال الكتب الستة. ولفظ [حسين] تحرف في المسند إلى [حسن] ، والصواب حسين وهو حسين بن محمد بن بهرام.

والحديث أخرجه أيضا ابن ماجة ح٤٢٦٢، والنسائي في الكبرى ح١١٤٤٢.

(٥) قال (أ) : ناقص من الأصل.." (١)

"عشرتي ولا جليسي ما لم يصرف وجهه عني ألا إن الملال ... للمروءة بأسا

٤٣- أخبرنا محمد حدثنا أبو العباس حدثنا محمد بن إدريس حدثنا محمد بن وهب حدثنا الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن أبي هريرة قال من أكمل **المروءة الثبات في** المجلس

٤٤- أخبرنا محمد حدثنا عبد الله بن نصر حدثنا عبد الله بن خبيق قال قال يوسف بن أسباط رأيت فساقا كانوا على مروءاتهم أشد إبقاء من قراء هذا الزمان على أديانهم

٤٥- أخبرنا محمد حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز حدثنا أبو الحسن المدائني قال قال الحسن." (٢)

"يا ابن الجواد ويا ابن كل مسود ... قدم الجواد ليس بالعباس

اني امؤ من أهل بيت مروءة ... والدهر فية تقلب بالناس

لا تنظرون **الي الثبات فانني** ... خلق الثبات، من المروءة كاسي

فدع. . . دعامة ... طالب بهن وهن فيه رواسي

١٠٥- أخبرنا محمد، حدثنا أحمد بن الهيثم القرشي قال: حدثني أبو فراس، عن الاصمعي قال: حديني طلحة بن محمد بن سعيد قال:

استبانت مروءة زبان بن سيار وهو غلام كانت له نوبته، فكان يقسمها بينه وبين صديقه.

---

(١) التوهم في وصف أحوال الآخرة الحارث المحاسبي ص/٦

(٢) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/٤٩

١٠٦- أخبرنا محمد، حدثنا سليمان بن الأشعث، حدثنا أبو عمير قال: قال ضمرة:
الحلم صبر، والعقل حفظ، والمروءة التنزه عن كل دنئ.
١٠٧- أخبرنا محمد، حدثنا أبو جعفر اليمامي، حدثنا علي بن محمد السمري، حدثنا عبد الله بن مبارك، عمن حدثة:." (١)

"ولا متاع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقتص لهذا من حسناته، ولهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» .
فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للتوبة وأن يثبتنا عليها، **فإن الثبات على** التوبة أشد من التوبة
وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: إياك أن تعمل شيئا من الخير ثم تدعه، فإنه ما من أحد تاب ثم رجع فأفلح، فينبغي للتائب أن يجعل أجله بين عينيه لكي يثبت على التوبة، ويتفكر فيما مضى من ذنوبه، ويكثر الاستغفار، ويشكر الله تعالى على ذلك وعلى ما رزقه من التوبة ووفقه لذلك، ويتفكر في ثواب يوم القيامة، فإن من تفكر في ثواب الآخرة رغب في الحسنات، ومن تفكر في العقاب انزجر عن السيئات

١٣٩ - وروى زيد بن وهب عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرنا ما كان في صحف موسى؟ قال: "كان فيها ست كلمات: عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل بالسيئات، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، وفي خبر آخر كيف يحزن وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها وعجبت لمن أيقن بالجنة وهو لا يعمل الحسنات لا إله إلا الله محمد رسول الله ."

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، أنه مر ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة، فإذا الفساق قد اجتمعوا وهم يشربون الخمر وفيهم مغن يقال له زاذان، وكان يضرب ويغني وكان له صوت حسن، فلما سمع ذلك." (٢)

"اللهم إني أسألك باسمك الله الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم أنت الأول الآخر الظاهر الباطن وسعت كل شيء رحمة وعلما كهيعص حمعسق الر حم ن يا واحد، يا قهار، يا عزيز، يا جبار، يا أحد، يا صمد، يا ودود، يا غفور، هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أدعوك باسمك المكنون المخزون المنزل السلام، الطهر الطاهر، القدس المقدس، يا دهر، يا ديهور، يا ديهار، يا أبد يا أزل، يا من لم يزل، ولا يزول، هو يا هو، لا إله إلا هو، يا من لا هو إلا هو، يا من لا يعلم ما هو إلا هو، يا كان يا كينان يا روح يا كائن قبل كل كون يا كائن بعد كل كون يا

---

(١) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/٧٩

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/١٢٠

مكنون لكل كون اهيا شر اهيا أدناي أصباؤت يا مجلي عظائم الأمور فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وليقل هذه الأدعية المأثورة اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك اللهم يا رب قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة الخلد اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك اللهم يا رب الصلاة على محمد وعلى آله أجمعين وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون يا أرحم الراحمين اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي أسألك اللهم يا رب خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة

وفتنة مضلة اللهم يا رب زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وغم ما منه نهرب اللهم صل على محمد وعلى آل." (١)

"العلم، ويقول أيضا مع ذلك: وأفضل أحوالهم الجوع لانتشار الحرام وغموض الحلال، وقال بعض العلماء: الصمت نوم العقل والنطق يقظته وكل يقظة تحتاج إلى نوم وما صمت عاقل قط إلا اجتمع عقله وحضر لبه، وفي وصية ابن عباس مجاهدا لا تتكلمن فيما لا يعنيك فإنه أسلم ولا آمن عليك الخطأ ولا تتكلم فيما لايعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت، وقال بعض العلماء: يستبين ورع الرجل في منطقه وفي الخبر: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه مات قلبه، ويقال: إذا قل الكلام كثر الصواب، وعن جماعة السلف: إن تسعة أعشار السلامة في الصمت، ويقال: كل كلمة من هزل أو مزح أو لغو يوقف العبد عليها خمس مواقف بتوبيخ وتقرير، أولها أن يقال له لم قلت كلمة كذا أكانت فيما يعنيك؟ والثانية هل نفعتك إذ قلتها؟ والثالثة هل ضرتك لو لم تقلها؟ والرابعة ألا سكت فربحت السلامة من عاقبتها؟ والخامسة هلا جعلت مكانها قول سبحان الله والحمد لله فغنمت ثوابها، ويقال ما من كلمة إلا وينشر لها ثلاثة دواوين: الديوان الأول لم، والثاني كيف، والثالث لمن، فإن نجا من الثلاث وإلا طال وقوفه للحساب، وقال الحسن: لسان المؤمن وراء قلبه إذا أراد أن يتكلم تفكر فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك، وقلب المنافق على طرف لسانه أي

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/ ٢٤

كل شيء خطر بقلبه تكلم به ولا يتوقف ولا ينثني، وفي الخبر: من آفة العالم أن يكون الكلام أعجب إليه من الصمت وفي الكلام تنميق وزيادة، وفي الصمت سلامة وغنم، وفي موعظة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، والأخبار في الصمت وفي جميع ماذكرناه من المعاني تكثر ولم نقصد جمعها وأما الخلوة فإنها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بأمر الخالق وتقوي العزم **على الثبات إذ** في مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهم وضعف النية والخلوة تقل الأفكار في عاجل حظوظ النفس لفقد مشاهدتها بالأبصار لأن العين باب القلب ومنها يدخل آفاته وعندها توجد شهواته ولذاته، وقد قال بعض العلماء: من كثرت لحظاته دامت حسراته والخلوة تجلب أفكار الآخرة وتجدد الإهتمام بها لما شهد به الإيقان وتنسي ادكار العباد وتواصل ذكر المعبود، والخلوة من أكبر العوافي، وذلك أنه قد جاء في الحديث: سلوا الله العافية فما أعطي عبد بعد اليقين أفضل من العافية، ثم قد روي في الخبر: العزلة عن الناس عافية، فدخل ذلك في معنى ماندب إليه من السؤال وفيما فضل بعد اليقين على جميع الأحوال ولا يكون المريد صادقا حتى يجد في الخلوة من اللذة والحلاوة والمزيد ما لا يجده في الجماعة ويجد في السر من النشاط والقوة ما لا يجده في العلانية ويكون أنسه في الوحدة وروحه في الخلوة وأحسن أعماله في السر، ومثل الخلوة في الأحوال من المخالطة للناس مثل الخوف في المقامات من المحبة، الخوف يصلح لجميع العابدين." (١)

"والمحبة مزيد لأهلها المخصوصين كذلك الخلوة والانفراد يصلح لجميع المريدين والأنس بالناس مزيد لأهله خاصة من الأئمة العالمين إلا أن الخلوة تحتاج إلى عقل آخر والوحدة والانفراد يحتاج إلى إيمان ثان. ي الكلام تنميق وزيادة، وفي الصمت سلامة وغنم، وفي موعظة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، والأخبار في الصمت وفي جميع ماذكرناه من المعاني تكثر ولم نقصد جمعها وأما الخلوة فإنها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بأمر الخالق وتقوي العزم **على الثبات إذ** في مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهم وضعف النية والخلوة تقل الأفكار في عاجل حظوظ النفس لفقد مشاهدتها بالأبصار لأن العين باب القلب ومنها يدخل آفاته وعندها توجد شهواته ولذاته، وقد قال بعض العلماء: من كثرت لحظاته دامت حسراته والخلوة تجلب أفكار الآخرة وتجدد الإهتمام بها لما شهد به الإيقان وتنسي ادكار العباد وتواصل ذكر المعبود، والخلوة من أكبر العوافي، وذلك أنه قد جاء في الحديث: سلوا الله العافية فما أعطي عبد بعد اليقين أفضل من العافية، ثم قد روي في الخبر: العزلة عن الناس عافية، فدخل ذلك في معنى ماندب إليه من السؤال وفيما فضل بعد اليقين على جميع الأحوال ولا يكون المريد صادقا حتى يجد في الخلوة من اللذة والحلاوة والمزيد ما لا يجده في الجماعة ويجد في السر من النشاط والقوة ما لا يجده في العلانية ويكون أنسه في الوحدة وروحه في الخلوة وأحسن أعماله في السر، ومثل الخلوة في الأحوال من المخالطة للناس مثل الخوف في المقامات من المحبة، الخوف يصلح لجميع العابدين والمحبة مزيد لأهلها المخصوصين كذلك الخلوة والانفراد يصلح لجميع المريدين والأنس بالناس مزيد لأهله خاصة من الأئمة العالمين إلا أن الخلوة تحتاج إلى عقل آخر والوحدة والانفراد يحتاج إلى إيمان ثان.

وقد روينا عن سفيان الثوري وعن بشر بن الحرث: إذا استوحشت من الوحدة واستأنست بالخلق لم آمن عليك الرياء، وكان

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٧٣/١

أبو محمد يقول: اجتمع الخير كله في هذه الخصال الأربع وبها صار الإبدال إبدالا: إخماص البطون، والصمت، واعتزال الخلق، وسهر الليل، وحدثت عن عبد العزيز عن سهل رحمه الله قال: مخالطة الولي للناس ذل وتفرده عز وقل مارأيت وليا لله عز وجل إلا منفردا، وقال بعض العارفين: الأنس بالوحدة علامة وجود الطريق فمن علامة صدق الإرادة بعد صحة التوبة وقوة العزم على الاستقامة إيثار هذه الأربع التي ذكرناه على أضدادها ووجود القلب عندها وانشراح الصدر بها وحسن الخلق معها لأن ضدها هو أبواب الدنيا ومفاتيح الغفلة وطرقات الهوى، من ذلك فإن في الشبع قسوة القلب وظلمته وفي ذلك قوة صفات النفس وانتشار حظوظها وفي قوتها وبسطها ضعف الإيمان وخمود أنواره وفي ضعف النفس وخمود طبعها قوة الإيمان واتساع شعاع أنوار اليقين وفي ذلك قرب العبد من القريب ومجالسته للحبيب والشبع مفتاح الرغبة في الدنيا، وقال بعض الصحابة: أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إذ القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم.

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون من غير إعواز أي مختارين لذلك، وقال ابن عمر: ماشبعت منذ قتل عثمان رضي الله عنه، وقال هذا في زمن الحجاج، وفي حديث أبي حجيفة لما تجشأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: اكفف عنا جشاءك فإن أطولكم شبعا في الدنيا، أكثركم جوعا في الآخرة، فقال: والله ما تمليت طعاما من يومئذ إلى يومي هذا، وأرجو أن يعصمني الله عز وجل فيما بقي، ويستحب على هذا أن يكون جوع العبد في الدنيا أكثر من شبعه وهي علامة الأولياء، فمن كان له أكلة بين جوعتين إلى منتهاهما فجوعه حينئذ أكثر من شبعه، ومن كان له بعد جوعة بالغة شبعة متوسطة فقد اعتدل شبعه وأكله وجوعه، ومن أكل في يوم مرتين أو أكل من غير جوع ثم شبع فشبعه أكثر من جوعه، وهذا مكروه، وكل من أكل بعد الجوع، ورفع يده قبل الشبع فجوعه أكثر من شبعه وهذا أوسط الأحوال، وقال هشام عن الحسن: والله لقد أدركت أقواما كانوا لا يشبعون يأكل أحدهم حتى إذا رد نفسه أمسك ذائبا ناحلا مقبلا على نية يعيش عمره كله ما طوى له ثوب قط ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط، وقال جعفر بن حيان عن الحسن: المؤمن لا يأكل في كل بطنه، ولا تزال وصيته تحت جنبه.

وروينا عن الثوري: خصلتان تقسيان القلب؛ طول الشبع، وكثرة الكلام، وروينا عن." (١)

"كونه، فلما لم يمكن الأمر من العاصين علمنا أنه لم يرده إذ لو أراده كان، ولما كان النهي من المأمورين علمنا أنه أراد كونه إذ لو لم يرده لم يكن، فصار كون الشيء دليلا على إرادته، وقد وقعت الإرادة بالأمر والنهي فكان الكل مأمورين منتهين ولم يقع الفعل من الكل لأنه لم يرد وقوعه إذ لو أراده كان وهذا أصل الابتلاء وإرادة ظهور البلاء، يأمر الله تعالى بالشيء ويريد كون ضده وقد أراد الأمر به حسب وينهى عن الشيء ويريد كونه وقد أراد النهي عنه فقط، وقد كان عالمنا أبو الحسن رحمة الله عليه يتكلم في علم الأمر والخير وفي الابتلاء والقهر بمعان لا يهتدى إليها اليوم ولا يسأل عنها أحد أي يظهر الأمر بالترك ويظهر النهي بالفعل ويظهر الأحكام لوقوع البلاء ويقهر الجوارح بالجبر على إرادته للابتلاء وقد فرق

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٧٤/١

الحسن البصري رحمه الله قبله وهو إمامنا في هذا العلم بين التعذيب على جريان العلم ومخالفة الأمر لما بلغه أن عمرو بن عبيد وهو إمام المعتزلة اليوم وإليه نسبوا لما اعتزل عن الحسن البصري بعد أن صحبه ولم يختم له بصحبته بلغه أنه يقول إن الله لا يقضي بالشيء ثم يعذب عليه فقال له: ويلك إن الله عز وجل لا يعذب على جريان حكمه وإنما يعذب على مخالفة أمره، تفسير ذلك أن ما حكمه الله تعالى منفردا به لم يجعل فيه أمرا ولا نهيا لا يعذب عليه لأنه لم يجعل للعبد مدخلا فيه بشهوة ولا فعل وإن ما قضاه على العبد مما أدخله فيه بقصده وشهوته عذبه عليه وهذا من شؤم النفس وتكدير الخلق أنها إذا أدخلت في شيء انقلب عليها شره والأمة مجتمعة على قول ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن واجتمعت على قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فهذا عام في كل شيء ليس في بعض الأشياء دون بعض والحول في اللغة هو الحركة والعرب تقول للشخص يبدو من بعيد يظن أنه إنسان أو شجرة أو صخرة انظروا إليه فإن كان يحول فهو إنسان أي يتحرك والقوة **هو الثبات بعد** الحركة وهو أول الصبر حتى يظهر الفعل بقوة الله تعالى، وقد روينا في تفسير ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله. ة كونه، فلما لم يمكن الأمر من العاصين علمنا أنه لم يرده إذ لو أراده كان، ولما كان النهي من المأمورين علمنا أنه أراد كونه إذ لو لم يرده لم يكن، فصار كون الشيء دليلا على إرادته، وقد وقعت الإرادة بالأمر والنهي فكان الكل مأمورين منتهين ولم يقع الفعل من الكل لأنه لم يرد وقوعه إذ لو أراده كان وهذا أصل الابتلاء وإرادة ظهور البلاء، يأمر الله تعالى بالشيء ويريد كون ضده وقد أراد الأمر به حسب وينهى عن الشيء ويريد كونه وقد أراد النهي عنه فقط، وقد كان عالمنا أبو الحسن رحمة الله عليه يتكلم في علم الأمر والخير وفي الابتلاء والقهر بمعان لا يهتدى إليها اليوم ولا يسأل عنها أحد أي يظهر الأمر بالترك ويظهر النهي بالفعل ويظهر الأحكام لوقوع البلاء ويقهر الجوارح بالجبر على إرادته للابتلاء وقد فرق الحسن البصري رحمه الله قبله وهو إمامنا في هذا العلم بين التعذيب على جريان العلم ومخالفة الأمر لما بلغه أن عمرو بن عبيد وهو إمام المعتزلة اليوم وإليه نسبوا لما اعتزل عن الحسن البصري بعد أن صحبه ولم يختم له بصحبته بلغه أنه يقول إن الله لا يقضي بالشيء ثم يعذب عليه فقال له: ويلك إن الله عز وجل لا يعذب على جريان حكمه وإنما يعذب على مخالفة أمره، تفسير ذلك أن ما حكمه الله تعالى منفردا به لم يجعل فيه أمرا ولا نهيا لا يعذب عليه لأنه لم يجعل للعبد مدخلا فيه بشهوة ولا فعل وإن ما قضاه على العبد مما أدخله فيه بقصده وشهوته عذبه عليه وهذا من شؤم النفس وتكدير الخلق أنها إذا أدخلت في شيء انقلب عليها شره والأمة مجتمعة على قول ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن واجتمعت على قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فهذا عام في كل شيء ليس في بعض الأشياء دون بعض والحول في اللغة هو الحركة والعرب تقول للشخص يبدو من بعيد يظن أنه إنسان أو شجرة أو صخرة انظروا إليه فإن كان يحول فهو إنسان أي يتحرك والقوة **هو الثبات بعد** الحركة وهو أول الصبر حتى يظهر الفعل بقوة الله تعالى، وقد روينا في تفسير ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله.

وهذا التفصيل في هذه المعاني من الأحكام هو ظاهر العلم وفرض القدر وفحوى التنزيل والشرع والجبر للملك الجبار يجبر خلقه على ما شاء كما خلقهم لما شاء ويردهم إلى ما شاء كما ينشئهم فيما يشاء فالحكم لله العلي الكبير الواحد القهار

يقهر عباده كيف شاء ويجري عليهم ما يشاء وله الحجة البالغة والعزة القاهرة والقدرة النافذة والمشيئة السابقة بوصف الربوبية وبحكم الجبرية وعليهم الاستسلام والانقياد والطاعة والاجتهاد طوعا وكرها بوصف العبودية وبحق الملكة إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم إن تعذبهم فإنهم عبادك وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين، (لله الأمر من قبل ومن بعد) الروم: ٤." (١)

"باللسان عن غير توبة وندم بالقلب، وفي بخبر: الاستغفار باللسان من غير توبة وندم بالقلب توبة الكذابين، وكانت رابعة تقول: استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار فكم من توبة تحتاج إلى توبة في تصحيحها والإخلاص من النظر إليها والسكون والإدلال بها، فمن عقب السيئات بحسنات وخلط الصالحات بالطالحات طمع له في النجاة ورجا له الاستقامة قبل الوفاة، قال الله تعالى: (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) التوبة: ١٠٢ أي يعطف عليهم وينظر إليهم وقيل: خلطوا علملا صالحا هو الاعتراف بالذنوب والتوبة المستأنفة وآخر سيئا ما سلف من الغفلة والجهالة، وقد كان ابن عباس يقول: غفور لمن تاب رحيم حيث رخص في التوبة، وقد قال الله تعالى (وإني لغفار لمن تاب) طه: ٨٢ أي من الشرك وآمن بالتوحيد وعمل صالحا؛ أدى الفرئض واجتنب المحارم ثم اهتدى كان على السنة وقيل: استقام على التوبة فهذه صفات المؤمنين فلم يرد الله تعالى المخلصين إلى ما رد إليه المنافقين وهو التوبة وكذلك رد إليها المشركين إذ لا طريق للكل إلا منها ولا وصول إلى المحبة والرضا إلا بها.

وقال تعالى في وصف المنافقين: (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم) التوبة: ١٠٦ أي مع الإصرار وإما يتوب عليهم أي بالاستغفار وأحكم ذلك وفصله بما شرط له، كما قال في شأن الكافرين: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) التوبة: ٥ وقد قرن الله تعالى الاستغفار للعبادة ببقاء الرسول لله في الأمة ورفع العذاب عنهم بوجوده فضلامنه ونعمة، وقال تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) الأنفال: ٣٣، وكان بعض السلف يقول: كان لنا أمانان ذهب أحدهما وبقي الآخر، فإن ذهب الآخر هلكنا يعني الذي ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم والذي بقي الاستغفار، وسئل سهل رحمه الله عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه وترك الخلق، ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم ينقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة، ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتفويض مراده والتوكل صاحبه، ثم ينظر الله تعالى إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وكان يقول العبد لا بد له من مولاه على كل حال، وأحسن حاله أن يرجع إليه في كل شيء إذا عصي يقول: يا رب استر علي فإذا فرغ من المعصية قال: يا رب تب علي فإذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة فإذا عمل

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٢٣/١

قال: يا رب تقبل مني، ومن أحسن ما يتعقب الذنب من الأعمال بعد التوبة وحل الإصرار مما يرجى به كفارة الخطيئة." (١)

"ويوهن إيمانهم الذي هو الأصل، ويستأسر قلوبهم التي هي المكان للكشف والشهادة، فيخسروا رأس المال فتفوتهم حقيقة الحال، فماذا يرتجون وبأي شيء يقومون؟ وهذا لا يفطن له إلا العاقلون ولا تشهده العيون.

وقد قال بعض المقربين في حقيقة التوكل لما سئل عنه فقال: هو الفرار من التوكل يعني ترك السكون إلى المقام من التوكل؛ أي يتوكل ولا ينظر إلى توكلهم إنه لأجله يكفى أو يعافى أو يوقى، فجعل نظره إلى توكله علة في توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره إلى الوكيل وحده بلا خلل، ويقوم له بشهادة منه بلا ملل، فلا يكون بينه وبين الوكيل شيء ينظر إليه، أو يعول عليه، أو يدل به، حتى التوكل أيضا الذي هو طريقه.

وكذلك قال قبله بعض العارفين في معنى قوله عز وجل: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) النمل: ٢٦، فقال: المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع إليه يديه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئا، فيقول: هب لي مولاي بلا شيء فتكون بضاعته عند مولاه الإفلاس، ويصير حاله مع كل الأعمال الإفلاس، فهذا هو المضطر، فهؤلاء القوم من الذين وصفهم الله عز وجل بالتقوى والمخافة، وجعلهم أهلا للدعوة والنذارة، وأخبر أنهم لا يرون بينه وبينهم سببا يليهم ولا شفاعة فقال تعالى يأمر رسوله بإنذارهم بكلامه فجعلهم وجهة لخلقه ومكانا لكلمه، كما جعل رسوله وجهة لهم ومكانا لتكليمهم، فقال تعالى: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) الانعام: ٥١ ثم قال تعالى في وصف أمثالنا من أهل اللعب واللهو والغرة والسهوة متهددا لنا متوعدا: (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) الانعام: ٧٠ وقيل لبعض علمائنا: ماالتوكل؟ قال: التبري من الحول والقوة؛ والحول أشد من القوة، يعني بالحول الحركة، والقوة الثبات على الحركة، وهو أول الفعل، يعني بهذا لا ينظر إلى حركتك مع المحرك إذ هو الأول ولا إلى ثباتك أيضا بعد الحركة في تثبيته إذ هو المثبت الآخر فتكون الأولية والآخرية حقيقة شهادتك له به أنه الأول الآخر بعين اليقين؛ أي فعندها صح توكلك بشهادة الوكيل، وقال مرة: التوكل ترك التدبير، وأصل كل تدبير من الرغبة، وأصل كل رغبة من طول الأمل، وطول الأمل من حب البقاء؛ وهذا هو الشرك يعني أنك شاركت الربوبية في وصف البقاء، وقال: الله سبحانه خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه، وإنما جعل حجابهم تدبيرهم، وقد كثر قوله رحمه الله في ترك التدبير، وينبغي أن يعرف مامعناه، ليس يعني بترك التدبير ترك التصرف فيما وجه العبد فيه وأبيح له، كيف وهو يقول: من طعن على التكسب فقد طعن على السنة، ومن طعن في ترك التكسب فقد طعن على التوحيد، إنما يعني بترك التدبير ترك الأماني، وقوله: لم كان كذا؟ إذا وقع ولم لا يكون كذا؟ أو لو كان كذا فيما لايقع، لأن ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم، وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة، وغفلة عن رؤية المشيئة وجريان الحكم بها، ويعني ترك." (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣١٩/١

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٩/٢

"دفعه إليه في السر فقبله، فقيل له: رددت في الجهر وقبلت في السر؟ فقال: لأنك أطعت الله تعالى في السر فأعنتك على برك بقبوله، وعصيته بالجهر فلم أكن عونا لك على المصية، وقد كان سفيان الثوري يقول لو علمت أن أحدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته، وفي هذا لعمري مواطأة لما ندب الله تعالى إليه من الإخفاء ولما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله من أعمال السر، وهو أيضا لا يدخل الآخذ في نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: من أهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها، وقال في الحديث الآخر: أفضل ما أهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا، فجعل الورق هدية كالهدايا، وهو من أفضلها، كما قال: لأنه قيم الأشياء، فهذا الآخذ للهدية جهرا يلزمه الإشراك للحاضرين فيها إلا أن يهبوا ذلك له، فإن لم يفعل لم يعجبني ذلك.

وذهب آخرون من أهل المعرفة الموصوفين بالتوحيد إلى أن الإظهار للآخذ أفضل، لأنه أسلم له، وأدخل في الإخلاص والصدق، وأخرج **من الثبات والقدر** والمنزلة والجاه بالرد والزهد، وقد قال الله سبحانه: (لاتكلف إلا نفسك) النساء: ٨٤، قالوا: فليس علينا إذ علمنا في سلامتنا وحكم حالنا من إسقاط جاهنا بالأخذ علانية ما وراء ذلك من أقوال الناس، بتولى الله عز وجل من ذلك من به ابتلاه، وقالوا: ولأن في التوحيد أن الظاهر والباطن هو المعطي فلا معنى للرد عليه في الظاهر، وقد قال بعضهم: سر العارف وعلانيته واحد، لأن المعبود فيهما واحد، فاختلاف فعل أحدهما شرك في التوحيد، وقال بعض العارفين: كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر فرفع يده به علانية، ثم قال: هذا من الدنيا والعلانية في أمور الدنيا أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل، وقال بعض المريدين: سألت أستاذي وكان أحد العارفين عن إظهار السبب أو إخفائه فقال: أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذا، فإنك لا تخلو من أحد رجلين، رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو الذي تريد، لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك، وينبغي أن تعمل في ذلك، فقد جاءك بلا تكلف، ورجل تزداد وترتفع في قلبه فذاك هو الذي يريد أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيده، وينبغي أن تعمل في ذلك، وقال بعض العارفين: إذا أخذت فأظهر فإنها نعمة من الله إظهارها أفضل، وإذا رددت فأخف فإنه عمل لك وإسراره أفضل، وهذا لعمري قول فصل، وهو طريق العارفين، وقال بعض علمائنا: إظهار العطاء من الآخذ آخرة وكتمانه دنيا وإظهار الأعمال من الدنيا وكتمها آخرة، وكان هذا لا يكره الإظهار، وهذا كما قال الله تعالى: (وأما بنعمة ربك فحدث) الضحى: ١١ وقد ذم الله تبارك وتعالى من كتم ما أتاه الله من فضله وقرنه بالبخل؛ والبخل باب كبير من الدنيا فقال تعالى: (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) النساء: ٣٧، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أنعم الله عز وجل على عبد نعمة أحب أن ترى عليه، وهذا هو الأقرب إلى قلوب الموحدين من العارفين، لأنه مقتضى حالهم وموجب مشاهدتهم." (١)

"الفضائل التي تحت الشجاعة

كبر النفس. النجدة. عظم الهمة، الثبات. الصبر، الحلم. عدم الطيش، الشهامة، احتمال الكد والفرق بين الصبر والصبر الذي في العفة أنهذا يكون في الأمور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائجة. اما كبر النفس فهو الإستهانة باليسير

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٣٩/٢

والإقتدار على حمل الكرائه فصاحبه أبدا يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها. وأما النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع. وأما عظم الهمة فهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت. وأما الثبات فهو فضيلة للنفس تقوى بها على إحتمال الآلام ومقاومتها في الأهوال خاصة. وأما الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

وأما السكون الذي نعني به عدم الطيش فهو إما عند الخصومات وإما في الحروب التي يذب بها عن الحريم أو عن الشريعة. وهو قوة للنفس تقسر حركتها في هذه الأحوال لشدتها. وأما الشهامة فهي الحرص على الأعمال العظام توقعا للأحدوثة الجميلة. وأما احتمال الكد فهو قوة للنفس بها تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة.." (١)

"الجبن والخور

وتتبعهما إهانة النفس وسوء العيش وطمع طبقات الأنذال وغيرهم من الأهل والأولاد والمعاملين وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها الثبات وهما أيضا سبب الكسل ومحبة الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة ومن لواحقهما الإستخذاء لكل أحد والرضى بكل رذيلة وضيم. والدخول تحت كل فضيحة في النفس والأهل والمال وسماع كل قبيحة فاحشة من الشتم والقذف وإحتمال كل ظلم من كل معامل وقلة الأنفة مما يأنف منه الناس. وعلاج هذه الأسباب واللواحق يكون بأضدادها. وذلك بأن توقظ النفس التي تمرض هذا المرض بالهز والتحريك. فإن الإنسان لا يخلو من القوة الغضبية رأسا حتى تجلب إليه من مكان آخر ولكنها تكون ناقصة عن الواجب فهي بمنزلة النار الخامدة التي فيها بقية لقبول الترويح والنفخ فهي تتحرك لا محالة إذا حركت بما يلائمها وتبعث ما في طبيعتها من التوقد والتلهب. وقد حكي عن بعض المتفلسفين أنه كان يتعمد مواطن الخوف فيقف فيها ويحمل نفسه على المخاطرات العظيمة بالتعرض لها ويركب البحر عند اضطرابه وهيجانه ليعود نفسه الثبات في المخاوف ويحرك منها القوة التي تسكن عند الحاجة إلى حركتها ويخرجها عن رذيلة الكسل ولواحقه ولا يكره لمثل صاحب هذا المرض بعض المراء والتعرض للملاحاة وخصومة من يأمن غائلته حتى يقرب من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين أعني الشجاعة التي هي صحة النفس المطلوبة فإذا وجدها وأحس بها من نفسه كف ووقف ولم يتجاوزها حذرا من الوقوع في الجانب الآخر الذي علمناك علاجه.." (٢)

"فأما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل الإستحالة ولا التغير في ذاته وإنما يقبل كمالاته وتمامات صورة فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي. وأما من يخاف الموت لأنه لا يعلم إلى أين تصير نفسه أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وإنما يجهل ما ينبغي أن يعلمه. فالجهل إذا هو المخوف إذ هو سبب الخوف. وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب به وتركوا لأجله اللذات الجسمانية وراحات البدن وأختاروا عليه النصب والسهر ورأوا أن الراحة التي تكون من الجهل هي الراحة الحقيقية. وأن التعب الحقيقي هو تعب الجهل لأنه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة أبدية. ولما تيقن

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكويه ص/٣٠

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكويه ص/٢١٤

الحكماء ذلك وأستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا إلى الروح والراحة منه هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التي تؤدي غليها إذ كانت **قليلة الثبات والبقاء** سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم إذا وجدت. عظيمة الغموم إذ فقدت. واقتصروا منها على المقدار الضروري في الحياة وتسلوا عن فضول العيش الذي فيه ما ذكرت من العيوب وما لم أذكره ولأنها مع ذلك بلا نهاية ذلك أن الإنسان إذا بلغ منها إلى غاية تاقت نفسه إلى غاية أخرى منغير وقوف على حد ولا إنتهاء إلى الأمد. وهذا هو الموت لا ما يخاف منه والحرص عليه هو الحرص على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل. ولذلك جزم الحكماء بأن الموت موتان موت إرادي وموت طبيعي.." (١)

"ومرة يأكل التمر دون خبز والخبز يابسا ومرة يأكل العناق المشوية والبطيخ بالرطب والحلواء يأخذ القوت ويبذل الفضل ويترك ما لا يحتاج إليه ولا يتكلف فوق مقدار الحاجة ولا يغضب لنفسه ولا يدع الغضب لربه عز **وجل الثبات الذي** هو صحة العقد والثبات الذي هو اللجاج مشتبهان اشتباها لا يفرق بينهما إلا عارف بكيفية الأخلاق والفرق بينهما أن اللجاج هو ما كان على الباطل أو ما فعله الفاعل نصرا لما نشب فيه وقد لاح له فساده أو لم يلح له صوابه ولا فساده وهذا مذموم وضده الإنصاف **وأما الثبات الذي** هو صحة العقد فإنما يكون على الحق أو على ما اعتقده المرء حقا ما لم يلح له باطله وهذا محمود وضده الاضطراب وإنما يلام بعض هذين لأنه ضيع تدبر ما ثبت عليه وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل حد العقل استعمال الطاعات والفضائل وهذا الحد ينطوي فيه اجتناب المعاصي والرذائل وقد نص الله تعالى في غير موضع من كتابه على أن من عصاه لا يعقل قال الله تعالى حاكيا عن قوم ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ ثم قال تعالى مصدقا لهم ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير﴾ وحد الحمق استعمال المعاصي والرذائل وأما التعدي وقذف الحجارة." (٢)

"وقال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى: ﴿واصبر﴾ [النحل: ١٢٧] أمر بالعبادة وقوله تعالى: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧] عبودية فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بك أحيا وبك أموت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت عياشا يقول: سمعت أحمد يقول: سألت أبا سليمان عن الصبر فقال: والله ما نصبر على ما نحب فكيف على ما نكره وقال ذو النون: الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان: الصبار الذي عود نفسه الهجوم على المكاره وقيل: الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية وقال أبو عثمان أحسن الجزاء على عبادة الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه قال الله عز وجل: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: ٩٦] وقال عمرو بن

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكويه ص/٢١٩

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ابن حزم ص/٥٨

عثمان: الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقى بلائه بالرحب والدعة وقال الخواص: الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال يحيي بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون وأنشدوا:

الصبر يجمل في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يجمل

وقال رويم: الصبر ترك الشكوى،." (١)

"ما يجب وبقدر ما يجب، وكذلك الفزع قد يكون مفرطا فيتولد منه الجبن الهالع، ومقصرا فيتولد عنه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من شتم آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه، وقد يكون متوسطا كما يجب وبقدر ما يجب ولكونهما - أعني الغضب

والفزع - على حالين محمود ومذموم صارا يحمدان تارة ويذمان أخرى، فإن الغضب في نحو قوله تعالى: (وغضب الله عليهم)

والفزع في نحو قول الشاعر:

فزعت لظلمه إلخ محمودان،

والتهور في الأمور العملية هو الثبات المذموم في الأمور

المعطبة، والجبن هو الفزع في الأمور المعطبة.

وأطم أن أنواع الشجاعة خمسة:

سبعية: كمن أقدم لثوران غضب وتطلب غلبة،

وبهيمية: كمن حارب توصلا إلى مأكل أو منكح، وتجريبية: كمن حارب مرارا فظفر فجعل ذلك أصلا يبني عليه، وجهادية: كمن يحارب ذبا عن الدين، وحكمية: وهي ما تكون في كل ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محمودة بقدر ما يجب وعلى ما يجب،

ألا ترى أنه يحمد من أقدم على كافر غضبا لدين الله أو طمعا في ثوابه أو خوفا من عقابه أو اعتمادا على ما رأى من إنجاز وعد الله في نصرة أوليائه، فإن كل ذلك محمود

وإن كان محض الشجاعة هو أن لا يقصد بالإقدام حوز ثواب أو دفع عقاب، فقد قيل

من عبد الله بعوض فهو لئيم.

والفرق بين المقدم في الحرب لمحض الحكمة وإخلاص الدين وبين المقدم لغير ذلك هو أن المقدم لغير الحكمة والإخلاص يخاف الموت أكثر مما يخاف المذمة الصادقة، والمقدم للحكمة والإخلاص بالضد من ذلك فإنه يختار الموت الحميد على الحياة الذميمة، ولذلك قال علي رضي الله تعالى عنه: " أيها الناس إنكم إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على فراش "،

ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة الإنسان نفسه أو غيره، وكل واحد منهما ضربان: مجاهدة النفس بالقول: وذلك بالتعلم.

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٣٢٣/١

وبالفعل: وذلك بقمع الشهوة وتهذيب الحمية

ومجاهدة الغير بالقول، وذلك تزيين الحق وتعليمه، وبالفعل وذلك مدافعة الباطل ومتعاطيه بالحرب.." [١]

"مداواة الغم وإزالة الخوف

حق الإنسان أن يعلم أن الدنيا جمة المصائب، رائقة المشارب، تثمر للبرية كل بلية، فيها مع كل لقمة غصة، ومع كل جرعة شرقة، فهي عدوة محبوبة كما قال أبو نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وكما روي عن الحسن – رحمه الله – أنه قال: ما مثلنا مع الدنيا إلا كما قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

فما أحد فيها إلا وهو في كل حال غرض لأسهم ثلاثة: سهم بلية، وسهم رزية، وسهما منية.

تناضله الآفات من كل جانب ... فتخطئه يوما ويوما تصيبه

وقد قال بعض الحكماء: أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب، ولا يسلم منهما إنسان، **لأن الثبات والدوام** معدومان في عالم الكون والفساد، فمن أحب أن يعيش هو وأهله وأحبابه فهو غير عاقل، لأنه يريد أن يملك ما لا يملك ويوجد له ما لا يوجد " فحق المرء أن لا يخلي قلبه من اعتبار فيما يرى من ارتجاع ودائعها من أربابها وحلول فوازعها بأصحابها، وما أحسن ما قال ابن الرومي:

ألم تر رزء الدهر من قبل كونه ... كفاحا إذا فكرت في الخلوات

فمالك كالمرمي من مأمن له ... بنبل أتته غير مرتقبات

فإن قلت مكروها أتانا فجأة ... فما فوجئت نفس مع الخطرات

ولا عوقبت نفس ببلوى وقد رأت ... عظات من الأيام بعد عظات

إذا بعثت أشياء قد كان مثلها ... قديما فلا تعتدها بغتات

ومن حقه أن يقلل من اقتناء ما يورثه الحزن، فقد قيل لحكيم: نراك لا تغتم، فقال: لأني لا أقتني ما يغمني فقده، فأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

ومن سره أن لا يرى ما يسوؤه ... فلا يتخذ شيئا يبالي له فقدا

وقيل لحكيم: هل يمكن الإنسان أن يعيش آمنا، فقال: نعم إذا احترس من الخطيئة." [٢]

"أما الكرم فهو وسط بين البذخ والنذالة، وهو طيب النفس بالاتفاق في الأمور الجليلة القدر، العظيمة النفع وقد يسمى حرية. وأما النجدة، فهو وسط بين الجسارة والانخذال، وهو ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، مهما وجب ذلك من غير خوف. وأما كبر النفس فهو وسط بين التكبر وصغر النفس، وهو فضيلة يقدر بها الإنسان أن يؤهل نفسه للأمور

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة  الراغب الأصفهاني ص/٢٣٣

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة  الراغب الأصفهاني ص/٢٣٥

الجليلة، مع استحقاره لها وقلة مبالاته بها، ابتهاجا منه بقدر نفسه وجلالتها. وأثره أن يقل شروره بالإكرام الكبير من العلماء، ولا يسر بإكرام الأوغال، ولا بالأمور الصغار، ولا بما يجري مجرى البخت والاتفاق من السعادات. وأما الاحتمال فهو وسط بين الجسارة والهلع، وهو حبس النفس عن مسايرة المؤذيات. وأما الحلم فهو وسط بين الاستشاطة والانفراك، وهي حالة تكسب النفس الوقار. **وأما الثبات فهو** شدة النفس، وبعدها من الخور. وأما الشهامة، فهو الحرص على الأعمال توقعا للجمال. وأما النبل فهو سرور النفس بالأفعال العظام. وأما الوقار فهو وسط بين الكبر والتواضع، وهو أن يضع." (١)

"الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى (١) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين (٢) ويسأل المبتدعة عن السنة (٣) ويسأل المسلمين عن الأعمال (٤)

وأن يؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار موحد (٥)

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان (٦)

وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم (٧)

وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين (٨) فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة

فنسأل الله كمال اليقين **وحسن الثبات في** الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

---

(١) حديث الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب أخرجه البيهقي في البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت والبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر ﴿الحساب﴾ وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت علي الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقي في البعث من

---

(١) ميزان العمل أبو حامد الغزالي ص/٢٧٧

حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بين يديه الحديث

(٢) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحديث ولابن ماجه يجيء النبي يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث

(٣) حديث سؤال المبتدعة عن السنة رواه ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر سئل عنه يوم القيامة ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة ما دعا إليه وإن دعا رجل رجلا وإسنادهما ضعيف

(٤) حديث سؤال المسلمين عن الأعمال أخرجه أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتي في الصلاة

(٥) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله الحديث

(٦) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير ﴿وفيه﴾ فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث

(٧) حديث أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي أخرجه البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم زاد الطبراني ويسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره

(٨) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم أخرجه الترمذي من حديث عبد الله ابن مغفل الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي وللشيخين من حديث أبي سعيد لا تسبوا أصحابي وللطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا." (١)

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٩٣/١

"الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان

فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل

وليس الطريق في تقويته وإثباته إن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر يقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء

وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب

والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا

فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي **في الثبات كالطود** الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعليم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه

ثم الصبي إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا

وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق

وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه مسألة فإن قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو." (١)

"عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي (١) اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين (٢) وقل اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٣) ثلاث مرات وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت (٤) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة أو ذنبا لا تغفره (٥) اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (٦) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٧) اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة الخلد (٨) اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلي حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون (٩) اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة واللهم زينا

---

(١) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح

(٢) حديث اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك وإسناده ضعيف

(٣) حديث اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/٩٤

صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أخرجه البخاري من حديث شداد بن أوس وقد تقدم

(٤) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال النسائي جعفر بن ميمون ليس بالقوي

(٥) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء الحديث إلى قوله أو ذنبا لا يغفر أخرجه أحمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الإسناد

(٦) حديث اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف

(٧) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب

(٨) حديث اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد الحديث أخرجه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الإسناد والنسائي من حديث عمار بن ياسر بإسناد جيد وأسألك نعيما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع

(٩) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات الحديث إلى قوله غير مفتون أخرجه الترمذي من حديث معاذ اللهم إني أسألك فعل الخيرات الحديث وقال حسن صحيح ولم يذكر ﴿الطيبات﴾ وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحبة." (١)

"هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان

قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع الوفاء والإخلاص

ومعنى **الوفاء الثبات على** الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه (١)

وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاء خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين (٢)

فمن الوفاة للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣١٩/١

يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف من بعد إن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما

وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه

وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين

ولذلك قال ابن المبارك ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض

ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ووجود الحاجة هو الحسد

ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم

قال الشاعر

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك

وقال بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير

وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلا ببغداد ثم إن أخاه ولي السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات

اذهب فودك من فؤادي طالق ... أبدا وليس طلاق ذات البين

فإن ارعويت فإنها تطليقة ... ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتنعت شفعتها بمثالها ... فتكون تطليقين في حيضين

وإذا الثلاث أتتك مني بتة ... لم تغن عنك ولاية السيبين

---

(١) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة

(٢) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لعجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان أخرجه الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة." (١)

"مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٨٧/٢

فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال في عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل في البهيمة الميتة وإنما ترد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت ولا ينبغي أن يقنع به كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما أنا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حتى لا أعقر الناس وهذا حسن بالإضافة الى من يعقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها

ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة

فأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة آخرا

وأما التأديب فإنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق الى نشر العلم إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة

فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الأفضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات

الفائدة الرابعة الاستئناس والإيناس

وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال

وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجه مباح

وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن تستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى

وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب فهي أولى إذ الوفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن الله لا يمل حتى تملوا (١)

وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة وهذا عني بقوله صلى الله عليه وسلم إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستغني المعتزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (٢)

وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس فيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فإنه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا

فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص

---

(١) حديث إن الله لا يمل حتى تملوا تقدم

(٢) حديث المرء على دين خليله تقدم في آداب الصحبة." (١)

"به فيقول لا ومقلب القلوب (١)

وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (٢) وفي لفظ آخر إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه

وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة (٣) وقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا (٤) وقال مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن (٥) وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى في تقلبها من حيث لا تهدى إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى

والقلوب **في الثبات على** الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مكشاة الربوبية حتى لا يخفي فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة

القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٢٣٩

(١) حديث لا ومقلب القلوب أخرجه البخاري من حديث ابن عمر
(٢) حديث يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث أخرجه الترمذي من حديث أنس وحسنه والحاكم من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرط مسلم ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك والنسائي في الكبرى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم من حديث النواس بن سمعان ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه والنسائي في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة
(٣) حديث مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح قلت رواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا ادري له صحبة أم لا
(٤) حديث مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن الأسود
(٥) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف." (١)

"وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعني التقليب والانتقال من حزب إلى حزب **أما الثبات على** الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء

فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقي في قلبه حكم الشيطان فإنه بأنواع الحكم يغر الحمقى بقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعمله بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٤٦

صلى الله عليه وسلم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي (١) فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزئ بالقشر عن اللباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى

كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب

وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم

---

(١) حديث قال الله عز وجل هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب أنه مضطرب الإسناد." (١)

"وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال يا رب استر علي فإذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فإذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة وإذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفراد **ثم الثبات ثم** البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى ﴿التائبون العابدون﴾ الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه

والمقصود إن للتوبة ثمرتين ﴿إحداهما﴾ تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٤٨

وللتكفير أيضا درجات فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها أن قول الله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان بأحمال الذرات وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كفة السيئات فإياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تنفيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول أي غني يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة فإذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي إن لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فإن تعود الجوارح للخير حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه إلى ما تعود فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادىء الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله وإذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ ومعاني قوله تعالى ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه﴾." (١)

"لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على **هيئة الثبات والوقار** إذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق فإذا رميت بصاقك إلى الجهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروها حتى إن بعضهم كان قد جمع إكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريد أن أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين بل بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الإنعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فقبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره قد تعدى من وجهين أحدهما الشرب والآخر الآخذ باليسار ومن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٨

باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خان من وجهين ﴿أحدهما﴾ بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث إنه لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض فيمنحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير حاجة غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة وأما الشجر فإنه خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوة لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان فإنهما جميعا فانيان هالكان فإفناء الأخس في بقاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعا وإليه الإشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا لأن كل شجرة بعينها لاتفى بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحدة ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجع جانبه بذلك فإن نبت ذلك في موات الأرض لا بسعي آدمي اختص بمغرسه أو بغرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فللسابقخاصية السبق فالعدل هو أن يكون أولى به وعبر الفقراء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له ما في السموات والأرض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها." (١)

"كما أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال ألك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال وإبراهيم الذي وفى أي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة إذا لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقيل له لا تخف إنك أنت الأعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك // حديث قال يوم بدر اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك أخرجه البخاري من حديث ابن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٩٤

عباس بلفظ اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة قصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴿وقال﴾ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم الآية فوض الأمر إلى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويمرض من ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال تعالى وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم الآية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا يطمع في تداركه ولو كان الأمر آنفا لكانت الأطماع تمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفي السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وإن القلب أشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب عز وجل إن عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن ولو أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب

قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين." (١)

"وقالت رابعة العدوية لقد طال علي الأيام والليالي بالشوق إلى لقاء الله عز وجل

وقد جزع أقوام عند الموت لأسباب منها غلبة الخوف عليهم إما لذنوب أو لتقصير أو لمجرد هيبة ما يلقون إلا أنه ينبغي أن يرجع عند الموت حسن الظن والرجاء

ذكر ما نقل من الثبات عند الموت عن آدم عليه السلام

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٧١

أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا ابن المذهب قال أخبرنا أحمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني هدبة بن خالد قال حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن عتي قال

رأيت شيخا بالمدينة يتكلم فسألت عنه فقالوا هذا أبي بن كعب فقال إن آدم لما حضره الموت جاءته الملائكة فعرفتهم حواء فلاذت بآدم فقال إليك عني فإني إنما أتيت من قبلك حلي بيني وبين رسل ربي تبارك وتعالى فقبضوه." (١)

"ذكر ما نقل من الثبات عند الممات

عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال أخبرنا أبو الحسين بن النقور قال أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المخلص قال أخبرنا أبو بكر بن سيف السجستاني قال أخبرنا السري بن يحيى قال حدثنا شعبة بن إبراهيم التيمي قال حدثنا سيف بن عمر التميمي عن الوليد بن كعب عن أبيه عن علي عليه السلام قال

طلب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يمرضه فقال يا أبا بكر هو إسلاء لأهلي أن يمرضوني وقد وقع أجرك على الله عز وجل

وحدثنا سيف عن بشر بن الفضل عن سالم عن أبيه قال

جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي أن أمرضك وأكون الذي أقوم عليك فقال يا أبا بكر إني إن لم أحمل أزواجي وبناتي وأهل بيتي علاجي ازدادت مصيبتي عليهم عظما وقد وقع أجرك على الله تعالى

أخبرنا هبة الله بن محمد قال أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا إسماعيل قال أخبرنا أيوب عن ابن أبي مليكة قال قالت عائشة رضوان الله عليها

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ويومي فأخذت أدعو الله عز." (٢)

"باب ما نقل من الثبات عند الممات عن كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٥١ ق هـ ١٣ هـ

أخبرنا محمد بن القاسم السلامي قال أحمد بن عبيد الله قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا مالك بن مغول عن أبي السفر قال

مرض أبو بكر رضي الله عنه فعاده الناس فقالوا ألا ندعو لك الطبيب قال قد رآني قالوا فأي شيء قال لك قال إني فعال لما أريد

أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أبو بكر بن مالك قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا محمد بن مبشر قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قال أي يوم هذا قلنا يوم الاثنين قال فأي يوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلنا يوم الاثنين قال فإني أرجو ما بيني وبين

---

(١) الثبات عند الممات ابن الجوزي ص/٨٥

(٢) الثبات عند الممات ابن الجوزي ص/٩٦

الليل قالت وكان عليه ثوب به ردع من مشق قال إذا أنا مت فاغسلوا ثوبي هذا وضموا إليه ثوبين جديدين وكفنوني في ثلاثة أثواب فقلنا أفلا نجعلها جددا كلها قال لا إنما هو للمهلة فمات ليلة الثلاثاء." (١)

"ذكر ما روي **من الثبات عند** الممات عن التابعين ومن بعدهم

علقمة بن قيس رضي الله عنه ٦٢ هـ

أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال أخبرنا محمد بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو محمد بن حيان قال حدثنا أحمد بن علي بن الجارود قال حدثنا أبو سعيد الأشج قال حدثنا أبو خالد الأحمر عن الأشعث عن الحكم عن إبراهيم عن علقمة أنه قال

لا تنعوني كنعي الجاهلية ولا تؤذنوا بي أحدا وأغلقوا الأبواب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله ففعلوا." (٢)

"باب الواو

قال ابن فارس لا تكون الواو زائدة أولا وقد تزاد ثانية نحو كوثر وثالثة نحو جدول ورابعة نحو قرنوة وهو نبت يدبغ به الأديم وخامسة نحو قمحدوة

والواو في القرآن تكون بمعنى إذ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم

وبمعنى الجمع وأيديكم وبمعنى القسم والله ربنا وتكون مضمرة لتحملهم قلت المعنى آتوك وقلت وصلة ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ وبمعنى العطف أو أباؤنا

باب الهدى

يكون **بمعنى الثبات اهدنا** الصراط المستقيم

وبمعنى البيان على هدى من ربهم

وبمعنى الرسول فأما يأتينكم مني هدى

وبمعنى السنة فبهداهم اقتده

وبمعنى الإصلاح لا يهدي كيد الخائنين

وبمعنى الدعاء ولكل قوم هاد

وبمعنى القرآن إذ جاءهم الهدى

---

(١) الثبات عند الممات ابن الجوزي ص/٩٨

(٢) الثبات عند الممات ابن الجوزي ص/١٣٤

وبمعنى الإيمان وزدناهم هدى

وبمعنى الإلهام ثم هدى

وبمعنى التوحيد أن نتبع الهدى

وبمعنى التوراة ولقد آتينا موسى الهدى." (١)

"النفس فاضطرها وحفز ودارت في فلك الفوت فإذا ملك الموت قد برز فسماك بالمقبور وبالمبثور قد نبز فتأهب فالسعيد منا من تأهب للخير وانتهز لقد علت سنك وانتهيت وما انتبهت ولا انتهيت اتعبت ألف رايض ولم تؤد الفرايض كم ضيعت عمرا طويلا حملت فيه وزرا ثقيلا كم نصب لك الموت دليلا إذ ساق العزيز ذليلا لقد حمل إلى القبور جيلا جيلا ونادى في الباقين رحيلا رحيلا لكن الهوى أعاد الطرف كليلا وما كان الذي رأيت قليلا يا مرضا عجيبا كم أتعبت طبيبا لقد تنوع ضروبا فأخذ كل عضو نصيبا الام يبقى الغصن رطيبا من يرد برد الصبي قشيبا لقد أمسى الموت قريبا وستبصر يوما غريبا

عجبا لك لا الدهر يعظك ولا الحوادث تنذرك والساعات تعد عليك والأنفاس تعد منك وأحب أمريك إليك أعودهما بالضرر عليك

يا هذا من جلا بصيرته من قذى الهوى جلى على بصره عرائس الهدى الصور تزاحم المعاني فمن حلها حلى بمغنى المعنى فتعلم حلها بالتدريج كل ذرة من الكون تخبر بلغة بليغة عن حكمة الفاطر غير أنه لا يفهم نطق الجوامد إلا العقل نظر الأبصار اليوم إلى الصانع بواسطة المصنوع تدريج إلى رفع الوسايط غدا يا محبوسا في سجن غفلته أخرج من ديار أدبارك واعبر في معبر اعتبارك قف على بعض بقاع قاع ترى كيف نمت خضرة حضرته بأسرار الخالق إذ تمت تلمح أصناف النبات في **ثياب الثبات قد** برزت في عيد الربيع تميس طربا بالري تأمل مختلف الألوان في الغصن الواحد فإن صباغ القدرة صناع اسمع غناء الورق على عيدان العيدان لعل مقاطع السجوع توجب رجوع المقاطع

(ولقد تشكو فما أفهمها ... ولقد أشكو فما تفهمني)." (٢)

"المحب في قلق لا سكون والعجب أنه يتكلف الثبات)

(الوجد يحركه والليل يقلقه ... والصبر يسكته والحب ينطقه)

(ويستر الحال عمن ليس يعذره ... وكيف يستره والدمع يسبقه)

المحب يبالغ في كتمان وجده غير أن الدمع نمام

(آفة السر من جفو ... ن دوام دوامع)

(كيف يخفى من الدمو ... ع الهوامى الهوامع)

كان أكثر القوم إذا جائه البكاء دافعه اتقاء اللاحي له فيغلبه فلا حيلة

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٣٥

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/٢٥٧

للمتنبي

(حاشى الرقيب فخانته ضمائره ... وغيض الدمع فانهلت بوادره)

(وكاتم الحب يوم البين مفتضح ... وصاحب الوجد لا تخفى سرائره)

إذا أقلقه الحب ضج وإذا أرقه الشوق عج وكلما حبس دمعه ثج وإذا استوحش من الخلق هج فالهموم تنوبه من كل فج حشيت قلوب القوم بالغموم حشو الورد في قوارير الزور وكلما التهبت نار الحذر جرت عيون الدمع في جداول العيون فرشت على الخدود ماء ما ماء الورد عنده بطيب

لأبي المعتز

(أسر القلب فأسى لديه ... فهو يشكوه ويشكو إليه)

(عذب الأحباب بالهجر حينا ... فهم يبكون بين يديه)

واعجبا لضعف بدن العارف كم يحمل وآسفا لقلب المحب كم يصبر." (١)

"المجلس السابع

لانتصاف شهر رمضان الحمد لله الأحدي الذات، العلي الصفات الجلي الآيات الوفي العدات، رافع السماوات وسامع الأصوات، عالم الخفيات ومحيي الأموات، تنزه عن الآلات وتقدس عن الكيفيات، وتعظم عن مشابهة المخلوقات، جل عن الآباء والأمهات والبنات، ثبت الأرض بالأطواد الراسيات، وأحياها بعد موتها بالسحب الماطرات، فإذا أرخت عزاليها ضحك باخضراره النبات، وقال المبتدعات بألسن الإشارات: ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات﴾ .

إذا بسط بساط العدل تزلزلت أقدام أهل الثبات، وإذا نشر رداء الفضل غمر الذنوب الموبقات، ﴿يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾ .

حي بحياة تنزهت عن طارق الممات، عالم بعلم واحد جميع المعلومات، قادر بقدرة واحدة على جميع المقدورات، أراد فلانت لهيبته صعاب المرادات، وسمع فلم يعزب عن سمعه خفي الأصوات، وأبصر سواد العين في أشد الظلمات، استوى على العرش لا كاستواء المخلوقات، وينزل إلى سماء الدنيا مروي بنقل عن الثقات، ويراه المؤمنون في الجنة بالعيون الناظرات، نصفه بالنقل المباين بصحته سقيم الشبهات، من غير تكييف في الأوصاف ولا تشبيه في الذوات، فهل علينا ملام أم هو طريق النجاة، أحمده على جميع الحالات حمدا يدوم بدوام الأوقات، وأقر بوحدانيته كافرا باللات، وأشهد أن محمدا عبده." (٢)

"ورسوله أرسله بالأدلة الواضحات، صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه أبي بكر الناهض يوم الردة على أقدام الثبات، القائم بنصر الإسلام وقد قعد أهل العزمات، القائل: أقاتلهم ولو لم أجد غير البنات، وعلى عمر العادل في القضيات، كان إذا مشى فرق الشيطان من تلك الخطوات، وعلى عثمان المتهجد بالقرآن

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٤٤١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٢/٨٠

في الظلمات، الصابر على الشهادة بأيدي العداة، وعلى علي ذي المناقب العاليات، المخصوص بأخوة الرسول دون ذوي القرابات، وعلى عمه العباس الذي بالسؤال به سالت عزالي السحب الماطرات.

أيها الناس: إن شهركم هذا قد انتصف، فهل فيكم من قهر نفسه وانتصف، وهل فيكم من قام فيه بما عرف، وهل تشوقت هممكم إلى نيل الشرف، أيها المحسن فيما مضى منه دم، وأيها المسيء وبخ نفسك على التفريط ولم، إذا خسرت في هذا الشهر متى تربح، وإذا لم تسافر فيه نحو الفوائد فمتى تبرح. كان قتادة يقول: كان يقال من لم يغفر له في رمضان فلن يغفر له!

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزار بسنده عن سلمة بن وردان قال: سمعت أنس ابن مالك يقول: ارتقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فقال: آمين ثم ارتقى ثانية فقال آمين. ثم استوى عليه فقال آمين. فقال أصحابه: علام أمنت يا رسول الله؟ فقال: أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف امرئ أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف امرئ أدرك شهر رمضان فلم يغفر له. فقلت: آمين.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بسنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " هذا رمضان قد جاء، تفتح فيه أبواب الجنات وتغلق فيه أبواب النار وتغل فيه الشياطين بعد امرؤ أدرك رمضان لم يغفر له، إذا لم يغفر له فمتى؟! ".

وبالإسناد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ".

(إذا الروض أمسى مجدبا في ربيعه ... ففي أي حين يستنير ويخصب)." (١)

"الهدب ليدفع ما يطير إلى العين وليعدل الضوء بسواده.

وأما الأذن فجعل لها صدف معرج ليجمع الصوت. وخلق الأنف لينحصر فيه الهواء فيعتدل في حلوله قبل أن ينفذ إلى الدماغ والرئة، ثم هو ستر للفضلات المنحدرة. واللسان آلة لتقليب الممضوغ وتقطيع الصوت في إخراج الحروف وإليه تمييز الذوق.

والشفتان غطاء للفم والأسنان ومحبسا للعاب ومعينا على الكلام وجمالا.

واللهاة: جوهر لحمي معلق على أعلى الحنجرة ومنفعته تدريج الهواء لئلا يقرع ببرده الرئة فجأة. وليمنع الدخان والغبار كأنه باب موصد على مخرج الصوت بقدره.

والأسنان اثنان وثلاثون سنا، فمنها ثنيتان من فوق وثنيتان من تحت ورباعيتان من فوق ورباعيتان من تحت، ونابان من فوق ونابان من تحت، ثم الأضراس وهي عشرون من كل جانب من الفم خمسة، فمنها الضواحك وهي أربعة أضراس تلي الأنياب إلى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك، ثم بعد الضواحك الطواحن ويقال لها الأرحاء وهي اثنا عشر

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٢/٨١

طاحنا من كل جانب من الفم واحد من فوق وواحد من أسفل، فالأنياب للكسر والرباعيات للقطع والأضراس للطحن.
وخرز العنق سبع وفقار الصدر إحدى عشرة فقرة والصدر مؤلف من سبعة أعظم، والساعد مؤلف من عظمين متلاصقين يسميان الزندين والفوقاني الذي يلي الإبهام أدق والسفلاني أغلظ لأنه حامل.
وعظام الأصابع غير مجوفة لتكون أقوى على الثبات في الحركة والقبض، وطال بعضها لتستوي عند القبض. والظفر سند للأنملة وآلة للحك والتنقية.
والصلب مسلك النخاع، والمعدة تهضم بحرارة في لحمها وبحرارة أخرى مكتسبة من الأجسام المجاورة، والطحال منفرش تحتها من اليسار وهو وعاء لبعض فضلاتها. وللكبد عرقان أحدهما يجذب إليها الطعام فيطبخه ويوجهه في." (١)

"إقدام العارفين على التعبد، قد ألفت أقدامها الصفوف، تعتمد على سنابك الخوف، فإذا أثر النصب راوحت بين أرجل الرجاء.
انقسم القوم عند الموت، فبعضهم صابر الخوف حتى انقضى نحبه. "كعمر "كان يقول عند الرحيل: الويل لعمر إن لم يغفر له.
ومنهم من أقلقه عطش الحذر، فتبرد بماء الرجا، "كبلال "كانت زوجته عند الموت تقول: واكرباه وهو يقول: واطرباه، غدا ألقى الأحبة، محمدا وصحبه، علم بلال أن الإمام لا ينسى المؤذن، فمزج الموت براحة الرجاء.
بشرها دليلها وقالا ... غدا ترين الطلح والجبالا
قال " سليمان التيمي " لولده عند الموت: اقرأ علي أحاديث الرخص لألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به.
إلى متى تتعب الرواحل ولا بد لها من مناخ:
رفقا بها يا أيها الزاجر ... قد لاح سلع وبدا حاجر
وخلها تسحب أرسانها ... على الربا لا راعها ذاعر
واذكر أحاديث ليالي منى ... لا عدم المذكور والذاكر
يا مخنث العزم: أين أنت والطريق نصب فيه " آدم "؟ وناح لأجله " نوح " ورمي في النار " الخليل " واضطجع للذبح " اسحاق " وبيع " يوسف " بدراهم بخس ونشر بالمناشير " زكريا " وذبح الحصور " يحيى " وضني بالبلاء " أيوب " وزاد على القدر بكاء " داود " وتنغص في الملك عيش " سليمان " وتخير بأرني " موسى " وهام مع الوحوش " عيسى " وعالج الفقر " محمد ".
فيا دارها بالحزن إن مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال
أول قدم في الطريق بذل الروح. هذه الجادة فأين السالك، هذا قميص " يوسف " فأين يعقوب هذا طور سينا فأين " موسى " يا جنيد احضر، يا " شبلي " اسمع.
بدم المحب يباع وصلهم ... فمن ذا الذي يبتاع بالسعر

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٢/١٥٣

الفصل التاسع والعشرون

في بديع خلق الله

حلل الوجود متلونة الأصباغ تجلى على عرائيس الموجودات لتروق أعين العباد، واعجبا! لو دخلت بين ملك لم تزل تعجب من نقوشه. فارفع بصر التفكر، واخفض عين البصيرة، فهل رأيت أحسن من هذا الكون؟ اخرج من ديار إدبارك، واعبر من معبر اعتبارك، قف في بقاع قاع ترى كيف نمت خضرة حضرته بأسرار الخالق، إذا نمت تلح أصناف النبات في ثياب الثبات، قد برز في عيد الربيع يميس طربا فرحا بالري، تأمل مختلف الألوان في الغصن الواحد، كيف صاغها صانع القدرة؟؟ تلمح إشارتها كيف ترشد الغافلين إلى صانعها؟؟ وهم مشغولون في خضم مأكل الهوى. اسمع الورق على عيدان الورق، لعل مقاطع السجوع توجب رجوع المقاطع.

ولقد أشكو فما أفهمها ... ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضا بالجوى تعرفني

واعدجبا كيف تتفكر بالغير وتنسى نفسك؟؟ تأمل بعين الفكر نطفة مغموسة في دم الحيض، ونقاش القدرى يشق سمعها وبصرها من غير مساس، بينما هي ترف في ثوب نطفة اكتست رداء علقة، ثم اكتست صفة مضغة، ثم انقسمت إلى لحم وعظم، فاستترت من يدي الأذى بوقاية جلد، ثم خرجت في صفة طفل، ثم اترقت مراقي الصبي، فتدرجت إلى نطاق النطق، وتشبثت بذيل الفهم، فكم من مصوت صوت بين أرجل التنقل، من تحريك جلاجل العبر، في خلاخل الفكر.

كلما رنت غنت ألسن الهدى في مغاني المعاني، وكيف يسمع أطروش الشقوة؟ هيهات ليس للمزكوم من الورد نصيبن ولا للمسجون من العيد حظ، فإن كنت تعرف هذه العجائب ولا تتعجب منها، فتعجب من عدم تعجبك.

كيف عدمت التفكر مع آلات الفهم، وأعميت بصيرتك بعد رؤيةب الحق، فإن أعجب أفعال القدرة ولقد (أضله الله على علم) .

الفصل الثلاثون

الناس فقراء إلى الله تعالى

لطف الحق بعبده قديم، لما أظهر الولد أجرى له عين اللبن تغربل قطرها عيون الثدي، وبذر في قلب الوالدين حب الحب، حتى جدا في اللطف جدا، فلما عرف المنعم أنفق النعم في المعاصي.

وكم ليلة قد بات عار من التقى ... يغطيه ستر الحلم يا ليته درى

ولما بلغ أشده استوى على ظهر متن المبارزة: لمن؟ مع من؟ إلى أين؟ من أنت؟ من أنا؟.

لحا الله من لا ينفع الود عنده." (١)

"الفصل الثاني: تفكر في يوم القيامة

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/١٨

إخواني تفكروا في الحشر والمعاد، وتذكروا حين تقوم الأشهاد: إن في القيامة لحسرات، وإن في الحشر لزفرات، وإن عند الصراط لعثرات، وإن عند الميزان لعبرات، وإن عند الميزان لعبرات، وإن الظلم يومئذ ظلمات، والكتب تحوي حتى النظرات، وإن الحسرة العظمى عند السيئات، فريق في الجنة يرتقون في الدرجات، وفريق في السعير يهبطون الدركات، وما بينك وبين هذا إلا أن يقال: فلان مات، وتقول: رب ارجعوني، فيقال: فات.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم» .

وأخرجا جميعا من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث: «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهراني جهنم، فقيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحضه ومزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسك، المؤمن يعبر عليه كالطرف وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، فناج مسلم، وناج مخدوش، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا» .

لله در أقوام أطار ذكر النار عنهم النوم، وطال اشتياقهم إلى الجنان الصوم، فنحلت أجسادهم، وتغيرت ألوانهم، ولم يقبلوا على سماع العذل في حالهم واللوم، دافعوا أنفسهم عن شهوات الدنيا بغد واليوم، دخلوا أسواق الدنيا فما تعرضوا لشراء ولا سوم، تركوا الخوض في بحارها والعوم، ما وقفوا بالإشمام والروم، جدوا في الطاعة بالصلاة والصوم، هل عندكم من صفاتهم شيء يا قوم؟

قالت أم الربيع أم حيثم لولدها: يا بني ألا تنام؟ قال: يا أماه، من جن عليه الليل وهو يخاف الثبات حق له أن لا ينام.

فلما رأت ما يلقي من السهر والبكا، قالت: يا بني لعلك قتلت قتيلا، قال: نعم، قالت: ومن هذا القتيل حتى نسأل أهله فيغفرون، فوالله لو يعلمون ما تلقى من السهر والبكاء لرحموك، فقال: يا والدتي، هي نفسي.

قيل لزيد بن مزيد: ما لنا لم نزل نراك باكيا، وجلا خائفا، فقال: إن الله توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لبكيت حتى لا تجف لي عبرة.

وكان آمد الشامي يبكي وينتحب في المسجد حتى يعلو صوته وتسيل دموعه على الحصى، فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك، وارتفاع صوتك، ولو أمسكت قليلا، فبكى ثم قال: إن حزن يوم القيامة أورثني دموعا غزارا فأنا أستريح إلى ذرها:

يا عاذل المشتاق دعه فإنه ... يطوي على الزفرات غير حشاكا

لو كان قلبك قلبه ما لمته ... حا شاك مما عنده حاشاكا

وعوتب عطاء السلمي في كثرة البكاء، فقال: إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله تعالى، مثلت نفسي بينهم فكيف لنفس تغل يدها وتسحب إلى النار ولا تبكي؟

وقيل لبعضهم: ارفق بنفسك، فقال: الرفق أطلب.

وقال أسلم بن عبد الملك: صحبت رجلا شهرين، وما رأيته نائما بليل ولا نهار، فقلت: ما لك لا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي، ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في أخرى.

كثر فيك اللوم فأين سمعي وهم قلبي واللوم عليك منجد ومتهم؟ قال: أسهرت والعيون الساهرات نوم، وليس من جسمك إلا جلدة وأعظم.. وما عليهم سهرى ولا رقادى لهم، وهل سمان الحب إلا سهر وسقم، خذ أنت في شأنك يا دمعى وخل عنهم.." (١)

"١٠٣- شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر.

يكنى أبا يعلى وكانت له عبادة واجتهاد.

عن حسان بن عطية قال كان شداد بن أوس في سفر فنزل منزلا فقال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها فانكرت عليه فقال ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت الأوانا خطمها وازمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوهاعلي واحفظوا عني ما اقول لكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا كثرت الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم اني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك لسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم انك أنت علام الغيوب" ١.

وعن ثابت البناني قال قال شداد بن أوس يوما لرجل من أصحابه هات السفرة نتعلل

---

١ ضعيف: أخرجه الترمذي في الدعوات حديث ٣٤٠٧. باب ٢٣. ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه.." (٢)

"وقال آخر: لا ينبغي للعاقل أن يسكن بلدا فيه خمسة أشياء: سلطان حازم، وقاض عادل، وطبيب عالم، ونهر جار، وسوق قائم.

وقال آخر: من علامات العاقل خمس خصال: لا يتكلف ما لا يطيق، ولا يسعى لما لا يدرك، ولا ينظر فيما لا يعنيه، ولا ينفق إلا بقدر ما يكسب، ولا يطلب من الجزاء إلا بمقدار ما عنده من العناء.

وقال الأحنف: جهد البلاء خمسة: خادم بطيء، وحطب رطب يوقد منه، وبيت يكف، وخوان ينتظر، وجلواز على الباب يدق.

وقال آخر: لا يتم جمع المال إلا بخمس خصال: التعب في كسبه، والشغل عن الآخرة في إصلاحه؛ والخوف من سلبه؛ واحتمال اسم البخل دون مفارقته، ومقاطعة الإخوان بسببه.

فصل ستة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أذاكم".

---

(١) مواعظ ابن الجوزي – الياقوتة ابن الجوزي ص/٥٣

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ١/٢٧٦

وقال عليه الصلاة والسلام: "قلما يخلو الأحمق من ست خصال: الغضب من غير شيء، والثقة بكل أحد، والكلام في غير موضعه، والعطاء في غير حق، وقلة المعرفة بصديقه من عدوه، وإفشاء السر".

وقال عليه الصلاة والسلام: "ستة لا تفارقهم الكآبة: الحقود، والحسود، وفقير قريب العهد بالغنى، وغني يخشى الفقر. وطالب رتبة يقصر عنها قدره، وجليس أهل الأدب وليس منهم".

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا خير في صحبة من اجتمع فيه ست خصال إن حدثك كذبك، وإن حدثته كذبك، وإن ائتمنته خانك، وإن ائتمنك اتهمك، وإن أنعمت عليه كفرك، وإن أنعم عليك من بنعمته.

وقال بعض الحكماء: ستة تقبح، وهي في ستة أقبح: البخل في الأغنياء، والفحش في النساء، والصبوة في الشيوخ، والزمانة في الأطباء، والغضب في العلماء، والكذب في القضاة.

وفي كتاب كليلة ودمنة: ستة لا ثبات لها: ظل الغمام، وخلة الأشرار، والمال الحرام، وعشق النساء، والسلطان الجائر، والثناء الكاذب.

وقال بعض الحكماء عمارة الدنيا منوطة بستة أشياء

أولها: التوفر على المناكح وقوة الداعي إليها، التي لو انقطعت لانقطعت أسباب التناسل معها.

وثانيها: الحنو على الأولاد، الذي لو زال من الحيوان، لزال سبب التربية، وكان في ذلك الهلاك.

وثالثهما: انبساط الأمل الذي به يتعاظم الحرص على المعايش والمهن والعمارة والعمل.

ورابعها: عدم العلم بمبلغ الأجل الذي يصح به انبساط الأمل.

وخامسها: اختلاف أحوال البشر في الغنى والفقر، وحاجة بعضهم إلى بعض؛ فإنهم لو تساووا في حالة واحدة هلكوا في الجملة، وهذا من نظام الحكمة.

وسادسها: وجود السلطان الذي لولا هيبته وكفه العتاة بسطوته، لأهلك الناس بعضهم بعضا.

وقال آخر: لا خير في ستة إلا مع ستة: لا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المنظر إلا مع المخبر، ولا في المال إلا مع الإنفاق، ولا في الصدقة إلا مع النية، ولا في الصحبة إلا مع الإنصاف، ولا في الحياة إلا مع الصحة.

وقال آخر: ينبغي للملك أن يكون له ستة أشياء: وزير يثق به ويفضي إليه بسره، وحصن يلجأ إليه إذا فزع، وسيف إذا نازل الأقران لم يخف نبوته، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نائبة حملها معه، وامرأة حسناء إذا دخل إليها أذهبت همه، وطباخ حاذق إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه.

وقال آخر: ست خصال لا يطيقها إلا من كانت نفسه **شريفة: الثبات عند** حدوث النعمة الجسيمة، والصبر عند نزول المصيبة العظيمة، وجذب النفس إلى العقل عند دواعي الشهوة، وكتمان السر، والصبر على الجوع، واحتمال الجار.

وقال آخر: ستة أشياء تنقص الحزن: استماع كلام الحكماء، ومحادثة الأصدقاء، والمشي في الخضرة، والجلوس على الماء الجاري، ومر الأيام، والتأسي بذوي المصائب.

وقال آخر: السخي من كانت فيه ست خلال: وهو أن يكون مسرورا ببذل ماله، متبرعا بعطائه، لا يتبعه منا ولا أذى، ولا يطلب عليه عوضا من دنيا، يرى أنه بما يفعله مؤديا فرضا ويعتقد أن الذي يقبل عطاءه قاض له حقا.
وقال آخر: أصعب ما على الإنسان ستة أشياء: أن يعرف نفسه، ويعرف عيبه، ويكتم سره، ويهجر هواه، ويخالف شهوته، ويمسك عن القول فيما لا يعنيه.." (١)

"وقوله: والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ولم يذكر عملا ولا شيئا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، وذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الغرفات وأرفع الدررجات، وهذا محال، وقد قال الله تعالى ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ والصبر بذل **النفس الثبات له** وقوفا بين يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين.
وقال في آية أخرى ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ فذكر شأن الغرفة وأنها لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالإيمان ولعمل الصالح، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب مطمئنا به في كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، فإذا عمل عملا صالحا فلا يخلطه بضده وهو الفاسد.
فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا.
فلهذا كانت منزلته دون غيره.
قلت: ذكره الترمذي الحكيم رحمة الله عليه وهذا واضح بين، وقد قال تعالى ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾ وقال: ﴿ومزاجه من تسنيم * عينا يشرب بها المقربون﴾ فلما باين بين الأبرار والمقربين في الشراب على ما يأتي بيانه، باين بينهم في." (٢)

"ومن ذلك: العفو عن الزلات، فإن كانت زلته في دينه فتلطف في نصحه مهما أمكن، ولا تترك زجره ووعظه، فإن أبى فالمصارمة:

الحق الخامس: الدعاء للأخ في حياته وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك.
وفى أفراد مسلم من حديث أبي الدرداء، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما
دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل".

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/١٥
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/٩٦٦

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يدعو لخلق كثير من إخوانه يسميهم بأسمائهم. وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يدعو في السحر لستة نفر.

وأما الدعاء بعد الموت، فقال عمرو بن حريث: إذا دعا العبد لأخيه الميت، أتى بها ملك قبره، فقال: يا صاحب القبر الغريب، هذه هدية من أخ عليك شفيق.

الحق السادس: الوفاء والإخلاص، ومعنى **الوفاء: الثبات على** الحب إلى الموت، وبعد موت الأخ مع أولاده وأصدقائه، وقد أكرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عجوزا وقال: "إنها كانت تغشانا في أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان".

ومن الوفاء أن لا يتغير على أخيه في التواضع وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه.

واعلم: أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الدين، فقد كان الشافعى رحمه الله آخى محمد بن عبد الحكم، وكان يقربه ويقبل عليه، فلما احتضر قيل له: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه فقال: إلى أبى يعقوب البويطى، فانكسر لها محمد، ومع أن محمدا كان قد حمل مذهبه، لكن البويطى كان أقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعى رحمه الله المسلمين وترك المداهنة، فانقلب ابن الحكم عن مذهبه، وصار من أصحاب مالك.

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا يصادق عدو صديقه.

الحق السابع: التخفيف وترك التكليف [والتكليف] (١)، وذلك أن لا يكلف أخاه

---

(١) زيادة من الإحياء." (١)

"ومثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك، فإن لم يكن بين يديك لحم وخبزه، فإنه ينزجر بأن تقول له: اخسأ، وإن كان بين يديك شئ من ذلك وهو جائع، لم يندفع عنك بمجرد الكلام، فكذلك القلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر.

فأما القلب الذي غلب عليه الهوى، فإنه يرفع الذكر إلى حواشيه، فلا يتمكن الذكر من سويدائه، فيستقر الشيطان في السويداء.

وإذا أردت مصداق ذلك، فتأمل هذا في صلاتك، وانظر إلى الشيطان كيف يحدث قلبك في مثل هذا الموطن، بذكر السوق، وحساب المعاملين، وتدبير أمر الدنيا.

واعلم: أنه قد عفي عن حديث النفس، ويدخل في ذلك ما هممت به، ومن ترك ذلك خوفا من الله تعالى كتبت له حسنة وإن تركه لعائق، رجونا له المسامحة، إلا أن يكون عزما، فإن العزم على الخطيئة خطيئة، بدليل قول رسول الله صلى الله عليه

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٠٣

وآله وسلم: "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل: ما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه".

وكيف لا تقع المؤاخذة بالعزم، والأعمال بالنية، وهل الكبر والرياء والعجب إلا أمور باطنة؟ ولو أن إنسانا رأى على فراشه أجنبية ظنها زوجته لم يأثم بوطئها، ولو رأى زوجته وظنها أجنبية أثم بوطئها، وكل هذا متعلق بعقد القلب.

٢ . فصل [في ثبات القلوب على الخير]

وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مصرف القلوب اصرف قلبنا إلى طاعتك".

وفى حديث آخر: "مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح" (١).

واعلم: أن القلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٨٨) من حديث أبي موسى الأشعري، وفي سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف، وأخرجه البغوي في "شرح السنة" (٨٧) وسنده صحيح، رواه أحمد ٤/ ٤٠٨ بسندين صحيحين ولفظ الأول "مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرا لبطن" ولفظ الثاني "إن هذا القلب كريشة بفلاة من الأرض تفيئها الريح ظهرا لبطن"..". (١)

"وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها

والمرابطة تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة لان المرابط يقيم في وجه العدو مثل قيامه متأهبا مستعدا له

الثامن والعشرون من شعب الايمان الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف

لقوله تعالى إذا لقيتم فئة فاثبتوا الانفال ٤٥

وقوله تعالى إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يؤمئذ دبره إلا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير الانفال ١٥ ١٦

وقوله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين الايتين الانفال ٦٥ ٦٦

ولحديث عبد الله بن ابي أوفى رضي الله عنهما في صحيح." (٢)

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٥٠

(٢) مختصر شعب الإيمان القَزْوِيني، أبو القاسم ص/٦٠

"وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

» خرجه مسلم.

وفي سنن أبي داود «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: كيف تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد، وأقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، وأما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حولها ندندن.

»

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب.

» خرجه الترمذي والنسائي.

وعن عطاء بن السائب عن أبيه قال: «صلى بنا عمار بن ياسر رضي الله عنه صلاة، فأوجز، فقال له بعض القوم: لقد خففت ـ أو أوجزت ـ الصلاة فقال: أما على ذلك، لقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم، فسأله عن الدعاء فقال:." (١)

"٩٤٨ – وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار)

رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ واحد وأخرجه الحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الحاكم صحيح الإسناد

٩٤٩ – وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قام على المنبر فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أول على المنبر فقال (سلوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية)

رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الترمذي واللفظ له حسن غريب من هذا الوجه عن أبي بكر ولفظ الحاكم سلو الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة)

٩٥٠ – وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول (اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب)." (٢)

"قريبا منه، قال: إنه من المقلوب كقولهم خرق الثوب المسمار.

وقال ` تعالى: ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة﴾ [القصص: ٧٦] أي: تنهض ورواه البغوي من طريق آخر: «زينوا أصواتكم بالقرآن» .

وذكر جماعة من أصحابنا وغيرهم منهم الآجري والحافظ أبو موسى لقراءة القرآن آدابا، منها إدمان تلاوته، ومنها البكاء

---

(١) الكلم الطيب ابن تيمية ص/٥١

(٢) سلاح المؤمن في الدعاء ابن الإمَام ص/٤٩٨

فإن لم يكن فالتباكي، ومنها حمد الله عند قطع القراءة على توفيقه ونعمته **وسؤال الثبات والإخلاص**، ومنها السؤال ابتداء، ومنها أن يسأل عند آية الرحمة ويتعوذ عند آية العذاب ومنها أن يجهر بالقراءة ليلا لا نهارا، ومنها أن يوالي قراءته، ولا يقطعها حديث الناس، وفيها نظر إذا عرضت حاجة، ومنها أن يقرأ بالقراءة المستفيضة لا الشاذة الغريبة، ومنها أن تكون قراءته عن العدول الصالحين العارفين بمعانيها، ومنها أن يقرأ ما أمكنه في الصلاة؛ لأنه أفضل أحوال العبد؛ ولأن في الحديث: أن القراءة فيها تضاعف على القراءة خارجا عنها.

وقال محمد بن جحادة: (كانوا يستحبون أن يختموا في ركعتي المغرب أو في الركعتين قبل الفجر) .

ومنها أن يتحرى قراءته متطهرا، ومنها إن كان قاعدا استقبل القبلة، ومنها كثرة تلاوته في رمضان، ومنها أن يتحرى أن يعرضه كل عام على من هو أقرأ منه، ومنها بالإعراب وقد تقدم.

وقال بعض أصحابنا: إن المعنى الاجتهاد على حفظ إعرابه لا أنه لا يجوز الإخلال به عمدا فإن ذلك لا يجوز ويؤدب فاعله لتغييره القرآن، ومنها أن يفخمه؛ لأنه روي عنه – عليه السلام –: «نزل القرآن بالتفخيم» قال الحافظ أبو موسى: معناه أن يقرأه على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت به ككلام النساء وليس معناه كراهة الإمالة ويحتمل إرادتها، ثم رخص فيها، ومنها أن يفصل بين سورة مما قبلها إما بالوقف أو التسمية ولا يقرأ من أخرى قبل فراغ الأولى، ومنها الوقف على رءوس الآي وإن لم يتم الكلام لوقفه في قراءة الفاتحة على كل آية، ولم يتم الكلام قال أبو موسى." (١)

"اعترض على القضاء والقدر!

قال ابن الجوزي: رأيت رجلا كبيرا أعرفه قد قارب الثمانين، وهو من أهل الدين المحافظين على الجماعة، فمات ولد لابنته، فقال: ما ينبغي لأحد أن يدعو فإنه ما يستجيب، ثم قال: إن عاندنا فما يترك لنا ولدا، فعلمت أن صلاته وفعله للخيرعادة، لا أنه ينشأ عن معرفة إيمان، وهؤلاء الذين يعبدون الله علىحرف.

ثم قال ابن الجوزي: حدثني خالي لعمي محمد بن عثمان قال: كنت مشدا بقرية التل، فسمعت عن شيخ قد جاوز الثمانين ولا يصلي، وقد كان قبل ذلك كثير الصلاة مع الجماعة وفعل الخير، ثم ترك ذلك، فدعوته وقلت: يا شيخ، لم لا تصلي؟ فقال: وكيف أصلي، وكان لي أولاد فماتوا، وكان لي غنم ففنيت؟ فأنا ما بقيت أصلي له ولا ركعة، فضربته، وطفت به البلد، فكان بعد ذلك يواظب على الجامع.

انتهى ما ذكره.

فلا شيء أنفع من العلم، لأن العالم، لو حصل له هلع شديد في مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدري كيف يتنفس، والعابد الجاهل، كلما غاص إلى أسفل، يظن أنه صاعد إلى فوق.

فإذا امتحن الشخص، ينبغي له أن يتداوى بالأدوية الشرعية، فإنه يقال: عند الامتحان يكرم الشخص أو يهان، أما علم لابد من الفرقة؟ وقد روى داود، «عن الحسن بن جعفر، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال جبريل: يا محمد عش ما عشت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٣١٣

، فنعوذ بالله من عدم الصبر عند المحنة، **ونسأله الثبات في** الأمر، فإنه والعياذ بالله يخاف على الشخص من سوء الخاتمة إذا سخط الأقدار.

ونازع القضاء والقدر أهله، فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة.." (١)

"فصل . في أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها، وهوفي الحقيقة يزيد في مصيبته، بل يعلم المصاب أن الجذع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه.

وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا **هو الثبات في** الأمر الديني، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنا **نسألك الثبات في** الأمر» .

فهذا هو الكمال الأعظم، لا لطم الخدود وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والتسخط على المقدور.

قال بعض الحكماء: العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم، يريد بذلك ما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» .

وقال الأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا، وإلا سلوت كما تسلو البهائم.

بل يعلم المصاب أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، بل يكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه على مصيبته، فلينظر أي المصيبتين أعظم، مصيبته العاجلة بفوات محبوبه، أو مصيبته بفات بيت الحمد في جنة الخلد؟

و «في الترمذي مرفوعا: يود ناس لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء» .

وليعلم المصاب الجازع، وإن بلغ به الجزع غايته ونهايته، فآخر أمره علىصبر الاضطرار، وهو غير محمود، ولا مثاب عليه، فإنه استسلم للصبر وانقاد إليه على." (٢)

"ثيابهم، ولطم خدودهم، وخمش وجوههم، ونتف شعورهم، والتصفيق بإحدى اليدين على الأخرى، ورفع أصواتهم عند المصيبة.

ولقد حضرت عند شخص، حين فارق الدنيا، وهو من الجند، فحين خرجت روحه، أتوا بجعبة نشاب، فكسروها بمجموعها، واحدة بعد واحدة عليه، وأتوا أيضا بعدة الحرب فرموها عليه، وأنا مع ذلك أعظم وأقول لهم: هذا حرام، نهى الله ورسوله عن ذلك، وهذا فيه إضاعة مال، فقال بعضهم لي: لم يصبك ما أصابنا، فخرجت عنهم، ثم إنهم بعد ذلك ندموا على ما فعلوا من إتلاف ما أتلفوه.

«ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنما الصبر عند الصدمة الأولى» لأن في تلك الحالة هيجان الحزن، واستغراق الذهن، وذهول العقل بما دهمه، وتمكن الشيطان منه، فإن الشيطان . لعنه الله دائما . يتمكن من بني آدم عند ذهول عقلهم: إما

---

(١) تسلية أهل المصائب  المنبجي ص/٢٦

(٢) تسلية أهل المصائب  المنبجي ص/٢٩

بسكر كما وقع في قصة هاروت وماروت، وهي مشهورة حين دعتهما المرأة إل بقتل الولد، أو السجود للصنم، أو شرب القدح من الخمر مرارا، وأنهما شربا القدح من المسكر، فلما شربا سكرا، فأتيا كل ما أمرتهما به.

وكذلك ذهول العقل عند العشق، وعند الولاية، وعند كثرة المال، وعند المصيبة، فكل هذه الأمور العارضة للعبد في الغالب يحصل له بها ذهول العقل، فيتمكن الشيطان بها منه.

نسأل الله العافية، ودوام العافية، والثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، «فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل الله في دعائه: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر» الدعاء المشهور.

«وكان يقول: اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك» .

فالثبات في الأمور مطلوب شرعا، كما أن العبد نهي عن الأمور المذمومة من اللجاج والطيش، والعجلة والحدة، وافتقاد الحزن، وغير ذلك من الأمور المذمومة التي لا أحصيها عددا.

ويحا لمن يقدم على الله تعالى مع هذه الأمور المذمومة التي نهى الشرع عنها، غير تائب منها، معتمدا على صومه وصلاته وحجه وعبادته، وهومع ذلك فرح مستبشر، كأنه قد جاز الصراط، وأعطي البراءة، وجاءه البشير من الله تعالى بالفوز والخلاص! ويحا لمن يعتز بأعماله الظاهرة، وباطنه مثل المزابل! نسأل الله تعالى حسن التوفيق.." (١)

"أحدها: لأنه حي كما فصل تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ .

الثاني: لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة.

الثالث: لأن الملائكة تشهده.

الرابع: لقيامه بشهادة الحق حتى قتل.

الخامس: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل.

السادس: لأنه شهد لله بالوجود والإلهية بالفعل لما شهد غيره بالقول.

السابع: لسقوطه بالأرض وهي الشاهد له.

الثامن: لأنه شهد له بوجوب الجنة.

التاسع: من أجل شاهده وهو دمه.

العاشر: لأنه شهد له بالإيمان وحسن الخاتمة.

فهذه عشر أقوال، من أماكن متفرقة، جمعت إليك رخيصة الأثمان، فهذه الأقوال في المخلص الذي قصد بجهاده وجه الله تعالى، والدار الآخرة، فإنه سبحانه وتعالى، إذا علم قصد العبد وإخلاصه، أعانه وأغاثه، قال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي، في **جزء الثبات عند** الممات، في هذا المعنى، عن علي بن الموفق، قال: سمعت حاتم الأصم يقول: لقينا الترك وكان بيننا جولة، فرماني تركي بسهم فقلبني عن فرسي، فنزل عن دابته، فقعدعلى صدري، وأخذ بلحيتي، وأخرج من خفه سكينا ليذبحني، فوحق سيدي، ما كان قلبي عنده، ولا عند سكينه، وإنما كان قلبي

---

(١) تسلية أهل المصائب  المنبجي ص/١٦٤

عند سيدي، أنظر ماذا ينزل القضاء منه، فقلت: سيدي، قضيت علي أن يذبحني هذا؟ فعلى الرأس والعين، إنما أنا لك وملكك، فبينما أنا كذلك، وهو قاعد على صدري، إذا رماه بعض المسلمين بسهم،." (١)

"الدنيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: "يا فلان إنك تبني وتهدم" . يعني تعمل الحسنات والسيئات . فقال يا رسول الله: سوف أبني ولا أهدم:

خذ في جد فقد تولى العمر ... كم ذا التفريط فقد تدانى الأمر

أقبل فعسى يقبل منك العذر ... كم تبني كم تنقض كم ذا العذر

علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها وعلامة ردها أن توصل بمعصية ما أحسن الحسنة بعد الحسنة وأقبح السيئة بعد الحسنة ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها النكسة أصعب من المرض الأول ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة ارحموا عزيز قوم بالمعاصي ذل وغني قوم بالذنوب افتقر سلوا الله الثبات إلى الممات وتعوذوا من الحور بعد الكور كان الإمام أحمد يدعو ويقول: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك وكان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم: اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة في بعض الآثار الإلهية يقول الله تبارك وتعالى: أنا العزيز فمن أراد العز فليطع العزيز.

ألا إنما التقوى هي العز والكرم ... وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة ... إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

الحاج إذا كان حجه مبرورا غفر له ولمن استغفر له وشفع فيمن شفع فيه وقد روي: "إن الله تعالى يقول لهم يوم عرفة: أفيضوا مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه" وروى الإمام أحمد بإسناده عن أبي موسى الأشعري قال: إن الحاج ليشفع في أربعمائة بيت من قومه ويبارك في أربعين من أمهات البعير الذي يحمله ويخرج من خطاياه كيوم ولدته أمه فإذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب فذلك يستحب تلقيه والسلام عليه وطلب الإستغفار منه.

وتلقي الحاج مسنون وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل المدينة وإنه قدم من سفر . فسق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة وقد ورد النهي عن ركوب ثلاثة على دابة في حديث مرسل فإن صح: حمل على ركوب ثلاثة رجال فإن الدابة يشق عليها حملها بخلاف رجل وصغيرين وفي المسند وصحيح الحاكم عن عائشة قالت: أقبلنا من مكة في حج أو عمرة فتلقانا غلمان من الأنصار كانوا يتلقون أهاليهم إذا قدموا وكذلك السلام على الحاج إذا قدم ومصافحته وطلب الدعاء منه وفي المسند بإسناد فيه ضعف.." (٢)

"من فاته أن يراك يوما ... فكل أوقاته فوات

وحيثما كنت من بلاد ... فلي إلى وجهك التفات

إليكم هجرتي وقصدي ... وأنتم الموت والحياة

---

(١) تسلية أهل المصائب المنبجي ص/٢٣٠

(٢) لطائف المعارف لابن رجب ابن رجب الحنبلي ص/٦٤

أمنت أن توحشوا فؤادي ... فآنسوا مقتلي ولات

من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها وأحسن منها بعد الحسنة تتلوها وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنبا قبلها النكسة أصعب من الضعفة وربما أهلكت سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات وتعوذوا به من تقلب لقلوب ومن الحور بعد الكور وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة وأوحش منه فقر الطمع بعد غنى القناعة ارحموا عزيز قوم بالمعاصي ذل وغني قوم بالذنوب افتقر.

ترى الحي الأولى بانوا ... على العهد كما كانوا

أم الدهر بهم خانوا ... ودهر المرء خوان

إذا عز بغير الله ... يوما شر هانوا

يا شبان التوبة لاترجعوا إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام فالرضاع إنما يصلح للأطفال لا للرجال ولكن لا بد من الصبر على مرارة الفطام فإن صبرتم تعوضتم عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في القلوب من ترك شيئا لله لم يجد فقده عوضه الله خيرا منه: ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم﴾ [الأنفال: ٧٠] وفي الحديث: "النظر سهم مسموم من سهام إبليس من تركه من خوف الله أعطاه إيمانا يجد حلاوته في قلبه" خرجه الإمام أحمد وهذا الخطاب للشباب فأما الشيخ إذا عاود المعاصي بعد انقضاء رمضان فهو أقبح وأقبح لأن الشباب يؤمل معاودة التوبة في آخر عمره وهو مخاطر فإن الموت قد يعاجله وقد يطرقه بغتة وأما الشيخ فقد شارف مركبه على ساحل بحر المنون فماذا يؤمل.

نعى لك ظل الشباب المشيب ... ونادتك باسم سواك الخطوب

فكن مستعدا لداعي الفناء ... فكل الذي هو آت قريب

...." (١)

"الأربعين، قال: احفظا وخففا ".

وكان أبو سنان يقول: " الآن كبر السن، ووهن العظم، ووقع التحفظ ". قلا يزال يبكي حتى يغشى عليه.

وكان أبو عبيدة الخواص رضي الله عنه يقول في مناجاته: " قد كبر سني، وضعف جسمي،. ووهن العظم مني فاعتقني ".

وأنشد يقول:

طال اشتياقي وطال في الرجا فكري ... والليل ماض ولم يقض به وطري

الله أعلم أني لا أحب بقا ... في هذه الدار فانقلني إلى حضري

قال أحمد بن حرب رضي الله عنه: " عجبت لمن يعلم أن الجنة تزين فوقه، والنار تضرم تحته، كيف ينام بينهما ".

وقيل في المعنى شعر:

يا كثير الرقاد والغفلات ... كثرة النوم تورث الحسرات

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ابن رجب الحنبلي ص/٢٢٤

إن في القبر إذ نزلت إليه ... لرقادا يطول بعد الممات

**أأمنت الثبات من** ملك المو ... ت أم أنادي مناد بالبينات

لقاء الأرواح المؤمنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أن أرواحكم تعرض على موتاكم، فإذا مات الميت استقبلوه كما تستقيل البشارة بالجنة، ثم يقولون دعوه حتى يسكن روعه، فإنه كان في كرب وغم، ثم يسألونه عن الرجل فإذا كأن خيرا حمدوا الله تعالى واستبشروا له، وإذا قالوا عن إنسان مات قبله "، قال: إنه مات قبلي، فما مر بكم؟ فيقولون: والله ما مر بنا، وذهب إلى أمه الهاوية، إنا لله وإنا إليه راجعون ".." (١)

"الثالث: قبول كل أحد فيه على ما هو عليه، وتقريره على ما هو به من حسن أو قبح، دون انتقال إلى خلافه، سوى صورة طريقهم الذي غالب أمره بدعة، وما كان منه سنة، قد تركوا به ما هو آكد منه، وهو إلزام التقوى بترك الغيبة والريبة والكذب والخيانة إلى غير ذلك من أمور الدين التي لا يعرجون عليها.

الرابع: اعتقادهم أن التوبة لا تصح إلا بمتوب (١)، ولا تكمل إلا بشيخ، وإنه لا يصح أن يكون إلا من خرقتهم (٢) وإن كان من غيرهم، فإما أن يسلموه على استنقاص وإما أن يطعنوا فيه، وهو شيء خارج عن الحق، فيرحم الله الشيخ أبا العباس بن الحسن نزيل تلمسان، حين جاءه بعض أصحابنا ليتوب على يديه فقال: إذا جاءتك التوبة فلا تتوقف علي، بل لا تأتيني إلا بعد تحصيلها إما طلبا للدعاء بالثبات، وإما لتعلم لوازمها، فكف.

الخامس: اعتقادهم أن الشيخ كاف عن العمل، والعمل لا يصح بعد العهد إلا بالشيخ، وهو أمر فاسد للبطالة في الأول، ولمخالفته الحق في الأمر الثاني، فقد جاء رجل لسيدي عبد السلام بن مشيش (٣) (ض)، فقال له: أريد أن أستأذنك في مجاهدة نفسي، فأجابه بقوله تعالى: ﴿لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ (٤) فالتوبة لا تحتاج إلى متوب والمجاهدة لا تحتاج لإذن، لكن لمذكر حتى يقع الندم، ثم لمعلم حتى يعرف الحق، ثم لمعين حتى يحصل الثبات، وهو كمال لا شرط، والله أعلم.

---

(١) أي: شيخ يتوب على يديه.

(٢) لعل المعنى: ممن ليس خرقتهم.

(٣) عبد السلام بن سليمان بن ملك، ملقب مشيش، أحد أقطاب التصوف (ت ٦٢٢ هـ) جامع كرامات الأولياء ٢/

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ابن الجزري ص/١١١

.١٦٧

(٤) النور ٤٤، ٤٥.." (١)

"التخلص إن ألقى خلافه، حتى لا يعمل بمنكر ولا يستظهر بمخالفة، ويقابله كمال النصيحة، والاهتمام بالوارد والصادر من أحوالك عليه، لأنك مطروح بين يديه.

الثاني: حفظ الحرمة في الشهادة والمغيب، بأن تخدمه ولا تبالي، وتعادي لأجله وتوالي، ويقابله بذل المجهود في تحصيل المنافع العينية والغيبية، بأن لا يدخر (١) عليك مالا ولا جاها، ولا حالا ولا همة ولا غير ذلك، ليكون لك كما أنك له، فيلحظك بهمته، ويعينك بدعوته، ويؤيدك بعزمته، ولا يدع منك عورة إلا سترها، ولا خلة إلا سدها، ولا حسنة إلا عدها، إلى غير ذلك فافهم.

الثالث: حصر الأمر في جهته لكل مهم دنيا ودينا، فهو وسيلتك إلى الحضرة المحمدية، علما وعملا وحالا، وهي وسيلته إلى الله تعالى، فتمسك به بكلك، يكن لك بكله حتى يريح الحق تعالى خاطره من التهمم بك، بقضاء حاجته فيك، وهذا معنى قولنا: خاطرك، أي ليكن على بالك، لعل الحق ينظر إلى قلبك فيريحك منه، وكذا (كل) (٢) شيء لله إذا قصد به الطلب، والله أعلم.

الرابع: أن تراعي أحواله معك فلا تتعدى أدبا في محله، والحالات أربعة؛ حالة يعاملك فيها بالأبوة (٣) من التأديب والتدريب والتهذيب، وحقك فيها الرضى والقبول، وحالة يعاملك فيها بالأخوة من النصح والمعاضدة، وهو مقام التوبة والتقوى، وحقه عليك الثبات على العهد ولزوم العمل بالقصد، وحالة يعاملك فيها بالأبوة من الذب عن عرضك ومالك ومروءتك

---

(١) في ت ١: بأن لا يدخل.

(٢) في هامش النسخة خ: (لعل لفظة - كل - سقطت بين كذا وشيء وليحرر) والعبارة المشهورة عندهم قول الشيء لله كما يأتي في فصل ٩١ بدون لفظ كل.

(٣) لعل الصواب (بالبنوة) كما ورد في هامش النسخة خ، ولأن التمثيل بالأبوة يأتي فيما بعد.." (٢)

"١٥ -

(وإذا حاولت نهايتها ... فاحذر إذ ذاك من العرج)

وإذا حاولت أي طلبت نهايتها أي الأبواب أو الهدى فإنه يذكر ويؤنث ولأنه بمعنى الخزانة والمعنى إذ طلبت الانتقال إلى مقام أو حال فاحذر إذ ذاك من العرج أي فالتزم فيه حسن الأدب من الثبات عليه وموافقة مراد الله تعالى ولا تختر الانتقال عنه حتى ينقلك الله إلى ما هو أرفع منه فإن تشوقت إلى الانتقال بنفسك لتبلغ الغاية فقد بلغت غاية الجهل بربك وأسأت

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٢٧

(٢) عدة المريد الصادق زروق ص/٢٠١

الأدب في حقه ولا تصل إلى مطلوبك فكن كما قال ابن عطاء الله كن عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وولاية وعزلا وغنا وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وفناء وبقاء إلى غير ذلك من مختلفات الآثار وتنقلات الأغيار وكنى عن عدم الوصول بالعرج أو شبه به عدم دوام الاستقامة لأن كلا منهما لا يوصل معه إلى مقصد قريبا أو لا يوصل إليه البتة وتضمن كلامه مع ذكر التحذير من حظوظ النفس ومن التحذير." (١)

"بأن يخرج عن الاعتدال يعني أنه إذا لم يكن النطق في درجة الاعتدال يكون مقهورا تحت الغضب والشهوة فما دام الحكم والتصرف في أيديهما تفوت الأوساط الشريفة وتحصل الأطراف الرذيلة ويتبعها سائر المذمومة (والأطراف) الستة (مطلقا) سواء مع شوب غرض فاسد أو لا (والأوساط المشوب بها غرض فاسد رذائل) كالرياء والسمعة والحسد أما المشوب بالحكمة فكمن يتعلمها لمجاراة العلماء ومماراة السفهاء، وأما في الشجاعة فكمن يريها للجهاد والصلاة وغيرهما، وأما في العفة فكمن يترك اللذة ويقصد اعتياضا عنها جاها في الدنيا فهذه رذائل لما فيها من شائبة الغرض الفاسد، ثم اعلم أن لكل فضيلة من هذه الثلاث آثارا كثيرة.

(فللحكمة سبع شعب) الأول صفاء الذهن هو استعداد النفس لاستخراج المطلوب بلا وجدان اضطراب يمنع الوصول من المقدمات إليه الثاني جودة الفهم هي صحة انتقال الذهن من تصور الملزوم إلى تصور اللازم الثالث الذكاء هو سرعة انتقال الذهن من المقدمات إلى النتيجة هذا أخص من الثاني، وهو من الأول فإن الأول: يعني الاستعداد مرتبة العقل الهيولاني.

والثاني: يعني الانتقال مرتبة العقل بالملكة

والثالث: يعني سرعة الانتقال قريب لمرتبة العقل بالفعل.

الرابع: حسن التصور هو البحث عن حقائق الأشياء بقدر ما هي عليه بلا إدخال زائد بلا إهمال داخل.

الخامس: سهولة التعلم هي قوة للنفس على درك المطلوب بلا زيادة سعي ومئونة كلفة.

السادس: الحفظ هو ضبط الصور المدركة الحاصل بالاكتساب.

السابع: الذكر بالضم استحضار الأمور المضبوطة والنسب غير خافية (وللشجاعة إحدى عشرة)

الأول: كبر النفس هو استحقار اليسار والفقر والكبر والصغر.

الثاني: عظم التهمة هو عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها.

الثالث: الصبر هو قوة مقاومة للآلام والأهوال.

الرابع: النجدة عدم الجزع من المخاوف مع ملكة الثبات للنفس.

الخامس: الحلم هو الطمأنينة عند ثورة الغضب.

السادس: السكون هو التأني في الخصومات والمعاملات.

السابع: التواضع هو استعظام ذوي الفضائل، ومن دونه في المال والجاه بعد نفسه دون مراتبهم.

---

(١) المنفرجتان الأنصاري، زكريا ص/٧٧

الثامن: الشهامة هي الحرص على مباشرة أمور عظيمة.

التاسع: الاحتمال هو إتعاب النفس في الحسنات.

العاشر: الحمية هي المحافظة على الحرام والدين.

الحادي عشر: الرقة هي التأذي من أذى يلحق الغير.

(وللعفة إحدى عشرة أيضا الأول) الحياء انحصار النفس عن ارتكاب القبائح شرعية أو عقلية أو عرفية.

الثاني: الصبر هو حبس النفس عن متابعة الهوى.

الثالث: الدعة هي السكون عند هيجان الشهوة.

الرابع: النزاهة هي اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم، وإنفاقه في المصارف الحميدة فمع المهانة تفريط، ومع الظلم إفراط.

الخامس: القناعة هي الاقتصار على الكفاف بمعنى تسوية المدخل والمصرف.

السادس: الوقار هو التأني في التوجه نحو المطالب.

السابع: الرفق هو حسن الانقياد.

الثامن: حسن السمت هو محبة ما يكمل النفس.

التاسع: الورع هو ملازمة الأعمال الحميدة بموافقة الشرع والعرف والمروءة.

العاشر: الانتظام هو تقرير الأمور وترتيبها بحسب المصالح.

الحادي عشر: السخاء إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي.

(وتحت هذا السخاء ست فضائل الأول) الكرم الإعطاء بالسهولة وطيب النفس.

الثاني: الإيثار ترجيح الغير على حاجة نفسه.

الثالث: النيل الإعطاء مع السرور.

الرابع: المواساة مشاركة الأصدقاء في الانتفاع في البذل.

الخامس: السماحة البذل تفضلا بلا وجوب عليه ولا توقع مجازاة

السادس: المسامحة ترك ما لا يجب تركه تنزها وزاد بعضهم المروءة هي رغبة صادقة للنفس في الإفادة بقدر ما يمكن والعفو هو ترك المجازاة مع القدرة، ثم العدالة كيفية متوسطة حادثة من مجموع الحكمة والشجاعة والعفة وقيل بمغايرتها واستدل بأن شعب العدالة مغايرة لشعب هذه الثلاثة فإن شعبها." (١)

"خوف ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة) قيل من الخواطر ما يعرض من جهة المزاج ميلا إلى ما يوافق فهذا إذا تمكن سمي شهوة وضده نفرة ومنه ما يعرض لنيل رتبة فإذا تمكن سمي همة ومنه ما يعرض باعثا على الفعل القبيح فإذا تمكن سمي سيئة ومنه ما يعرض باستعجال اللقاء فإذا تمكن سمي شوقا ومنه ما يعرض بتثبيت حكم أو شيء على ما هو عليه فإذا

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٣٦/٢

تمكن سمي علما وإن مترددا سمي شكا فإن عرض بذكر ما لا حقيقة له على **سبيل الثبات سمي** جهلا ولجميع الأخلاق والخصال خواطر متى تمكنت سميت بأسماء تخصها

والدليل على أن من الخاطر ما يكون من الملك وما يكون من الشيطان ما خرج (س ت) النسائي والترمذي (عن ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – عن النبي – عليه الصلاة والسلام – أنه قال «في القلب لمتان» تثنية لمة بالفتح من الإلمام وهو القرب وقيل بمعنى المس «لمة من الملك بإيعاد» على زنة إفعال «بالخير» في المناوي عن القاضي وإن اختص بالشر عرفا يقال أوعده إذا وعده ويمكن أن يكون للمشاكلة لما بعده؛ لأنها لا تختص بما قبلها وإن كثر فيه أو للأمن من الاشتباه بذكر الخير «وتصديق بالحق» فإن الملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده ومن الناس من يكون زمنه نهارا كله وآخر بضده «ولمة من العدو» أي الشيطان «بإيعاد بالشر» مما يؤدي إلى كل ما فيه خطر إلى ترك الفاضل بإراءة المفضول «وتكذيب بالحق ونهي عن الخير» كعقائد أهل البدع.
قال في الفيض الملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف.
والشيطان عبارة عن خلق شأنه الوعيد بالشر والأمر بالفحشاء والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فرحم الله امرأ وقف عند همه فما كان من الله – تعالى – أمضاه وما كان من عدوه جاهده والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة والشياطين متساويا لكن يترجح أحدهما باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها (دنيا) ابن أبي الدنيا (عن أنس – رضي الله عنه –) قيل عن التيمي فيه عدي بن عمار وهو ضعيف وأنت تعلم أن ضعفه لا يضر باحتجاجنا هنا (أنه – عليه الصلاة والسلام – قال «إن الشيطان واضع خرطومه» كزنبور الأنف أو مقدمه أو ما ضممت عليه الحنكين، كما نقل عن القاموس لكن في الجامع الصغير بهذه الرواية وعن هذا المخرج واضع خطمه وفسر أي فمه وأنفه والخطم من الطير منقاره ومن الدابة مقدم أنفها وفمها «على قلب ابن آدم فإن» وفي بعض النسخ فإذا ( «ذكر الله تعالى خنس» تأخر وانقبض ( «وإن نسي الله تعالى التقم قلبه» يجعل قلبه لقمة في فمه.
قال في الفيض فبعد الشيطان من الإنسان على قدر ذكره والناس فيه يتفاوتون قال أبو سعيد الخراز رأيت إبليس فأخذ عني ناحية، فقلت تعال، فقال أي شيء أعمل بكم لزمتم الذكر وطرحتم ما أخادع به قلت ما هو قال الدنيا فولى ثم التفت وقال بقي لي فيكم لطيفة هي السماع وصحبة الأشرار
قال الغزالي مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله وقال الحكيم قد أعطي الشيطان وجنده السبيل إلى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعا في غواية فهو يهيج النفوس إلى تلك الزينة تهييجا يزعزع أركان البدن ويستفز القلب حتى يزعجه عن مقره ولا يعتصم بشيء أوثق من الذكر؛ لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار فاشتعل الصدر بنار." (١)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢/١٣٩

"(في غير محله) المشروع (والخور) بفتح المعجمة أي الضعف (والسكوت عند مشاهدة المنكرات) ويورث أيضا سوء العيش وطمع كل أحد في ماله **وقلة الثبات في** الأمور وارتكاب ما يوجب التوبيخ والتعطل في الأمور المهمة، وليس ذلك من الحياء الممدوح (قال الله تعالى) في سورة التوبة محرضا على الشجاعة ﴿وليجدوا﴾ [التوبة: ١٢٣] أي الكفار ﴿فيكم غلظة﴾ [التوبة: ١٢٣] أي شدة في القتال وصبرا.

وفي سورة النور - ﴿ولا تأخذكم بهما﴾ [النور: ٢] أي الزاني والزانية ﴿رأفة﴾ [النور: ٢] شفقة ومرحمة ﴿في دين الله﴾ [النور: ٢] في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه وقال - صلى الله تعالى عليه وسلم - «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» . وفي سورة محمد ﴿أشداء على الكفار﴾ [الفتح: ٢٩] أي أصحابه - عليه الصلاة والسلام - يعني يظهرون الشدة والمهابة والصلابة لمن خالف دينهم. لا يخفى أن المذاهب عندنا كون الاعتبار بعموم الصيغة لا بخصوص السبب ولا يبعد المقايسة أيضا فتأمل. وأيضا قال تعالى لحبيبه - عليه الصلاة والسلام - ﴿واغلظ عليهم﴾ [التوبة: ٧٣]- أي على الكفار والمنافقين والغلظة هي الشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب (هق) البيهقي (طس) الطبراني في الأوسط (عن علي - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - أنه قال «خير أمتي أحداؤها» أي من كان كالحديد في الصلابة فيما يخالف الشرع وسعى في رده وإبطاله. وفي حديث الجامع الصغير الحدة تعتري خيار أمتي وفسر هنا بالصلابة في الدين وفيه أيضا الحدة لا تكون ألا في صالحي أمتي وأبرارها الحديث.

وفيه أيضا «خيار أمتي أحداؤهم إذا غضبوا رجعوا» (وقد مر ما ورد في الغيرة فينبغي) للجبان (أن يعالج نفسه) لتنفر عنها (بإيقاعه) وفي بعض النسخ بإيقاعها وهو الظاهر (فيما يخاف ويفر منه) من المخاوف والمعارك، وذكر وجوب الموت وعدم نفع الحذر عند نزول القدر؛ لأنه لا ينفع حذر من قدر قال الله تعالى ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ [النساء: ٧٨] لكن بشرط عدم إيقاع التهلكة كالمرور منفردا في الطريق المهلكة وكذا البيتوتة. (بتكلف مرة بعد أخرى) حتى يحصل له ملكة يقتدر بها على الإقدام على ما يسوغ الشرع الإقدام (وإسماعها) أي نفسه (غوائل الجبن) لتنفر منه (وفوائد الشجاعة) لتتشوق إليها (وتذكيرها كرارا أو مرارا) مرة بعد أخرى الأولى وتذكرها (حتى يزول) جبنه (ويقوى غضبه) المرغوب (وإفراطه) أي إفراط الغضب عطف على تفريطه (وزيادته وغلبته وسرعته وشدته المسمى بالتهور وهو) أي التهور (العشرون) من آفات القلب ويثمر الحدة والعنف (وضده) أي التهور (الحلم وهو ملكة الطمأنينة) أي كيفية راسخة في النفس باعثة على الطمأنينة والسكون." (١)

"(وعدم فهم مراد المتكلم) من كلامه بأن يريد من كلامه معنى مجازيا وهو يفهم الحقيقة لخفاء قرينته أو معنى حقيقيا وهو مشهور في المجازي أو مشترك بتزاحم المعاني (فعلى المتكلم التبيين والتفسير) بشرائط التعريف اللفظي أو لا يتكلم ابتداء بكلام يوهم المخاطب غير المعنى المقصود وذلك قوله (والاحتراز عن الإجمال في كلامه) الظاهر ليس ما في مصطلح الأصول من مقابلة المشكل والخفي بل ما يشمل الكل بل المشترك أيضا وأما المتشابه فلا يقع في كلام غير الشارع إلا أن يكون على طريق الاقتباس أو بلفظ آية أو سنة شاملة للمتشابه كما في كلم الناس على قدر عقولهم واتقوا مواضع التهم في كلامه

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢٧٠/٢

(واحتمال الأذى) من جانب المخاطب قال في الشرعة وشرائط الأمر بالمعروف ثلاثة صحة النية من إعلاء كلمة الدين وكلمة الله تعالى، والثاني معرفة الحجة، والثالث الصبر على ما يصيبه من المكروه. قال في نصاب الاحتساب ويجب فيه ثلاث خصال: رفق قال الله تعالى ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [آل عمران: ١٥٩]- فإن الغلظة لا تزيد إلا فسادا، وحلم في ذلك عما يقال له من المكروه وفقه لئلا يصير أمره بالمعروف منكرا وينبغي أن يشاور أصحابه فيما أشكل عليه كما سأل عمر عبد الرحمن بن عوف، ومجانبة التجسس وروي نحو هذا أن عمر - رضي الله تعالى عنه -كان يعس ليلة مع ابن مسعود - رضي الله عنهما - فاطلع من خلل باب فإذا شيخ بين يديه شراب وقينة تغنيه فتسور عليه، فقال ما أقبح شيخا مثلك يكون على مثل هذا الحال فقام إليه الرجل وقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله إلا ما أنصفتني حتى أتكلم قال قل قال إن كنت عصيت الله واحدة فقد عصيت أنت في ثلاث قال ما هن قال تجسست وقد نهاك الله عنه وقال ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢] وتسورت وقد قال الله تعالى عز وجل - ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ [البقرة: ١٨٩] إلى ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ [البقرة: ١٨٩]- ودخلت بغير إذن وقد قال الله تعالى ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ [النور: ٢٧] ، فقال عمر - رضي الله عنه - صدقت فهل أنت عاف لي، فقال غفر الله لك فخرج عمر وهو يبكي ويقول ويل لعمر إن لم يغفر الله له يجد الرجل يختفي بهذا عن أهله وولده والآن يقول رأى أمير المؤمنين أن لا يتجسس ولا يتسور ولا يدخل بيتا بلا إذن (وعلى السامع التثبت) **أي الثبات** (والتأمل) في الكلام قال الله تعالى في الحجرات - ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ﴾ [الحجرات: ٦] . أي بخبر كذب. ﴿فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات: ٦]- (وحسن الظن بالمؤمنين) فلا يحمل كلامه على وجه قبيح، وقد أمكن حمله على وجه حسن. وعن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - لا تظن بكلمة خرجت من في أخيك سوءا وإن لم تجد في الخير محملا ثم ظاهره الإطلاق لكن قال في الفيض بصلحاء المسلمين وفي حديث حسن الظن من حسن العبادة وقال يعني اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادة. وقد قيل أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه ولا يثق به أحد لسوء فعله وقد بلغ حسن الظن عند بعضهم إلى أن يجد الجلاد الذي يضرب الرقاب ويعذب أخف حسابا منه يوم القيامة وأقرب إلى رضا الله تعالى عنه (وإن اشتبه) مراد المتكلم بعد التأمل يعني يجتهد أولا لتأويل كلامه بمحمل حسن ولو باحتمال ضعيف أو قليل من المجاز والكناية والاستعارة أو حقيقة مقابلة مجاز مشهور ونحوها (فعليه الاستفسار) أي يسأله عن مراده من كلامه (لا العجلة وسوء الظن) فإنه مذموم فلعل له محملا صحيحا وأنت لم تطلع عليه قال في الدرر والبزازية إذا كان في المسألة وجوه توجب الإكفار ووجه واحد يمنعه يميل العالم إلى ما يمنعه ولا يرجح الوجوه على الواحد؛ لأن الترجيح لا يقع بكثرة الأدلة. وفي نحو هذا قال الشاعر

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

قال في تبيين المحارم إن من أعظم مداخل الشيطان في القلب سوء الظن وهو حرام لآية - ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ [الحجرات: ١٢]- الآية ولحديث «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» وفي الإحياء وكما يجب." (١)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢٧٩/٢

"«وخلق خلقا يذنبون» ليتحقق مظهر صفة الغفران «فيغفر لهم»

قال في المبارق ليس هذا تحريضا للناس على الذنوب بل كان صدوره لتسلية الصحابة وإزالة شدة الخوف عنهم لأن الخوف كان غالبا عليهم حتى فر بعضهم إلى رءوس الجبال للعبادة وبعضهم اعتزل النساء وبعضهم النوم وفي الحديث تنبيه على رجاء مغفرة الله تعالى عز وجل وتحقيق أن ما ثبت في علمه كائن لا محالة لأنه سبق في علمه أن يغفر للعاصي فلو قدر عدم عاص يخلق الله تعالى من يعصيه فيغفر له وروي عن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - أنه قال «قال تعالى عز وجل لو علم عبدي أني لذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئا» انتهى قوله لتسلية الصحابة لا ينافي كون الأمر كذلك في الواقع وإلا فلا كذب للنبي - عليه الصلاة والسلام -.

فإن قيل هذا من قبيل تعليق المحال بالمحال لأن كون المذنب في علمه تعالى وإرادته وخبره يجعل تخلفه محالا قلنا نعم لكن ليس محالا بالذات بل بالغير فيجتمع مع الممكن الذاتي فافهم والحاصل أنه لا بد من الذنوب لئلا يتعطل كثير من صفاته تعالى كالعفو والمغفرة والانتقام والغضب واعلم أنه كما أشير آنفا أن انتظار المغفرة إنما يسمى رجاء إذا تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد من بث بذر الإيمان وسقيه بماء الطاعات وتطهير القلب من شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله **تعالى الثبات عليه** إلى الموت وحسن الخاتمة عند الموت كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه وإن خالف ما ذكر من الشرائط ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور كيف وقد قيل في حاصل معنى الحديث أنه تعالى كما أحب أن يحسن إلى المحسن أحب أن يتجاوز عن المسيء.

[الخامس والأربعون الحزن في أمر الدنيا]

(الخامس والأربعون الحزن في أمر الدنيا وهو التوجع والتأسف على ما فات من النعم الدنيوية)

التي غرت كثيرا من أهل الحماقة والجهل مع أنها سموم قاتلة وعورات بادية وفضائح مردية وقبائح مهلكة تعلمها العقلاء وتغفل عنها الجهلاء إذ هي حظوظ نفسانية وأعراض شهوانية حيث لم يتيسر له مراده من ذلك (ويلزمه الفرح بإتيانها وإقبالها وكثرتها ومنشؤه) أي الحزن المذكور." (١)

"خمود والوسط عفة فالخمود ملكة يقص بها الإنسان عن استيفاء ما ينبغي من المشتهيات كالعنين يقال خمدت النار إذا سكن لهبها (فإن كان متأهلا) يحتاج إلى الجماع (أو به مرض في المعدة فعلاجه بالطب) ونحوه من الأمور المجربة فافهم (وإلا) إن لم يكن متأهلا أو لم يكن به مرض (فلا يحتاج إلى العلاج فقد كفى) الخمود (مئونتهما) أي الطعام والجماع لضعف داعيتهما (ونجا من غوائلهما) أي التأهل والمرض أو مفاسدهما والمؤمن القليل المؤنة خير من المؤمن الكثير المؤنة (وأما تفاسير هذه الأشياء فقد سبقت) في تفسير الخلق وبيان منشئه

[الستون آخر الأخلاق الذميمة]

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١١٣/٣

(الستون) آخر الأخلاق الذميمة (الإصرار على المعاصي والمناهي) الظاهر غير ما ذكر هاهنا أو شامل لها إذ صدور شيء مغاير لإصراره (وهو) أي الإصرار (دوام قصد المعاصي والمناهي ولو صدرت منه أحيانا أو مرة) وقد عرفت مما سبق أن القصد سيما هنا لا يشمل الهمة واللمة والخطرة بل المراد ما يشمل النية والإرادة والعزيمة فإن المؤاخذة في القسم الأخير لا الأول قيل هنا وأما إذا لم تصدر أصلا فعند المصنف والشيخ أكمل الدين لا يكون إصرارا بخلاف الغزالي كما مر فتأمل (ولو تخلل الندامة) بينهما (والرجوع) عنها (فليس بإصرار ولو صدرت في يوم واحد سبعين مرة هكذا ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم –) في الحديث الذي خرجه أبو داود والترمذي على رواية أبي بكر – رضي الله تعالى عنه – «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة» قال في المناوي فإن رحمته لا نهاية لها ولا غاية فذنوب العالم كلها متلاشية عند حلمه وعفوه إذ لو بلغت ذنوب العبد إلى الغاية ثم استقال منها بالاستغفار غفرت له لأنه طلب الإقالة من كريم والكريم محل الإقالة لكن بشرط مقارنة عدم الإصرار الذي هو توبة نصوح وأما مع الإصرار فمجرد ادعاء.

قال الغزالي فإن قلت كيف نفع الاستغفار من غير حل عقدة الإصرار وفي خبر «المستغفر من ذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ» وبعضهم يقول أستغفر الله من قولي أستغفر الله والاستغفار بمجرد اللسان توبة الكذابين قلت هو ما يكون باللسان بدون تواطؤ القلب كما يقال بحكم العادة ولا جدوى له فإن أضاف له تضرع القلب وابتهاله فحسنة في نفسها دافعة للسيئة وعليه يحمل هذا الخبر وللتوبة درجات أوائلها لا تخلو عن فائدة وإن لم ينته إلى أخرها ولذاك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من الرجوع إلى مولاه فأحسن أحواله الرجوع إليه في كل شيء فإن عصى قال يا رب استر علي فإن فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فإذا تاب قال يا رب اعصمني فإذا عمل قال تقبل مني.
وسئل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الإجابة ثم الإنابة التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ويستغفر من تقصيره ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ثم انتقل إلى الانفراد **ثم الثبات ثم** البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم المحادثة وهو الخلة ولا يستقيم هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاء والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم الله تعالى يرفعه إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش والحاصل أن للتكفير درجات فبعضها محو للذنب بالكلية وبعضها مخفف بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل درجات الاستغفار ولا يخلو عن فائدة فلا ينبغي أن يظن أن وجودها كعدمها.
قال أقول الاستغفار باللسان فقط حسنة أيضا إذ حركة اللسان به عن غفلة خير من حركته في تلك الساعة بغيبة أو فضول بل خير من السكوت قيل لأبي عثمان المغربي لساني يحرك بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله الذي استعمل جارحة من جوارحك وعوده الذكر لا الفضول انتهى كلام المناوي.
قال علي القاري في مقدمة حزبه الأعظم فعليك حفظ مبانيه والتأمل في معانيه فقيل ظاهره لا ثواب." (١)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٣٦/٣

"النفس مع القدرة) على الانتقام.

(الثالث عظم الهمة عدم المبالاة) أي الاهتمام (بسعادة الدنيا وشقاوتها) بل همته أداء حق المولى سبحانه وتعالى.

(الرابع الصبر) هو قوة مقاومة الآلام والأهوال.

(الخامس النجدة عدم الجزع عند المخاوف) ولا بد فيه من حصول **ملكة الثبات حتى** لا يعتريه الجزع عند المهالك ولا يصدر عنه الأفعال الغير المنتظمة.

(السادس الحلم الطمأنينة عند ثورة الغضب) أي شدته.

(السابع السكون) وهو (التأني في الخصومات) مع الخصماء (والحروب) مع الأعداء.

(الثامن التواضع استعظام ذوي الفضائل ومن دونه) في المرتبة وتنزيل منزلته دون منازلهم (وفي المال والجاه التاسع الشهامة) هي (الحرص على ما) أي على مباشرة أمور عظيمة (يوجب الذكر الجميل) لنعته فيه (من العظائم العاشر الاحتمال إتعاب النفس في الحسنات الحادي عشر) من شعب الشجاعة (الحمية) وهي (المحافظة على الحرم والدين من التهمة) فوقى صاحبها أهله مواطن التهمة (وثاني عشرها) من شعبها (الرقة) وهي (التأذي من أذى يلحق الغير مطلقا وشعب العفة اثنتا عشرة: أحدها الحياء) وهو (انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح) قبيحا شرعيا أو عقليا أو عرفيا إما ما يستحق العقاب عليه أو ما لا يلائم الطبع أو ما يذم فاعله ويقال لمباشر الأول العاشق والثاني المجنون والثالث الأبله ولا شك أن صاحب الحياء يصان عن هذه الألقاب.

(الثاني الصبر حبس النفس عن متابعة الهوى) وهو غير الصبر الذي هو من شعب الشجاعة فإنه هنالك مدافعة حلول الآلام والأهوال بالنفس وهاهنا مدافعة النفس عن متابعة الهوى ولا بد فيهما من قوة المقاومة.

(الثالث الدعة) وهي (السكون عند هيجان الشهوة) ولا بد من حصول ملكة التثبت.

(الرابع النزاهة) وهي (اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم وإنفاقه في المصارف الحميدة) بمعنى طيب المدخل والمصرف.

(الخامس القناعة) وهي (الاقتصار على الكفاف) بمعنى تسوية المدخل مع المخرج.

(السادس الوقار) وهو (التأني في التوجه نحو المطلب) وأشير إليه بقوله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «التأني من الرحمن» والعجلة بضد ذلك.

(السابع الرفق حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل الثامن حسن السمت محبة ما يكمل النفوس." (١)

"معنى السخيمة هنا وقد ترد بمعنى آخر كما في حديث من سل سخية في طريق المسلمين فعليه لعنة الله فإن المراد بها هناك الغائط //

(اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر وأسألك عزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب (ت. حب))

// الحديث أخرجه الترمذي وابن حبان كما قال المصنف رحمه الله وهو من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال كان

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٥٢/٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر الحديث الخ وأخرجه أيضا من حديثه النسائي والحاكم وزاد وخلقا مستقيما وقال صحيح على شرط مسلم وصححه أيضا ابن حبان فلا وجه لما قاله العراقي أنه منقطع وضعيف بعد تصحيح هذين الإمامين له سأله سأل النبي صلى الله عليه وسلم **ربه الثبات في** الأمر وهي صيغة عامة يندرج تحتها كل أمر من الأمور وإذا **وقع الثبات في** كل أموره أجرها على فلا يخشى من عاقبتها ولا تعود عليه بضرر وسأله عزيمة الرشد وهي الجد في الأمر بحيث ينجز كل ما هو رشد من أموره والرشد بضم الراء المهملة وإسكان الشين المعجمة هو الصلاح والفلاح والصواب ثم سأله شكر نعمته وحسن عبادته لأن شكر النعمة يوجب مزيدها واستمرارها على العبد فلا تنزع منه وحسن العبادة يوجب الفوز بسعادة الدنيا والآخرة وسأله اللسان الصادق لأن الصدق هو ملاك الخير كله وسأله سلامة القلب لأن من كان كذلك يسلم عن الحقد والغل والغدر والخيانة ونحو ذلك وسأله أن يعيذه من شر ما لا يعلم سبحانه وسأله من خير ما يعلم لإحاطة علمه سبحانه بكل دقيقة وجليلة بما يعلمه البشر وبما لا يعلمونه فلا يبقى خير ولا شر إلا هو داخل في ذلك واستغفر مما يعمله سبحانه لأنه يعلم بكل ذنب مما يعلمه." (١)

"فالاول منها الايمان بالله عز وجل ثم الايمان برسل الله ثم بالملائكة ثم بالقرآن ثم بالقدر خيره وشره وأنه من الله عز وجل ثم باليوم الآخر ثم بالبعث بعد الموت ثم بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف ثم بأن دار المؤمنين ومآبهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار ثم بوجوب محبة الله تعالى ثم بوجوب الخوف منه عز وجل ثم بوجوب الرجاء منه سبحانه وتعالى

ثم بوجوب التوكل عليه تعالى وتبارك ثم بوجوب حب النبي صلى الله عليه وسلم ثم بوجوب تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتبجيله وتوقيره ثم شح المرء بدينه حتى يكون القذف فى النار أحب إليه من الكفر ثم طلب العلم وهو معرفة البارى تعالى وصفاته وما جاء من عند الله وعلم النبوة وما تميز به النبي عن المتنبي وعلم أحكام الله تعالى وأقضيته ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة والقرآن والحديث مشحونان بفضائل العلم والعلماء وفيه كتاب مفتاح دار السعادة للحافظ ابن القيم رحمه الله وهو كتاب لا يوجد نظيره فى الإسلام ثم نشر العلم ثم تعظيم القرآن المجيد بتعلمة وتعليمه وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه وتكريم أهله وحفاظه واستشعار ما يهيج البكاء من مواعظ الله ووعيده ثم الطهارة ثم الصلوات الخمس ثم الزكاة ثم الاعتكاف ثم الحج ثم الجهاد

وفى ذلك كتاب العبرة مما جاء فى الغزو والشهادة والهجرة لهذا العبد عفا الله عنه وهو نفيس جدا فى هذا الباب مغن عن كثير من الكتب ثم المرابطة في سبيل الله تعالى **ثم الثبات للعدو** وترك الفرار من الزحف ثم أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو عامله على الغانمين وكل ذلك مذكور فى كتابى المسطور ثم العتق فك الرقبة ثم الكفارات الواجبات بالجنايات وهى فى الكتاب والسنة أربع." (٢)

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين الشوكاني ص/٤٢٩

(٢) يقظة أولي الاعتبار صديق حسن خان ص/٢٢٤

"بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى» . وعن بعض السلف: «الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء» .

الحق السابع الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي، وروي أنه – صلى الله عليه وسلم – أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين» . فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر لدلالته على قوة الشفقة والحب. ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا، وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته، وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى: (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم) [الحشر: ٩] ووجود الحاجة هو الحسد.

ومن الوفاء: أن لا يتغير حاله في التواصل مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه، والترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم، قال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم بالمنزل الخشن

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة والنصح لله.

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها كما قيل:

وجدت مصيبات الزمان جميعها ... سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وأنشد «ابن عيينة» هذا البيت وقال: «لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلي أن حسرتهم ذهبت من قلبي» .

ومن الوفاء: أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه.." (١)

"تحمل أذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات فهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة.

وأما الاستئناس والإيناس: فهو مستحب لأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين، وقد يتعلق بحظ النفس. ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة، فإن القلوب إذا كربت عميت، والنفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح، وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة، وقد قال «ابن عباس» : «لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس» فلا يستغني المعتزل إذن عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة، فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته، فقد قال – صلى الله عليه وسلم -: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» . وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين والقصور عن الثبات على الحق، ففي

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/١٣٧

ذلك متروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه.

وأما نيل الثواب: فبحضور الجنائز وعيادة المرضى، وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا، لا رخصة في تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه، وذلك لا يتفق إلا نادرا. وكذلك في حضور الإملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم.

وأما إنالة الثواب: فهو أن يأذن بعيادته وتعزيته في المصائب وتهنئته على النعم فإنهم ينالون بذلك ثوابا. فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة.

وأما التواضع: فإنه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة، وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة، أو مخافة أن لا يوقر في المحافل أو لا يقدم، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأبقى على اعتقاد الناس في تعبده وزهده، وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا، ويفرحون بتقرب العوام والأمراء إليهم، ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له، ولكن اعتزاله سببه شدة اشتغاله بالناس لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام. والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه:

أحدهما: أن التواضع والمخالطة لا تنقص عن منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه.

الثاني: أن الذي شغل نفسه بطلب رضاء الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور؛ لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وأن ضرره ونفعه بيد الله، بل رضاء الناس غاية لا تنال، فرضاء الله أولى بالطلب، ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى: «والله ما أقول لك إلا نصحا، إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا." (١)

"والاجتهاد في فعله، ومعرفة الشر والاجتهاد في تركه، فليجاهد العبد نفسه في تحقيق التقوى، ويستعين بالملك الأعلى، ونسأل الله الثبات إلى الممات، وأن يحفظه الله من فتن الشبهات والشهوات. ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ [فصلت: ٣٠] وبارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.." (٢)

"من مسلمات؟ إنني أعلم الإمكان "أو الاستحالة العملية" لتحقيق مشروع معين، أو درجة احتمال ناجحة، ولكن من ذا الذي يخبرني: إن كان ما أشرع فيه خيرا جديرا بأن أسعى إليه؟

وإذا كانت أمامي ممكنات كثيرة فما الذي يجعلني أقرر تنفيذ أحدها، وربما كان أقلها صلاحية بطبيعته؟

إن من الواضح أن ما نؤثر به بعض الاتجاهات من تفضيل في نشاطنا، واستبعاد لبعضها -ينبع من مثل أعلى، لا من واقع. وعليه، فإذا لم يكن هذا المثل الأعلى سوى ظهور لذاتنا التجريبية المتقلبة، وإذا لم يكن سوى عطاء لشعورنا الحقيقي أو الافتراضي، فإنه يصبح -هو أيضا- عطاء عابرا، وظاهرة مؤقتة. فبأي حق يزعم إذن أنه يحكم عملا مستقلا، على حين

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/١٥٢

(٢) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات عبد الرحمن السعدي ص/١٣٨

أنه قد يكون موجودا في اللحظة التي سيبدأ فيها العمل؟

وإنما هي إحدى اثنتين: إما أن إرادتنا تستطيع أن تكتفي بمثل أعلى يتلاءم مع العمل، أي: يولد ويموت معه، وتلك هي إرادة العجزة والمجانين.

وإما أن تمضي إرادتنا –على العكس– تلتمس في المثل الأعلى صفاته التي تفرضه عليها، سواء بالنسبة إلى المستقبل البعيد أو القريب، أعني: أنها تذهب لتطلب منه بعض الثبات، قبل أن تمنحه الحق في أن يحكمها.

بيد أننا حينئذ لن نكون في مجال الذات التجريبية، والتجربة المحضة إذ إن "المثل الأعلى الثابت" هو التعريف نفسه "للقانون الأخلاقي"، ولما لم يكن قانون معين ثمرة لتجربة مطلقا، بل موضوعا للبرهنة أو الإيمان، وكانت "التجربة" هي مرجع "الأخلاق" ... أليس هذا تناقضا في المصطلحات؟!." (١)

"الله: ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ ١. ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾ ٢.

ولنذكر بخاصة أن القرآن ينص على أن الله يتدخل بطريقة إيجابية ومادية لدى عباده، في اللحظات الحاسمة، لكي يصرف عنهم الإغراءات السيئة: ﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن﴾ ٣؛ وحتى يجنبهم السقوط في الفاحشة: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ ٤، ولكي يقوي إرادتهم المترددة: ﴿ولولا **أن ثبتناك لقد** كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ ٥. في هذه اللحظات الصعبة يفجر الله في أعينهم نورا باهرا يحمل إليهم مزيدا من الوضوح: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ ٦، فهو **يزرع الثبات في** القلب: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ ٧، ﴿لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ ٨، ويجعل الإيمان أجمل في أعينهم، وأحب إلى قلوبهم: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ ٩، ويكره إليهم ﴿الكفر والفسوق والعصيان﴾ ١٠.

وقد لجأ المعتزلة لتفسير هذه النصوص إلى وسائل متعسفة ومتعثرة؛ لأنه إما أن يكون هذا التخصيص لا يعني شيئا، أو أنه يعني أن العناية الخاصة التي يكلأ الله بها أصفياءه ليست هي نفسها، بل هي شيء آخر يختلف كما

---

١ الحجرات: ١٧.

٢ المائدة: ٤١.

٣ يوسف: ٣٤.

٤ يوسف: ٢٤.

٥ الإسراء: ٧٤.

٦ يوسف: ٢٤.

٧ الفتح: ٢٦.

٨ القصص: ١٠.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/١٢٣

٩ الحجرات: ٧.

١٠ الآية السابقة.." (١)

"فإذا ما جزنا فعلا بهذه المنطقة الوسيطة فسوف نمر بالتدريج بكل هذه الدرجات المتواصلة، دون أي انقطاع في صورتها المستمرة.

ومع ذلك فسوف نبذل قصارانا لنرسم فيها أربع مراحل رئيسية، تتوافق مع مختلف المواقف التي نفترض وجودها لدى الأشخاص الذين تتوجه إليهم الكلمات.

أولا: موقف التقبل الواضح، المتجاوب مع الأمر والنظام، مع أنه صالح لدرجات مختلفة، وهو موقف يناسبه قول لطيف مشجع يحرص على ذكر هذه الإرادة الطيبة التي توشك أن تظهر في حيز الوجود، دون أن يشير أدنى إشارة إلى أي ضعف ممكن. بيد أنه لا يفتأ يثير انتباهنا إلى حضور الله، وعلمه المحيط: ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾ ، ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ ١.

لماذا؟

السر في ذلك أن المؤمن الصادق يجد في هذه الفكرة ما يحفزه حقا لدعم جهوده، وتغذية طاقته، وترقية نفسه، ومضاعفة ما يقتضيه من ذاته، لا أقول: من أجل أن يتشبث دائما بالاتجاه الذي اختاره بنفسه –فحسب، ولكن كذلك من أجل المحافظة على جودة أعماله، وطهارة نواياه، إن لم يكن ذلك من أجل أن يأتي دائما بالجديد، وبالأفضل. ولا ريب أن واقع التفكير في الله لحظة العمل هو معين لا ينضب من الطاقة للمؤمنين، له تأثيره على إرادتهم، وهو يضاعف من حماسهم، كيما يكملوا أعمالهم، وليكتملوا هم أنفسهم بل إن من الممكن أن نؤكد أن هذه الفكرة هي آمن وسيلة، وأقصر طريق للوصول إلى هذا الثبات، وتحقيق تقدم مطرد.

---

١ ٢/ ٢١٥ و٢٥٦ و٢٧١ و٣/ ٩٢ و٤/ ٣٥ و١٢٧ و١٢٨ و٢٦/ ٢١٨ و٥٢/ ٤٨ "= ٢ أو٧ ب".." (٢)

"أعم، هاتين المرحلتين من الإضافة الخارجية، والتقدم التلقائي قد صيغتا في اللغة العربية بصيغتين مختلفتين، ومعبرتين خير تعبير، رغم أنهما من أصل واحد: خلق، وتخلق، فكلمة "خلق، أو أخلاقية" بالمعنى الصحيح تعني تلك القدرة الفطرية أو المكتسبة، التي ينبثق عنها السلوك تلقائيا وبعبارة أخرى: الخلق هو الشكل الثابت لوجودنا الباطني، في مقابل الخلق، وهو الشكل الظاهري الذي وهبه الله لكل مخلوق.

وطالما لم نحصل على **هذا الثبات الذي** بفضله تفيض الأعمال، في دفعة كريمة وتلقائية فإننا نظل في حالة التخلق، أعني حالة الاختبار والمحاولة، من أجل نسلك بطريقة أو بأخرى.

ويستعمل اللفظ غالبا في هذه الصيغة بمعنى محقر، يقترب من التصنع والتظاهر. وهكذا يكفي أن نتأمل تعريفات الألفاظ،

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن  محمد بن عبد الله دراز ص/٢١٥

(٢) دستور الأخلاق في القرآن  محمد بن عبد الله دراز ص/٣٢٣

حتى نعرف في أي جانب نضع القيم العليا.
وشأن العمل، كشأن المعرفة: فلكي "نعمل" كما هي الحال حين "نحكم"، كلا الأمرين يستوجب "رأس مال" يقتطع منه.
وإذا لم يكن في يد الباحث عن الحقيقة نظام من المبادئ الأولية، ومن القوانين العامة، وما دام لا يستطيع أن يحدس بالوجهة التي يوجه إليها بحوثه –فإن عمله يصبح من أطول الأعمال وأشقها.
أمن حقنا أن نقول: إن الإنسان يكون عالما بقدر ما يزداد بطؤه في التوصل إلى الحقيقة؟
إني أتوقع أن أحدا لن يوافقني على هذا القول، ولكن، ألا يجب علينا أيضا، منذئذ، أن نحدد الإنسان الصالح بأنه ذلك الذي يجد رهن تصرفه." (١)

"الحياة الدنيا. وهذا مفهوم من قوله تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين– غير أولي الضرر – والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما﴾ الآية ٩٥ من سورة النساء.
والملاحظ على الهيئة الإسلامية التي تتولى الاشراف والتسيير للقتال – حكومة أو غيرها – أنه من واجبها أن ترشد المحاربين في صفوفها إلى تلك المعاني الدينية والأهداف المطلوبة من المقاتلين، حتى لا تضيع مجهودات المجاهدين في سبيل الله وألا تذهب أتعابهم سدى من غير نية صالحة لعملهم، فعليها أن تعلمهم هذا كما **تعلمهم الثبات وفنون** الحرب والقتال من الكر والفر ومخادعة العدو في الواجهة أو في غيرها حتى تأمن على حياتهم وسلامتهم من حيل الأعداء، كالثبات في المعركة وشرفها وقوة الايمان بالله وبالنصر والجزاء على الشهادة في سبيل الله إلى آخر ما يقتضيه الموقف.

جهاد المرأة المسلمة:
روى ابن ماجة في سننه عن أم عطية الأنصارية قالت: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى".." (٢)

"أن اجتهاد عمار رضي الله عنه في بحثه عن الحق، وفهمه لغايات القرآن ومراميه يقنعانه بقتالهم حتى يعود الحق المغتصب الى ذويه، وحتى تنصفئ الى البد نار التمرد والفتنة..
ويعني كذلك، أنهم بالأمس قاتلوا الأمويين لكفرهم بالدين والقرآن..

واليوم يقاتلون الأمويين لانحرافهم بالدين، وزيغهم عن القرآن الكريم واساءتهم تأويله وتفسيره، ومحاولتهم تطويع آياته ومراميه لأغراضهم وأطماعهم..!!

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٦٠٥
(٢) سهام الإسلام عبد اللطيف سلطاني ص/١٨٦

كان ابن الثالثة والتسعين، يخوض آخر معارك حياته المستبسلة الشامخة.. كان يلقن الحياة قبل أن يرحل عنها آخر دروسه في الثبات على الحق، ويترك لها آخر مواقفه العظيمة، الشريفة المعلمة..

ولقد حاول رجال معاوية أن يتجنبوا عمار ما استطاعوا، حتى لا تقتله سيفهم فيتبين للناس أنهم الفئة الباغية..

بيد أن شجاعة عمار الذي كان يقتل وكأنه جيش واحد، أفقدتهم صوابهم، فأخذ بعض جنود معاوية يتحينون الفرصة لاصابته، حتى اذا تمكنوا منه أصابوه ...

**

كان جيش معاويية ينتظم من كثيرين من المسلمين الجدد.. الذين أسلموا على قرع طبول الفتح الاسلامي في البلاد الكثيرة التي حررها الاسلام من سيطرة الروم والفرس.. وكان أكثر هؤلاء وقود الحرب التي سببها تمرد معاوية ونكوصه على بيعة علي.. الخليفة، والامام، كانوا وقودها وزيتها الذي يزيدها اشتعالا..

وهذا الخلاف على خطورته، كان يمكن أن ينتهي بسلام لو ظلت الأمور بأيدي المسلمين الأوائل.. ولكنه لم يكد يتخذ أشكاله الحادة حتى تناولته أيد كثيرة لا يهمها مصير الاسلام، وذهبت تذكي النار وتزيدها ضراما..

شاع في الغداة خبر مقتل عمار وذهب المسلمون يتناقل بعضهم عن بعض نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سمعها أصحابه جميعا ذات يوم بعيد، وهم يبنون المسجد بالمدينة..

" ويح ابن سمية، تقتله الفئة الباعغية".

وعرف الناس الآن من تكون الفئة الباغية.. انها الفئة التي قتلت عمارا.. وما قتله الا فئة معاوية..

وازداد أصحاب علي بهذا ايمانا..

أما فريق معاوية، فقد بدأ الشك يغز قلوبهم، وتهيأ بعضهم للتمرد، والانضمام الى علي..

ولم يكد معاوية يسمع بما حدث. حتى خرج يذيع في الناس أن هذه النبوءة حق، وأن." (١)

"وقبل أن يخوض القتال كان يشغل باله قليلا، احتمال قيام بعض جنود جيشه بالفرار، خاصة أولئك الذين هم حديثو العهد بالاسلام، بعد أن رأى ما ألقاه منظر جيش الروم من رهبة وجزع..

وكان خالد يتمثل عبقرية النصر في شيء واحد، هو الثبات..

وكان يرى أن حركة هروب يقوم بها اثنان أو ثلاثة، يمكن أن تشيع في الجيش من الهلع والتمزق ما لا يقدر عليه جيش العدو بأسره ...

من أجل هذا، كان صارما، تجاه الذي يلقي سلاحه ويولي هاربا..

وفي تلك الموقعة بالذات موقعة اليرموك، وبعد أن أخذ جيشه مواقعه، دعا نساء المسلمين، ولأول مرة سلمهن السيوف،

---

(١) رجال حول الرسول  خالد محمد خالد ص/١٥٨

وأمرهن، بالوقوف وراء صفوف المسلمين من كل جانب وقال لهن:

" من يولي هاربا فاقتلنه"..

وكانت لفتة بارعة أدت مهمتها على أحسن وجه..!!

وقبيل بدء القتال طلب قائد الروم أن يبرز اليه خالد ليقول له بضع كلمات..

وبرز اليه خالد، حيث تواجها فوق جواديهما في الفراغ الفاصل بين الجيشين..

وقال ماهان قائد الروم يخاطب خالدا"

" قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجوع والجهد..

فان شئتم، أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير، وكسوة، وطعاما، وترجعون الى بلادكم، وفي العام القادم أبعث اليكم بمثلها".!!

وضغط خالد الرجل والبطل على أسنانه، وأدرك ما في كلمات قائد الروم من سوء الأدب..

وقرر أن يردذ عليه بجواب مناسب، فقال له:

" انه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت، ولكننا قوم نشرب الدماء، وقد علمت أنه لا دم أشهى وأطيب من دم الروم، فجئنا لذلك"..!!

ولوة البطل زمام جواده عائدا الى صفوف جيشه. ورفع اللواء عاليا مؤذنا بالقتال..

" الله أكبر"

" هبي رياح الجنة"..

كان جيشه يندفع كالقذيفة المصبوبة.

ودار قتال ليس لضراوته نظير..

وأقبل الروم في فيالق كالجبال..

وبجا لهم من المسلمين ما لم يكونوا يحتسبون..

ورسم المسلمون صورا تبهر الألباب من فدائيتهم وثباتهم..

فهذا أحدهم يقترب من أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه والقتال دائر ويقول:

" اني قد عزمت على الشهادة، فهل لك من حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغها له حين ألقاه"؟؟." (١)

"وكان رضي الله عنه شديد الولع بالشهادة، عظيم الغرام بالموت في سبيل الله.

وكان يقول:

" ان طلحة بن عبيد الله يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم ألا نبي بعد محمد ...

واني لأسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون".!

---

(١) رجال حول الرسول خالد محمد خالد ص/٢٢١

وهكذا سمى ولده، عبد الله بن الزبير تيمنا بالصحابي الشهيد عبد الله بن جحش.
وسمى ولده المنذر، تيمنا بالشهيد المنذر بن عمرو.
وسمى عروة تيمنا بالشهيد عروة بن عمرو.
وسمى حمزة تيمنا بالشهيد الجليل عم الرسول حمزة بن عبد المطلب.
وسمى جعفر، تيمنا بالشهيد الكبير جعفر بن أبي طالب.
وسمى مصعبا تيمنا بالشهيد مصعب بن عمير.
وسمى خالد تيمنا بالصحابي الشهيد خالد بن سعيد..
وهكذا راح يختار لأبنائه أسماء الشهداء. راجيا أن يكونوا يوم تأتيهم آجالهم شهداء.
ولقد قيل في تاريخه:
" انه ما ولي امارة قط، ولا جباية، ولا خراجا ولا شيئا الا الغزو في سبيل الله".
وكانت ميزته كمقاتل، تتمثل في في اعتماده التام على نفسه، وفي ثقته التامة بها.
فلو كان يشاركه في القتال مائة ألف، لرأيته يقاتل وحده في لمعركة.. وكأن مسؤولية القتال والنصر تقع على كاهله وحده.
وكان فضيلته كمقاتل، تتمثل في الثبات، وقوة الأعصاب..
رأى مشهد خاله حمزة يوم أحد وقد كثل المشركون بجثمانه القتيل في قسوة، فوقف أمامه كالطود ضاغطا على أسنانه، وضاغطا على قبضة سيفه، لا يفكر الا في ثأر رهيب سرعان ما جاء الوحي ينهى الرسول والمسلمين عن مجرد التفكير فيه..!!
وحين طال حصار بني قريظة دون أن يستسلموا أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم مع علي ابن أبي طالب، فوقف أمام الحصن المنيع يردد مع علي قوله:
" والله لنذوقن ما ذاق حمزة، أو لنفتحن عليهم حصنهم"..
ثم ألقيا بنفسيهما وحيدين داخل الحصن..
وبقوة أعصاب مذهلة، أحكما انزال الرعب في أفئدة المتحصنين داخله وفتحا أبوابه للمسلمين..!!
ويوم حنين أبصر مالك بن عوف زعيم هوزان وقائد جيش الشرك في تلك الغزوة..." (١)
"[الخطبة السادسة في نماذج من أحكام الصلاة]
الخطبة السادسة
في نماذج من أحكام الصلاة الحمد لله الذي وعد المحافظين على الصلاة أجرا عظيما وأعد لهم جنات الفردوس نعيما مقيما، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فأنعم به ربا رحيما كريما، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل المصلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما.

---

(١) رجال حول الرسول خالد محمد خالد ص/٢٧٠

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله، وحافظوا على الصلوات، وأقيموها في الجمع والجماعات، ولا تضيعوها، وتهملوها فتقعوا في المهلكات، قال الله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ [مريم: ٥٩] فمن أضاع الصلاة، ولم يتب من ذلك لقي الغي في الدنيا والآخرة، والغي هو الخسران المبين، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الغي واد في جهنم بعيد القعر، خبيث الطعم، فمن كان محافظا عليها فليحمد الله على نعمته، **ويسأله الثبات على** ذلك، ومن لم يكن محافظا عليها، فليتب إلى الله من ذنبه، وليرجع إلى ربه قبل أن يزيغ قلبه، فيكون من الهالكين حافظوا عليها بفعل شروطها وأركانها وواجباتها وسننها، فإذا أتى أحدكم الصلاة، فليسبغ الوضوء، ثم ليستقبل القبلة، فإن استقبال القبلة لا بد منه في الصلاة قال الله تعالى: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ [البقرة: ١٥٠] ثم يستفتح الصلاة بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يتعوذ، ويقرأ فاتحة الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها ووجوبها على الإمام والمأموم والمنفرد لعموم الحديث، وعدم المخصص الصحيح، وينبغي للأئمة أئمة المساجد أن يراعوا حال المأمومين في الركعتين بعد التشهد الأول، فيتأنوا في قراءة الفاتحة حتى يكملها المأمومون الذين خلفهم، فإذا قرأ الفاتحة قرأ بعدها ما تيسر من القرآن يكون في المغرب بقصار المفصل غالبا، والسنة أن يقرأ أحيانا بغير قصار المفصل بما لا يشق على المأمومين، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ فيها بسورة الأعراف، وقرأ فيها بسورة محمد، وقرأ فيها بسورة الطور، وقرأ فيها بسورة المرسلات، ويكون في الفجر من طوال المفصل، ويكون في الظهر والعصر والعشاء من أواسط المفصل إلا أن القراءة في الظهر تكون أطول من قراءة العصر، فإذا فرغ من القراءة ركع، وقال سبحان ربي العظيم الواجب مرة، وأدنى الكمال ثلاث، ثم يرفع رأسه قائلا سمع الله لمن." (١)

"[الفرع السادس الجهاد]

[الخطبة الأولى في وجوب إعداد القوة للأعداء]

الفرع السادس

الجهاد الخطبة الأولى

في وجوب إعداد القوة للأعداء الحمد لله الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله والحمد لله الذي له مقاليد السماوات والأرض وبيده ملكوت كل شيء، فكل العالم العلوي والسفلي خاضع لأمره وحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك كله وله الحمد كله وله الثناء وهو أهله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم رسله وخيرته من خلقه وحجته على عباده، أرسله بشريعة من تمسك بها وسار على نهجها فهو المنصور الظافر، ومن أعرض وتولى فهو الذليل الخاسر، أرسله الله بشريعته وأمده بملائكته وأيده بنصره وبالمؤمنين فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها الناس: اتقوا الله تعالى واستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيقلبه سبحانه وتعالى كما يشاء بحكمته، فاسألوا **الله الثبات على** الإيمان والصبر في شرائع الإسلام، ألا وإن مما دعاكم الله ورسوله

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ١/١٤١

إليه أن تعدوا ما استطعتم من قوة لأعداء الإسلام الذين يريدون أن تكون كلمة الله هي السفلى وكلمتهم الباطلة هي العليا، ولكن سيأبى الله ذلك بقوته وحوله وسينصر دينه بأوليائه وحزبه. أعدوا لهم ما استطعتم من قوة في الجهاد باللسان والمال والعتاد فإنكم بذلك ترضون ربكم وتذبون عن دينكم وتحمون أنفسكم وأهليكم ودياركم ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج: ٤٠] تذبون عن دينكم من يريد القضاء عليه ومن يدعو إلى التحلل والتخلص منه، فإن الدين رأس الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، أعدوا لهم ما استطعتم من قوة الحجة والبرهان ورد شبههم الباطلة بالتفنيد وهدم الأركان، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة بالتدريب والتمرن على المعدات الحربية والتعلم لطرق الأساليب الحربية التي تلائم العصر الحاضر، وعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي» وقال صلى الله عليه وسلم: «ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها، أو قال كفرها» وعن سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه – قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على." (١)

"المباح لكان ذلك خيرا له في دينه ودنياه، ولكنه ينفق الكثير في هذا الدخان الذي لا يعود عليه إلا بالضرر العاجل والآجل، فنسأل الله لنا وله الهداية. أما ما انتفع به بعض الناس من الاتجار به والتكسب حتى صاروا بعد الترب متربين وبعد الإعواز واجدين وبعد الفقر مغتنين، فلبئس ما كسبوا حراما واكتسبوا آثاما، وإنهم لأغنياء المال فقراء القلوب واجدون في الدنيا عادمون لما كسبوه من الحرام في الآخرة، فإنهم إن تصدقوا به لم يقبل منهم وإن أنفقوه لم يبارك لهم فيه، وإن أخلفوه كان زادا لهم إلى النار لا يدرون متى يأتيهم الموت فيفارقون أموالهم أشد ما يكونون بها تعلقا وأعظم ما يكونون بها طمعا وبعد ذلك يتلقاها الوارث، له غنمها وعلى مخلفها غرمها، وإن الفقر لخير من مال يكسبه الإنسان بمعصية الله.

أما مضار الدخان الاجتماعية، فإن تفشي الأمور الضارة في المجتمع توجب فساد المجتمع، وإن كثيرا ممن يشربونه الآن لا يبالون بانتشاره بين الناس بل ربما يفرح بعضهم بانتشاره وكثرة استعماله وتعاطيه ليتسلى بغيره وتهون مصيبته، ولذلك كانوا يشربون أمام الناس وأمام أولادهم الصغار، وهذا لا شك يهون شربه عند الصغار ويؤدي إلى نتيجة حتمية وهي أن الصغير إذا اعتاده من صغر فتك به فتكا أعظم ثم لا يستطيع الخلاص منه عند كبره، وكم حصل من أعقاب السجائر وهي بقية السجائر التي يلقونها في الأرض كم حصل بها من أضرار وأمراض معدية لمن يأخذونها ويشربونها.

وأما مضاره الدينية، فإن المحققين من أهل العلم الذين عرفوا مصادر الشريعة ومواردها وسلموا من الهوى قد تبين لهم تحريمه من عمومات النصوص الشرعية وقواعد الدين المرعية، وإذا كان حراما كان فعله معصية لله ولرسوله، وكل معصية لله ولرسوله فإنها ضرر في الدين فإن الإيمان ينقص بالمعصية كما يزيد بالطاعة.

أيها المسلمون: إن نصيحتي لمن من الله عليه بالعصمة منه أن يحمد الله على هذه النعمة **ويسأله الثبات عليها** وأن يدعو الله لإخوانه بالعصمة منه. أما نصيحتي لمن ابتلوا به فأن يتأملوا بإمعان ودقة في مضاره ونتائجه ليقتنعوا بضرورة الامتناع منه

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٢٠٦

ويهون عليهم تركه واجتنابه، وأن يلحوا على ربهم بالدعاء أن يعصمهم منه ويستعينوه على ذلك ويستعملوا الأسباب التي تعينهم على تركه، وذلك بقوة العزم وعدم الجلوس في محل يشرب فيه والتسلي." (١)

"ما فات وإن كان ظالما لنفسه بفعل المعاصي والمحرمات فليقلع عنها قبل حلول الأجل والفوات وإن كان ممن من الله عليه بالاستقامة فليحمد الله على ذلك **وليسأله الثبات عليها** إلى الممات.

إخواني: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي وليست التوبة مجرد قول باللسان من غير تخلي إنما الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال وإنما التوبة ندم على ما مضى من العيوب وإقلاع عما كان عليه من الذنوب وإنابة إلى الله بإصلاح العمل ومراقبة علام الغيوب فحققوا أيها المسلمون الإيمان والتوبة فإنكم في زمن الإمكان.

وعظ النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلا فقال: «اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك» ففي الشباب قوة وعزيمة فإذا هرم الإنسان وشاب ضعفت القوة وفترت العزيمة وفي الصحة نشاط وانبساط فإذا مرض الإنسان انحط نشاطه وضاقت نفسه وثقلت عليه الأعمال وفي الغنى راحة وفراغ فإذا افتقر الإنسان اشتغل بطلب العيش لنفسه والعيال وفي الحياة ميدان فسيح لصالح الأعمال فإذا مات العبد انقطعت عنه أوقات الإمكان.

عباد الله: اعتبروا ما بقي من أعماركم بما مضى منها واعلموا أن كل آت قريب وأن كل موجود منكم زائل فقيد فابتدروا الأعمال قبل الزوال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون – إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون – هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون – إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾ [يونس: ٣ – ٦] بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . الخ.." (٢)

"والتنابز بالألقاب السيئة والغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته.

ذكر الله ذلك في سورة الحجرات في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾ [الحجرات: ١١] إلى آخر الآية التي بعدها.

فاحمدوا عباد الله ربكم على ما أنعم به من حماية دينكم وأنفسكم وأموالكم وأعراضكم **وأسألوه الثبات على** الدين وجاهدوا

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٢٨٠

(٢) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٣١٤

أنفسكم على ذلك واعبدوه وتوكلوا عليه واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.." (١)

"[الخطبة الثانية عشرة في الحذر من أعداء المسلمين]

الخطبة الثانية عشرة

في الحذر من أعداء المسلمين إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واشكروه على ما أنعم به عليكم من نعمة الإسلام التي لا يعدلها نعمة تلك النعمة التي ضل عنها كثيرا من الناس وهداكم الله تعالى بمنه إليها تلك النعمة التي عشتم عليها وعاش عليها آباؤكم فلم يجر ولله الحمد على بلادكم استعمار مستعمر جاس خلال الديار بجنوده وعتاده فخرب الديار وأفسد الأديان والأفكار اشكروا الله تعالى على هذه النعمة وحافظوا على بقائها واستمرارها واسألوا **الله الثبات عليها** وإياكم إياكم أن تتعرضوا لما يزيلها ويسلبها منكم فتخسروا دنياكم وآخرتكم.

عباد الله إن الإسلام منذ بزغ نجمه وأعداؤه يحاولون القضاء عليه بكل ما يستطيعون من قوة: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة: ٣٢] فلقد حاول أعداء الإسلام أن يقضوا عليه في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم في عهد خلفائه الراشدين ثم في العصور التالية إلى وقتنا هذا حاولوا القضاء على الإسلام وبني الإسلام بالعنف والصراع المسلح تارة وبالمكر والخداع والخطط الهدامة تارة أخرى ولسنا مجازفين عندما نقول ذلك فبين أيديكم التاريخ يشهد بما نقول وبين أيديكم شهادة أعظم وأصدق وهي شهادة الله تعالى في كتابه وكفى بالله شهيدا وليست هذه المحاولة من أعداء المسلمين من صنف واحد منهم ولكن من سائر أصناف الأعداء من المشركين واليهود والنصارى وسائر الكفار والمنافقين، اسمعوا ما قال الله تعالى في المشركين وهم يفتنون الناس عن دينهم: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢١٧]." (٢)

"نسأل **الله الثبات والسلامة**. «سأل حذيفة بن اليمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هل بعد الخير الذي جاء به من شر قال نعم وهل بعد هذا الشر من خير قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعم، وفيه دخن قلت وما دخنه، قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك من شر قال نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» . ولقد ألقي الشح

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٣٢٩

(٢) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٣٥٦

والطمع في قلوب العباد حتى منعت الزكاة المفروضة والنفقات الواجبة وطمع الإنسان فيما ليس له به حق وكثرت الفوضى والقتل. لقد أخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن فتنة الأمانة وأنها سترفع فلا تكاد ترى أمينا يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه قال ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» (متفق عليه) . ولقد صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقد قبضت الأمانة فلا تكاد ترى أمينا ولقد صار الأمناء يعدون بالأصابع فترى القبيلة ليس فيها إلا أمين واحد وترى الرجل يعجبك في عقله وظرفه وجلده لكن ليس في قلبه إيمان، لأن الأمانة نزعت منه جاء أعرابي إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: «متى الساعة فقال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال وكيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (رواه البخاري) .

ألا وإن من الفتن الكبيرة العظيمة فتنة المال التي قل من يسلم منها قل من يأخذ المال من وجهه ويصرفه في وجهه فكان الحلال عند كثير من الناس ما حل في يده بأي طريق كان والمصروف منه ما صرفه في هواه ولو في الحرام. قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن الحلال أم من الحرام» (رواه البخاري) . ولقد صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن كثير من الناس لا يبالون بالمال من أي وجه اكتسبوه كأنما خلقوا للمال والدنيا ولا حساب عليهم في ذلك ولا عقوبة يكسبون المال بالغش وبالكذب وبالرشوة وبالربا صريحا أو خداعا وحيلة ويكتسبون المال بالدعاوي الباطلة فيدعون ما ليس لهم أو يجحدون ما كان عليهم ولا خير في مال عاقبته العذاب والنكال. فاحذروا أيها المسلمون هذه الفتن واجتنبوها فإنها إذا ظهرت عمت المجتمع كله وأصابت الصالح والفاسد قال الله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ [الأنفال: ٢٥]." (١)

"وقالت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها: «استيقظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النوم محمرا وجهه يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، قيل أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث» (رواه البخاري) . ولقد أخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الفرار من الفتن خير للعبد ولو أن يكون صاحب غنم فقال: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن» (رواه البخاري) .

وأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمته أن يستعيذوا من الفتن في كل صلاة فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا تشهد أحدكم أي قرأ التحيات فليستعذ بالله من أربع يقول أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، وأمر بالصلاة لمدافعة الفتن» كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: «استيقظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة فزعا يقول سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات، يعني زوجاته لكي يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة» .

اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن اللهم بصرنا بالحق **وارزقنا الثبات عليه** اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٦٢٧/٨

الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه يا رب العالمين.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.." (١)

"فأوصيكم وإياي عباد الله بمداومة الإعراض عما لا يحل من النظر، فقد علمتم ما في ذلك من الضرر، كما عرفتم ما في غض البصر من الفوائد دنيا وأخرى.

واسألوا مقلب القلوب **والأبصار الثبات على** الدين، وتصريف القلوب إلى طاعة رب العالمين. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل المحبة إلى الظفر سبيلا، وصرف عليها القلوب كما يشاء، وصرفها أنواعا وأقساما بين بريته، وفصلها تفصيلا قسمها بين محب الرحمن، ومحب الأوثان، ومحب النيران، ومحب الصلبان، ومحب الأوطان، ومحب الإيمان، ومحب الألحان، ومحب القرآن، وفضل أهل محبته ومحبة كتابه على سائر المحبين تفضيلا، وهو الحكيم صاحب الفضل على من شاء والامتنان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يخلق ما يشاء ويختار. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله للإيمان مناديا، وإلى الجنة داعيا، وبكل معروف آمرا، وعن كل منكر ناهيا. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وكل من اتبعه داعيا، وفي مرضاة ربه ومحابه ساعيا.

عباد الله: وجاء في تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج

قوله – صلى الله عليه وسلم –: «أكثر ما يدخل الناس النار: الفم والفرج» أخرجه الترمذي." (٢)

"بالرجوع إليها.

ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء نجد أن عندهم من الزلات شيئا كثيرا؛ لأنهم صاروا ينظرون بنظر أقل مما ينبغي أن ينظروا فيه، يأخذون مثلا صحيح البخاري فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث، مع أن في الأحاديث ما هو عام، ومخصص، ومطلق، ومقيد، وشيء منسوخ، لكنهم لا يهتدون إلى ذلك، فيحصل بهذا ضلال كبير.

الأمر الحادي عشر: التثبت والثبات:

ومن أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت فيما ينقل من الأخبار والتثبت فيما يصدر من الأحكام، فالأخبار إذا نقلت فلا بد أن تتثبت أولا، هل صحت عمن نقلت إليه أو لا؟ ثم إذا صحت فتثبت في الحكم ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنيا على أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ، والواقع أنه ليس بخطأ.

ولكن كيف العلاج في هذه الحال؟

العلاج: أن تتصل بمن نسب إليه الخبر وتقول: نقل عنك كذا وكذا فهل هذا صحيح؟ ثم تناقشه فقد يكون استنكارك

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٦٢٨/٨

(٢) موضوعات صالحة للخطب والوعظ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/٢١١

ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته لأنك لا تدري ما سبب هذا المنقول، ويقال: إذا علم السبب بطل العجب، فلا بد أولا من التثبت في الخبر والحكم، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل عنه وتسأله هل صح ذلك أم لا؟ ثم تناقشه: إما أن يكون هو على حق وصواب فترجع إليه أو يكون الصواب معك فيرجع إليه.

وهناك فرق **بين الثبات والتثبت** فهما شيئان متشابهان لفظا مختلفان معنى.

فالثبات معناه: الصبر والمثابرة وألا يمل ولا يضجر وألا يأخذ من كل كتاب نتفة، أو من كل فن قطعة ثم يترك؛ لأن هذا الذي يضر الطالب، ويقطع عليه الأيام بلا فائدة، فمثلا بعض الطلاب يقرأ في النحو: في الآجرومية ومرة في متن." (١)

"وتقصر خطوات ويثقل مسمع

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ [الروم: ٥٤] .

وقال وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره.

بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أينما كانت فمدار تعبده عليها فلا يزال متنقلا في منازل العبودية كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها واشتغل بها.

اللهم وفقنا لسلوك سبيل أهل الطاعة **وارزقنا الثبات عليه** والاستقامة وعافنا من موجبات الحسرة والندامة وأمنا من فزع يوم القيامة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٨- موعظة

اسمع يا غائب في صلاته، يا شتيت الهم في جهاته يا مشغولا بآفاته عن ذكر وفاته، يا قليل الزاد مع قرب مماته.

يا من يرحل عن الدنيا في كل لحظة مرحلة، وكتابه قد حوى حتى مقدار الخردلة، وما ينتفع بالنذير والنذر متصلة.

وما يرعوي لنصيح وكم قد عذله، ودرعه متخرقة والسهام مرسلة، ونور الهدى قد يرى وما رآه ولا تأمله وهو يأمل البقاء وقد رأى مصير من أمله.

وأجله قد دنى ولكن أمله قد شغله، وقد عكف على العيب بعد الشيب بصبابة ووله، ويحضر بدنه في الصلاة وأما القلب فقد أهمله.." (٢)

"بلغ يا أخي قتالة الأوقات عند الملاهي والمنكرات من تلفاز ومذيا ع وكورات وجرائد ومجلات وقيل وقال ونحو ذلك.

ويا أخي إن كنت ممن عصمهم الله من هذه الشرور والبلايا والمنكرات فكثر من حمد الله وشكره وذكره **واسأله الثبات حتى** الممات.

وانصح إخوانك المسلمين واجتذبهم عن ضياع الأوقات فلعلك أن تكون سببا لهدايتهم.

---

(١) العلم للعثيمين ابن عثيمين ص/٣٩

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ١٥٨/١

ولا يذهبن العمر منك سبهللا ... ولا تغبنن بالنعمتين بل اجهد

فمن هجر اللذات نال المنى ومن ... أكب على اللذات عض على اليد

ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها ... وفي نيلها ما تشتهي ذل سرمد

ثم اعلم أيها الأخ إن الوقت ليس من ذهب كما يقول الناس فإنه أغلى من الذهب والفضة مهما بلغا كثرة إنه الحياة من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة فتنبه لذلك وحافظ عليه واقتد بالسلف الصالح الذين عرفوا قيمة الوقت.

قال ابن مسعود رضي الله عنه ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه عمري ولم يزد فيه عملي.

وقال آخر كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمسه.

وقال آخر من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه. ولا تسأل عن ندمه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه.

وإذا كان هذا حرص السلف على الوقت والمحافظة عليه وتقديره عندهم فإن مما يحزن المسلم ويجرحه ويدمي القلب ويمزق الكبد أسى وأسفا." (١)

"هؤلاء هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٠٧- "موعظة"

عباد الله إن المؤمن بالله حقا يبتعد عن المعاصي كما يبتعد عن النار فإذا زل مرة من المرات اضطربت أعصابه وجعل قلبه يخفق وأصابه ندم عظيم وكلما تذكر تلك الهفوة احمر وجهه خجلا وهاجت عليه أحزانه وتذكر عصيانه لسيده ومولاه ولا يزال موجع القلب منكسره حتى يفارق الدنيا ويوارى في التراب.

هذا هو المعروف عن المؤمن، ولا يعرف سواه في أهل الإيمان لأنهم يدركون تماما أنهم إن عصوا خالقهم ورازقهم أنهم سيندمون ويعاقبون إن لم يتوبوا إلى مولاهم، هذا ما كان عليه السلف الصالح ومن تبعهم، وانظر ما عليه أكثر الناس اليوم في هذا العصر المظلم من الجرأة على انتهاك محارم الله تتمثل أمامك حالهم بحالة قوم لا يؤمنون بثواب ولا عقاب تراهم قد أضاعوا الصلاة وأصروا على منع الزكاة إلا النوادر منهم تراهم يطاردون النساء في الأسواق ويشربون الدخان علنا ويحلقون اللحا

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ١/٢٢١

كذلك ويغشون في معاملاتهم تراهم أمام الملاهي والمنكرات ليلا ونهارا، تراهم يوالون أعداء الله ويعظمونهم تراهم لم يكتفوا بالمعاصي في بلادهم بل يذهبون إلى البلاد الأخرى، بلاد." (١)

"فيا عجبا لعين تنام وطالبها مجد في طلبها لم ينم، متى تحذر مما توعد وتهدد، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تتجدد، وإلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد وإلى متى وأنت بين الفتور والتواني تردد متى تحذر يوما تنطق فيه الجلود وتشهد ومتى تقبل على ما يبقى وتترك ما يفنى وينفد.

متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجا متى تكون في الليل قائما إذا سجى أين الذين عاملوا مولاهم بالإخلاص وانفردوا وقاموا في الدجى فركعوا وسجدوا وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا وبقيت في أعقابهم وإن لم تسرع وتجتهد بعدوا.

فتنبه وتيقظ يا مسكين قبل أن يفاجئك هادم اللذات فلا تقدر على استدراك لما فات، قال الله جلا وعلا: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ [طه: ١١] .

اللهم إنا **نسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ونسألك من خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم ونستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.." (٢)

"واعتمد على الله في جميع أمورك.

٣١٤- جمال المرء في تقواه واستقامته على طاعة الله ومتابعته للكتاب والسنة.

٣١٥- مخالطة الكفار والمنافقين والفسقة مفسدة عظيمة، وهدم للدين، والشرف والأخلاق.

٣١٦- الجنود المتمسكين بالكتاب والسنة المعتمدين على الله، حصون البلد بإذن الله تعالى.

٣١٧- ثبات الملك بإذن الله بالعدل والاستقامة على اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما.

عليك بالعدل إن وليت مملكة ... واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك يبقى مع الكفر البهيم ولا ... يبقى مع الجور في بدو لا حضر

٣١٨- ينبغي للرئيس أن يبتدي بتقويم نفسه قبل أن يبتدي بتقويم رعاياه.

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢/٩٤

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢/١٧٤

تصف الدواء للسقام من الضنى ... كما يصح به وأنت سقيم

٣١٩- التوكل على الله كفاية، والتوفيق رحمة وهو أول النعمة.

٣٢٠- جنة الرجل المسلم في الدنيا المسجد وبيته إن كان فيه ما يحثه على طاعة، وليس فيه شيء من المحرمات كالصور، والتليفزيون، والفيديو، والمذياع، والخدامين، والخدامات، الذين لا يصلون أو جاءوا من بلادهم بدون محرم، والعياذ بالله فاحذر وحذر عن هذه الأشياء كلها بكل ما تقدر من التحذير عنها وابتعد عنها واسأل **ربك الثبات وأن** يبعدك عنها.." (١)

"الدعاء لا يتم إلا بالهداية إلى الطريق الموصل إليه سبحانه والهداية فيه أي هداية التفصيل وخلق القدرة على الفعل وإرادته وتكوينه وتوفيقه لإيقاعه على الوجه المرضي المحبوب للرب سبحانه وتعالى وحفظه عليه من مفسداته حال فعله وبعد فعله.

ولما كان العبد مفتقرا في كل حال إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية فهو يحتاج إلى التوبة منها.

وأمور هدى إلى أصلها دون تفصيلها أو هدي إليها من وجه دون وجه فهو يحتاج إلى تمام الهداية فيها ليزداد هدى.

وأمور يحتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها بالمستقبل مثل ما حصل له في الماضي.

وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو يحتاج إلى الهداية فيها.

وأمور لم يفعلها فهو يحتاج إلى فعلها على وجه الهداية.

وأمور قد هدي إلى الاعتقاد الحق والعمل والصواب فيها فهو محتاج **إلى الثبات عليها** إلى غير ذلك من أنواع الهداية.

فرض الله سبحانه عليه أن يسأل هذه الهداية في أفضل أحواله مرات متعددة في اليوم والليلة ثم بين أن أهل هذه الهداية هم المختصون بنعمته دون المغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه ودون الظالين وهم الذين عبدوا الله بغير علم فالطائفتان اشتركتا في القول في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته بغير علم فسبيل المنعم عليهم مغايرة لسبيل أهل الباطل كلها علما وعملا فلما فرغ من هذا الثناء والدعاء والتوحيد شرع له أن يطبع على ذلك بطابع من التأمين." (٢)

"وقال تعالى ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ فعقد تعالى الموالاة بين المؤمنين، وقطعهم من ولاية الكافرين وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض، وإن لم يفعلوا ذلك وقع فتنة وفساد كبير، وكذا يقع فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله والمعاداة في الله والموالاة في الله.

ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرق بين الحق والباطل ولا بين المؤمنين

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار  عبد العزيز السلمان ٣/٢٦

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان  عبد العزيز السلمان ١/٢١٦

والكفار ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
ومن موالاة الأعداء ومصادقتهم ما يفعله كثير من ضعفاء الإيمان من الذهاب إلى أعداء الله في أيام أعيادهم فيدخلون في كنائسهم وبيوتهم وأنديتهم وينهونهم بأعيادهم، والعياذ بالله.

وأعظم من ذلك وأطم الذين يدرسون على الكفار ويجلسون بين يدي الكافر والعياذ بالله ويأتون بشهادة من أعداء الله ورسوله والمؤمنين، قال الله جل وعلا: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ ، وقال جل وعلا: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ فيا أيها المعافي أكثر من حمد الله وشكره **وأسأله الثبات حتى** الممات.
وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أن المراد أعياد المشركين، وقال عمر رضي الله عنه: إياكم ورطانة الأعاجم وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم.
وقال رضي الله عنه: اجتنبوا أعداء الله في عيدهم، ومن الأعياد المحدثة التي لا يجوز للمسلم حضورها لأنها أعياد باطلة ما يسمى بعيد الاستقلال،." (١)

"وقد خاب من كان حظه من الله دنيا يحتلب درها، والخاسر من خسر دينه وإن أفاد في دنياه نسأل الله بأسمائه الحسنى أن يأخذ بنواصيها إليه وأن يلزمنا كلمة التقوى وأن يجعلنا من أهلها وصلى الله على محمد.
شعرا:

بكيت فما تبكي شباب صباكا ... كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
ألم تر أن الشيب قد قام ناعيا ... مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوما مر إلا كأنه ... بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفاني وقد حان حينه ... أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... فينساك من خلفته هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم ... وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب ... إليك وإن باك عليك بكاكا
كان الذي يحثو عليك من الثرى ... يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة ... عليك إذا الخطب الجليل دهاكا
ترى الأرض كم فيها رهون كثيرة ... غلقن فلم يحصل لهن فكاكا

اللهم أنا نسألك التوفيق للهداية والبعد عن أسباب الجهالة والغواية **ونسألك الثبات على** الإسلام والسنة، وأن لا تزيغ

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٢٤٦

قلوبنا بعد إذ هديتنا، ونعوذ بك من مضلات الفتن، وما ظهر منها وما بطن ونسألك أن تنصر دينك، وكتابك ورسولك وعبادك المؤمنين وأن تظهر دينك على الدين كله ولو كره الكافرون. والله أعلم وصلى الله على محمد.

" فصل "

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: ومن تمام محبة الله محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه، فمن أحب شيئا مما كرهه الله، أو كره شيئا مما يحبه الله، لم يكمل توحيده وصدقه في قوله." (١)

".. وافعل به ما أنت أهل جميله ... والظن كل الظن أنك فاعل

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا وهب لنا تقواك واهدنا بهداك ولا تلكنا إلى أحد سواك. واجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا. اللهم أعذنا بمعافتك من عقوبتك وبرضاك من سخطك. اللهم إنا نسالك التوفيق للهداية والبعد عن أسباب الجهالة والغواية **ونسألك الثبات على** الإسلام والسنة وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ونعوذ بك من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ونسألك أن تنصر دينك وكتابك ورسولك وعبادك المؤمنين وأن تظهر دينك على الدين كله ولو كره الكافرون. والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

" فصل "

قال ابن القيم رحمه الله:

لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه فأشرف الناس نفسا وأعلاهم همة وأرفعهم قدرا من لذته في معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والتودد إليه بما يحبه ويرضاه فلذته في إقباله عليه وعكوف همته عليه.

ودون ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله حتى تنتهي إلى من لذته في أخس الأشياء من القاذورات والفواحش في كل شيء من الكلام والأفعال والأشغال فلو عرض عليه ما يلتذ به الأول لم تسمح نفسه بقبوله ولا الالتفات إليه، وربما تألمت من ذلك كما أن الاول إذا عرض عليه ما يلتذ به هذا لم تسمح نفسه به ولم تلتفت إليه ونفرت نفسه منه، وأكمل الناس لذة من جمع له بين لذة القلب والروح ولذة البدن فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا ينقص حظه من الدار الآخرة ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه فهذا ممن قال تعالى فيه ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾." (٢)

"عمل، فإن غضبه لا يطغى عليه، فيحمله على تعدى حدود الله بل يكفيكهم غضبه حتى يجرى على سنن الدين من القصاص العادل، أو العفو إن كان فيه مصلحة.

وقيل في تعريفه **هو الثبات على** الكتاب والسنة، والتمشي مع إرشاداتهما، لأن من ثبت عليهما فقد صبر على المصائب، وعلى أداء العبادات، وعلى اجتناب المحرمات.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٢٤٩

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٣١٥

ثم ان الصبر يسمى بأسماء مختلفة فمثلا الصبر عن شهوة الفرج والبطن أو المال الحرام يسمى عفة وورعا ومنعها عن الجزع والفرار عند لقاء العدو يسمى شجاعة ويقابله الجبن، ومنعها عن التعدي على الغير عند ثورة الغضب يسمى حلما، وشجاعة، ويقابله التذمر والطيش.

وعن إفشاء السر يسمى كتمان السر، وعن الإسراف في المآكل والمشارب يسمى زهدا، وعن الغرور بالثروة والمال يسمى ضبط النفس، ويقابله البطر والخلاصة أن الصبر فضيلة يحتاجها المسلم في دينه ودنياه.

فيجب على الإنسان أن يوطن نفسه على احتمال الشدائد والمكاره دون ضجر وانتظار النتائج مهما بعدت فكل ما هو آت قريب، وعليه أن يوطنها على مواجة الأعباء مهما ثقلت بقلب لم تعلق به ريبة وعقل لا تطيش به كربة.

وقد أكد الله جل وعلا أن ابتلاء الناس أمر لا محيص عنه حتى يأخذوا الأهبة، والاستعداد للنوازل، فلا تذهلهم المفاجاة، قال تعالى ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ . وقال ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ وقال: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾." (١)

"حمية له من هذه الأدوية، وتكون حفظا لصحة عبوديته، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعائمه كما قيل:

شعرا: ... (قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم)

آخر: ... أرى بصري قد رابني بعد حدة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولن يلبث العصر إن يوما وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

آخر: ... يا سائلي عن حالتي ... خذ شرحها ملخصا

قد صرت بعد قوة ... تقص أصلاد الحصا

أمشي على ثلاثة ... أجود ما فيها العصا

آخر: ... قد أمشي على ثنتين معتدلا ... فصرت أمشي على أخرى من الشجر

آخر: ... إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا ... عن الله قد فاز الرضي المراقب

وكم نعمة مقرونة ببلية ... على الناس تخفى والبلايا مواهب

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا وتجبروا فدى الأرض. قال تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ ، فإن من شيم النفوس إذا حصل لها صحة وفراغ وأمر ونهي وكلمة نافذة من غير زاجر شرعي يزجرها تمردت وظلمت وسعت في الأرض فسادا كما قيل:

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٢٢/٢

(والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم)

ومما يسلي ويسهل المصائب ويكون سببا للصبر على المصيبة أن يعلم الإنسان أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها، فتزيد المصيبة وأن الجزع يشمت العدو ويسؤ الصديق، وينهك الجسم، ويسر شيطانه ويضعف النفس، وقد يحبط العمل، وإذا صبر واحتسب أخزى الشيطان وأرضى الرب، وسر الصديق، وساء العدو، وهذا **من الثبات في** الأمر الديني. ومما يسلي ويسهل المصائب أن يوطن الإنسان نفسه أن كل مصيبة تأتيه." (١)

"ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب أقصى شيطانه، ورده خاسئا، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزاهم هو قبل أن يعزوه. فهذا **هو الثبات والكمال** الأعظم؛ لا لطم الخدود، وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم ما يعقبه الصبر والاحتساب – من اللذة والمسرة – أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به، لو بقي عليه. ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة، على حمده لربه واسترجاعه. فلينظر أي المصيبتين أعظم: مصيبة العاجلة؟ أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد؟

وفي الترمذي مرفوعا: «يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا، لما يرون من ثواب أهل البلاء» .

وقال بعض السلف: (لولا مصائب الدنيا، لوردنا القيامة مفاليس) .

شعرا: ... وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن ... فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

ومن علاجها: أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله، فإنه من كل شيء عوض، إلا الله فما منه عوض. كما قيل:

شعرا: ... لعمري ما الرزية فقد قصر ... فسيح منية للساكتينا
ولكن الرزية فقد دين ... يكون بفقده من كافرينا

آخر: ... من كل شيء إذا ضيعته عوض ... وما من الله إن ضيعته عوض

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٣٦٥

ومن علاجها: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. فحظك منها ما أحدثته لك، فاختر أما خير الحظوظ، أو شرها. فإن أحدثت له سخطا وكفرا كتب في ديوان." (١)

"يحمد الله دائما ويشكره ويكثر من ذكره **ويسأله الثبات حتى** الممات، وإذا رأيت من ابتلي بشيء من هذه المحدثات التي عمت وطمت وأفسدت الأخلاق فابذل له النصح جهدك فيما بينك وبينه واحذر من نصحه علنا بين الناس قال بعضهم:

تعمدني بنصح في انفراد ... وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس ضرب ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت أمري ... فلا تغضب إذا لم تعط طاعة

آخر:

فيا ويح أهل الظلم واللهو والغنا ... إذا أقبلت يوم الحساب جهنم

وراعهم منها تغيظ محنق ... لخوف عذاب في لظاها يحطم

إذا ما رآها المجرمون وأيقنوا ... بأن لهم فيها شراب ومطعم

ضريع وزقوم ويتلوه مشرب ... حميم لأمعاء الشقيين يهذم

ومن قطران كسوة قد تسربلوا ... وسيقوا لما فيه العذاب المخيم

آخر:

قل للمؤمل إن الموت في أثرك ... وليس يخفى عليك الموت في نظرك

فيمن مضى لك إن فكرت معتبر ... ومن يمت كل يوم فهو من نذرك

دار تسافر عنها في غد سفرا ... ولا تؤب إذا سافرت من سفرك

تضحي غدا سمرا للذكرين كما ... كان الذين مضوا بالأمس من سمرك

اللهم أمنن علينا بإصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٧٤/٢

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٦٧/٣

"يستغرق وقتا طويلا فلما اخرج فطوره وإذا هو ما سيستغرق إلا وقتا يسيرا.

فقال له: ما حملك على هذا فقال: إني حسبت ما بين المضغ والسف سبعين تسبيحة.

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بلغنا أن أحد علماء السلف كان يأكل باليمنى والكراس باليسرى.

وإذا دخل الخلا أمر القارئ أن يرفع صوته كل هذا محافظة على الوقت.

بلغ يا أخي قتالة الأوقات عند الملاهي والمنكرات من تلفاز ومذيا ع وكورات وجرائد ومجلات وقيل وقال ونحو ذلك.

ويا أخي أن كنت ممن عصمهم الله من هذه الشرور والبلايا والمنكرات فكثر من حمد الله وشكره وذكره **وأسأله الثبات حتى** الممات.

وانصح إخوانك المسلمين واجتذبهم عم ضياع الأوقات فلعلك أن تكون سببا لهدايتهم.

ولا يذهبن العمر منك سبهللا ... ولا تغبنن بالنعمتين بل اجهد

فمن هجر اللذات نال المنى ومن ... أكب على اللذات عض على اليد

ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها ... وفي نيلها ما تشتهي ذل سرمد

ثم أعلم أيها الأخ إن الوقت ليس من ذهب كما يقول الناس فإنه أغلى من الذهب والفضة مهما بلغا كثرة إنه الحياة من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة فتنبه لذلك وحافظ عليه واقتد بالسلف الصالح الذين عرفوا قيمة الوقت.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه من عمري ولم يزد فيه عملي.

وقال آخر كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمسه.." (١)

"إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم مفرقا من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم وليس لك قدرة فتدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم وندمت على التفريط ولات ساعة ندم.

فيا عجبا لعين تنام وطالبها مجد في طلبها لم ينم، متى تحذر مما توعد وتهدد، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تتجدد، وإلى متى لا يهو لك زجرا الواعظ وإن شدد وإلى متى وأنت بين الفتور والتواني تردد متى تحذر يوما تنطق فيه الجلود وتشهد ومتى تقبل على ما يبقى وتترك ما يفنى وينفد.

متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجا متى تكون في الليل قائما إذا سجى أين الذين عاملوا مولاهم بالإخلاص وانفردوا وقاموا في الدجى فركعوا وسجدوا وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا وبقيت في أعقابهم وإن لم تسرع وتجتهد بعدوا.

فتنبه وتيقظ يا مسكين قبل أن يفاجئك هادم اللذات فلا تقدر على استدراك لما فات، قال الله جلا وعلا ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٧٠/٣

نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ .

ومسندون تعاقروا كأس الردى ... ودعا بشربهم الحمام فأسرعوا

برك الزمان عليهموا بجرانه ... وهفت بهم ريح الخطوب الزعزع

خرس إذا ناديت إلا أنهم ... وعظموا بما يزع اللبيب فأسمعوا

والدهر يفتك بالنفوس حمامه ... فلمن تعد كريمة أو تجمع

عجبا لمن يبقي ذخائر ماله ... ويظل يحفظهن وهو مضيع

ولغافل ويرى بكل ثنية ... ملقى له بطن الصحائف مضجع

أتراه يحسب أنهم ما أسأروا ... من كأسه أضعاف ما يتجرع

اللهم إنا **نسألك الثبات في** الأمر والعزيمة في الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ونسألك من خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم،." (١)

"وقولا له أأنت رفعت هذه

بلا عمد أرفق إذا تك بانيا

وقولا له أأنت سويت وسطها

منيرا إذا ما جنه الليل هاديا

وقولا له من يرسل الشمس غدوة

فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا

وقولا له من ينبت الحب في الثرى

فيصبح منه البقل يهتز رابيا

ويخرج منه حبه في رؤسه

ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وأنت بفضل منك نجيت يونسا

وقد بات في بطن لحوت لياليا

اللهم إنا **نسألك الثبات في** الأمر والعزيمة على الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣/٣٤٧

(فصل)

وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه إلى أهل اليمن وبعث به مع عمرو بن حزم «وأن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين، ورمي المحصنة وتعلم السحر، وأكل الربا،." (١)

"وفي الأرض كثير من هذه البليات، فعود نفسك الرحمة أيها المؤمن، فإنك في حاجة شديدة إلى رحمة الله، وعالج نفسك في تهذيبها وتمرينها على الرحمة وإذهاب القسوة، واحرص على مقارنة الرحماء لتكسب منهم هذه الصفة وتسلم من ضدها قال صلى الله عليه وسلم: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» .

الراحمون لمن في الأرض يرحمهم

من في السماء كذا عن سيد الرسل

فارحم بقلبك خلق الله وارعهم

به تنال الرضا والعفو عن زلل

اللهم وفقنا لسلوك سبيل أهل الطاعة وارزقنا الثبات عليه والاستقامة وعافنا من موجبات الحسرة والندامة وأمنا من فزع يوم القيامة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة أن الرحمة بالناس بل وبالحيوان عاطفة نبيلة وخلق شريف من أفضل الأعمال وأزكاها وأرفعها وأعلاها وناهيك بها أنها خلق الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

ولقد مدح الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه في وصف رسوله: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ وقال: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وضدها القسوة التي عاقب الله بها اليهود لما نقضوا العهود إذ يقول جل وعلا: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ .." (٢)

"وقد ورد في الحديث أن النبي  كان يقول "يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلي طاعتك". وفي حديث آخر: "مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح" واعلم أن القلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة: الأول قلب عمر بالتقوي، وزكي بالرياضة، وطهر عن خبائث الأخلاق، فتنفرج فيه خواطر الخير من خزائن الغيب، فيمده الملك بالهدى.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان  عبد العزيز السلمان ٣/٤٤١

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان  عبد العزيز السلمان ٣/٤٨٤

القلب الثاني: قلب مخذول، مشحون بالهوى، ودنيس بالخبائث ملوث بالأخلاق الذميمة فيقوي فيه سلطان الشيطان لاتساع مكانه، فيضعف سلطان الإيمان، ويمتلئ القلب بدخان الهوى، فيعدم النور، ويصير كالعين الممتلئة بالدخان لا يمكنها النظر؛ ولا يؤثر عنده زجر ولا وعظ.

والقلب الثالث: قلب يبتدئ فيه خاطر الهوى، فيدعوه إلي الشر، فيلحقه خاطر الإيمان، فيدعوه إلي الخير. مثاله، أن يحمل الشيطان حملة على العقل، ويقوي داعي الهوى، ويقول: أما تري فلانا وفلانا كيف يطلقون أنفسهم في هواها حتي يعد جماعة من العلماء، فتميل النفس إلي الشيطان، فيحمل الملك حملة على الشيطان، ويقول: هل هلك إلا من نسي العاقبة، فلا تغتر بغفلة الناس عن أنفسهم، أرأيت لو وقفوا في الصيف في الشمس ولك بيت بارد، أكنت توافقهم أم تطلب المصلحة؟ أفتخالفهم في حر الشمس، ولا تخالفهم فيما يؤول إلي النار فتميل النفس إلي قول الملك، ويقع التردد بين الجندين، إلي أن يغلب على القلب ما هو أولي به، فمن خلق للخير يسر له ومن خلق للشر يسر له قال تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.." (١)

"المرض فاشتد البلاء، وتفاقم الأمر، وامتلأت الدور والطرق والأسواق من المرضى، وقام كل جهول يطب الناس.

وقال: فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلوب بالنفاق ونباته كنبات الزرع بالماء، فمن خواصه أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدا، لما بينهما من التضاد فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفس وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله ويحسنه، ويهيج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها، ويزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح، فهو والخمر رضيعا لبان وفي تهييجها علي القبائح كفرسى رهان، فإنه صنو الخمر ورضيعه، ونائبه وحليفه، وحديثه وصديقه، عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ.

وهو جاسوس القلوب، وسارق المروءة، وسوس العقل، يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع على سرائر الأفئدة، ويدب إلى محل التخييل، فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة، فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار، وبهاء العقل، وبهجة الأيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن، فإذا سمع الغناء ومال إليه، نقص عقله، وقل حياؤه وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلى عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله إيمانه، وثقل عليه قرآنه، وقال: يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد.

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ونسألك من خير ما." (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥٩٣/٤

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٦٩/٥

"كلا لا ينفعك إلا خير لوجه الله أمضيته، أو خصم أرضيته، أو قريب وصلته وأعطيته، أو والدة أو والد بريته.

انتبه يا نائم واستقم يا قائم وأكثر من الزاد فإن الطريق بعيد والبحر عميق وخفف الحمل فإن الصراط دقيق وأخلص العمل فإن الناقد بصير.

وأخر نومك إلى القبر وفرحك إلى الميزان وشهواتك وراحتك إلى الآخرة ولذاتك إلى الحور العين.

وتقرب إلى الله جل وعلا بحب أهل الطاعة وبغض أهل المعاصي واهجرهم وتباعد عنهم واحذر وحذر عنهم واسأل **ربك الثبات على** الإيمان حتى الممات.

ومن كلام بعضهم أما تسمعون أيها الناس داعي الموت يدعوكم، وحاديه يحدوكم أما ترون صرعاه في منازلكم وقتلاه بين أيديكم ففيم التصامم عن الداعي والتشاغل عن الحادي والتعامي عن مصارع القتلى والتغافل عن مشاهدة الهلكى، فرحم الله امرأ أيقظ نفسه في مهلة الحياة قبل أن توقظه روعة الممات، واستعد لما هو آت قبل الانبتات، وحلول الفوات، وكأن الحكم قد وقع والخطاب قد ارتفع، أعرض من أعرض وسمع من سمع.

شعرا: ... قطعت زماني حينا فحينا ... أدير من اللهو فيه فنونا

وأهملت نفسي وما أهملت ... وهونت من ذاك ما لم يهونا

ورب سرور شفى غلة ... وولى فأعقب حزنا رصينا

وكم آكل ساعة ما يريد ... يكابد ما أورثته سنينا

وما كان أغنى الفتى عن نعيم ... يعود عليه عذابا مهينا

وكم وعظتني عظاة الزمان ... لو أني أصيخ إلى الواعظينا

وكم دعاني داعي المنون ... وأسمع لو كنت في السامعينا." (١)

"آخر:

لا يحقر الرجل الرفيع دقيقة ... في السهو فيها للوضيع معاذر

فكبائر الرجل الصغير صغيرة ... وصغائر الرجل الكبير كبائر

رأى أحد الزهاد إنسانا يأكل فطوره وهو يحتاج إلى مضغ فقال: هذا يستغرق وقتا طويلا فلما أخرج فطوره وإذا هو ما يستغرق إلا وقتا يسيرا.

فقال له: ما حملك على هذا فقال: إني حسبت ما بين المضغ والسف سبعين تسبيحة.

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بلغنا أن أحد علماء السلف كان يأكل باليمنى والكراس باليسرى.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥/٤٣٧

وإذا دخل الخلا أمر القارئ أن يرفع صوته كل هذا محافظة على الوقت.

بلغ يا أخي قتالة الأوقات عند الملاهي والمنكرات من تلفاز ومذيا ع وكورات وجرائد ومجلات وقيل وقال ونحو ذلك.

ويا أخي إن كنت ممن عصمهم الله من هذه الشرور والبلايا والمنكرات فكثر من حمد الله وشكره وذكره **واسأله الثبات حتى** الممات.

وانصح إخوانك المسلمين واجتذبهم عن ضياع الأوقات فلعلك أن تكون سببا لهدايتهم.

ولا يذهبن العمر منك سبهللا ... ولا تغبنن بالنعمتين بل اجهد

فمن هجر اللذات نال المنى ومن ... أكب على اللذات عض على إليد

ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها ... وفي نيلها ما تشتهي ذل سرمد

ثم اعلم أيها الأخ إن الوقت ليس من ذهب كما يقول الناس فإنه أغلى من الذهب والفضة مهما بلغا كثرة إنه الحياة من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة فتنبه لذلك وحافظ عليه واقتد بالسلف الصالح الذين عرفوا قيمة الوقت.." (١)

"(فصل)

وعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن تعبئة لأصحابه، وحثهم **على الثبات والصبر**، وقال لهم: «لا تحملوا حتى آمركم، وإن اكتنفكم القوم فاتصنحوا عنكم بالنبل، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم» . ثم رجع إلى العريش، فدخله ومعه أبو بكر وقام سعد ابن معاذ واقفا على الباب باب العريش، متقلدا سيفه، ومعه رجال من الأنصار، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليه أن يدهمه العدو من المشركين والنجائب مهيأة له إن احتاج إليها ركبها وبدأت قريش الزحف، فاندفع من صفوفها الأسود ابن عبد الأسد المخزومي، إلى حوض الماء الذي أقامه المسلمون، وهو يقول: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن من دونه، فتلقاه حمزة بن عبد المطلب بضربة من سيفه أطن بها ساقه، فوقع على الأرض، ثم استمر يزحف حتى وصل إلى الحوض، فجعل حمزة يتابعه بالسيف حتى قتله في الحوض، وحمى عتبة بن ربيعة من قول أبي جهل، فاندفع من الصف بين أخيه شيبة، وابنه الوليد، يدعون إلى المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، عبد الله بن رواحة وعوف ومعوذ أبناء عفراء، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار. قالوا: أكفاء كرام، وإنما نريد بني عمنا، ونادوا يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا، فأخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعلي بن أبي." (٢)

"ذلك لم يؤثر فيه أي تأثير. ألم يكن في أمان ترعاه عناية الله العلي القدير! . نفس الشعور الذي لا يخونه، والثقة التي لا حد لها في معونة الله والإيمان بالنصر النهائي لقضيته.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٦٢١/٥

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٦٠/٦

بقي وحده في الميدان وعاصفة العدو تدوي من حوله، ونادى بأعلى صوته: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» وصرخ العباس بصوته الجهورى: (يا معشر الأنصاري الذين آووا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة. إن محمدا حي فهلموا) وكرر العباس النداء حتى تجاوبت في كل جنبات الوادي أصداؤه.

وأجاب المسلمون من كل جانب: (لبيك! لبيك!) وعادت جموعهم تلتئم من جديد. وترجل نفر منهم عن أفراسهم وجمالهم وشدوا على العدو بعنف

وجرأة، فلم يستطع **العدو الثبات في** وجههم وأخذ فريق منهم في الفرار، وبقى نفر آخر يقاوم وقتا ما، ولكن عندما سقط حامل اللواء، ولوا جميعا الأدبار.

وعندما اعتزمت هوزان الخروج للقتال أمر كبيرها مالك – وهو فتى متهور في الثلاثين من عمره – أن يخرج النساء والأطفال مع الجيش، ظنا أن وجود هؤلاء يكون مشجعا ومثيرا لعواطف رجاله، وحاثا لهم، إن دارة الدائرة، على أن لا يتقهقروا ويولوا أعقابهم، ولكن لما أزفت الساعة الرهيبة تركوا وراءهم كل شيء: النساء، والأطفال، والغنم، فوقع في يد المسلمين أربعة وعشرون رأس من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، غير ستة آلاف أسير.

وبعد أن وضع المسلمون غنائمهم في مكان حريز، أخذوا في السير للحاق بعدوهم المتقهقر، وقد احتمى فريق منهم في قلعتهم في أوطاس، فأوفد إليهم النبي  سرية من المسلمين لتشتيتهم، بينما احتمت ساقتهم بأسوار الطائف المحصنة تحصينا متينا مسلحا، كانوا رجال حرب محنكين خبيرين بالأسلحة الحديثة كالمنجنيق، وكانوا قد اختزنوا مئونة عام كامل داخل الأسوار، وأقاموا عليها حراسة وفيرة العدد، ووزعوا حامياتها حول أسوار المدينة.." (١)

"بذكر الله ندي بآياته مات في المدينة ودفن في البقيع وصلى عليه عثمان وله ثلاث وستون سنة رضي الله عنه.

اللهم وفقنا لسلوك سبيل أهل الطاعة **وارزقنا الثبات عليه** والاستقامة وعافنا من موجبات الحسرة والندامة وأمنا من فزع يوم القيامة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شعرا: فيما جرى على الإسلام وأهله من الظلمة والطغاة والمجرمين: جازاهم الله بما يستحقون:

ودارت على الإسلام أكبر فتنة

وسلت سيوف البغي من كل غادر

وذلت رقاب من رجال أعزة

وكانوا على الإسلام أهل تناصر

وأضحى بنو الإسلام في كل مأزق

تزورهموا غرثى السباع الضوامر

وهتك ستر للحرائر جهرة

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان  عبد العزيز السلمان ٦/ ١٤٨

بأيدي غوات من بواد وحاضر

وجاءوا من الفحشاء ما لا يعده

لبيب ولا يحصيه نظم لشاعر

وبات الأيامى في الشتاء سواغبا

يبكين أزواجا وخير العشائر

وجاءت غواش يشهد النص أنها

بما كسبت أيدي الغواة الغوادر." (١)

"وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل". ١

إن هذا المنهج الواضح المحدد المعالم كما أورث السلف الاتفاق والائتلاف أورثهم **أيضا: الثبات والاستقرار** وعدم التناقض والتنقل من قول إلى قول، أو من رأي إلى رأي، بل قد ورد عنهم التحذير من ذلك التنقل وذاك التناقض في الرأي. ٢

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ): "أهل الكلام أكثر الناس تنقلا من قول إلى قول، وجزما بالقول في موضع وجزما بنقيضه وتكفير قائله في

---

١ المصدر نفسه (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤)، وفصول من كتاب الانتصار للسمعاني (ص: ٤٤).

٢انظر: الإبانة (٢/ ٥٠٣) وما بعدها.." (٢)

"نسأل الله لنا ولهن الثبات، ونبرأ إلى الله من الضلالة، ونعوذ بالله من سوء المنقلب.

وهؤلاء الرماة الغاشون لأمتهم، المشؤومون على أهليهم وبني جنسهم بل على أنفسهم، قد عظمت جراءتهم، وتلون مكرهم، بكلمات تخرج من أفمامهم، وتجري بها أقلامهم، إذ أخذوا يهدمون في الوسائل، ويخترقون سد الذرائع إلى الرذائل، ويتقحمون الفضائل، ويهونون من شأنها، ويسخرون منها ومن أهلها.

نعم قد كتب أولئك المستغربون في كل شؤون المرأة الحياتية، وخاضوا في كل المجالات العلمية، إلا في أمومتها وفطرتها، وحراسة فضيلتها.

كل هذا البلاء المتناسل، واللغو الفاجر، وسقط القول المتآكل، تفيض به الصحف وغيرها باسم التباكي والانتصار للمرأة في حقوقها، وحريتها، ومساواتها بالرجل في كل الأحكام، حتى يصل ذوو الفسالة المستغربون إلى هذه الغاية الآثمة؛ إنزال المرأة إلى جميع ميادين الحياة، والاختلاط، وخلع الحجاب، بل لتمد المرأة يدها بطوعها إلى

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٦/٢٩٠

(٢) صفحات مشرقة من حياة السلف - سفيان الثوري محمد بن مطر الزهراني ص/٨

وجهها، فتسفع عنه خمارها مع ما يتبعه من فضائل.
وإذا خلع الحجاب عن الوجه فلا تسأل عن انكسار عيون أهل الغيرة، وتقلص ظل الفضيلة وانتشار الرذيلة، والتحلل من الدين، وشيوع التبرج والسفور والتهتك والإباحية بين الزناة والزواني، وأن تهب المرأة نفسها لمن تشاء.
وفي تفسير ابن جرير عند قول الله تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ [النساء: ٢٧] ، قال مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى: يزني أهل الإسلام كما يزنون، قال: هي كهيئة: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾
[القلم: ٩] . انتهى.
ويتصاعد شأن القضية، من قضية المرأة إلى قضية إفساد العالم." (١)

"كثيرة عنه، وكان لحديثها قدرة على جذبنا، حتى أننا كنا نقاطعها فنسألها عما يعترضنا من استفسارات. فتجيب فلما رآنا الدكتور المعني مشغولين بالاستماع والنقاش خرج من القاعة. فقد تضايق من اهتمامنا وتفاعلنا. فذهب هو ومن لا يرون أهمية للموضوع. بقينا نحن مجموعة من المهتمين نتجاذب أطراف الحديث، في نهايته قامت الطالبة بتوزيع ورقتين علينا كتب فيها تحت عنوان " ماذا يعني لي الإسلام؟ " الدوافع التي دعتها لاعتناق هذا الدين العظيم، ثم بينت ما للحجاب من أهمية وأثر. وشرحت مشاعرها الفياضة صوب هذا الجلباب وغطاء الرأس الذي ترتديه. الذي تسبب بكل هذه الزوبعة. لقد كان موقفها عظيما، ولأن الجلسة لم تنته بقرار لأي طرف، فقد قالت أنها تدافع عن حقها، وتناضل من أجله، ووعدت أن لم تظفر بنتيجة لصالحها أن تبذل المزيد حتى لو اضطرت لمتابعة القضية وتأخير الدراسة نوعا ما، لقد كان موقفا قويا، ولم نكن أعضاء هيئة التدريس نتوقع أن تكون الطالبة بهذا المستوى من الثبات ومن أجل المحافظة على مبدئها. وكم أذهلنا صمودها أمام هذا العدد من المدرسين والطلبة، وبقيت هذه القضية يدور حولها النقاش داخل أروقة الجامعة. أما أنا فقد بدأ الصراع يدور في نفسي من أحل تغيير الديانة ،فما عرفته عن الإسلام حببني فيه كثيرا، ورغبني في اعتناقه، وبعد عدة أشهر أعلنت إسلامي، وتبعني دكتور ثان وثالث في نفس العام، كما أن هناك أربعة طلاب أسلموا. وهكذا في غضون فترة بسيطة أصبحنا مجموعة لنا جهود دعوية في التعريف بالإسلام والدعوة إليه، وهناك الآن عدد من الأشخاص في طور التفكير الجاد، وعما قريب إن شاء الله ينشر خبر إسلامهم داخل أروقة الجامعة. والحمد لله وحده.." (٢)

"الانعكاسي محصور في الفرد ولا يحتاج إلى استخدام المراكز العقلية العليا في الجهاز العصبي، ومعظمه وراثي لا إرادي وغير اجتماعي. مثل سلوك الدور فإنه يتضمن علاقات بين أفراد الجماعة وبين الفرد والبيئة الاجتماعية، ويحتاج إلى تشغيل المراكز العقلية العليا، وهذا السلوك متعلم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية ويتضمن اتصالا اجتماعيا، وهو إرادي ومحدود اجتماعيا "حامد زهران، ١٩٨٤".
والسلوك الإنساني في جملته مكتسب متعلم من خلال علمية التنشئة الاجتماعية والتربية والتعليم، وهو يكتسب صفة

(١) حراسة الفضيلة بكر أبو زيد ص/٩٤

(٢) رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا عبد الرحمن محمود ص/٢٤٧

**الثبات النسبي** والتشابه بين الماضي والحضر والمستقبل، وكون السلوك الإنساني ثابتا نسبيا فإنه يمكن التنبؤ به بدقة عند الأشخاص العاديين وفي المواقف العادية تحت ظروف ومتغيرات عادية.

ولكي يكون هذا المبدأ صحيحا لا بد أن يضاف إليه استدراك هو "إذ تساوت الظروف." (١)

"إسهام ريموند كاتيل Cattell: توصل ريموند كاتيل إلى السمات الآتية: الاجتماعية ضد العدوانية، الذكاء العام ضد الضعف **العقلي، الثبات الانفعالي** أو قوة الأنا ضد **عدم الثبات الانفعالي** أو ضعف الأنا، التحرر ضد المحافظة، السيطرة ضد الخضوع، الانبساط ضد الانطواء، قوة الأنا الأعلى ضد ضعف الأنا الأعلى، المخاطرة والإقدام ضد الحرص والخجل، الواقعية ضد الرومانسية، البساطة ضد نقد الذات، الثقة الكاملة بالنفس ضد الميل للشعور بالإثم، الاكتفاء الذاتي ضد الاعتماد على الجماعة، قوة اعتبار الذات ضد ضعف اعتبار الذات، قوة التوتر الدافعي ضد ضعف التوتر الدافعي، التبصر ضد السذاجة.

تطبيقات نظرية السمات والعوامل في الإرشاد النفسي:

لقد أسهمت نظرية السمات والعوامل بقدر كبير في التوجيه والإرشاد النفسي. ومن أهم ما تقرره النظرية أن الناس يختلفون في سماتهم، وإذا أمكن فصل وقياس وتقييم السمات فإن من الممكن تحديد عوامل تفيد في عملية الإرشاد.

وتعتبر نظرية السمات والعوامل هي الأساس النظري الذي تقوم عليه طريقه الإرشاد الموجه Derective Counselling أو الإرشاد المركز حول المرشد Counsellor- centred counselling وأشهر من طبقوا هذه النظرية في الإرشاد النفسي هو ويليامسون Williamson؛ "١٩٦٥" رائد طريقة الإرشاد الموجه. وكما سنرى في الفصل السابع فإن الإرشاد يتضمن تحليل المعلومات الخاصة بالعميل وتركيبها، بحيث تظهر سماته المميزة، وتشخيص المشكلة بالاستعانة بالاختبارات والمقاييس الموضوعية، والتنبوء بالتطور المتوقع في المستقبل، ومن الافتراضات الأساسية في نظرية السمات والعوامل فيما يتعلق بالإرشاد الموجه ما يلي:

- أن عملية الإرشاد النفسي أساسا عملية عقلية معرفية.
- أن سوء التوافق لدى الأشخاص العاديين يترك جزءا كبيرا من العقل يمكن استخدامه في التعلم وإعادة التعلم.
- أن المرشد مسئول عن تحديد المعلومات المطلوبة وعن جمعها وتقديمها إلى العميل.
- أن المرشد لديه معلومات وخبرة أكثر وقدرة على تقديم النصح وحل المشكلات بطريقة الإرشاد الموجه. ومن ثم يكاد ينظر إلى المرشد نظرة المعلم الذي يوجه عملية التعلم لدى العميل.." (٢)

"إدراك خاطئ مع وجود مثير حسي، ومنها اضطرابات الحس مثل الحس الزائد والخدر والحس الزائف والحس المختلط واضطراب حاسة الشم واضطراب الجهاز العضلي.

اضطرابات التفكير: ومنها اضطرابات إنتاج الفكر مثل التفكير الذاتي أو الخيالي والتفكير غير الواقعي أو غير المنطقي،

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي  الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/٦٢

(٢) التوجيه والإرشاد النفسي  الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/١٢١

واضطراب سياق التفكير مثل طيران الأفكار وتأخر أو بطء التفكير والترديد أو المداومة والمنع أو العرقلة والخلط أو الإسهاب والتشتت أو عدم الترابط، واضطراب محتوى الفكر مثل الأوهام والوساوس والمخاوف وفقر الأفكار والبلادة الفكرية وضغط الأفكار وانتزاع الأفكار وإقحام الأفكار والانشغال وتناقض الأفكار والسفسطة والرمزية.

اضطرابات الذاكرة: ومنها حدة الذاكرة، وفقد الذاكرة أو النسيان، مثل فقد الذاكرة الرجعي وفقد الذاكرة اللاحق، وخطأ الذاكرة مثل التزييف والتأليف والألفة والجدة، ومنها اضطرابات أخرى مثل اضطراب الحفظ والاسترجاع وفجوات الذاكرة وفلتات اللسان وهفوات القلم ونسيان عمل شيء معين واستخدام الكلمات الخاطئة.

اضطرابات الوعي والشعور: ومنها تقيم الوعي أو تشوش الشعور، واضطراب التوجيه، والذهول، والهذيان، والحالة الحالمة أو الغسقية، والخلط، والتفكك.

اضطرابات الانتباه: ومنها زيادة الانتباه، وقلة الانتباه، وتحول الانتباه، والسرحان والسهيان، والانشغال.

اضطرابات الإرادة: ومنها اضطراب اتخاذ القرارات، واضطراب الفعل الإرادي، واضطراب الدافعية.

اضطرابات الكلام: ومنها اضطرابات الكلام العامة مثل الحبسة وتأخر الكلام والكلام التشنجي والكلام الطفلي واللغة الجديدة، وعيوب طلاقة اللسان مثل اللجلجة أو التهتهة والعقلة، واضطراب كم الكلام مثل الثرثرة وقلة الكلام، واضطراب تكرار الكلام النمطية، واجترار الكلام المصادرة، وصعوبات النطق مثل الإبدال والتردد واللعثمة، واضطراب الصوت مثل الخنف وحدة الصوت وشدته وفقده، واضطرابات أخرى مثل الاندفاع في الصراخ والسباب والسلبية والامتناع عن الكلام والتحدث مع النفس.

اضطرابات الانفعال ومنها القلق، والاكتئاب، والتوتر، والفزع، والتبلد، واللامبالاة، والتناقض الانفعالي **وعدم الثبات الانفعالي**، وانحراف الانفعال، والزهو أو المرح، والنشوة، أو التجلي، والوجد، ومشاعر الذنب الشاذة، والاستثارية.." (١)

"- إتاحة فرص التنفيس الانفعالي وتبادل الآراء والمشاعر في مناخ نفسي آمن.

- تنمية المسئولية الشخصية للعميل في عملية الإرشاد.

عيوب المقابلة:

على الرغم من أن المقابلة تعتبر الوسيلة الأولى في الإرشاد النفسي، ولها مزاياها المهمة، إلا أن لها بعض العيوب منها:

- انخفاض معامل الصدق، وذلك لاختلاف الاستعدادات والقدرات والميول وتقدير المشاعر.

- انخفاض معامل الثبات، وذلك لاختلاف مشاعر العميل تجاه خبراته ومشكلاته من يوم لآخر.

- الذاتية في تفسير نتائج المقابلة، حيث قد يختلف المرشدون المختلفون في ذلك. وقد تختلف هذه النتائج مع الحقائق الموضوعية، وقد يخطئ المرشد في تقدير السمات أو يبالغ فيها حسب خبرته واتجاهاته، وقد يكون متحيزا عند تسجيل ملاحظاته أو عند تحليلها.

- عدم جدواها كثيرا في حالات الأطفال الصغار الذين يصعب عليهم التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، وعلى أي حال،

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/١٦١

ورغم هذه العيوب، فإنه لا غنى عن المقابلة كوسيلة لجمع المعلومات، ولا بد إذن من الدراسات والبحوث التي تحاول التخلص من هذه العيوب.." (١)

"عليها أفراد عينة أجرى عليها نفس الاختبار في مرتين مختلفتين يفصل بينهما حوالي أسبوعين. وتسمى هذه الطريقة "إعادة الاختبار" ومن طرق دراسة ثبات الاختبار أيضا طريقة "الصور المتماثلة" وذلك بإعداد صورتين متكافئتين لنفس الاختبار، وحساب معامل الارتباط بين الدرجات عليهما، كذلك تتبع طريقة "التجزئة النصفية" للاختبار إلى وحدات فردية وزوجية مثلا لتكون كل منهما صورة تضم نصف الاختبار، ويحسب معامل الارتباط بين الدرجات عليهما. ويحدد البعض معامل الارتباط ٠,٩٠ كحد مقبول للثقة في ثبات الاختبار. ويعلق نوردبيرج Nordberg؛ "١٩٧٠" على **موضوع الثبات قائلا**: إن الاختبار هو هو ولا يتغير من مرة لأخرى عندما يجري، وإذا حدث تغيير في النتائج فإن التغيير يعود إلى المفحوصين أكثر مما يعود إلى الاختبار.

التقنين: يقصد به إعداد معايير للاختبار أو المقياس حتى تتحول الدرجات الخام إلى درجات معيارية تمكن من مقارنة العميل برفاق سنه وجنسه وثقافته، وتعتمد المعايير على المتوسطات أو غيرها من مقاييس النزعة المركزية والانحراف المعياري.

الموضوعية: أي أن يكون هناك معنى وتفسير موحد لوحدات الاختبار وأسئلته، يؤدي إلى فهم المقصود منها. ويمكن التأكد من ذلك عن طريق دراسة الوحدات عندما يجري الاختبار تجريبيا للاستطلا ع. كذلك تتضمن الموضوعية التخلص إلى أقصى حد ممكن من الذاتية والتحيز الشخصي والاختلاف في التصحيح وتقدير الدرجات وتفسير النتائج.

إظهار الفروق الفردية: يجب أن يكون الاختبار فارقا، أي مظهرا للفروق الفردية ومميزا السهولة والصعوبة وتدرجها وتغطيتها للسمات بحيث تظهر الفروق الفردية، ويمكن معرفة ذلك بدراسة معامل سهولة الوحدات.

سهولة الاستخدام: يقصد بذلك سهولة الإجراء والتصحيح وتفسير النتائج. ويتطلب ذلك أن يكون للاختبار كراسة تعليمات يحدد فيها طريقة الإجراء وأمثلة توضيحية والزمن ومفتاح للتصحيح وجدول المعايير ... إلخ.

تعدد الاختبارات: يجب الاعتماد على أكثر من اختبار واحد في الإرشاد النفسي، لأن الاقتصار على اختبار أو مقياس واحد والاكتفاء به قد يكون مضللا.

الاعتدال في الاختبارات: يجب الاعتدال وعدم التمادي في إجراء الاختبارات، لأن كثرة الاختبارت قد تسبب مقاومة من جانب العميل، من مظاهرها الرفض والكذب والتلفيق، ومن علاماتها أيضا شك العميل في قيمة الاختبارات والمقاييس وفي دلالة نتائجها.." (٢)

"اختبار روجرز لدراسة شخصية الأطفال الذكور: تأليف كارل روجرز Rogers، إعداد مصطفى فهمي، ويقيس الشعور بالنقص، وسوء التوافق الاجتماعي وسوء التوافق العائلي. ويناسب الأعمار بين ٩-١٦ سنة، ويستغرق ٤٠-٥٠ دقيقة.

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/١٨٦

(٢) التوجيه والإرشاد النفسي الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/٢٠٣

أخبار روجرز لدراسة شخصية الأطفال الإناث: تأليف كارل روجرز Rogers، إعداد مصطفى فهمي، ويقيس نفس الأبعاد السابقة، ويناسب نفس الأعمار، ويستغرق نفس الزمن.

استفتاء الشخصية للمرحلة الأولى: تأليف ريموند كاتيل Cattell، إعداد عبد السلام عبد الغفار وسيد غنيم.

استفتاء الشخصية للمرحلة الإعدادية والثانوية: تأليف ريموند كاتيل Cattell، إعداد سيد غنيم وعبد السلام عبد الغفار.

اختبار عوامل الشخصية للراشدين: تأليف ريموند كاتيل Cattell، إعداد عطية هنا وآخرون.

هذه الاستفتاءات الثلاثة تقيس سمات الشخصية وأبعادها وهي: السيكلوثيميا ضد الشيزوثيميا، الذكاء العام ضد الضعف **العقلي، الثبات الانفعالي** وقوة الأنا ضد عدم الاتزان الانفعالي وضعف الأنا، والمحافظة ضد التحرر، والسيطرة ضد الخضوع، والانبساط ضد الانطواء، قوة الأنا الأعلى ضد ضعف الأنا الأعلى، المخاطرة والإقدام ضد الخجل والحرص، الواقعية ضد الرومانسية، البساطة ضد نقد الذات، الثقة بالنفس ضد الميل للشعور بالإثم، الاكتفاء الذاتي ضد الاعتماد على الجماعة، قوة اعتبار الذات ضد ضعف اعتبار الذات، قوة التوتر الدافعي ضد ضعف التوتر الدافعي، التبصر ضد السذاجة.

اختبار الشخصية: وضع روبرت بيرنرويتر Bernreuter إعداد محمد عثمان نجاتي ويقيس الميل العصابي، والاكتفاء الذاتي، والانطواء الانبساط، السيطرة الخضوع، الثقة بالنفس، المشاركة الاجتماعية، ويناسب المرحلتين الثانوية والجامعية. ويستغرق حوالي ٢٥ دقيقة.

اختبار الشخصية للشباب: تأليف كارل جيسنيس Jesness، إعداد عطية هنا ومحمد سامي هنا، ويقيس سوء التوافق الاجتماعي، اتجاه القيم للتدهور، تأخر النضج، والنظرة العقلية الذاتية أو الاجترار العقلي، الاغتراب، إظهار العدوان، الانسحاب الانعزالي، القلق الاجتماعي، الكبت، الإنكار، اللااجتماعية، ويستغرق من ٢٠-٤٠ دقيقة.

قائمة أيزينك للشخصية: تأليف هانز أيزينك H. Eysenck، وسيبيل أيزينك." (١)

"S. Eysenck إعداد جابر عبد الحميد جابر ومحمد فخر الإسلام، وتقيس الانبساط الانطواء، والعصابية الثبات، وتتضمن مقياسا للكذب. ولها صورتان متكافئتان أ، ب.

بطاقة تقييم الشخصية: إعداد محمد عماد الدين إسماعيل وسيد مرسي، وقد أعدت للحصول على معلومات عن المشكلة، والجهود التي بذلت لحلها، والعميل في المدرسة، وبيانات عن البيئة، وعن النمو والتطور، وعن دينامية الشخصية، وتشخيص مشكلات العميل، وتقييم شخصيته، والتوصيات، والتنبؤ.

استخبارات الشخصية: إعداد جيلفورد Guilford تعريب مصطفى سويف ومحمد فرغلي فراج، وهي سلسلة استخبارات لقياس الشخصية.

اختبار مفهوم الذات: تأليف حامد زهران، ويقيس مفهوم الذات الواقعي، ومفهوم الذات المثالي، على طول أبعاد خمسة هي البعد الجسمي، والعقلي، والانفعالي، والاجتماعي وبعد عام. ويصلح لمرحلة الشباب، ويستغرق حوالي ٤٠ دقيقة.

مقياس تينيسي لمفهوم الذات: تأليف وليام فيتس Fitts، ترجمة وإعداد صفوت فرج وسهير كامل، وللمقياس صورتان

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي  الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/٢١٥

إحداهما إرشادية، والأخرى كلينيكية بحثية، ويستخرج من الصورة الإرشادية الدرجات الآتية: نقد الذات، الدرجة الموجبة، "تسع درجات فرعية"، درجة التغيرية، درجة التوزيع، درجة الزمن، ويستخرج من الصورة الكلينيكية البحثية الدرجات الآتية: نسبة الصواب إلى الخطأ، درجات محصلة الصراع، درجات الصراع الكلية، المقاييس التجريبية "عددها ستة". ويصلح المقياس للأفراد من سن ١٢ فأكثر.

اختبار مفهوم الذات للصغار: تأليف محمد عماد الدين إسماعيل ومحمد أحمد غالي، ويقيس مفهوم الذات الواقعية، ومفهوم الذات المثالية، ومفهوم الشخص العادي، والتباعد، وتقبل الذات، وتقبل الآخرين، ويصلح للأطفال.

اختبار مفهوم الذات للكبار: تأليف محمد عماد الدين إسماعيل، ويقيس نفس المفاهيم السابقة، ويصلح للكبار.

مقياس مفهوم الذات للأطفال في سن ما قبل المدرسة: إعداد حليم بشاي وطعلت منصور، ويتكون المقياس من أزواج من العبارات تتضمن إحداهما عبارة إيجابية والأخرى عبارة سلبية، ويطلب من الطفل تحديد أي العبارتين يعبر عنه، ويقيس نظرة الطفل إلى علاقاته بالكبار، وبالرفاق، ونظرته إلى التعليم وإلى الذات الجسمية، والذات الانفعالية.

اختبار بقع الحبر لرورشاخ: وضع هيرمان رورشاخ Rorschach وهو اختبار إسقاطي. ويتكون من عشر بطاقات على كل منها بقعة حبر متماثلة الجانبين، خمس منها باللون الأبيض." (١)

"والتقبل، والتفاؤل، والاتزان الانفعالي، والشعور بالثقة، وتحقيق الذات، والسلوك المعياري، والشعور بالأمن، والضبط الذاتي.

مقاييس الإرشاد النفسي:

توجد مقاييس للإرشاد النفسي يستخدمها المرشدون للحصول على معلومات عن ديناميات ومشكلات الشخصية، وتستخدم مثل هذه المقاييس لإثارة اهتمام المرشدين بعملائهم والتعرف على من يحتاجون منهم إلى خدمات إرشادية، والتعرف على مشكلاتهم ومعاونتهم في الحصول على فهم ناضج للذات، والحصول على معلومات كثيرة لازمة لعملية الإرشاد النفسي.

وأهم مقاييس الإرشاد النفسي المستخدمة في الوطن العربي هو:

مقياس الإرشاد النفسي: إعداد محمد عماد الدين إسماعيل وسيد مرسي، وقد وضع المقياس بيردي وليتون Berdie & Layton باسم مقياس منيسوتا للإرشاد النفسي Minnesota Counseling Inventory وهو يعتبر وليد اختبارين سابقين لقياس الشخصية هما: مقياس منيسوتا للشخصية Minnesota Personality Scale واختبار منيسوتا للشخصية Minnesota Multiphasic Personality Inventory. ويقيس الاختبار: العلاقات الأسرية، العلاقات **الاجتماعية، الثبات الانفعالي**، الشعور بالمسئولية، الواقعية، الحالة المزاجية، الاستعداد للقيادة ويصلح للشباب في سن المرحلة الثانوية، ويستغرق حوالي ساعة.

اختبارات ومقاييس أخرى:

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/٢١٦

هناك إلى جانب ما ذكرنا بعض الاختبارات والمقاييس الخاصة الهامة، ونذكرها هنا منفردة لأنها في الواقع ليست اختبارات جاهزة، ولكن يعدها المرشد حسب الطلب وبما يتناسب مع غرضه.

ولا يتسع المجال هنا لذكرها تفصيلا، ولكن نكتفي بالإشارة إليها وإحالة القارئ إلى المراجع التي تتناولها بالتفصيل.

ونذكر من هذه الاختبارات والمقاييس على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: مقياس العلاقات الاجتماعية أو الاختبار السوسيومتري: Sociometric Test وقد ابتكره يعقوب مورينو Moreno، وهو أداة لتقدير الاختيار والرفض داخل الجماعة، ويعطي معلومات هامة عن النجوم والمرفوضين والمعزولين وتقدير العميل لمكانته الاجتماعية، وغير ذلك من الجوانب الهامة في العلاقات الاجتماعية "للتفصيل انظر حامد زهران: ١٩٨٤".." (١)

"- تعيين حد مرن للنجاح يساعد في تقييم عملية الإرشاد ومدى تحقيقها له أو اقترابها أو ابتعادها عنه.

التنبؤ بالمآل:

يتضمن المآل التنبؤ الذي يحدد في ضوء بداية المشكلة أو الاضطراب أو المرض، ودراسة الأسباب والأعراض والمكاسب، وعلى هدي الفحص والتشخيص وطريقة الإرشاد، وحسب شخصية العميل، وتوافقه وبيئته وظروف حياته وصحته العامة واتجاهاته نحو عملية الإرشاد ... إلخ. ويستخدم في ذلك الاختبارات والمقاييس والمعايير والطرق الإحصائية المناسبة.

وما دام كل من المرشد والعميل يعرف أن تساوي الظروف والعوامل المؤثرة في عملية الإرشاد أساس هام في عملية التنبؤ، فعليهما أن يجعلا الظروف والعوامل الأخرى ثابتة أو مواتية، ويتجنبا تأثير العوامل التي تسيء إلى عملية الإرشاد بقدر الإمكان. فقد تتم عملية الإرشاد على خير وجه، وكل ما يتم عمله تهدمه الظروف الأسرية المضطربة، مثل هذه الحالة يكون مثل بناء يبني فيه البناءون ويهدم الهدامون ما يتم بناؤه، فهذا البناء لا يكتمل أبداً. فلا بد في مثل هذه الحالة من الاتصال بالأسرة وتعديل ظروفها بحيث تتكامل الصورة ويتفادى تأثير هذا العامل.

وهكذا يعمد المرشد إلى تحديد مآل المشكلة أو الاضطراب ولو على وجه التقريب، استنادا إلى أمور منها أن هناك عوامل **تؤكد الثبات النسبي** للسلوك وسمات الشخصية، وفي نفس الوقت فإن السلوك مرن وقابل للتعديل، وأن هناك فروقا بين الأفراد، وأن الفرد نفسه يختلف من وقت لآخر.

وتؤكد برادليBradley؛ "١٩٧٢" أهمية التنبؤ الفعال القائم على أساس دراسة الحالة ودراسة الشخصية، وقد وجدت أن المرشدين دقيقي التنبؤ لا يغالون في دقة تنبئهم كما يغالي المرشدون الذين تنقصهم دقة التنبؤ.

ملامح التنبؤ بالمآل:

يكون مآل المشكلة أو الاضطراب أو المرض أفضل، أي أن الأمل في نجاح عملية الإرشاد يكون أكبر والتفاؤل أكثر، في الحالات الآتية:

- إذا كانت بداية المشكلة أو الاضطراب مفاجئة وحادة.

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/٢٢٦

- إذا كانت المشكلة أو الاضطراب حديثا.

- إذا عرفت الأسباب المهيئة بدقة وعرف سبب مرسب محدد.." (١)

"المشكلات الانفعالية: من أمثلتها الخواف بأنواعه المختلفة ودرجاته المتدرجة بين الخوف الخفيف إلى الذعر، والقلق خاصة في عصرنا الذي أصبح يطلق عليه "عصر القلق"، والغضب والغيرة كمركب من انفعالات الغضب والكراهية، والحزن والعدوان، والاكتئاب، والتوتر والفزع، واضطرابات أخرى مثل التبلد واللامبالاة والتناقض والانفعال، **وعدم الثبات الانفعالي**، وانحراف الانفعال، والزهو المرح والخجل، والاستغراق في أحلام اليقظة، والاستغراق في الخيال، ومشاعر الذنب الشاذة، والاستثارية، والحرمان الانفعالي، ومعروف أنه يصاحب المشكلات والاضطرابات الانفعالية ضعف وفقد الثقة في النفس واضطراب الكلام والسلوك الدفاعي وسهولة الاستثارة الانفعالية والحساسية النفسية بصفة عامة.

مشكلات التوافق: مثل سوء التوافق الشخصي، وعدم الثقة في النفس حيث يشاهد الخجل، وتحقير الذات وعدم الثقة في النفس، والسذاجة والشعور بالإثم والسلبية، والتبرم، والملل، والإهمال، وعدم تحمل المسئولية، وهناك سوء التوافق الاجتماعي حيث يشاهد الارتباك والشك والحقد والغيرة والاستعراض وقلة الأصدقاء والوحدة والانسحاب والتعصب ... إلخ.

مشكلات السلوك عامة: وتشمل الاضطرابات السلوكية التي تعتبر إما أعراضا لأمراض نفسية، أو هي نفسها مشكلات سلوكية قائمة بذاتها، ومن أمثلة مشكلات السلوك اضطرابات العادات مثل اللازمات الحركية والعصبية كهز الرجلين وحركات الرأس والكتفين واليدين ورمش العينين وحركات الفم وجرش الأسنان ... إلخ ومنها اضطرابات الغذاء مثل قلته والإفراط فيه والوحم وفقد الشهية والعصبي ... إلخ. ومنها اضطرابات الإخراج مثل البوال وعدم القدرة على التحكم في التبرز والإمساك أو الإسهال العصبي.

خدمات الإرشاد العلاجي:

الإرشاد العلاجي هو أشمل مجالات الإرشاد النفسي وأجمعها، ويعتبر تطبيقا عمليا لكل ما يتم من إجراءات عملية الإرشاد. وفي نفس الوقت، فإن الإرشاد العلاجي يعتبر أكثر مجالات الإرشاد النفسي تخصصا، ويرجع إليه الفضل في تمهين الإشاد النفسي.

ويهتم المرشد المعالج بمساعدة العميل على الاستبصار بأسباب مشكلته، وأن يتخذ قراراته ويقترح الحلول، وأن يتعدل سلوكه من خلال تنظيم مواقف التعلم أثناء الجلسات الإرشادية العلاجية. ونقطة البداية في الإرشاد العلاجي هي معرفة حاجات ومشكلات العميل، وإلى أي مدى تكون الحاجات مشبعة والمشكلات محلولة في حدود الإمكانات الشخصية والمعايير الاجتماعية.." (٢)

"هيهات مستحيل بعيد.

هيهات بعدا لما راموا وما قصدوا ... وما تمنوا لقد باؤوا بذلهم

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/٢٦٥

(٢) التوجيه والإرشاد النفسي الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/٤١٧

خابت أمانيهم شاهت وجوههم ... زاغت قلوبهم عن هديه القيم

"خابت أمانيهم" خابوا وخسروا حينما قصدوا إلى المعارضة "وشاهت وجوههم".

"زاغت قلوبهم عن هديه القيم" مثل هؤلاء لا يوفقون إذا كان مجرد الإعراض عنه ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ [(١٢٤) سورة طه] فكيف بمن تصدى لمعارضته أو لنقده؟! وقد أثر عن بعض الأدباء المعاصرين من يقول: إن قلمي الأحمر معه قلم أحمر يعدل فيه الكتب يصحح، ومن حقه أن يصحح؛ لأنه متمكن في علمه في الأدب في العربية في غيرها يصحح، يقول: لم يسلم من قلمي الأحمر ولا القرآن -نسأل الله السلامة والعافية-، هذا ضلال، وهذا زيغ، نسأل الله الثبات.

كم قد تحدى قريشا في القديم وهم ... أهل البلاغة بين الخلق كلهم

تحداهم فلم يستطيعوا أن يعارضوه، وأعلنوا الفلس والعجز، وهو معجز بذاته لا بما تقوله المعتزلة أنه معجز بالصرفة، هم قادرون على معارضته، لكن الله صرفهم عن ذلك، إذا كانوا قادرين ما صار معجزا، يعني كعجز الأعمى عن القراءة القراءة في مقدور الناس كلهم، لكن الأعمى مصروف عن القراءة، فيكون العرب عن معارضته بمثابة الأعمى، هو ممكن معارضته والإتيان بمثله ممكن لكن الله -جل وعلا- صرفهم، هذا ما يصير فيه إعجاز للقرآن، هذا قول باطل.

بمثله وبعشر ثم واحدة ... . . . . . . . . . . .

"بمثله" أن يأتوا بمثله، أو يأتوا بعشر سور، أو يأتوا بسورة واحدة.

. . . . . . . . . . . ... فلم يروموه إذ ذا الأمر لم يرم

لم يقصد مثل هذا الأمر؛ لأنهم عجزوا وأعلنوا عجزهم.

الجن والإنس لم يأتوا لو اجتمعوا ... . . . . . . . . . . .

﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [(٨٨) سورة الإسراء].

الجن والإنس لم يأتوا لو اجتمعوا ... بمثله ولو انضموا لمثلهم

يعني ولو مثلهم معهم ما استطاعوا.

أنى وكيف ورب العرش قائله! ... . . . . . . . . . . .

يعني شخص يخفى عليه ما بين يديه وما بين جنبيه كيف يأتي بكلام يعارض فيه كلام من يعلم السر وأخفى، ومن خلق الخلق وعرف ما جبلهم عليه كيف يقارن هذا كلامه بكلام الله -جل وعلا-.." (١)

"الكون والتطور:

تحدث علماء المسلمين **عن الثبات والتغير** على الكون. كما تحدثوا أيضا عن التطور. ويتفق مفكرو الإسلام ومفكرو الغرب في أن الكون يتطور، وأن التطور هو قانون الكون، لكنهم يختلفون في تفسير طبيعة عملية التطور، والكيفية التي تتم أو تحدث بها. فالقرآن الكريم يقول إن أصل العالم كان شيئا واحدا. أما بالنسبة لمفكري الغرب فإن بداية الكون لديهم غير

---

(١) شرح المنظومة الميمية في الآداب الشرعية عبد الكريم الخضير ١٧/٥

معلومة، ويختلفون في شرحها. فمنهم من قال بنظرية الانفجار العظيم. وهي تذهب إلى أن الكون نتج عن انفجار كتلة واحدة من المادة، وأنه يتمدد باستمرار. ومنهم من قال بنظرية حالة الاستقرار ومعناها أن الكون كان له دائما تركيبه الحالي، وأن المادة تتشكل باستمرار، وهناك من قال بنظرية التذبذب وهي تعني أن الكون يتمدد ويتقلص بانتظام على مدى آلاف الملايين من السنين. وهذه النظريات هي مجرد نظريات تحتاج إلى البرهنة على صحتها. وعلى الرغم من هذا فإنها لا تقدم لنا إجابة شافية على السؤال الهام: من أين أتت المادة الأصلية أو الطاقة التي تنتج المادة لتشكيل الكون كله؟ وهكذا يظل التكهن ببداية الكون سرا مكنونا لا يزال بعيدا عن تصور العقل البشري "محفوظ على عزام: ١٦٧، ١٦٨".

ويعتبر القرن التاسع عشر قرن نظريات التطور في العالم الغربي. من هذه النظريات ما يعرف بنظرية التطور الطبيعي. ومن أهم روادها "لامارك" "١٧٤٤-١٨٢٩" وهو عالم فرنسي في علم الأحياء أو البيولوجيا. ويعتبر أول من وضع نظرية عامة للتطور. وتقوم نظريته على أساس توارث الصفات المكتسبة. بمعنى أن جميع الصفات المكتسبة عن طريق الاستعمال أو غير الاستعمال، والتي تكون بتأثير البيئة، تبقى وتتوارث في الأجيال التالية. ومن رواد نظرية التطور الطبيعي أيضا "داروين" "١٨٠٩-١٨٨٢" وهو عالم إنجليزي في علم الأحياء أو البيولوجيا، صاحب نظرية الاختيار الطبيعي والتطور العضوي. ومن مبادئ هذه النظرية: ميل جميع الكائنات للزيادة بنسبة هائلة للغاية، ومع ذلك يظل عدد كل نوع من الحيوان ثابتا لأن كثيرا منه يهلك نتيجة المرض أو الأعداء أو التنافس أو المناخ. ومن هنا استنتج "داروين" فكرة." (١)

"حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" أخرجه البخاري (١).

الشرح:

في آخر الزمان تكثر الفتن وتتنوع ويهلك بسببها الكثير من الناس، ولا يسلم من شرها إلا من التزم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وابتعد عن الدخول في شيء من هذه الفتن ما استطاع، ولزم جماعة المسلمين، وحاول الإصلاح بما يستطيع مع الصبر وسؤال الله الثبات على الدين.

الفوائد:

- كثرة الفتن في آخر الزمان.
- تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم منها مما يدعو المسلم إلى البعد عنها والحذر منها.
- توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى لزوم جماعة المسلمين وقت الفتن.

---

(١) خ١٣/ ٣٥ (٧٠٨٤).." (٢)

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية محمد منير مرسي ص/١١٣

(٢) الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية راشد العبد الكريم ص/٥٤١

"هذه الحقيقة عندما تستقر في كيان الإنسان فإن من شأنها أن تنسيه عمله الصالح، بمعنى أنه لن يظن أن له مكانة عند الله بهذا العمل أو أنه يستحق به دخول الجنة ودرجاتها العلى، بل يعمل العمل ويجتهد فيه ثم يسغفر الله بعد القيام به لشعوره بأن حق الله عليه أعظم مما يفعل وأنه إن لم تتداركه رحمة الله وعفوه فسيهلك، كمن أدان شخصا بمبلغ كبير من المال مثلا مليون دينار، ثم قام هذا الشخص بالاجتهاد في العمل وفي نهاية كل شهر قام بسداد درهم واحد .. ما هو شعور هذا الشخص وهو يقدم الدرهم لدائنه؟! .. هل شعور الفخر والإعجاب بهذا الدرهم، أم أنه سينكس رأسه وهو يعطيه له، ويشعره بالتقصير الشديد في حقه ويستعطفه ويرجوه أن يسامحه على تقصيره؟! بل يرى أن قبوله له محض فضل منه وإحسان. هذا لو كان الدين يساوي ذلك فقط، فما بالك بدين الله علينا الذي تعجز قدرات العقل عن إحصائه؟!!

فالله عز وجل له حقان على العبد: حق طاعة أوامره، وحق شكر نعمه.

والمتأمل في القرآن يجد مساحة كبيرة ومعتبرة تتحدث عن حق الله على عباده وبخاصة دين النعم، وتذكرهم ببعض تفاصيل هذا الحق وواجبهم نحوه سبحانه وتعالى.

يقول تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [النحل: ٥٣].

جوانب النعم:

ويعدد لنا القرآن بعضا من جوانب نعم الله علينا لنستشعر حجم الدين الذي في رقبتنا، مثل:

- نعمة الإيجاد. قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ [النحل: ٧٨].

- ونعمة الإمداد: مثل قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾ [الملك: ٣٠].

- ونعمة التسخير. مثل قوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ [الجاثية: ١٣].

- ونعمة الحفظ. مثل قوله تعالى: ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ [الأنبياء: ٤٢].

- ونعمة الهداية. مثل قوله تعالى: ﴿إن علينا للهدى﴾ [الليل: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ [النحل: ٩].

- ونعمة التوفيق. مثل قوله تعالى: ﴿وما توفيقي إلا بالله﴾ [هود: ٨٨].

- ونعمة الثبات: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ [النساء: ٨٣].

- ونعمة العصمة من الفجور: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ [النور: ٢١].

- ونعمة العفو: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ [النور: ١٤].

- ونعمة الأمن والستر، ونعمة سبق الفضل، والعافية، والإمهال ..

والقرآن بعد أن يعدد لنا بعضا من جوانب النعم الإلهية على العباد يطالبنا بشكر هذه النعم، قال تعالى: ﴿فخذ ما آتيتك

وكن من الشاكرين﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وشكر النعم يبدأ بمعرفة حق الله ودينه المستحق علينا. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم﴾ [فاطر: ٣].." (١)

"علينا، وأرضنا وارض عنا)) (١).

١٣٠ - ((اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي)) (٢).

١٣١ - ((اللهم ثبتني واجعلني هاديا مهديا)) (٣).

١٣٢ - ((اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك

---

(١) الترمذي، ٥/ ٣٢٦، برقم ٣١٧٣، والحاكم، ٢/ ٩٨، وصححه، وحسنه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول، ١١/ ٢٨٢، برقم ٨٨٤٧.

(٢) أخرجه أحمد، ٦/ ٦٨، و١٥٥، و١/ ٤٠٣، وابن حبان (٢٤٢٣ - موارد)،والطيالسي،٣٧٤، ومسند أبي يعلى، برقم ٥٠٧٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ١/ ١١٥، برقم ٧٤.

(٣) دل عليه دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لجرير - رضي الله عنه -. انظر: البخاري، برقم ٦٣٣٣، وكذلك بأرقام ٣٠٢٠، ٣٠٣٦، وغيرها ..." (٢)

"وصعد به الى الجبل وأدخل الى البحر وهو فى منتهى الثبات. وعلامة الصدق أنه دل الملك كيف يقتله!! قال الغلام للملك: لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، خذ سهما من كنانتى وضعه فى كبد قوسك ثم قل: بسم الله رب الغلام ، حينذاك تقتلنى .. إذا فالغلام هو الذى دل الملك كيف يقتله .. ولم ضحى بنفسه فى سبيل القتل؟! ، حتى يسمع الناس كلمة: بسم الله .. حتى يعرف الناس أن لهم معبودا اسمه الله .. هذا هو الصدق.

شاهد ثان فى الصدق من نفس القصة .. الراهب لما جاءه الغلام وقال له: كانت دابة تعترض طريق الناس فرميتها فقتلتها ، قال له الراهب: أى بنى ، أنت اليوم أفضل منى .. صدق .. فلم يخف تلك الافضلية. حتى الساحر كان صادقا مع نفسه .. تعلمون أن الساحر كذاب كبير ، ولكنه كان صادقا مع نفسه ، حيث قال للملك: إنى كبرت ، فأبلغنى غلاما أعلمه السحر يكن لك من بعدى .. الساحر يقول: أنا سأموت .. لم يداهن نفسه - وإن كان يداهن الناس.

إذا فالغلام صدق فعرف ، والراهب صدق فلم يخف ، والساحر صدق فلم يداهن نفسه.

وإن كنت تعجب من قولنا: صدق الساحر مع نفسه ، فالعجب أكثر لمن لم يصلوا حتى إلى تلك الدرجة " الصدق مع

---

(١) العودة إلى القرآن لماذا وكيف مجدي الهلالي ص/٥٢

(٢) الدعاء من الكتاب والسنة سعيد بن وهف القحطاني ص/٦٢

النفس " .. هؤلاء الذين يداهنون حتى على الواقع .. إن بعضنا – وللاسف الشديد – يكذب الكذبة فتكبر فيصدقها .. يلتزم بالكذب فتكبر الكذبة ، وينسى أنه هو." (١)

"" الأغانى كالشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح " ، فماذا نتوقع منه؟! .. لا شك أنه سيفتن بفتوى مضلة ملبسة ، وليس قول هذا الشيخ: " أنا أسمع الغناء " بحجة لنفسه أو لغيره.

الشاهد: أن الشباب حينما يقرأ هذه الفتاوى والبلاوى ، يقول: إذا فهى حلال ، ويبدأ فى تشغيلها لغلبة الهوى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والله – يا إخوة – إن أحد إخوانكم كان معى فى المسجد وفى الدرس ، بل وكان يحضر معى فى السيارة .. فتن – اللهم رده إلينا ردا جميلا – قال لى: سمعت قليلا من " الغناء " وبعدها غرقت فى بحر الشهوات .. تاه .. ضل ، لأن المنزلق خطر .. سلطان الهوى قوى .. وتياره جارف .. وأمواجه ترمى بعيدا عن الشاطىء فى داخل البحر.

نعم: سلطان الهوى على القلب والعقل قوى وخفى ، تجد صاحب الهوى يقول: سأمتع نفسى بعض الشيء وبعض الوقت – يقصد – بالمعصية! – ثم إننى أعود إلى الله ، إذا فلن أتضرر كثيرا .. أقول لك: أنت لا تضمن ، فقد يسخط الله عليك وقت معصيتك – هذه التى تستصغرها – فتنحرف وتنجرف لتعيش فى الطين.

اللهم ثبتنا على الايمان يا رب .. اللهم إنا **نسألك الثبات على** الحق ، والعزيمة على الرشد ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم .. اللهم اصرف عنا مكر الهوى والنفس والشيطان.

والشاهد: أن بعض الناس بل الكثير يأتون الباب – وهذا فضل الله عليهم – ، ولكنهم لا يريدون ولوجه .. لا يريدون أن يدخلوا فى." (٢)

"او بخمسة وخمسين ريالا – لأسعى به .. فإذا بى وأنا عليه مستريح انظر الى الناس فأجد امراة مسكينة لا تقدر على المشى تستند الى سور الصفا والمروة .. فقلت لها وأنا راجع: انتظرى لحظة ، تعال يا بنى اعطنى كرسيا ، وقلت لها: اركبى قالت: ليس معى مال قلت: انا دفعت قالت: كم انت كريم يارب .. انت ترانى وتعرف حالى واعطيتنى كرسيا .. انا احبك يارب.

فكم تساوى هذة الكلمة – اخواتاه –؟! .. وكم يساوى ان تجعل احدا ينطق بحب الله؟! .. والله ملايين الدنيا لا تساويها .. ربنا اكرمنى واعطانى كذا وكذا ، وعمل لي كذا وكذا ، وطلبت منه كذا فوهبنى كذا ، وسترنى فى كذا ، وعافانى من كذا وكذا .. هكذا يكون التحدث بالنعم ، ولايكون كل كلامنا ان نشتكى .. هذا ما اريد ان أؤصله فيكم ، واريدكم ان تعملوا به .. ان تجعلوا الناس يحبون الله.

وإذا كانت المحبة تنبت بمطالعة المنة ، فإنها تثبت باتباع السنة – اللهم ارزقنا اتباع السنة يارب ، اللهم إنا نسألك اتباع السنة وفعل السنة .. نعوذ بك اللهم من البدع واهلها .. المحبة تثبت باتباع السنة .. كن خلف النبى محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/١٢٩

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٢١٢

تصل .. كن واحدا لواحد على طريق واحد تصل .. كن شخصا واحدا ليس بوجهين فأخلص .. " لواحد " اى: الزم التوحيد .. على طريق واحد هو اتباع السنة ، على طريق النبى محمد صلى الله عليه وسلم تثبت ولا تتلون ولا تتغير ولا تحيد او تتحول .. اثبت على الطريق السنى – اللهم ارزقنا الثبات على الدين.." (١)

"وهذه الأيام في آخر الشهر نحتاج للمناقشة حتى يستطيع الإنسان الحصول على أعلى الدرجات، وتحتاج إلى المسارعة بل ومسابقة الأنفاس لأنها تمر مر السحاب، وكل لحظة مرت لا تعود ولا تعوض؛ فسابق أخي الحبيب أجلك، وأدرك رضا الله بعملك، واشحذ همتك؛ فهذا أوان جدك.

وظائف آخر الشهر:

أولا: وقفة صادقة مع الله ومع النفس:

لا بد أيها الإخوة من وقفة صادقة دون كذب أو خداع أو مواربة، لم يبق من الشهر إلا القليل فماذا أنت صانع فيه؟

في هذه الوقفة تنظر فعليا وبعد تفرغ تام:

* هل أديت العبادات على وجهها؟

* هل عشت رمضان حقيقة كما يحب ربنا ويرضى؟

* هل ذاق قلبك طعم العبادات؟

* هل حصلت التقوى المنشودة المقصودة من وراء هذا الصيام؟

* هل تلوت القرآن وسمعته وأحيا الله به موات قلبك؟

* هل تغير البيت وتحول نمط الحياة عندك فصرت عبدا ربانيا؟

* هل أحسست بتغيير فعلي في قلبك فرأيت نورا جديدا؟

* هل بعد هذا التغيير عازم على الثبات فلن تعود إلى المعاصي؟

* هل تظن بعد هذه الليالي الطويلة أنك قد أعتقت رقبتك من النار؟

* هل بعد كل تلك الليالي وفيها من فرص المغفرة ما فيها؛ تظن أنك قد غفر لك ما تقدم من ذنبك؟." (٢)

"تقتضي منهم سعيا موصولا وعبادة غير منقطعة وشغلا دءوبا بذكر الله –عز وجل– ومحبته إلى الممات، لا يقوم حق الله –عز وجل– بدون ذلك.

فليت شعري من المقبول؟، حتى يستحق تلك التهاني، وينال مع تلك التهاني تنبيهات على سعيه.

رابعا: استقامة القلب:

ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه؟، حتى تكون تهنئتنا له على ما نال قلبه من ذل لله –عز وجل– وتعظيم لأمره، وانكسار

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٣٠٠

(٢) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٣٣٩

من ذلك القلب، ورقة على الخلق ليستديم ذلك الحال، وليتحول إلى شخص آخر بعد منحة الله –عز وجل– له في رمضان، وعطائه إليه وإحسانه.

**خامسا: الثبات على** العمل الصالح:

ليت شعري من المقبول فنهنيه؟، بأن يرجو موسم رمضان آخر بينهما عبادة موصولة، وشغل بالله –عز وجل– وطاعته وخدمته ومحبته، شغل دائم غير منقطع.

ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه؟، حتى تكون تهنئتنا له سببا لثباته على ما وفقه الله –عز وجل– له من العمل الصالح.

فما ينقضي مع انقضاء رمضان صيامه ..

وما يذهب مع ذهاب ليالي رمضان قيامه ..

وما يعود إلى ما كان منه من وحشة بينه وبين مصحفه وورد قرآنه ..

ليتحول إلى شخص مقتد بالنبي – صلى الله عليه وسلم – "فقد كان عمله – صلى الله عليه وسلم – ديمة" (١).

---

(١) متفق عليه، البخاري (١٨٨٦)، مسلم (٧٨٣).." (١)

"من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية .. ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأحسن منها الحسنة بعد الحسنة تتلوها، وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها .. ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنبا قبلها، النكسة أصعب من المرض وربما أهلكت، سلوا **الله الثبات على** الطاعات إلى الممات، وتعوذوا به من تقلب القلوب، ومن الحور بعد الكور، ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة، وأفحش فقر الطمع بعد غنى القناعة.

(٤) صيام رمضان يستوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر، وهو يوم الجوائز، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة، فإن شكر النعمة إنما يكون بفعل من جنسها؛ حتى يكون الصيام نعمة تستوجب شكرا بصيام آخر، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، ألم تر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقوم حتى تتفطر قدماه، فيقال له: تفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، فيقول – صلى الله عليه وسلم –: "أفلا أكون عبدا شكورا" (١)، فكان قيامه – صلى الله عليه وسلم – ذلك القيام الطويل حتى تتورم قدماه .. ثم حتى تتفطر قدماه .. ثم حتى تتشقق قدماه بعد تورمها، كل ذلك شكرا لله –عز وجل– على مغفرته لذنوبه.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره، وغير ذلك من أنواع شكره نقال: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ [البقرة: ١٨٥]، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه، ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرا عقيب ذلك.

---

(١) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٣٧١

(١) متفق عليه، البخاري (١٠٧٨)، مسلم (٢٨١٩).." (١)

"نفس هذا الكيان فطبعا هذا فيه إلغاء لشخصية الابن إلغاء له تماما وسوف يعوق نموه على الاستقلالية، وقلنا من قبل أن هدف التربية أن الأب يربي ابنه كي يشب سويا ليعينه على الاستقلال الكامل ومواجهة الحياة بنفسه بعد ذلك، كما قال أحد الآباء لابنه المراهق قال له كن رجلا ولا تتبع خطواتي، كن رجلا مستقلا بنفسه ولا يكن دورك معي مجرد التقليد والتبعية، كأنك زيد تتبع أخك ولكن كن رجلا ولا تتبع خطواتي، وشبهنا من قبل عملية التربية وأنها مثل الرامي الذي يرمي السهم، فدور الأب مع الابن أن يساعده على الاستقلال وليس على التبعية.

التربية الناجحة أنه يستطيع أن يواجه الحياة بنفس لأن هذه سنة النمو الطبيعي في كل الكائنات، بيبدأ بفترة حضانة وكذا وكذا ثم ينفصل، وبيتزوج مثلا، أو ينفصل بصورة أو بأخرى، فهذا الهدف ليس الهدف إن احنا نتعامل على أنهم ملكية شيء بنملكه، ونستحوذ عليه ونعيق نموه واستقلاليته.

الهدف في التربية مثل السهم الرامي بيرميه بشدة لماذا؟ ليحرره من قبضته لكنه بيعطيه طاقة، فهو الذي يشجعه على الانطلاق في المستقبل، ودائما الآباء بيكونوا كبار في السن بيكون في حياته نوع **من الثبات كما** هو حال الرامي.

أما السهم فيكون فيه أمامه مستقبل بعيد، وهو بيهيئه لصناعة هذا المستقبل لانطلاق بحرية بدون تبعية، للأب مع إن الأب هو الذي يعطيه القوة والدفعة كي يستقل، كون الابن يكون خاضع للسيطرة أيضا هذا أمر ضروري، لا جدال فيه، لأنه كما قلنا أنه محتاج إلى تأديب ومحتاج إلى ضوابط وإلى قواعد تحكم سلوكه.

لكن ليس شرط أن تترك للابن فرصة جيدة لتكون له شخصيته الخاصة به، لأن ناقشت من قبل في أول محاضرة موضوع التميز لا بد أن تنظر لكل طفل على أنه متفرد، فيه نوع من التفرد والتميز، ولا تطلب منه أن يكون نسخة كربونية منك، لأن الابن الذي سيعاني من سيطرة أبيه في الغالب يحصل له بعد هكذا أنه لما ما يبقى عنده أولاد مع إنه يشتكي يشوف مثلا واحد مراهق وبيصرخ من تصرفات أبيه معه،." (٢)

"دور الأب مع الابن بالضبط مثل دور السهم مع القوس مهمة الأب أن يمهد الطفل بأن القوس المستقبل الطويل الأب في الغالب عمره ينحسر من أجل أن هكذا فيه نوع **من الثبات مثل** القوس ثابت في المكان لكن دائما الحياة تنحاز للي قدامه مستقبل فالطفل أو الشاب ما زال قدامه هاينطلق في فضاء الحياة فدور الأب إنه يعده أن يتحرر منه وهو الذي يعطي له الطاقة حتى يستطيع أن ينطلق بأسرع ما يكون في خضم الحياة ويتحمل مسئوليتها بنضج ليس كل شيء يعتمد فيه على الأب وهذا النمو الطبيعي في سنن الحياة كل كائن لو درسنا نبضات الحياة نجد بيوصل لمرحلة لازم يستقل.

فنفس الشيء الهدف من التربية أن تعينه على الاستقلال إنه لما يستقل يستطيع أن يواجه الحياة بدون اعتمادية على الأبوين فهذا هو التطور الصحيح إن أنت تهيئه كي يستقل عنك ليس بتربيه من أجل أن يفضل تابع لك ونسخة مكررة منك

(١) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٣٨٤

(٢) محو الأمية التربوية محمد إسماعيل المقدم ٩/١٠

تقييده وتقهره بما تهوى لكن لازم تنمية العملية الاستقلالية فالطفل المبدع هو الطفل الحر ليس معنى حر أن نتركه ونترك الحبل على الغارب لأننا قلنا أن الطفل من ضمن احتياجاته الحاجة إلى سلطة ضابطة احتياج أساسي لا بد فيه سلطة تحكمه وتوجهه طبعا، لكن ما معنى إننا نريد الطفل الحر الطفل الحر يعني المعنى إنك لا تتصرف عوضا عن ابنك واحد يسأله اسمك إيه؟ لا تقول أنت اسمه كذا اتركه هو يرد يقول أنا اسمي فلان لا تتصرف عوضا عنه.

لا تقم بالأعمال بدلا عنه بحجة انك يريد تريحه أو بحجة أنه ليس كفأ لأن يفعلها ما دام يستطيع أن يفعل الأعمال التي تخصه كالطعام أو الملابس دعه يفعلها لا تتكلم عن لسانه دعه يتكلم ويعبر عما عنده يتصرف في أموره بكامل حريته لكن ضمن رقابة ورعاية والديه حينما تتصرف بدلا عن الطفل تقول له نحن مستعجلون البس ملابسك وهو بيلبس النعل الخاص به فقد يتأخر في ذلك فيذهب الأب أو الأم إليه وتقول له تعالى لأنك ستأخرنا وهذا معناه أن هذا قدح فيه أو حرمان له من إشباع الاعتبار أو الكيان المستقل بالتالي كأنك تقول إنك قليل القدر قليل القدرة ونحن لا ندع لقدرتك أي اعتبار فمعناه انك فاشل لا تستطيع أن تفعل شيء رغم أنه تصرف بسيط وسازج لكن ورائه المعاني السابقة وأنك لا تستطيع." (١)

"فلو نشأ الطفل على احترام هذه القواعد هذا بيوفر الطمأنينة وله أثر كبير بالذات في مرحلة المراهقة لأن المراهق يبقى يريد دائما يخرج من الإيه يتمرد على النظام دائما ليحقق ذاته فيحتاج ألا يسأله أحد أين كنت أو أين تذهب أو لما أتيت متأخر ليه بالليل أو كذا فهذه أشياء متوقعة في سن المراهقة لكن يكون دائما العلاج في هذه الحالات أنك تفهمه أن هذا البيت مثل مؤسسة كل مؤسسة لها مدير مسئول عنها وأنا كأب أنا المسئول عن كذا ..

فالنظام مثل أي مؤسسة مثلا الابن لا يتأخر عن العاشرة مساء خارج البيت وهكذا يعني كل الضوابط في وقت الطعام وقت للنوم وقت لكذا فكل أما ربي على هذه الضوابط والقواعد كلما كان يشيع أشع هذا الطمأنينة في داخل إيه يعني أفراد الأسرة وبيتكلم هنا عن مثل الضوابط يعني ضع سمكا في حوض زجاجي حوض زجاجي ضع فيه السمك بدون أرضية ولا رمال يعني مجرد زجاج وماء فقط وأكسجين طبعا فيقول لك لاحظ الحركة في حركة السمك ثم ضع حدودا بالرمال والحجارة ولاحظ الفرق في حركة السمك متى يكون أكثر حرية واطمئنانا وحركة؟ في أي الحالتين؛ الحالة الثانية لأن فيه حدود فيه ضوابط تجد بيبدأ يتحرك ويكون نشيطا وكذا وكذا في حالة الوضع السايب خالص هذا يحيره لكن وجود الحواجز والأعشاب وهذه الأشياء بيدي نوع من السرعة أو الكثرة في الحركة والاطمئنان،

الخطوة الخامسة: وضوح معالم التربية وثباتها إما يطمأن الطفل وضوح التوجيهات التربوية وثبات المعايير بمعنى أوضح أن التذبذب في التوجيهات والتناقضات والاختلافات الجوهرية بين ما يريده الأب وما تريده الأم يحرمان الطفل الناشئ المتعلم من الطمأنينة فلا بد من الثبات على مبدأ والحفاظ على مواطن الاقتداء في سلوك الوالدين واتفاق عام بين الوالد والوالدة

---

(١) محو الأمية التربوية محمد إسماعيل المقدم ٨/٢٠

فلا يبقى تحدي بين اثنين تناقض في وسائل التربية فالطفل يدفع هو يعني الثمن أيضا لا بد من الابتعاد عن الأوامر والنواهي الكيفية التي لا تبرر ولا تقنع الطفل مما يزيد الطفل اطمئنان أسلوب الإقناع والتبرير لأوامرنا ونواهينا." (١)

"كم من عالم مليء بالعلم شانته أخلاقه، وشانته تصرفاته، وشانه سمته ودله، لا يخاف الله في كلامه، ولا يراقب الله في منطقه، يتتبع عورات المسلمين، ويثلب عباد الله المتقين، فالحذر الحذر أن تغتر من العالم بكثرة علمه دون أن يكون عنده ورع يمسك بزمام لسانه عن أن يقول على الله ما لا علم له، وقد كان العلماء -رحمهم الله- يختبرون الأئمة، يختبرونهم بالسؤال عمن لا علم لهم به، فإن وجدوهم وقافين عن حدود الله، وقافين عند محارم الله، أحبوهم ورضوهم في أخذ العلم عنهم.

الثانية: أن يكون صالح السيرة، حافظا يحفظ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فكما أن الأعمى لا يقود الأعمى، فكذلك الجاهل لا يقود الجاهل، لذلك ينبغي للإنسان أن يبحث عن هذا الصنف العالم المتمكن في علمه، المتمكن في فنه، فمثل هذا حجة، وكفى به حجة.

إذا وجدت هذا العالم، فلا يخلو من حالتين:

أ- إما أن يكون في بلدك.

ب- وإما أن يكون في غير بلدك.

أ- فإن كان في بلدك: فاحرص مجالسه، واحرص على زيارته، فمن صفات طلاب العلم أنهم يحبون العلماء، وأنهم على صلة بأهل العلم والفضل، فلا يعرف الفضل لأهله إلا أهل الفضل، فاقبل عليه، واثبت عنده، ولذلك قالوا في الحكمة: من ثبت نبت، والمراد بالثبات: أن تلزم العالم وأن تأخذ عنه، وأن تحرص على الفائدة التي عنده، ولذلك قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: ثبت عند حماد بن أبي سليمان فنبت، وقد عرف السلف الصالح هذا الثبات، والذي ضر كثيرا من طلاب العلم في هذا الزمان أنهم لا يثبتون عند العلماء.

لذلك انظر في حال السلف، فعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخذ عنه عكرمة، وأخذ عنه مجاهد، ومكحول الشامي، وطاوس.." (٢)

"الفصل السادس: الاختبارات النفسية واستخدامها في مجال الإرشاد

مدخل

...

الفصل السادس: الاختبارات النفسية، واستخدامها في مجال الإرشاد

مقدمة:

من القضايا التي شهدها مجتمع علم النفس في السنوات الأخيرة، قضية القياس النفسي في مجال الإرشاد، وقد كان السؤال

---

(١) محو الأمية التربوية محمد إسماعيل المقدم ٧/٩

(٢) معالم تربوية لطالبي أسنى الولايات الشرعية محمد المختار الشنقيطي ص/٦٥

المطروح دائما هو: هل يقوم المرشد بتطبيق الاختبارات النفسية في عمله الإرشادي؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فهل المرشد معد تعليميا وتدريبيا للقيام بهذا العمل، وقد صحب ذلك ظهور كتابات عديدة ترى أن هناك تقاربا يكاد يصل إلى التطابق بين فرعي الإرشاد "علم النفس الإرشادي"، وعلم النفس الإكلينيكي، وقد نتج عن إثارة هذه التساؤلات، وما جرى من مناقشات حولها أن اشترطت الجمعية الأمريكية لعلماء النفس American Psychological Association على الجامعات الأمريكية التي لديها برامج للدراسات العليا للإرشاد أن تعدل برامجها لتشتمل على التدريب المكثف على تطبيق الاختبارات، وتفسيرها على يد متخصصين ممارسين، وعلى أن يشتمل التدريب على استخدام اختبارات الذكاء الأساسية مثل مقياس بينيه، ومقياس ويكسلر "مجموعة مقاييس ويكسلر"، وعلى اختبارات الشخصية الرئيسية مثل مقياس مينسونا للشخصية MMPI، ومقياس كاليفورنيا CPI، والمقاييس الإسقاطية مثل اختبار تفهم الموضوع TAT، ورورشاخ Rorschach، وذلك بجانب ما كانوا يتلقونه بشكل أساسي عن مقاييس الميول والاتجاهات، والتحصيل والقدرات وأسس القياس ونظرياته؛ ولأن الاختبارت النفسية تعد من الأدوات الهامة التي يحتاج إليها المرشد لتساعده في الحصول على معلومات عن المسترشد، وذلك في وقت قصير، وفي إطار أسس موحدة وظروف موحدة للتطبيق يشترك فيها المسترشد مع غيره ممن يطبق عليهم الاختبار في أي علاقة إرشادية، أو علاجية أو لأي غرض آخر، فإنه من المناسب أن نناقش موضوع استخدام الاختبارات النفسية في مجال الإرشاد كموضوع مستقل، وبشيء من التفصيل.

ولا شك أن القارئ، وهو إما مرشد أو طالب يدرب ليكون مرشدا، لديه معلومات أساسية عن القياس، وما يتصل به من مصطلحات مثل الثبات والصدق، والمعايير والتصحيح، ولهذا لن نركز على مثل هذه القضايا، والتي تهتم بها المراجع الأساسية للقياس، ويمكن للقارئ الاطلاع والرجوع إليها١، ولهذا سيكون اهتمامنا أساسا بأهداف القياس في مجال الإرشاد، وكيفية اختيار الاختبارات المناسبة، والجوانب المتصلة بالتطبيق ثم كيفية تفسير النتائج، وكيفية توصيل هذه النتائج للمسترشد للاستفادة بها، وأهم القضايا القائمة في هذا المجال.

---

١ انظر قائمة المراجع بنهاية هذا الفصل.." (١)

"الاختبار الذي يستخدمه، هذا بجانب استفادته من التقارير، والدراسات التقويمية حول الاختبار إذا توافرت مثل هذه الدراسات، وفيما يلي بعض هذه الأبعاد.

١- الثبات: Reliability:

إذا تساوت كل الجوانب، فإننا نبحث عن أكثر الاختبارات ثباتا فيما يقيسه.

والثبات: يقصد به الاتساق الذي ينتج عن الاستخدامات المستمرة للمقياس في الغرض الذي أعد من أجله.

ورغم الاهتمام الذي يحتاج المرشد أن يبديه للتأكد من تمتع الاختبارات التي يختارها بأفضل مستويات للثبات، إلا أن كرونباخ "١٩٥٥" Cronbach وهو من العلماء المبرزين في مجال القياس النفسي يحذر من إطلاق هذه القاعدة، ويقول:

---

(١) العملية الإرشادية محمد محروس الشناوي ص/١٨٩

إن هناك مواقف تجد فيها اختبارا لا يتمتع بالمستوى المناسب من الثبات، ومع ذلك يستحق أن نستخدمه؛ لأنه يضيف معلومات جديدة، ومن جهة أخرى **فإن الثبات ليس** أمرا يوجد أو لا يوجد، فقد نجد اختبارا تقوم الأدلة على تمتعه باتساق داخلي "مثلا بطريقة التجزئة النصفية، فردي، وزوجي، ولكنه لا يتمتع بالثبات عبر الوقت بطريقة الاختبار، وإعادة الاختبار "الاستقرار"، وبذلك فإن ما يتوافر لدينا في الواقع هو **هذا الثبات عند** هذه النقطة من الزمن بالنسبة للخاصية التي نقيسها.

كذلك **فإن الثبات قد** يختلف باختلاف بعض المتغيرات مثل العمر، والمستوى التعليمي، والدافعية، وغيرها من المتغيرات لأفراد عينة تقدير الثبات، وأخيرا فإننا نعلم **أن الثبات كما** يتم تقديره عادة، إنما هو ثبات جمعي يتصل بمجموعة التقنين **أما الثبات بالنسبة** للخاصية التي نقيسها لفرد معين، فهو غير معروف للمقياس الذي نستخدمه.

٢- الصدق: Validity:

يعتبر الصدق قلب عملية اختيار الاختبار الذي يستخدمه المرشد، والسؤال الذي نطرحه بالنسبة للصدق هو:." [١]

"القيم البحثية، والقيم العملية، والقيم الاستقلالية، والقيم القيادية، وقيم الترتيب، وقيم التقدير، والقيم الجمالية، والقيم الاجتماعية، ويتكون المقياس من ١٢٨ فقرة يختار المفحوص منها بين واحدة من إجابتين أأو ب.

٢٠- مقياس الميول المهنية:

هذا المقياس من وضع ناب وناب 1980 "Knoap & Knoap" في سلسلة مقاييس كاليفورنيا المهنية COPES، وقد نقله إلى العربية علي خضر ومحمد محروس الشناوي، وتجري عليه في الوقت الحاضر دراسات لاستخراج الثبات، والصدق والمعايير، ويتكون المقياس من ١٦٨ عبارة، ويشتمل على الأبعد التالية:

العلمية "تخصص" العلمية "ماهرة" –التكنولوجيا "تخصصي"، التكنولوجيا "ماهرة"، اقتصاديات المستهلك –الخلوية– التجارة "تخصصي"، التجارة "ماهرة"، الأعمال الكتابية، الاتصالات، الفنون "تخصصية"، الفنون "ماهرة"، الخدمات "تخصصية" والخدمات "ماهرة".

٢١- مقياس الشعور بالوحدة:

هذا المقياس مأخوذ عن مقياس كاليفورنيا للشعور بالوحدة من وضع راسل، وكاترونا وقد أعده بالعربية محمد محروس الشناوي وعلي السيد خضر، ويتكون المقياس من عشرين عبارة يختار المفحوص إجابة واحدة لكل عبارة من بين أربع إجابات لا إطلاقا، نعم نادرا، نعم أحيانا، نعم دائما، ويشتمل المقياس على إحدى عشرة عبارة تصحح في الاتجاه العكس، وقد استخرج الباحثان معايير لطلاب الثانوي والجامعة "درجات مئينية" في المملكة العربية السعودية، وقد استخدم المقياس عدد من الباحثين في دراسات ميدانية.

٢٢- مقياس العلاقات الاجتماعية:

وهذا المقياس مأخوذ عن مقياس الإمدادات الاجتماعية الذي وضعه راسل، وكاترونا "١٩٨٤"، ويشتمل على ٢٤ عبارة

---

(١) العملية الإرشادية محمد محروس الشناوي ص/١٩٤

معدة بطريقة ليكرت، وتصحح نصف العبارات في الاتجاه الموجب، والنصف الآخر في الاتجاه السالب، وتكون إجابة المفحوص على كل عبارة بواحدة من أربع إجابات هي: لا أوافق إطلاقا، لا أوافق، أوافق، أو أوافق تماما.." (١)

"أحمد عبد العزيز سلامة‌ن يتكون الاختبار من ٣٠ بطاقة على كل منها صورة بالإضافة إلى بطاقة بيضاء، ويعرض على المفحوص الصور "٢٠ صورة منها ١٠ صورة تصلح للجنسين، ١٠ صور سحب جنسه"، ويطلب منه أن يحكي قصة تستثيرها الصورة، ويكون لها بداية ونهاية، وفيها بطل وإحداث، والاختبار إسقاطي وهناك صورة خاصة بالأطفال أعدها، ويعرف باسم "CAT".

٤٩- مقياس الإرشاد النفسي:

هذا المقياس من وضع بيردي وليتون Berdi & Layton باسم مقياس بينسوتا للإرشاد النفسي، ونقله إلى العربية محمد عماد الدين إسماعيل، وسيد عبد الحميد مرسي، ويقيس الاختبار العلاقات الأسرية، العلاقات **الاجتماعية، الثبات الانفعالي**، الشعور بالمسئولية، والواقعية، والحالة المزاجية، والاستعداد للقيادة، ويصلح للشباب في سن المرحلة الثانوية، ويستغرق حوالي ساعة.

"زهران ١٩٧٧ ص٢١٠".

٥٠- مقياس لوبين للاكتئاب "قائمة صفات الاكتئاب DACL":

أعد لوبين مجموعة من القوائم تحت اسم قوائم صفات الاكتئاب، وذلك عام ١٩٨١ Depression Adjective cheeklists، وهي تضم سبع قوائم "صور متكافئة" منها أربع صور A, B, C, D، وتضم كل منها صفة تدل على الاكتئاب، ١٠ صفات تدل على عدم الاكتئاب، أما المجموعة الثانية وهي تشمل ثلاث صور E, F, G فتضم كل منها ٢٢ صفقة تدل على الاكتئاب، ١٢ صفة تدل على عدم الاكتئاب، وتقيس هذه الصفات حالة المفحوص وقت البحث، ويستخدم الفاحص قائمة واحدة "صورة واحدة"، مع المفحوص وتستغرق الإجابة وقتا قصيرا "في حدود ثلاث دقائق"، وقد نقل القائمة إلى العربية عبد الله عبد العزيز المعيلي حيث استخرج ثابتها، وصدقها في المملكة العربية السعودية، واستخدامها في دراسته التجريبية عن استخدام الصدمة الكهربية مع حالات الاكتئاب "١٩٩١".

٥١- مقياس مستوى التدين "م. ت":

أعد هذا المقياس صالح بن إبراهيم الصنيع في دراسته للدكتوراه.." (٢)

"ويلخص هوسفورد ودي فيسر "١٩٧٤" Hosford & de Visser عملية التقويم في هذه الحالة، فيقول: إن ملاحظات المرشد لسلوك المسترشد قرب إقفال الحالة، تساعد على أن يقارن بسهولة مع بيانات خط الأساس إذا كان المرشد يسجل نفس السلوك المستهدف بنفس الطريقة، ولنفس المدة من الزمن كما كان يحدث في الملاحظات الأولى. ومن شأن ذلك أن يزود المرشد بمقياس موضوعي عن نجاح إجراءاته التعليمية. وإذا كانت البيانات تشير إلى أن هناك تغيرا ضئيلا

---

(١) العملية الإرشادية محمد محروس الشناوي ص/٢٥٢

(٢) العملية الإرشادية محمد محروس الشناوي ص/٢٦٠

قد حدث في السلوك أو لم يحدث تغير، فإن الإستراتيجيات التعليمية "السلوكية" يجب أن يعاد تقويمها، وربما يتم تغييرها" "P 81".

وعلى الرغم من أن تقويم الإرشاد يمكن أن يعطي معلومات قيمة عن عملية الإرشاد ونتائجه، فإنه ليس معادلا في الدقة مثل التقويم الذي يجري تحت ظروف تجريبية محكمة الضبط. وبمعنى آخر: فإن تقويم الإرشاد لا يؤكد لنا أن التغير قد حدث فقط نتيجة لاستخدام إستراتيجية معينة وإنما قد تتأثر نتائج الإرشاد بعوامل أخرى، وربما يكون من الصعب استبعاد هذه العوامل مثل: تأثير المرشد والعلاقة الإرشادية، وخصائص المسترشد، حيث إن إدراك الفرد لدوره يؤثر على سلوكه خلال الإرشاد، والتعليمات التي يتلقاها المسترشد وكذلك اعتقاده في النجاح، والتأثر بالقياس نفسه حيث قد تساعد عملية القياس على حدوث تغير في السلوك.

إجراء تقويم نتائج الإرشاد outcome Evaluation:

يجب أن تكون مشكلات المسترشد معرفة بدقة، وأن تكون سلوكيات الهدف محددة قبل أن يقوم المرشد بإجراء تقويم للنتائج. وفي بعض الأحيان يحدث أن تكون مشكلة المسترشد قد أعيد تحديدها، وتكون الأهداف قد تغيرت. وفي مثل هذه الحالات فإن طريقة التقدير وسلوك الهدف وأبعاد الاستجابة قد تكون بحاجة إلى تغيير لتعكس المشكلة التي أعيد تحديدها. فإذا لم تبدل طريقة تقدير النتائج عند إعادة تحديد المشكلة، فإن ثبات وصدق طرق التقدير "القياس" قد تصبح محدودة. **ويعني الثبات الاتساق** أو القابلية للتعميم للسلوك المستهدف، وعلى سبيل المثال فإن المرشدين يريدون معرفة ما إذا." (١)

"والذي يريد أن يتأكد من إمكانية جريان هذه السنة على العاملين للإسلام؛ ما عليه إلا أن يقرأ القرآن، ويتأمل في تاريخ بني إسرائيل وكيف أن الله عز وجل قال عنهم في مرحلة من مراحل تاريخهم: "ولقد اخترناهم على علم على العالمين" [الدخان: ٣٢]، ويتأمل كذلك كيف أن الله عز وجل استبدل أمة الإسلام بهم، بعد أن مروا بسلسلة طويلة من المحن والابتلاءات لعلهم يفيقون ويعودون إلى رشدهم ولكنهم لم يفعلوا.

وهذا أمر في غاية الخطورة، فالله عز وجل ليس بينه وبين أحد من عباده نسب ولا قرابة، ولقد شرف (الدعاة) باختيارهم لمهمة الإنقاذ، فإذا فرطوا فستتحول الدفة تدريجيا من أيديهم إلى أيدي فريق إنقاذ جديد، وسيجدون أنفسهم وقد أصبحوا- بتفريطهم- بعيدا عن شرف حمل هذه الرسالة.

إياك أن تكون من القاعدين:

ومما تجدر الإشارة إليه أن الله عز وجل لن ينزل علينا كتابا من السماء يخبرنا فيه باستبدال من سيستبدل، ولكن بمرور الوقت، واستمرار التراخي، والانشغال بطين الأرض، وتناقص عدد من يحمل هم الدين، سيظهر الله الجيل الذي تتوافر فيه الشروط التي يريدها سبحانه، وسيصبح الآخرون أثرا بعد عين، وتاريخا مضى بعد واقع ملموس، وذكريات يتذكرونها عند

---

(١) العملية الإرشادية محمد محروس الشناوي ص/٤٧٨

ملاقاة بعضهم البعض.

فإن كنت في شك من وجود هذا الخطر فاقرأ ما قاله صاحب الظلال وهو يوجه حديثه للدعاة:

«أيها الدعاة»: إن اختيار الله لكم لحمل دعوته تكريم ومن وعطاء. فإذا لم تحاولوا أن تكونوا أهلا لهذا الفضل، وإذا لم تنهضوا بتكاليف هذه المكانة، وإذا لم تدركوا قيمة ما أعطيتم فيهون عليكم كل ما عداه .. فإن الله يسترد ما وهب، ويختار غيركم لهذه المنة ممن يقدر فضل الله: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (١) [محمد: ٣٨].

وصدق الله ﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ [الأنعام: ٨٩].

وعندما تحدث الإمام حسن البنا عن **معنى الثبات قال**: أن يظل الأخ عاملا مجاهدا في سبيل غايته، مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنيين (٢).

فإن لم يظل عاملا مجاهدا في سبيل غايته، وقعد أو تراخي، ورضي بوجوده بين أصحابه دون جهد حقيقي يبذله في المشروع الإسلامي فقد ترك مكانه وإن لم يترك، وأصبح من القاعدين وإن ادعى غير ذلك إلا إذا جدد العزم وعاد إلى سيرته الأولى.

السؤال أمام الله عز وجل:

ومن الأخطار الحقيقية التي تواجه كل فرد على حدة:

ملاقاة الله عز وجل يوم القيامة؛ وما ستتضمنه هذه المقابلة من أسئلة علينا أن نجهز أنفسنا للإجابة عنها، والتي تتضمن سؤالا عن الجهد الذي بذله المسلم لإقامة الإسلام، ونصرة المستضعفين، وتبليغ رسالته سبحانه للعالمين ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ [الزخرف: ٤٤].

فلقد أخبرنا القرآن بأن الله عز وجل قد فضل أمة الإسلام على الأمم الأخرى، وخصها برسالته الخاتمة لتقوم بأمرين عظيمين:

أولهما: أن تتمثل الرسالة في ذواتها.

وثانيهما: أن يقوم أبناؤها بتبليغ هذه الرسالة للبشرية جمعاء، وأن يحسنوا البلا غ حتى ينقذوا كل من بداخله خير وشوق إلى الهداية، وفي نفس الوقت يقيمون الحجة على المجرمين المعاندين، فإذا ما وقفوا أمام الله عز وجل قاموا بالشهادة على الناس: «هؤلاء قمنا بتبليغهم الرسالة واستجابوا، وهؤلاء قمنا بتبليغهم الرسالة ولم يستجيبوا».

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٠٣.

(٢) رسالة التعاليم ص ٣٦٣ من مجموع رسائل الإمام البنا.." (١)

". وأيام الصبر هي أيام الإبتلاء في الدين والشهوات المستعرة والشبهات المستحكمة ومع ذلك المرء صابر لدينه. فسماها أيام الصبر لأنه لا يستعمل فيها إلا الصبر ولا حل إلا الصبر، والصبر هو القائد وهو الملاذ والحصن الحصين، الذي من دخله عصم . بخلاف من كان قبلنا كانوا يعيشون في محيط إسلامي والمنكرات تستتر، أما الآن فالمنكرات كثرة مما يزيد

---

(١) عودة الروح ويقظة الإيمان  مجدي الهلالي ص/٢٩

من احتمال تأثر المؤمن بها من حيث لا يريد، فتكون الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات، لأن الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يؤمر به والانتهاء عما ينهى عنه، فمثلا كان أول ما أنزل ذكر الجنة والنار وما فيهما وما أعد لأهلهما، ثم نزلت الأحكام بعد أن تهيأت النفوس للقبول، تقول عائشة: "أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمرة أبدا"، فالرقائق تقوي الإيمان الذي يعين المسلم على الثبات في مواجهة الشهوات، ومن المعلوم أن الشهوات سببت ضعف إيمان كثير من المسلمين لأن مخاطبة العقل وحده قد لا تكفي ما لم تكن ممزوجة بإثارة العاطفة، إذ أن مخاطبة العقل وحده قد لا تنتج إلا معلومات نظرية جافة لا حياة فيها، أما مخاطبة العقل والعاطفة فتؤدي إلى الإقناع والتطبيق العملي، ثم إن العناية بالرقائق تجنب طالب العلم بإذن الله الإصابة بالأمراض الفتاكة التي تفتك بدين المسلم كآفة العجب أو الحسد أو الهوى أو غيرها والعياذ بالله.." (١)

"لله در أقوام نفوسهم نفس على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت. نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا. نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت الدجا إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الزهد سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى الذر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلم الدياجي سهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في ظلم الدجا مشتمرة، قد نبذت المعايش، ورعت الحشايش. هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم.

لله در أقوام استظلوا تحت رواق الحزن، وقرأوا صحف الخطايا ونشروا دواوين الذنوب فأورثهم الفكر الصالحة في القلب، أدبوا أنفسهم بلذة الجوع وتزينوا بالعلم، وسكنوا حظيرة الورع، وغلقوا أبواب الشهوات وعرفوا مسير الدنيا بموقنات المعرفة حتى نالوا علو الزهد فاستعذبوا مذلة النفوس، أدرجوا أنفسهم في مصاف المسبحين ولاذوا بأفنية المقدسين فتعلقوا بحجاب العزة وناجوا ربهم عند مطارفة كل شهوة حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عز الجلال إلى عظيم الملكوت فرجعت القلوب إلى الصدور على الثبات بمعرفة توحيدك فلا إله إلا أنت.

لله در أقوام قوما أزعجهم الهم عن أوطانهم، وثبتت الأحزان في أسرارهم، فهممهم إليه سائرة، وقلوبهم إليه من الشوق طائرة، فقد أضجعهم الخوف على فرش الأسقام، وذبحهم الرجاء بسيف الانتقام، وقطع نياط قلوبهم كثرة بكائهم عليه، وزهقت أرواحهم من شدة الوله إليه، قد هد أجسامهم الوعيد، وغير ألوانهم السهر الشديد.

لله در تلك القلوب الطاهرة، أنوارها في ظلام الدجى ظاهرة، لله در أقوام تدرعوا بالوقار والسكينة، وعملوا ليوم فيه كل نفس رهينة، كل واحد منهم صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه بين يدي ربه مطروح، فلو رأيتهم بين ساجد وراكع، وذليل مخموم متواضع، ومنكس الطرف من الخوف خاشع، تتجافى جنوبهم عن المضاجع.

﴿تنبيه﴾: طغى حب الدنيا على قلوب بعض الناس واستهوتهم خضرتها، يصرف لها همه، يحرك فيها همته، عبدوها من دون

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤/١

الله، آثروها على ... الآخرة، وتناسوا قول النبي – صلى الله عليه وسلم – تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة.." (١)

"(حديث أبي موسى رضي الله عنه قال الثابت في الصحيحين): كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (افتح له وبشره بالجنة). ففتحت له، فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (افتح له وبشره بالجنة). ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: (افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه). فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم قال: الله المستعان.

(حائط من حيطان المدينة) أي: بستان

(افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه). أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذا إلى ما أصاب عثمان في آخر خلافته من الشهادة يوم الدار، قال النووي: في الحديث فضيلة هؤلاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وأنهم من أهل الجنة وفضيلة لأبي موسى، وفيه معجزة ظاهرة للنبي – صلى الله عليه وسلم – لإخباره بقصة عثمان، والبلوى من معجزات رسول الله، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان، والهدى.

(حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – صعد أحدا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق، وشهيدان).

(فرجف) أي: تحرك أحد واضطرب

" اثبت" أمر من الثبات، وهو الاستقرار " أحد" بضم الدال منادى قد حذف حرف ندائه تقديره: يا أحد، قال الحافظ: ونداؤه وخطابه يحتمل المجاز وحمله على الحقيقة أولى، ويؤيده ما وقع في مناقب عمر أنه ضربه برجله، وقال اثبت. انتهى " وصديق" هو أبو بكر وفضله – رضي الله عنه – " وشهيدان" هما عمر وعثمان –رضي الله عنهما–.." (٢)

"﴿تنبيه﴾: وسواء كان كلام محمد بن مسلمة رضى الله عنه ومن معه من الصحابة لكعب على سبيل التورية التى فهم منها المخاطب غير ما أراد المتكلم كما يدل عليه كلام بعض الشراح، أو كان الأمر بخلاف ذلك، كما تدل عليه بعض روايات أهل السير التي فصلت القول في أنهم صرحوا له بإرادتهم خذلان النبي صلى اله عليه وسلم، والتنحي عنه، فإن إذن النبى صلى الله عليه وسلم، له أن يقول هو إذن عام مقيد بالتورية، ولذلك بوب عليه الامام البخارى:"باب الكذب فى الحرب"،وكذلك الامام النسائى فى سننه الكبرى.

هذه هي "التقاة"عند أهل السنة، وهي استثناء من أصل عام مطرد، هو إحقاق الحق وإظهاره وإعلانه، وإبطال الباطل وإخماده، وازهاقه، وهى فى قسميها الآخرين رخصة جائزة، والعزيمة بخلافها.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨٦/١

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٧٥/١

والرخصة كما عرفها الأئمة: هى ما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلي يقتضى المنع، مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه.

وقد روعي فى إباحة هذة الرخصة وغيرها ما جبل عليه كثيرا من البشر من الضعف والعجز عن مقاومة الضغوط والشدائد، وتلك رحمه من الله قال تعالى: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) [الحج: ٧٨]

وروعي فى مشروعية الثبات والعزيمة ما اختص به بعض الناس من العزائم الصلبة، والهمم الرفيعة، والقلوب القوية الشجاعة، والنفوس الصابرة، التى خلقت لتكون معالم فى طريق الحق يهتدى بضوئها السائرون، ويستصبح بنورها الداجون، وبهم يدفع الله عن الحق الغوائل والمحن، ويقيم لأهل الحجة السنن.

ولا يزال فى هذه الامة من لدن بعثة محمد، صلى الله عليه وسلم، الى يوم الناس هذا، وإلى أن يأتي أمر الله، من رجالات الطائفة المنصورة من يرفع راية الحق ويبذل مهجته دونها.

وسطية أهل السنة فى باب التقية:

التقاة والتقية مصدران لفعل واحد، وقد قرئت الآية بالوجهين، فقرأها الجمهور (إلا أن تتقوا منهم تقاة)،وقرأها ابن عباس، والحسن، وحميد بن قيس، ويعقوب الحضرمي، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وأبو رجاء، والجحدرى، وأبو حيوة: تقية بفتح التاء، وتشديد الياء على وزن فعيلة، وكذلك روى المفضل، عن عاصم.

وقد اشتهر لدى أهل السنة استعمال التقاة بضم التاء، وفتح القاف، والألف المدودة، كما هي قراءة الجمهور، مع استعمال اللفظ الآخر. واشتهر لدى الرافضة استعمال التقية بفتح التاء، وكسر القاف، والياء المشددة المفتوحة . كما هي القراءة الآخرى . هذا من حيث اللفظ.." (١)

". وأيام الصبر هي أيام الإبتلاء في الدين والشهوات المستعرة والشبهات المستحكمة ومع ذلك المرء صابر لدينه. فسماها أيام الصبر لأنه لا يستعمل فيها إلا الصبر ولا حل إلا الصبر، والصبر هو القائد وهو الملاذ والحصن الحصين، الذي من دخله عصم . بخلاف من كان قبلنا كانوا يعيشون في محيط إسلامي والمنكرات تستتر، أما الآن فالمنكرات كثرة مما يزيد من احتمال تأثر المؤمن بها من حيث لا يريد، فتكون الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات، لأن الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يؤمر به والانتهاء عما ينهى عنه، فمثلا كان أول ما أنزل ذكر الجنة والنار وما فيهما وما أعد لأهلهما، ثم نزلت الأحكام بعد أن تهيأت النفوس للقبول، تقول عائشة: "أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمرة أبدا"، فالرقائق تقوي الإيمان الذي يعين المسلم على الثبات في مواجهة الشهوات، ومن المعلوم أن الشهوات سببت ضعف إيمان كثير من المسلمين لأن مخاطبة العقل وحده قد لا تكفي ما لم تكن ممزوجة بإثارة العاطفة، إذ

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤١١/١٠

أن مخاطبة العقل وحده قد لا تنتج إلا معلومات نظرية جافة لا حياة فيها، أما مخاطبة العقل والعاطفة فتؤدي إلى الإقناع والتطبيق العملي، ثم إن العناية بالرقائق تجنب طالب العلم بإذن الله الإصابة بالأمراض الفتاكة التي تفتك بدين المسلم كآفة العجب أو الحسد أو الهوى أو غيرها والعياذ بالله.." (١)

". وأيام الصبر هي أيام الإبتلاء في الدين والشهوات المستعرة والشبهات المستحكمة ومع ذلك المرء صابر لدينه. فسماها أيام الصبر لأنه لا يستعمل فيها إلا الصبر ولا حل إلا الصبر، والصبر هو القائد وهو الملاذ والحصن الحصين، الذي من دخله عصم. بخلاف من كان قبلنا كانوا يعيشون في محيط إسلامي والمنكرات تستتر، أما الآن فالمنكرات كثرة مما يزيد من احتمال تأثر المؤمن بها من حيث لا يريد، فتكون الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات، لأن الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يؤمر به والانتهاء عما ينهى عنه، فمثلا كان أول ما أنزل ذكر الجنة والنار وما فيهما وما أعد لأهلهما، ثم نزلت الأحكام بعد أن تهيأت النفوس للقبول، تقول عائشة: "أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمرة أبدا"، فالرقائق تقوي الإيمان الذي يعين المسلم على الثبات في مواجهة الشهوات، ومن المعلوم أن الشهوات سببت ضعف إيمان كثير من المسلمين لأن مخاطبة العقل وحده قد لا تكفي ما لم تكن ممزوجة بإثارة العاطفة، إذ أن مخاطبة العقل وحده قد لا تنتج إلا معلومات نظرية جافة لا حياة فيها، أما مخاطبة العقل والعاطفة فتؤدي إلى الإقناع والتطبيق العملي، ثم إن العناية بالرقائق تجنب طالب العلم بإذن الله الإصابة بالأمراض الفتاكة التي تفتك بدين المسلم كآفة العجب أو الحسد أو الهوى أو غيرها والعياذ بالله.

وتتضح أهمية الرقائق أو حاجتنا إلى الرقائق في النقاط التالية:

(١) أن من كان قبلنا كانوا يعيشون في محيط إسلامي والمنكرات تستتر، أما الآن فالمنكرات كثرة مما يزيد من احتمال تأثر المؤمن بها من حيث لا يريد، فتكون الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات.

(٢) أن الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يؤمر به والانتهاء عما ينهى عنه، فمثلا كان أول ما أنزل ذكر الجنة والنار وما فيهما وما أعد لأهلهما، ثم نزلت الأحكام بعد أن تهيأت النفوس للقبول. تقول عائشة: "أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمرة أبدا".." (٢)

"(٣) الرقائق تقوي الإيمان الذي يعين المسلم على الثبات في مواجهة الشهوات، ومن المعلوم أن الشهوات سببت ضعف إيمان كثير من المسلمين.

(٤) أن مخاطبة العقل وحده قد لا تكفي ما لم تكن ممزوجة بإثارة العاطفة، إذ إن مخاطبة العقل وحده قد لا تنتج إلا معلومات نظرية جافة لا حياة فيها، أما مخاطبة العقل والعاطفة فتؤدي إلى الإقناع والتطبيق العملي.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤/٢

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٦/٢

(٥) الرقائق تجدد الإيمان في القلب.

(٦) طلبة العلم والدعاة بحاجة إلى الرقائق، وذلك لما يلي:

أ- العناية بالرقائق تجنب طالب العلم بإذن الله الإصابة فإنه تصيبه في مقتل، كآفة العجب أو الحسد أو الهوى أو غيرها.

ب- طالب العلم والدعية يدعو الآخرين إلى طاعة الله والإنابة إلى الله والإخبات إليه والخشوع والخضوع مما يجعل هذه الأمور لابد من توفرها في هذا الداعية إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه والذي يوفر هذه الأشياء في نفس الداعية الرقائق.

ج- طالب العلم والداعية قدوة للآخرين فيستفيدون منه والاستفادة من فعله أبلغ من الاستفادة من قوله، لذا لابد أن يكون رقيق القلب، وقد كان السلف يعنون عند طلبهم للعلم بانتقاء الشيخ الذي يتعلمون منه ويأخذون عنه فينظرون إلى عبادته وهديه وسمته فإن أحسن هذه الأشياء أخذوا عنه وإلا تركوه.

د- الداعية يتعرض للامتحان والابتلاء والذي يعينه **على الثبات بإذن** الله الرقائق.

باب العناية بالرقائق:

لقد اعتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يرقق قلوب أصحابه ويدفعهم للامتثال، بل وجدوا منه صلى الله عليه وسلم قدوة عملية في ذلك، إذ كان أرقهم قلبا وأشدهم خشية لله وخوفا منه، وأحرصهم على ما يرقق قلبه، وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من قلب لا يخشع، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمعن النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد، ودرر الفرائد. (."[١]

"وهي كثيرة كالخيلاء .. والفخر .. والكبر .. والغرور .. هذه الكبائر الباطنة أكبر من الكبائر الظاهرة .. أعظم من الزنا وشرب الخمر والسرقة .. هذه الكبائر الباطنة إذا وقعت في القلب .. كانت حجابا بين قلب العبد وبين الرب.

ذلك أن الطريق إلى الله إنما تقطع بالقلوب .. ولا تقطع بالأقدام .. والمعاصي القلبة قطاع الطريق.

قال ابن القيم رحمه الله: وقد تستولي النفس على العمل الصالح .. فتصيره جندا لها .. فتصول به وتطغى .. فترى العبد: أطوع ما يكون .. أزهد ما يكون .. وهو عن الله أبعد ما يكون .. ) فتأمل .. !!

الحجاب الرابع: حجاب أهل الكبائر الظاهرة:

كالسرقة .. وشرب الخمر .. وسائر الكبائر ..

﴿تنبيه﴾: (يجب أن نفقه في هذا المقام .. أنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار .. والإصرار **هو الثبات على** المخالفة .. والعزم على المعاودة .. وقد تكون هناك معصية صغيرة فتكبر بعدة أشياء وهي ستة:

(١) بالإصرار والمواظبة:

مثاله: رجل ينظر إلى النساء .. والعين تزني وزناها النظر .. لكن زنا النظر أصغر من زنا الفرج .. ولكن مع الإصرار والمواظبة

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٧/٢

.. تصبح كبيرة .. إنه مصر على ألا يغض بصره .. وأن يواظب على إطلاق بصره في المحرمات .. فلا صغيرة مع الإصرار.

(٢) استصغار الذنب:

مثاله: تقول لأحد المدخنين: اتق الله .. التدخين حرام .. ولقد كبر سنك .. يعني قد صارت فيك عدة آفات: أولها: أنه قد دب الشيب في رأسك. ثانيا: أنك ذو لحية. ثالثا: أنك فقير.

فهذه كلها يجب أن تردعك عن التدخين .. فقال: هذه معصية صغيرة.

(٣) السرور بالذنب:

فتجد الواحد منهم يقع في المعصية .. ويسعد بذلك .. أو يتظاهر بالسعادة .. وهذا السرور بالذنب أكبر من الذنب .. فتراه فرحا بسوء صنيعه .. كيف سب هذا؟؟ .. وسفك دم هذا؟ .. مع أن (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر﴾ كما في الحديث الآتي:

(حديث ابن مسعود في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

أو أن يفرح بغواية فتاة شريفة .. وكيف استطاع أن يشهر بها .. مع أن الله يقول: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم [النور:١٩]

انتبه .. سرورك بالذنب أعظم من الذنب.

(٤) أن يتهاون بستر الله عليه:." (١)

"وتذكر في المقابل تلك النفس الظالمة المعرضة عن منهج الله تعالى العاصية له، عندما يقول الله تبارك وتعالى بحقها: يا ملائكتي، خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني، فوقفت تلك النفس الآثمة الظالمة على نار تلظى وجحيم تغيظ وتزفر، وقد تمنت تلك النفس أن لو رجعت إلى الدنيا لتتوب إلى الله وتعمل صالحا، لكن هيهات هيهات أن ترجع، فكبكبت على رأسها وجبينها، وهوت في تلك المهاوي المظلمة، وتقلبت بين الدركات والجحيم، والحسرات والزفرات ... فلا إله إلا الله ما أعظم الفرق بين هؤلاء وأولئك بين من كان في النعيم المقيم ومن كان في الجحيم والعذاب الأليم. وصدق الله تعالى إذ يقول: إن الأبرار لفي نعيم (١٣) وإن الفجار لفي جحيم [الانفطار:١٣،١٤]

(أخي الحبيب: كم من ظالم تعدى وجار، فما راعى الأهل ولا الجار، بينا هو عقد الإصرار، حل به الموت فحل من حلته الأزرار فاعتبروا يا أولي الأبصار [الحشر:٢]

(ما صحبه سوى الكفن، إلى بيت البلى والعفن، ولو رأيته وقد حلت به المحن، وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تسأل كيف صار فاعتبروا يا أولي الأبصار [الحشر:٢]

(أين مجالسة العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الخالية؟ كم تسفى على قبره سافية!! ذهبت العين وأخفيت الآثار فاعتبروا يا أولي الأبصار [الحشر:٢]

(تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القرناء والأتراب، وصار فراشه الجندل والتراب، وربما فتح له في اللحد باب إلى النار

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٨/٢

فاعتبروا يا أولي الأبصار [الحشر:٢]

(نادم بلا شك ولا خفا، باك على ما زل وهفا، يود أن صافي اللذات ما صفا، وعلم أنه كان يبني على شفا جرف هار فاعتبروا يا أولي الأبصار [الحشر:٢]

(أخي الحبيب:

قف قليلا وحاسب نفسك كثيرا: فإن كنت ممن يسارع في الطاعات والقربات ويتجنب المعاصي والمخالفات فاحمد الله على ذلك، **واسأله الثبات حتى** الممات، وهنيئا والله لك ما أنت مقدم عليه بإذن الله.." (١)

"(حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يقاتل المشركين، وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم، فقال: (من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا). فتبعه رجل، فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت، فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه، فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن العبد ليعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها).

﴿تنبيه﴾: (قاتل نفسه لا يخلد في النار إلا إذا استحل قتل نفسه:

لقوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (النساء: الآية٤٨).

(حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال وحوله عصابة من أصحابه (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله، فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه).فبايعناه على ذلك.

باب ساعة الاحتضار:

[*] (عناصر الباب:

(أحوال الناس عند الاحتضار:

(لحظات المحتضرين:

(من درر أقوال المحتضرين لحظة الاحتضار:

(تعزية النفس عند الاحتضار بالصبر والاحتساب:

(البكاء عند الموت مخافة سوء المرد:

(سكرات الموت:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٧٨/٢

(الثبات عند الموت:

(ما يسن عند الاحتضار:

وهاك تفصيل ذلك في إيجاز غير مخل:

(أحوال الناس عند الاحتضار:

بين القرآن الكريم أن أحوال الناس عند احتضارهم إحدى أحوال ثلاثة هي:

إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين. وإما أن يكون من المكذبين الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله:." (١)

"﴿ما كنتم تزعمون﴾ من رجاء الأصنام، كما قال: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقال ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ الآية [القصص: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا﴾ إلى قوله: ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ [الأنعام: ٢٢ - ٢٤]، والآيات في هذا كثيرة جدا.

(الثبات عند الموت:

مسألة: كيف يكون الثبات عند الموت؟

[*] (قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: ويكون التثبيت في ثلاثة أحوال، لمن كان مؤمنا مخلصا مطيعا لله تعالى:

(أحدهما: في حال معاينة ملك الموت.

(ثانيها: في حال سؤال منكر ونكير.

(وثالثها: في حال سؤاله عند المحاسبة يوم القيامة.

وهاك تفصيل ذلك في إيجاز غير مخل:

(فأما التثبيت عند معاينة ملك الموت فهو على ثلاثة أوجه:

الأول: العصمة من الكفر، وتوفيق الاستقامة على التوحيد، حتى تخرج روحه وهو على الإسلام.

والثاني: أن تبشره الملائكة بالرحمة.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢/١٥٤

والثالث: أن يرى موضعه من الجنة.
(وأما التثبيت في القبر فهو على ثلاثة اوجه:

الأول: أن يلقنه الله تعالى الصواب، حتى يجيب الملكين بما يرضى عنه الرب.
والثاني: أن يزول عنه الخوف والهيبة والدهشة.
والثالث: أن يرى مكانه في الجنة، فيصير القبر روضة من رياض الجنة.
(وأما التثبيت عند الحساب فعلى ثلاثة أوجه:." (١)

"(لله در أقوام أطار ذكر النار عنهم النوم وطال اشتياقهم إلى الجنان الصوم فنحلت أجسادهم وتغيرت ألوانهم ولم يقبلوا على سماع العذل في حالهم واللوم دافعوا أنفسهم عن شهوات الدنيا بغد واليوم دخلوا أسواق الدنيا فما تعرضوا لشراء ولا سوم تركوا الخوض في بحارها والعوم ما وقفوا بالإشمام والروم جدوا في الطاعة بالصلاة والصوم هل عندكم من صفاتهم شيء يا قوم.

[*] (أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه المواعظ أن أم الربيع ابن خيثم قالت لولدها: يا بني ألا تنام قال: يا أماه من جن عليه الليل وهو **يخاف الثبات حق** له أن لا ينام ، فلما رأت ما يلقى من السهر والبكاء قالت: يا بني لعلك قتلت قتيلا قال: نعم قالت: ومن هذا القتيل حتى نسأل أهله فيغفرون فوالله لو يعلمون ما تلقى من السهر قيل لزيد بن مزيد: ما لنا لم نزل نراك باكيا وجلا خائفا فقال: إن الله توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لبكيت حتى لا تجف لي عبرة ،

(وقال أيضا: وكان آمد الشامي يبكي وينتحب في المسجد حتى يعلو صوته وتسيل دموعه على الحصى فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك ولو أمسكت قليلا فبكى ثم قال: إن حزن يوم القيامة أورثني دموعا غزارا فأنا أستريح إلى ذرها.

وعوتب عطاء السلمي في كثرة البكاء فقال: إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله تعالى مثلت نفسي بينهم فكيف لنفس تغل يدها وتسحب إلى النار ولا تبكي. أهـ

(حشر الناس حفاة عراة غرلا:
يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا غير مختونين؛ لقوله تعالى: (كما بدأنا أول خلق نعيده) (الأنبياء/ ١٠٤).
(حديث عائشة في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: تحشرون حفاة عراة غرلا. قالت عائشة: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٨٠/٢

(دنو الشمس من الخلق بقدر ميل أو ميلين:

مسألة: اذكر الدليل على دنو الشمس من الخلق بقدر ميل أو ميلين؟

تدنو الشمس من الخلق بقدر ميل أو ميلين، فيعرق الناس بقدر أعمالهم، منهم من يصل عرقه إلى كعبيه، ومنهم من يلجمه، ومنهم من بين ذلك، ومن الناس من يسلم من الشمس، فيظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، مثل الشاب إذا نشا في طاعة الله، والرجل المعلق قلبه بالمساجد.." (١)

"(وملاطها) بكسر الميم أي ما بين اللبنتين موضع النورة، في النهاية: الملاط الطين الذي يجعل بين ساقتي البناء يملط به الحائط أي يخلط.

(المسك الأذفر) أي الشديد الريح.

(وحصباؤها) أي حصباؤها الصغار التي في الأنهار قاله القاري. وقال صاحب أشعة الجزء السابع اللمعات: أي حصباؤها التي في الأنهار وغيرها. قلت: الظاهر هو العموم

(اللؤلؤ والياقوت) أي مثلها في اللون والصفاء

(وتربتها) أي مكان ترابها

(الزعفران) أي الناعم الأصفر الطيب الريح فجمع بين ألوان الزينة وهي البياض والحمرة والصفرة ويتكمل بالأشجار الملونة بالخضرة. ولما كان السواد يغم الفؤاد خص بأهل النار.

(من يدخلها ينعم لا ييأس) بفتح وسطهما في القاموس: البأس العذاب والشدة في الحرب بؤس ككرم بأسا وبئس كسمع اشتدت حاجته

(يخلد) أي يدوم فلا يتحول عنها

(ولا يموت) أي لا يفنى بل دائما يبقى

(لا تبلى) بفتح أوله من باب سمع يسمع أي لا تخلق ولا تتقطع

(ثيابهم) وكذا أثاثهم

(ولا يفنى شبابهم) أي لا يهرمون ولا يخرفون ولا يغيرهم مضي الزمان قال القاضي: معناه أن الجنة **دار الثبات والقرار** وأن التغير لا يتطرق إليها فلا يشوب نعيمها بؤس ولا يعتريه فساد ولا تغيير، فإنها ليست دار الأضداد ومحل الكون والفساد.

(حديث أبي سعيد رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها.." (٢)

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٩٦/٢

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٣٣/٢

"(من يدخلها ينعم لا يبأس) بفتح وسطهما في القاموس: البأس العذاب والشدة في الحرب بؤس ككرم بأسا وبئس كسمع اشتدت حاجته

(يخلد) أي يدوم فلا يتحول عنها

(ولا يموت) أي لا يفنى بل دائما يبقى

(لا تبلى) بفتح أوله من باب سمع يسمع أي لا تخلق ولا تتقطع

(ثيابهم) وكذا أثاثهم

(ولا يفنى شبابهم) أي لا يهرمون ولا يخرفون ولا يغيرهم مضي الزمان قال القاضي: معناه أن الجنة **دار الثبات والقرار** وأن التغير لا يتطرق إليها فلا يشوب نعيمها بؤس ولا يعتريه فساد ولا تغيير، فإنها ليست دار الأضداد ومحل الكون والفساد.

مسألة: ما هي تربة الجنة؟

(تربة الجنة: المسك والزعفران والدرمكة البيضاء (الدقيق الحواري الخالص البياض).

وتأمل في الأحاديث الآتية بعين البصيرة وأمعن النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: الجنة بناؤها لبنة من فضة و لبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت و تربتها الزعفران من يدخلها ينعم لا ييأس و يخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم و لا يفنى شبابهم.

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لابن صياد: " ما تربة الجنة؟ قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: صدقت".

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن بن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص، وثبت في السنة الصحيحة أن تربتها الزعفران كما في الحديث الآتي:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: الجنة بناؤها لبنة من فضة و لبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت و تربتها الزعفران من يدخلها ينعم لا ييأس و يخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم و لا يفنى شبابهم.

(أخي الحبيب:." (١)

"(الزعفران) أي الناعم الأصفر الطيب الريح فجمع بين ألوان الزينة وهي البياض والحمرة والصفرة ويتكمل بالأشجار الملونة بالخضرة. ولما كان السواد يغم الفؤاد خص بأهل النار.

(من يدخلها ينعم لا يبأس) بفتح وسطهما في القاموس: البأس العذاب والشدة في الحرب بؤس ككرم بأسا وبئس كسمع اشتدت حاجته

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢/٣٩٩

(يخلد) أي يدوم فلا يتحول عنها

(ولا يموت) أي لا يفنى بل دائما يبقى

(لا تبلى) بفتح أوله من باب سمع يسمع أي لا تخلق ولا تتقطع

(ثيابهم) وكذا أثاثهم

(ولا يفنى شبابهم) أي لا يهرمون ولا يخرفون ولا يغيرهم مضي الزمان قال القاضي: معناه أن الجنة **دار الثبات والقرار** وأن التغير لا يتطرق إليها فلا يشوب نعيمها بؤس ولا يعتريه فساد ولا تغيير، فإنها ليست دار الأضداد ومحل الكون والفساد.

(حديث أبي سعيد رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها.

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده في الجنة خير من الدنيا و ما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما و لنصيفها على رأسها خير من الدنيا و ما فيها.

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها.

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:." (١)

" لله در أقوام نفوسهم نفس على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت. نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا. نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت الدجا إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الزهد سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى الذر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلم الدياجي سهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في ظلم الدجا مشتمرة، قد نبذت المعايش، ورعت الحشايش. هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم.

لله در أقوام استظلوا تحت رواق الحزن، وقرأوا صحف الخطايا ونشروا دواوين الذنوب فأورثهم الفكر الصالحة في القلب، أدبوا أنفسهم بلذة الجوع وتزينوا بالعلم، وسكنوا حظيرة الورع، وغلقوا أبواب الشهوات وعرفوا مسير الدنيا بموقنات المعرفة حتى نالوا علو الزهد فاستعذبوا مذلة النفوس، أدرجوا أنفسهم في مصاف المسبحين ولاذوا بأفنية المقدسين فتعلقوا بحجاب العزة وناجوا ربهم عند مطارفة كل شهوة حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عز الجلال إلى عظيم الملكوت فرجعت القلوب إلى الصدور **على الثبات بمعرفة** توحيدك فلا إله إلا أنت.

لله در أقوام شاهدوا الآخرة بلا حجاب، فعاينوا ما أعد الله للمطيعين من الأجر والثواب. ترى لماذا أضمروا أجسادهم وأظمؤوا أكبادهم، وشردوا رقادهم، وجعلوا ذكره بغيتهم ومرادهم؟!.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢/٤٤٢

لله در أقوام قلوبهم معمورة بذكر الحبيب، ليس فيها لغيره حظ ولا نصيب، إن نطقوا فبذكره، وإن تحركوا فبأمره، وإن فرحوا فبقربه، وإن ترحوا فبعتبته، أقواتهم ذكر الحبيب، وأوقاتهم بالمناجاة تطيب، لا يصبرون عنه لحظة، ولا يتكلمون في غير رضاه بلفظة.

لله در أقوام قوما أزعجهم الهم عن أوطانهم، وثبتت الأحزان في أسرارهم، فهممهم إليه سائرة، وقلوبهم إليه من الشوق طائرة، فقد أضجعهم الخوف على فرش الأسقام، وذبحهم الرجاء بسيف الانتقام، وقطع نياط قلوبهم كثرة بكائهم عليه، وزهقت أرواحهم من شدة الوله إليه، قد هد أجسامهم الوعيد، وغير ألوانهم السهر الشديد.

لله در تلك القلوب الطاهرة، أنوارها في ظلام الدجى ظاهرة، رفضت حلية الدنيا وإن كانت فاخرة، كم تركت شهوة وهي عليها قادرة، باتت عيونها والناس نيام ساهرة، زفرات الخوف تثير سحائب الأجفان الماطرة، يندبون على الذنوب وإن كانت نادرة، كم بينك وبينهم يا بائع الآخرة.." (١)

"[*] وأورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه المواعظ عن الحسن بن عدقة: رأيت يزيد بن هارون بواسط من أحسن الناس عينين ثم رأيته بعد ذلك مكفوف البصر فقلت له: ما فعلت العينان الجميلتان قال: ذهب بهما بكاء الأسحار يا هذا لو علمت ما يفوتك في السحر ما حملك النوم تقدم حينئذ قوافل السهر على قلوب الذاكرين وتحط رواحل المغفرة على رباع المستغفرين من لم يذق حلاوة شراب السحر لم يبلغ عرفانه بالخير من لم يتفكر في عمره كيف انقرض لم يبلغ من الحزن الغرض .

قيل لعطاء السليمي: ما تشتهي قال: أشتهي أن أبكي حتى لا أقدر أن أبكي وكان يبكي الليل والنهار وكانت دموعه الدهر سائلة على وجهه . وبكى مالك بن دينار حتى سود طريق الدموع خديه وكان يقول: لو ملكت البكاء لبكيت أيام الدنيا.

[*] أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه المواعظ أن أم الربيع ابن خيثم قالت لولدها: يا بني ألا تنام قال: يا أماه من جن عليه الليل وهو **يخاف الثبات حق** له أن لا ينام . فلما رأت ما يلقى من السهر والبكاء قالت: يا بني لعلك قتلت قتيلا قال: نعم قالت: ومن هذا القتيل حتى نسأل أهله فيغفرون فوالله لو يعلمون ما تلقى من السهر قيل لزيد بن مزيد: ما لنا لم نزل نراك باكيا وجلا خائفا فقال: إن الله توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لبكيت حتى لا تجف لي عبرة .

- وقال أيضا: كان آمد الشامي يبكي وينتحب في المسجد حتى يعلو صوته وتسيل دموعه على الحصى فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك ولو أمسكت قليلا فبكى ثم قال: إن حزن يوم القيامة أورثني دموعا غزارا فأنا أستريح إلى ذرها

وعوتب عطاء السلمي في كثرة البكاء فقال: إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله تعالى مثلت نفسي بينهم فكيف لنفس تغل يدها وتسحب إلى النار ولا تبكي. أهـ

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣/٣٢٤

[*] قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه اللطائف:

كان " عطاء السلمي " يبكي في غرفته حتى تجري دموعه في الميزاب إلى الطريق فقطرت دموعه يوما فصاح رجل: يا أهل الدار: ماؤكم طاهر فقال " عطاء ": اغسله فإنه دمع من عصى الله كان " داود " عليه السلام يؤتى بالإناء ناقصا فلا يشربه حتى يتمه بدموعه.

- وقال أيضا:." (١)

" لله در أقوام نفوسهم نفس على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت. نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا. نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت الدجا إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الزهد سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى الذر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلم الدياجي سهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في ظلم الدجا مشتمرة، قد نبذت المعايش، ورعت الحشايش. هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم.

لله در أقوام استظلوا تحت رواق الحزن، وقرأوا صحف الخطايا ونشروا دواوين الذنوب فأورثهم الفكر الصالحة في القلب، أدبوا أنفسهم بلذة الجوع وتزينوا بالعلم، وسكنوا حظيرة الورع، وغلقوا أبواب الشهوات وعرفوا مسير الدنيا بموقنات المعرفة حتى نالوا علو الزهد فاستعذبوا مذلة النفوس، أدرجوا أنفسهم في مصاف المسبحين ولاذوا بأفنية المقدسين فتعلقوا بحجاب العزة وناجوا ربهم عند مطارفة كل شهوة حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عز الجلال إلى عظيم الملكوت فرجعت القلوب إلى الصدور **على الثبات بمعرفة** توحيدك فلا إله إلا أنت.

لله در أقوام قوما أزعجهم الهم عن أوطانهم، وثبتت الأحزان في أسرارهم، فهممهم إليه سائرة، وقلوبهم إليه من الشوق طائرة، فقد أضجعهم الخوف على فرش الأسقام، وذبحهم الرجاء بسيف الانتقام، وقطع نياط قلوبهم كثرة بكائهم عليه، وزهقت أرواحهم من شدة الوله إليه، قد هد أجسامهم الوعيد، وغير ألوانهم السهر الشديد.

لله در تلك القلوب الطاهرة، أنوارها في ظلام الدجى ظاهرة، لله در أقوام تدرعوا بالوقار والسكينة، وعملوا ليوم فيه كل نفس رهينة، كل واحد منهم صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه بين يدي ربه مطروح، فلو رأيتهم بين ساجد وراكع، وذليل مخموم متواضع، ومنكس الطرف من الخوف خاشع، تتجافى جنوبهم عن المضاجع.

أخي الحبيب:

أما آن لك أن تنتبه من غفلتك وتفيق من نومك وتستيقظ من سباتك العظيم.

أما آن لك أن تصون قلبك من الخراب، وتحفظ دينك من التلاشي والذهاب، وترجو رضا ربك وعفوه يوم البعث والحساب

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب  محمد نصر الدين محمد عويضة ٤١٨/٣

أما آن لك أن تتوب قبل خروج وقت الاختيار، وإيتان وقت لا تقال فيه العثار.

أما آن لك أن تقبل على النصائح، وتتقرب إلى الله تعالى بالمنائح.." (١)

" لله در أقوام نفوسهم نفس على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت. نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا. نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت الدجا إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الزهد سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى الذر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلم الدياجي سهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في ظلم الدجا مشتمرة، قد نبذت المعايش، ورعت الحشايش. هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم.

لله در أقوام استظلوا تحت رواق الحزن، وقرأوا صحف الخطايا ونشروا دواوين الذنوب فأورثهم الفكر الصالحة في القلب، أدبوا أنفسهم بلذة الجوع وتزينوا بالعلم، وسكنوا حظيرة الورع، وغلقوا أبواب الشهوات وعرفوا مسير الدنيا بموقنات المعرفة حتى نالوا علو الزهد فاستعذبوا مذلة النفوس، أدرجوا أنفسهم في مصاف المسبحين ولاذوا بأفنية المقدسين فتعلقوا بحجاب العزة وناجوا ربهم عند مطارفة كل شهوة حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عز الجلال إلى عظيم الملكوت فرجعت القلوب إلى الصدور على الثبات بمعرفة توحيدك فلا إله إلا أنت.

لله در أقوام شاهدوا الآخرة بلا حجاب، فعاينوا ما أعد الله للمطيعين من الأجر والثواب. ترى لماذا أضمروا أجسادهم وأظمؤوا أكبادهم، وشردوا رقادهم، وجعلوا ذكره بغيتهم ومرادهم؟!.

لله در أقوام قلوبهم معمورة بذكر الحبيب، ليس فيها لغيره حظ ولا نصيب، إن نطقوا فبذكره، وإن تحركوا فبأمره، وإن فرحوا فبقربه، وإن ترحوا فبعتبته، أقواتهم ذكر الحبيب، وأوقاتهم بالمناجاة تطيب، لا يصبرون عنه لحظة، ولا يتكلمون في غير رضاه بلفظة.

لله در أقوام قوما أزعجهم الهم عن أوطانهم، وثبتت الأحزان في أسرارهم، فهممهم إليه سائرة، وقلوبهم إليه من الشوق طائرة، فقد أضجعهم الخوف على فرش الأسقام، وذبحهم الرجاء بسيف الانتقام، وقطع نياط قلوبهم كثرة بكائهم عليه، وزهقت أرواحهم من شدة الوله إليه، قد هد أجسامهم الوعيد، وغير ألوانهم السهر الشديد.." (٢)

"ولا خير في أي نمو نظري ـ علمي أو فكري ـ يتخلف عنه النمو العملي، وهذا ما أردت التحذير منه؛ أن نتضخم علميا أو فكريا على حساب قلوبنا وعبادتنا وسلوكنا وبذلنا وعطائنا في الواقع العملي لهذه الدعوة ولنصرة الدين، فيحدث الخلل وتكون الفتنة، كما أردت التحذير من أن يصبح مألوفا عندنا أن نعلم الحق أو الواجب ولا نسعى للقيام به، ونرى الطريق ولا نسير فيها، ونعلم المزالق ولا نتوقاها، فيصدق علينا من ثم كلام ابن القيم رحمه الله: (فمن الناس من يكون له من القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاثرها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه، ويكون ضعيفا في القوة العملية، يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقاها، فهو فقيه ما لم

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٢٢/٣

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٤٢/٣

يحضر العمل، فإذا حضر العمل شارك الجهال في التخلف وفارقهم في العلم، وهذا هو الغالب على أكثر النفوس المشتغلة بالعلم، والمعصوم من عصمه الله ولا قوة إلا بالله).

ولهذا فهنا كلمة نقولها لعموم الأمة: لا تظنوا حين تجدوننا قد أحسنا الحديث أننا ـ بالضرورة ـ قد أحسنا العمل والعبادة والسلوك أو أننا حقا نتحمل ونضحي، أو أننا **نحسن الثبات في** الفتن والبلاء، أو أننا مؤهلون لقيادة الأمة، كلا فلا تلازم بين القوتين، نعم؛ ينبغي أن تعلموا ذلك لتكونوا أبعد عن الأوهام وأبعد عن الصدمات، فالعالم أو المفكر بشر من البشر فيه من الضعف ما فيهم ويعتريه ما يعتريهم، فلا تظنوا كل من حسن علمه ومنطقه يستطيع أن يصنع شيئا على أرض الواقع، والموفق من وفقه الله.

وقفة أخيرة:." (١)

"وهكذا كان هذا المشهد سببا في هدايتنا واستقامتنا، فنسأل الله الثبات.

(توبة الشيخ عادل الكلباني (١):

جامع الملك خالد بأم الحمام من المعالم البارزة في مدينة الرياض، مئات المصلين يقصدون هذا المسجد في رمضان وغيره، ليستمعوا إلى الشيخ عادل الكلباني (إمام المسجد) بصوته الخاشع الجميل، ونبرته الحزينة المؤثرة، وكغيره من شباب الصحوة كانت له قصة مع الهداية، يرويها لنا فيقول:

لم أكن ضالا بدرجة كبيرة نعم .. كانت هناك كبائر وهفوات أرجعها إلى نفسي أولا، ثم إلى الأسرة والمجتمع.

لم يأمرني أحد بالصلاة يوما، لم ألتحق بحلقة أحفظ فيها كتاب الله، عشت طفولتي كأي طفل في تلك الحقبة، لعب ولهو وتلفاز و (دنانة) و (سيكل) ومصاقيل و (كعابة)، وتتعلق بالسيارات، ونجوب مجرى البطحاء، ونتسكع في الشوارع بعد خروجنا من المدرسة، ونسهر على التلفاز والرحلات وغيرها.

لم نكن نعرف الله إلا سماعا، ومن كانت هذه طفولته فلابد أن يشب على حب اللهو والمتعة والرحلات وغيره، وهكذا كان.

وأعتذر عن التفصيل والاسترسال، وأنتقل بكم إلى بداية التعرف على الله تعالى، ففي يوم من الأيام قمت بإيصال والدتي لزيارة إحدى صديقاتها لمناسبة ما ـ لا أذكر الآن ـ المهم أني ظللت أنتظر خروجها في السيارة، وأدرت جهاز المذياع، فوصل المؤشر ـ قدرا ـ إلى إذاعة القرآن الكريم، وإذ بصوت شجي حزين، يرتل آيات وقعت في قلبي موقعها السديد لأني أسمعها لأول مرة: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) [ق: ١٩]. صوت الشيخ محمد صديق المنشاوي رحمه الله، كان مؤثرا جدا.

صحيح أني لم أهتدي بعدها مباشرة، لكنها كانت اللبنة الأولى لهدايتي، وكانت تلك السنة سنة الموت، مات فيها عدد من العظماء والسياسيين والمغنين، وظل معي هاجس الموت حتى كدت أصاب بالجنون، أفزع من نومي، بل طار النوم من عيني،

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤/ ٤٠

فلا أنام إلا بعد أن يبلغ الجهد مني مبلغه. أقرأ جميع الأدعية، وأفعل جميع الأسباب ولكن لا يزال الهاجس.

بدأت أحافظ على الصلاة في وقتها مع الجماعة، وكنت فيها متساهلا، ولكن كنت أهرب من الصلاة، أقطعها، خوفا من الموت. كيف أهرب من الموت؟ كيف أحيد منه؟ لم أجد إلا مفرا واحدا، أن أفر إلى الله، من هو الله؟ إنه ربي .. إذن فلأتعرف عليه.

---

(١) كتبها لي بنفسه جزاء الله خيرا.." (١)

"قد تستغربون ذلك، ولكن هذا كله بسبب الصديقات المنحلات اللاتي كنت أختارهن، فكنت بالنسبة لهن ملتزمة.

وفي نهاية المرحلة الثانوية يسر الله لي طريق الهداية، فقد كنت أذهب أثناء الاختبارات إلى مصلى المدرسة لأذاكر مع صديقاتي، فأجد هناك بعض حلقات العلم فأجلس إليها وأستمع أنا وزميلاتي، فأثر ذلك في، مما جعلني بعد التخرج ودخول الجامعة ألتحق بقسم الدراسات الإسلامية.

وفي الجامعة، تعرفت على أخوات صالحات، وبفضل الله ثم بفضل أخواتي الصالحات ومجالس الذكر والإلحاح في الدعاء أعانني الله على أن استبدل حب الدنيا بطلب العلم، حتى أني أنسى حاجتي للطعام والشراب مع طلب العلم، ولا أزكي نفسي ولكن الله يقول: (وأما بنعمة ربك فحدث) [الضحى: ١١] كما أصبحت بعد الالتزام أشعر بسعادة تغمر قلبي فأقول: بأنه يستحيل أن يكون هناك إنسان أقل مني التزاما أن يكون أسعد مني، ولو كانت الدنيا كلها بين عينيه، ولو كان من أغنى الناس.

وهكذا تمت رحلتي من السهر على الفيديو والأفلام الماجنة إلى كتب العقيدة والحديث وأبحاث الفقه.

ومن النوم إلى الظهيرة إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم، في النوم فالإنسان محاسب على وقته، وعليه استغلال كل دقيقة، فإذا كنت في وضع لا يسمح لي بطلب العلم فلساني لا يفتر - والله الحمد - من ذكر الله والاستغفار.

وفي الختام أسأل الله لي ولجميع المسلمين والمسلمات الهداية والثبات .. فأكثر ما ساعدني **على الثبات** - بعد توفيق الله - هو إلقائي للدروس في المصلى، بالإضافة إلى قراءتي عن الجنة بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من اللباس والجمال والزينة، والأسواق، والزيارات بين الناس، وهذه من أحب الأشياء إلى قلبي.

فكنت كلما أردت أن أشتري شيئا من الملابس التي تزيد على حاجتي أقول: ألبسها في الآخرة أفضل.

فتذكري للجنة ونعيمها من أكثر الأسباب المرغبة لي في ترك ملذات الدنيا طمعا في الحصول عليها كاملة في الآخرة بإذن الله.

ومن أكثر الأسباب المرغبة لي في ترك المعاصي تذكري للصراط، وأهوال يوم القيامة، وأن الأعمال تعرض على الله أمام جميع الخلائق، وهناك تكون الفضيحة.

(توبة شاب كان يتعرض للنساء (١):

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤/ ٤٣٤

إنها قصة مؤثرة، يرويها أحد الغيورين على دين الله يقول:

---

(١) هذه القصة رواها لي أحد الاخوة فكتبتها ثم عرضتها على صاحبها فأجازها.." (١)

"كما أمره أن يخاطب الناس يدعوهم للاستقامة: " قال تعالى: (قل إنمآ أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنمآ إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين) [فصلت: ٦] وهكذا يتضح الطريق أمام المؤمن .. فليس له أن يسلك طريقا سواه .. أدع .. استقم كما أمرت .. ولا تتبع أهواء الكافرين والفاسقين والمنافقين .. ثم الحذر أن تزل القدم بالفتنة فيزيغ المرء عن الصراط المستقيم .. ففيما أنزل الله على رسوله الحق .. كل الحق .. وليس غير الحق. ومن ثم تكون الاستقامة خير من ألف كرامة.

(٣) إن الاستقامة من شأنها أن ترقى بالإنسان، وتصل به إلى الذروة من الكمال، وتحفظ عقله وقلبه من أن يتطرق إليهما الفساد، وتصون نفسه من التردي في حمأة الرذيلة.

وإذا سيطرت الرغبة في الاستقامة على جماعة وسادت بينهم، حسنت أحوالهم، واستقامت أمورهم، وعمهم الأمن والسلام، وإذا ضعفت الرغبة في الاستقامة ضعف الإقبال على الخير، وعظم التورط في الإثم وفشا المنكر، وتعرض الفرد والجماعة للانحراف والخطايا والانحلال الذي يعقبه سلب الحرية والاستقلال.

ولهذا اهتم الإسلام بالاستقامة اهتماما كبيرا، وأولاها عناية خاصة، لأنها الاستقامة تجمع الدين كله ولهذا أوصى بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت دليلا أوفى على جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث الآتي:

(حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أنه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك؟ قال: قل آمنت بالله ثم استقم.

(حديث ثوبان رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجه) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن.

(حقيقة الاستقامة:

الاستقامة تتضمن في الشرع أمرين:

(١) السير على الطريق.

(٢) الاستمرار **و الثبات عليه** حتى الممات.

فالأول: السير على الطريق:

وهذا المعنى يفسره قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته)) [آل عمران:١٠٢].

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤/٤٨٦

اتقوه حق التقوى بحسب الاستطاعة، قال تعالى: ((فاتقوا الله ما استطعتم)) [التغابن:١٦].

والثاني: الاستمرار والثبات عليه حتى الممات:." (١)

"فإن صحيح الإيمان، وصحيح التقوى هو من تجنب الحرام، واتقى الوقوع في الشبهات، فضلا عن الوقوع في الحرام؛ فاجتناب الذرائع، وما يقرب إلى الحرام مطلوب ((فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)).

الأمر الرابع: ترك المكروهات وترك فضول المباحات.

بعد ما علمنا أن حقيقة الاستقامة تشمل امتثال جميع المأمورات، واجتناب جميع المحرمات، ومن كمالها أداء النوافل، وهي أيضا على مراتب في الفضل وفي التأكد، أيضا من كمالها ترك المكروهات، وترك فضول المباحات.

وعلى ذلك: فأهل الاستقامة ليسوا على مرتبة واحدة، فيهم المقربون، وفيهم المقتصدون، وهم لا يخرجون عن وصف الاستقامة، أما الظالمون لأنفسهم فإنهم ليسوا من أهل الاستقامة المطلقة؛ لأنهم مخلطون ((خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا)) [التوبة:١٠٢].

فلم يكونوا مستقيمين الاستقامة التي أمر الله بها، عندهم تفريط، وبهذا نعلم أن الاستقامة تتفاوت، ويتفاضل فيها أهلها.

الخامس: الاستمرار على طريق الاستقامة حتى الموت.

فمن المعلوم أن كثيرا من الناس ممن يسير على طريق طالبا لأمر يستطيل الطريق فلا يطيق السير وأضرب لهذا مثلا في السير على الطريق الحسي فمن المعلوم قد ينطلق جمع كثير من الناس للوصول إلى مطالب وحظوظ، فمنهم من يكون عنده صدق في الطلب، وعزم صادق، وعنده يقين بحصول المطلوب، وهو من مطالب الحياة، ومنهم من يكون ضعيف فيتقاعس، وربما رجع من الطريق، وربما سار ببطء، فمن مفهوم الاستقامة التي أمرنا الله بها، وأثنى بها على **المؤمنين الثبات والدوام** حتى الممات، فالذي آمن، وسار على الطريق، ثم انحرف يمينا، أو شمالا بإفراط، أو تفريط، أو رجع فما استقام، لابد لتحقق الاستقامة من الاستمرار؛ لأن من تراجع لا يصل إلى مطلوبه، ولهذا أكد الله هذا بقوله: ((ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون))، وفي الحديث، ((فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر)) كما تقدم معنا.

بما يشتمل عليه اسم الإيمان من الأفعال أو التروك.

السادس: عدم الانحراف:." (٢)

"وتتضمن الاستقامة أيضا ـ وهو مما يدخل في السير على الطريق ـ عدم الانحراف.

والانحراف: خلاف الاستقامة.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٩/٥

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٦٤/٥

والانحراف في طريق الدين: إما أن يكون إلى إفراط أو إلى تفريط، وإما أن يكون هناك تجاوز لحدود الله "غلو، طغيان" وإما تفريط، وتقاعس، وتراجع، وانحراف.

فأما الإفراط: فإنه يكون بتعدي حدود الله، قال تعالى: ((تلك حدود الله فلا تعتدوها)) [البقرة:٢٢٩].

هذا في الأوامر، ولا تتعدى المباح، ولا تتجاوز ما شرع الله إلى الغلو والابتداع في الدين.

ومن التفريط: الغلو في الدين في كل شرائعه، لابد من الوقوف عند الحدود، ((تلك حدود الله فلا تعتدوها)) [البقرة:٢٢٩].

وأيضا: قال ((تلك حدود الله فلا تقربوها)) [البقرة:١٨٧].

فالقرب من حدوده التي نهانا عنها تفريط، وتعدي الحدود إفراط، وكلاهما خلاف الاستقامة.

فالاستقامة تقتضي الوقوف عند حدود الله التي أذن فيها من واجب، ومستحب، ومباح، وتجنب الحدود التي نهى الله عنها، فنهى عن القرب منها.

إذا: السير إلى الله لابد أن يكون في الطريق الوسط، وهو الذي يسمى في النصوص الصراط.

ما هو الصراط؟

الصراط: هو دين الله، هو الإسلام، هو القرآن.

دين الله هو الصراط الذي نصبه الله للعباد طريقا يسيرون عليه إليه سبحانه.

فالعبد في ضرورة إلى هداية الله، وهداية الله لهذا الصراط يتضمن الاستقامة ((اهدنا الصراط المستقيم)) [الفاتحة:٦].

اهدنا: أوجب الله علينا أن نستهديه الصراط في كل ركعة، ((اهدنا)) هذا أوجب وأفضل وأنفع دعاء.

والهداية هنا تشمل نوعين:

(١) هداية الدلالة والإرشاد.

(٢) هداية التوفيق، وهداية التوفيق **تتضمن الثبات على** الطريق.

(القوادح في الإستقامة:

لما أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالاستقامة، نهاه عن ضدها، وهو الطغيان، والميل إلى الكافرين والظالمين، والفاسقين والمنافقين، قال تعالى: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير) [هود: ١١٢]

والطغيان ضد الاستقامة، تجاوز، وإفراط، وتعدي لحدود الله، وإمعان أيضا في الباطل، قال: (ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير) [هود: ١١٢]." (١)

"الزاني المسلم ما يكفر بزناه، لكنه يفتقد الإيمان الوازع، فالزاني ما زنى والشارب ما شرب والسارق ما سرق إلا عندما زال عنه الإيمان الرادع، الذي يحمل على الكف، فقد يتوفر هذا الإيمان فتحصل الاستقامة باجتناب ما حرم الله، وهكذا في المأمورات، فالإيمان هو الوازع، وهو يقوم على العلم.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥/٦٥

(٨) الدعاء:

فيسأل الإنسان **ربه الثبات** "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم اهدني الصراط المستقيم" فالدعاء الواجب والمستحب يتضمن سبب من أسباب الاستقامة.

ومن الأدعية:

(حديث ابن مسعود في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

(حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الثابت في صحيحي أبي داوود و النسائي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: قل اللهم اهدني وسددني.

فسؤال الهداية، وسؤال الثبات، واستمداد العون من الله هي من أسباب الاستقامة

وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمعن النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

(حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الثابت في صحيحي أبي داوود و النسائي) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

فبدون هداية الله وعونه وتوفيقه لا يصل الإنسان إلى شئ، ولا يقوى على شيء، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٩) اختيار الصحبة الصالحة:

لأن الجليس الصالح يعين صاحبه على الطاعة وعلى طلب العلم، وينهيه على أخطائه، أما الجليس السيء فعلى العكس من ذلك تماما، قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) [سورة: الزخرف – الأية: ٦٧]

فالصحبة الصالحة الذين يذكرون الإنسان إذا نسي، ويأمرونه بما يجب عليه، وينكرون عليه إذا انحرف، ويعينونه إذا كسل، قال تعالى: ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) [التوبة:٧١].

والجليس الصالح كله منافع كما في الحديث الآتي: (."[١]

"س: هل تعلم أيختم لك بالخير أم بالشر؟

س: فهل يعقل أن تعجب بعمل أنت في شك من دوامه؟

نسأل الله الثبات.

(ثالثا: ألا تجد في قلبك استصغارا للآخرين أو احتقارا لهم لأنك صاحب طاعة لم ينالوا شرفها.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٩٧/٥

فإن أصابك هذا المرض ـ وهو احتقار الآخرين ـ فالعلاج أن تجيب على الأسئلة التالية ثم تلحقها بسابقتها:

س: هل تعلم أن من تزدريه قد يكون أتقى لله منك وأطهر قلبا وأخلص نية وأزكى عملا؟

س: هل تضمن أن الله قد قبل منك طاعة البكاء من خشيته؟

س: هل تعلم أن الله لعله قبل من هذا الرجل عملا فأدخله به الجنة، وأنت قد تكون لم يقبل منك صرفا ولا عدلا؟

فإن أجبت على هذه الأسئلة وتخلصت من أمراض الإخلاص المذكورة فلا تظن أنك قد حققت الإخلاص، فتكون كالمريض الذي أخذ الدواء فظن أنه قد شفي.

اتهم نفسك دائما .. واحذر أن تكون مرائيا من حيث لا تعلم.

واعلم أن من ادعى أنه حقق الإخلاص فهو رأس المرائين نعوذ بالله من ذلك.

(٢) الدعاء:

[*] (إن من المعلوم شرعا أن الناس في أمس الحاجة إلى الدعاء لأنهم مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ [فاطر /١٥]

ومما يوضح ذلك ويبينه الحديث الآتي:

(حديث أبي ذر في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: قال الله تعالى: يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.." (١)

"(٥) إن هناك صبرا حين البأس وفي الحرب وعند لقاء العدو والتحام الصفين فيكون الصبر شرط للنصر والفرار كبيرة ولذلك أوجب الله الثبات قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) [الأنفال: ٤٥] وحذر من الفرار وتولي الأدبار وعندما تضطرب المعركة وينفرط العقد فيكون الصبر أشد قال تعالى: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) [آل عمران: ١٤٢] و قال تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) [آل عمران: ١٤٤]، وحدثنا الله عن الثلة المؤمنة البقية الباقية بعد عمليات الترشيح المستمرة في قصة طالوت، قال تعالى: (مبتليكم بنهر) [البقرة:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣١٩/٥

٢٤٩] وعصوه من قبل ومن بعد وما بقي معه إلا قليل، ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾، حتى الذين جاوزا النهر كان بعضهم استسلاميين فقالوا: ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾، ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾، لذلك كان المسلمون صبر عند اللقاء، يصبرون وكانوا يتناقلون بينهم عبارة " إنما النصر صبر ساعة"، والمراغمة والمدافعة الآن بين فريقين، الذي يصبر أكثر هو الذي ينتصر، فأوصى الله عباده بالصبر على ما يلاقونه من ضرر الناس وأن لا يقابلوا السيئة بمثلها قال تعالى: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) [فصلت: ٣٤]،

فالصبر يكون أحيانا للمعلم على أذى التلميذ، للداعية على أذى المدعو، للمربي على أذى المتربي وهكذا .. ، ولذلك يقول الخضر لموسى: (قال إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا [الكهف: ٦٨]،." (١)

"وكان يسبح خالد بن معدان العابد الزاهد مائة ألف تسبيحة قال ذلك في كتابه جامع العلوم والحكم قال فلما مات وشيعه الناس وكان وليا كبيرا وعابدا زاهدا اقتربوا به من القبر فأخذته الملائكة من الناس ووضعته في القبر غفر الله له ورحمه الله.

[*] ذكر ابن القيم في الجواب الكافي:

أن العبد ليأتي يوم القيامة بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به.

وشكى رجل إلى الحسن البصري رحمه الله قسوة في قلبه فقال له: أذبه بذكر الله.

﴿تنبيه﴾: ( ... الذاكرون الله مولعون بذكر الله تعالى، لا ينقطعون عنه،

(ولذلك لوجوه عدة:

أ- أن الذاكر لله لا يغيب محبوبه عن قلبه، فلو كلف أن ينسى ذكره لما قدر، ولو كلف أن يكف عن ذكره لما صبر.

ب- كلما قويت المعرفة بالله صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة، ولذلك يلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس.

ت- لأن ذكر المحبين على خلاف ذكر الغافلين، فذكر الله لذة قلوب العارفين، والمحبون يستوحشون من كل شاغل يشغل عن الذكر، فلا شيء أحب إليهم من الخلوة بحبيبهم.

ث- كلما قوي حال المحب لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان، فهو بين الخلق بجسمه، وقلبه معلق بالملأ الأعلى.

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن (٢).

(نتائج الأفكار بآثار الإكثار من الأذكار:

**أ- الثبات على** الإسلام والأمن في مواطن الخوف؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ [الأنفال: ٤٥].

ب- سبب الفلاح والنجاح؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٧١/٦

الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة: ١٠]

ت- سبب للمغفرة والأجر العظيم، كما في قوله -تعالى-: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله -تعالى-: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥]

ث- يعطي الذاكر قوة:

قال الإمام ابن قيم الجوزية في «الوابل الصيب»." (١)

"وربما ألقى الشيطان في روعه أن الدعاء لا داعي له في هذه الحالة، ولا فائدة وراءه حيال هذا الأمر، كحال من يصاب بمرض السرطان ـ عياذا بالله ـ فتجد تلك الحال تغلب عليه، بل ربما غلبي على أقاربه وذويه، فتراهم يتركون الدعاء لهذا المريض؛ بحجة أن هذه الحالة خطيرة، وأنها تنتهي بالوفاة في الأعم الأغلب؛ لذا لا فائدة من الدعاء لهذا المريض، ولا داعي له ـ بزعمهم ـ!.

فهذا خطأ في باب الدعاء، وجهل بالله، وما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه.

فيا سبحانه الله! أما علم أولئك أن الله على كل شيء قدير؟ وأن أزمة الأمور بيده ـ تبارك وتعالى ـ وأنه يقول للشيء كن فيكون؟ وأن الذي كتب الضر قادر على كشفه؟

بل ما علموا أن الدعاء ـ بحد ذاته ـ عبادة عظمى؟ وأن انتظار الفرج من أجل العبادات؟ وأن الافتقار إلى الله واللجوء إليه عين الفلاح ورأس العز؟.

بل ما علموا أن الله قد يشفيه؟، أو يخفف عنه بعض ما يعانيه؟، أو يرزقه ـ بفضل ذلك الدعاء ـ **من الثبات والطمأنينة** والرضا ما لا يجده لو كان سليما معافى؟.

وكذلك الحال بالنسبة لبعض من يبتلى بالعقم، أو تأخر الإنجاب عنه، فمنهم من يرغب عن دعاء الله، وسؤاله الذرية الصالحة؛ بحجة أن الأمر قد كتب وقدر، فلا داعي للدعاء في ذلك الأمر، إذ لا فائدة من وراءه بزعمه!.

فهذا الكلام لا ينبغي أن يصدر من مسلم؛ فالله ـ عز وجل ـ هو الذي قدر العقم وتأخر الإنجاب، وهو القادر على أن يمد الإنسان بالأولاد؛ فالأمر أمره، والقدر قدره، والكون كله ملك له؛ فكيف تيأس ـ أيها المسلم ـ من روح الله، أو تقنط من رحمته؟

(فهذا زكريا ـ عليه السلام ـ عندما قال: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعآء) [آل عمران / ٣٨]

(أجاب الله دعاءه،: (فنادته الملآئكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) [آل عمران / ٣٩]

(كل ذلك مع أن زكريا قد بلغ من الكبر عتيا، وأن امرأته كانت عاقرا!.

وقل مثل ذلك في شأن بعض الوالدين الذين يدعون الدعاء لأولادهم؛ يأسا من صلاحهم، وذلك إذا رأوا منهم تمردا وتماديا في الغواية والضلال.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٧/٧

فتجد هذا الوالد يقول:

أنا يئست من صلاح ولدي، وتركت الدعاء له!." (١)

"[*] قال المناوي رحمه الله تعالى: في تأثير هذا الدعاء في دفع هذا الهم والغم مناسبة بديعة فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيمومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا قيل إن اسمه الأعظم هو الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الآلام والأجسام الجسمانية والروحانية، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ونقصان الحياة يضر بالأفعال وينافي القيمومية فكمال القيمومية بكمال الحياة فالحي المطلق التام الحياة لا يفوته صفة كمال البتة والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة فالتوصل بصفة الحياة والقيمومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة وتغير الأفعال فاستبان أن لاسم الحي القيوم تأثيرا خاصا في كشف الكرب وإجابة الرب. اهـ.

(نسألك الهدى والتقى:

(حديث ابن مسعود في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم –كان يقول: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

(ادخر هذه الكلمات فهي خير لك من الذهب والفضة:

(حديث شداد بن أوس الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال له:" يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة؛ فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب "

(سؤال المغفرة والبركة:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن رجلا قال يارسول الله سمعت دعاءك الليلة فكان الذي وصل إلي منه أنك تقول: " اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي فيما رزقتني " قال: " فهل تراهن تركن شيئا ."

ومعنى " فهل تراهن تركن شيئا " أي: من خيري الدنيا والآخرة.

(الاستعاذة من العجز والكسل:

(حديث أنس في الصحيحين) قال كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزن و العجز و الكسل و الجبن و البخل و ضلع الدين و غلبة الرجال.." (٢)

"(٥) سؤال الله **تعالى الثبات على** دينه:

(حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٦٦/٧

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٩٥/٧

على طاعتك.
(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ".
(٦) سؤال الله تعالى دوام النعمة والاستعاذة به من زوالها:
وأعظم النعم نعمة الدين:
(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) قال كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي و أصلح لي آخرتي التي فيها معادي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و اجعل الموت راحة لي من كل شر.
(حديث ابن عمر في صحيح مسلم) قال كان رسول الله يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك.
(٧) الاستعاذة بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء:
(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.
(نموذج للدعاء عمليا:

١) نموذج لحمد الله تعالى والثناء عليه:
(اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ومنه ملئ السموات والأرض وما بينهما وملئ ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.
(سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، ليس كمثلك شيء وأنت السميع البصير.
(يا سامعا لكل شكوى، ويا عالما بكل نجوى.
يا سابغ النعم، ويا دفع النقم، ويا فارج الغم، ويا كاشف الهم يا مجيب دعوة المضطرين، يا من يقول للشيء كن فيكون، يا من لا حول ولا قوة إلا بك، يا من لا يتعاظمه شيء أعطاه، يا أعدل من حكم، ويا حسيب من ظلم، ويا ولي من ظلم. يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث ولا الدهور، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار.." (١)

"[*] (نموذج لأدعية ليست من الكتاب والسنة ولكنها نافعة وتوافق الكتاب والسنة:
(اللهم ارزقنا الإخلاص قولا وعملا سرا وعلانية

---
(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٢١/٧

(اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور

(اللهم ارزقنا الثبات على الدين وحسن الخاتمة

(اللهم وسع في أرزاقنا من المال والعلم ولا تفتنا بهم وفقنا إلى الإحسان لإلى الناس بهم

(اللهم افتح علينا رزقا لا تجعل لأحد علينا فيه منة ولا لك علينا في الآخرة تبعة

(اللهم إنا ننزل فاقتنا بك ولا ننزلها بأحد سواك فاغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك

(اللهم فرج هم المهمومين ونفس كرب لمكروبين واقض الدين عن المدينين وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدلهم دارا خيرا من دارهم وأهلا خيرا من أهلهم وزوجا خيرا من زوجهم وأعذهم ن عذاب القبر وعذاب النار، اللهم اغفر لهم في المهديين واخلفهم في عقبهم في الغابرين واغفر لنا ولهم يا رب العالمين، ووسع لهم في قبورهم ونور لهم فيها، اللهم وجازهم بالحسنات إحسانا وبالسيئات عفوا وغفرانا حتى يكونوا في بطون الألحاد مطمئنين وعند قيام الأشهاد آمنين، اللهم انقلهم من ضيق اللحود ومراتع الدود إلى جنات الخلود في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب، اللهم وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه.

(اللهم يا رحيم يا رحمن ارزقنا الغفران والعفو عما سلف وكان من الذنوب والعصيان، وارزقنا خشية الرحمن وامتثال القرآن وجنبنا العصيان واستحواذ الشيطان وارزقنا التوبة الصالحة قبل فوات الأوان

(اللهم يا رحيم يا غفار ألزم قلوبنا السكينة والوقار والفكرة والاعتبار والتوبة والاستغفار

واجعلنا من عبادك الصادقين الأبرار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

(اللهم يا رحيم يا تواب وفقنا للحق والصواب وموافقة السنة والكتاب وارزقنا التوبة وحسن المآب قبل أن يمر العمر مر السحاب." (١)

"١٤) التحلي بالتأمل، فإن من تأمل أدرك، وقيل:"تأمل تدرك".

وعليه، فتأمل عند التكلم: بماذا تتكلم؟ وما هي عائد ته؟ وتحرز في العبارة والأداء دون تعنت أو تحذلق، وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وتأمل عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجهه حتى لا يحتمل وجهين؟ وهكذا.

**١٥) الثبات والتثبت**:

تحل بالثبات والتثبت، لا سيما في الملمات والمهمات، ومنه: الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن "من ثبت نبت".

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٢٩/٧

١٦) أن يحرص على العلم وأن يقبل عليه إقبال الظامئ على المورد العذب. وقد كان السلف يؤثرون العلم على كل شيء حتى الزواج ولذا فإن الإمام أحمد رحمه الله تعالى لم يتزوج إلا بعد الأربعين، وأهديت إلى أبي بكر الأنباري جارية فلما دخلت عليه تفكر في استخراج مسألة فعزبت عنه فقال: أخرجوها إلى النخاس فقالت هل لي من ذنب؟ قال: لا إلا أن قلبي اشتغل بك، وما قدر مثلك أن يمنعني علمي.

١٧) ينبغي له أن يحرص على حلق العلم ولو بالتناوب مع زميل له عند ضيق الوقت فيحضر أحده. ما ويخبر صاحبه بالعلم الذي سمعه ويحضر الآخر ويخبر صاحبه بالعلم الذي سمعه فإنه كان من فعل الصحابة رضي الله عنهم

(حديث عمر في صحيح البخاري) قال: وكان رجلا من الأنصار إذا غاب عن رسول الله وشهدته أتيته بما يكون من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

١٨) أن يلقي زمامه إلى المعلم إلقاء المريض إلى الطبيب فيتواضع له ويبالغ في خدمته، فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب زيد ابن ثابت رضي الله عنه ويقول هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

قال على رضي الله عنه: إن من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشير عنده بيدك ولا تغمز بعينك ولا تكثر عليه السؤال ولا تعينه في الجواب ولا تلح عليه إذا كسل ولا تراجفه إذا امتنع، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفش له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته، ولا تقولن له: سمعت فلانا يقول كذا ولا إن فلانا يقول خلافك، ولا تصفن عنده عالما، ولا تعرضن من طول صحبته، ولا ترفع نفسك عن خدمته وإذا عرضت له حاجة سبقت القوم إليها فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط لك منها شيء.

﴿تنبيه﴾: (وكلما زاد تواضع طالب العلم زاد مقدار الحكمة عنده وتعلم العلم ومتى تكبر قلت حكمته ومنع العلم.." (١)

"ت– لأن ذكر المحبين على خلاف ذكر الغافلين، فذكر الله لذة قلوب العارفين، والمحبون يستوحشون من كل شاغل يشغل عن الذكر، فلا شيء أحب إليهم من الخلوة بحبيبهم.

ث– كلما قوي حال المحب لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان، فهو بين الخلق بجسمه، وقلبه معلق بالملأ الأعلى.

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن (٢).

(نتائج الأفكار بآثار الإكثار من الأذكار:

**أ– الثبات على** الإسلام والأمن في مواطن الخوف؛ كما في قوله –تعالى–: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ [الأنفال: ٤٥].

ب– سبب الفلاح والنجاح؛ كما في قوله تعالى–: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة: ١٠]

ت– سبب للمغفرة والأجر العظيم، كما في قوله –تعالى–: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله –تعالى–: ﴿والذاكرين

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨٥/٨

الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾

[الأحزاب: ٣٥]

ث- يعطي الذاكر قوة:

[*] قال الإمام ابن قيم الجوزية في «الوابل الصيب»

(ص ١٨٥ - ١٨٦): «إن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه، وقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرا عجيبا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرا عظيما.

وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وعليا -رضي الله عنهما- أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضجعهما ثلاثا وثلاثين، ويحمدا ثلاثا وثلاثين، ويكبرا أربعا وثلاثين؛ لما سألته الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي، والخدمة، فعلمها ذلك، وقال: «إنه خير لكما من خادم»..." (١)

"وربما ألقى الشيطان في روعه أن الدعاء لا داعي له في هذه الحالة، ولا فائدة وراءه حيال هذا الأمر، كحال من يصاب بمرض السرطان ــ عياذا بالله ــ فتجد تلك الحال تغلب عليه، بل ربما غلبي على أقاربه وذويه، فتراهم يتركون الدعاء لهذا المريض؛ بحجة أن هذه الحالة خطيرة، وأنها تنتهي بالوفاة في الأعم الأغلب؛ لذا لا فائدة من الدعاء لهذا المريض، ولا داعي له ــ بزعمهم ــ!.

فهذا خطأ في باب الدعاء، وجهل بالله، وما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه.

فيا سبحانه الله! أما علم أولئك أن الله على كل شيء قدير؟ وأن أزمة الأمور بيده ــ تبارك وتعالى ــ وأنه يقول للشيء كن فيكون؟ وأن الذي كتب الضر قادر على كشفه؟

بل ما علموا أن الدعاء ــ بحد ذاته ــ عبادة عظمى؟ وأن انتظار الفرج من أجل العبادات؟ وأن الافتقار إلى الله واللجوء إليه عين الفلاح ورأس العز؟.

بل ما علموا أن الله قد يشفيه؟، أو يخفف عنه بعض ما يعانيه؟، أو يرزقه ــ بفضل ذلك الدعاء ــ **من الثبات والطمأنينة** والرضا ما لا يجده لو كان سليما معافى؟.

وكذلك الحال بالنسبة لبعض من يبتلى بالعقم، أو تأخر الإنجاب عنه، فمنهم من يرغب عن دعاء الله، وسؤاله الذرية الصالحة؛ بحجة أن الأمر قد كتب وقدر، فلا داعي للدعاء في ذلك الأمر، إذ لا فائدة من وراءه بزعمه!.

فهذا الكلام لا ينبغي أن يصدر من مسلم؛ فالله ــ عز وجل ــ هو الذي قدر العقم وتأخر الإنجاب، وهو القادر على أن يمد الإنسان بالأولاد؛ فالأمر أمره، والقدر قدره، والكون كله ملك له؛ فكيف تيأس ــ أيها المسلم ــ من روح الله، أو تقنط من رحمته؟

(فهذا زكريا ــ عليه السلام ــ عندما قال: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعآء) [آل عمران / ٣٨]

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٢٤/٨

(أجاب الله دعاءه،: (فنادته الملآئكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) [آل عمران / ٣٩]

(كل ذلك مع أن زكريا قد بلغ من الكبر عتيا، وأن امرأته كانت عاقرا!.

وقل مثل ذلك في شأن بعض الوالدين الذين يدعون الدعاء لأولادهم؛ يأسا من صلاحهم، وذلك إذا رأوا منهم تمردا وتماديا في الغواية والضلال.

فتجد هذا الوالد يقول:

أنا يئست من صلاح ولدي، وتركت الدعاء له!." (١)

"[*] قال المناوي رحمه الله تعالى: في تأثير هذا الدعاء في دفع هذا الهم والغم مناسبة بديعة فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيمومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا قيل إن اسمه الأعظم هو الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الآلام والأجسام الجسمانية والروحانية، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ونقصان الحياة يضر بالأفعال وينافي القيمومية فكمال القيمومية بكمال الحياة فالحي المطلق التام الحياة لا يفوته صفة كمال البتة والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة فالتوصل بصفة الحياة والقيمومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة وتغير الأفعال فاستبان أن لاسم الحي القيوم تأثيرا خاصا في كشف الكرب وإجابة الرب. اهـ.

(نسألك الهدى والتقى:

(حديث ابن مسعود في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

(ادخر هذه الكلمات فهي خير لك من الذهب والفضة:

(حديث شداد بن أوس الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال له:" يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة؛ فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب "

(سؤال المغفرة والبركة:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن رجلا قال يارسول الله سمعت دعاءك الليلة فكان الذي وصل إلي منه أنك تقول: " اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي فيما رزقتني " قال: " فهل تراهن تركن شيئا ".

ومعنى " فهل تراهن تركن شيئا " أي: من خيري الدنيا والآخرة.

(الاستعاذة من العجز والكسل:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٨٣/٨

(حديث أنس في الصحيحين) قال كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزن و العجز و الكسل و الجبن و البخل و ضلع الدين و غلبة الرجال.." (١)

"(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لرجل: "ما تقول في الصلاة"؟ قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار. أما والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ. فقال: "حولها ندندن.

يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار.

(حديث أ أنس بن مالك بي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار.

(٤) سؤال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة:

(حديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لعمه: أكثر الدعاء بالعافية " .

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) قال لم يكن رسول – صلى الله عليه وسلم – الله يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح ﴿اللهم إني أسألك العفو و العافية الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي و أهلي و مالي، اللهم استر عوراتي و آمن روعاتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فوقي و أعوذ بك أن اغتال من تحتي.

(٥) سؤال الله تعالى الثبات على دينه:

(حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ".

(٦) سؤال الله تعالى دوام النعمة والاستعاذة به من زوالها:

وأعظم النعم نعمة الدين:

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) قال كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي و أصلح لي آخرتي التي فيها معادي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و اجعل الموت راحة لي من كل شر.

(حديث ابن عمر في صحيح مسلم) قال كان رسول الله يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨/٦١٢

نقمتك وجميع سخطك.

(٧) الاستعاذة بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء:." (١)

"(حديث عائشة في صحيح ابن ماجة) أن رسول الله علمها هذا الدعاء اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم و أعوذ بك من الشر كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك و نبيك و أعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك و نبيك اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل و أعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل و أسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا.

(حديث أبي هريرة في صحيح أبي داوود وابن ماجة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول: اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني وزدني علما.

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) قال لم يكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم إني أسألك العفو و العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو و العافية في ديني و دنياي و أهلي و مالي، اللهم استر عورتي و آمن روعتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فوقي و أعوذ بك أن اغتال من تحتي.

(حديث ابن مسعود في السلسلة الصحيحة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرجا.

﴿تنبيه﴾: (يستحب للمسلم أن يدعو للمؤمنين والمؤمنات فإنه من كنوز الحسنات

(حديث عبادة في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن حسنة.

[*] (نموذج لأدعية ليست من الكتاب والسنة ولكنها نافعة وتوافق الكتاب والسنة:

(اللهم ارزقنا الإخلاص قولا وعملا سرا وعلانية

(اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور

(اللهم **ارزقنا الثبات على** الدين وحسن الخاتمة

(اللهم وسع في أرزاقنا من المال والعلم ولا تفتنا بهم وفقنا إلى الإحسان لإلى الناس بهم

(اللهم افتح علينا رزقا لا تجعل لأحد علينا فيه منة ولا لك علينا في الآخرة تبعة." (٢)

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨/٦٣٨

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨/٦٤٦

". وأيام الصبر هي أيام الإبتلاء في الدين والشهوات المستعرة والشبهات المستحكمة ومع ذلك المرء صابر لدينه. فسماها أيام الصبر لأنه لا يستعمل فيها إلا الصبر ولا حل إلا الصبر، والصبر هو القائد وهو الملاذ والحصن الحصين، الذي من دخله عصم . بخلاف من كان قبلنا كانوا يعيشون في محيط إسلامي والمنكرات تستتر، أما الآن فالمنكرات كثرة مما يزيد من احتمال تأثر المؤمن بها من حيث لا يريد، فتكون الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات، لأن الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يؤمر به والانتهاء عما ينهى عنه، فمثلا كان أول ما أنزل ذكر الجنة والنار وما فيهما وما أعد لأهلهما، ثم نزلت الأحكام بعد أن تهيأت النفوس للقبول، تقول عائشة: "أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمرة أبدا"، فالرقائق تقوي الإيمان الذي يعين المسلم **على الثبات في** مواجهة الشهوات، ومن المعلوم أن الشهوات سببت ضعف إيمان كثير من المسلمين لأن مخاطبة العقل وحده قد لا تكفي ما لم تكن ممزوجة بإثارة العاطفة، إذ أن مخاطبة العقل وحده قد لا تنتج إلا معلومات نظرية جافة لا حياة فيها، أما مخاطبة العقل والعاطفة فتؤدي إلى الإقناع والتطبيق العملي، ثم إن العناية بالرقائق تجنب طالب العلم بإذن الله الإصابة بالأمراض الفتاكة التي تفتك بدين المسلم كآفة العجب أو الحسد أو الهوى أو غيرها والعياذ بالله.." (١)

"١٤) التحلي بالتأمل، فإن من تأمل أدرك، وقيل:"تأمل تدرك".

وعليه، فتأمل عند التكلم: بماذا تتكلم؟ وما هي عائد ته؟ وتحرز في العبارة والأداء دون تعنت أو تحذلق، وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وتأمل عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجهه حتى لا يحتمل وجهين؟ وهكذا.

**١٥) الثبات والتثبت**:

تحل بالثبات والتثبت، لا سيما في الملمات والمهمات، ومنه: الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن "من ثبت نبت".

١٦) أن يحرص على العلم وأن يقبل عليه إقبال الظامئ على المورد العذب. وقد كان السلف يؤثرون العلم على كل شيء حتى الزواج ولذا فإن الإمام أحمد رحمه الله تعالى لم يتزوج إلا بعد الأربعين، وأهديت إلى أبي بكر الأنباري جارية فلما دخلت عليه تفكر في استخراج مسألة فعزبت عنه فقال: أخرجوها إلى النخاس فقالت هل لي من ذنب؟ قال: لا إلا أن قلبي اشتغل بك، وما قدر مثلك أن يمنعني علمي.

١٧) ينبغي له أن يحرص على حلق العلم ولو بالتناوب مع زميل له عند ضيق الوقت فيحضر أحده. ما ويخبر صاحبه بالعلم الذي سمعه ويحضر الآخر ويخبر صاحبه بالعلم الذي سمعه فإنه كان من فعل الصحابة رضي الله عنهم

(حديث عمر في صحيح البخاري) قال: وكان رجلا من الأنصار إذا غاب عن رسول الله وشهدته أتيته بما يكون من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤/٩

١٨) أن يلقي زمامه إلى المعلم إلقاء المريض إلى الطبيب فيتواضع له ويبالغ في خدمته، فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب زيد ابن ثابت رضي الله عنه ويقول هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

قال على رضي الله عنه: إن من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشير عنده بيدك ولا تغمز بعينك ولا تكثر عليه السؤال ولا تعينه في الجواب ولا تلح عليه إذا كسل ولا تراجفه إذا امتنع، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفش له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته، ولا تقولن له: سمعت فلانا يقول كذا ولا إن فلانا يقول خلافك، ولا تصفن عنده عالما، ولا تعرضن من طول صحبته، ولا ترفع نفسك عن خدمته وإذا عرضت له حاجة سبقت القوم إليها فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط لك منها شيء.

﴿تنبيه﴾: (وكلما زاد تواضع طالب العلم زاد مقدار الحكمة عنده وتعلم العلم ومتى تكبر قلت حكمته ومنع العلم.." (١)

"(لله در أقوام نفوسهم نفس على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت. نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا. نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت الدجا إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الزهد سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى الذر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلم الدياجي سهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في ظلم الدجا مشتمرة، قد نبذت المعايش، ورعت الحشايش. هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم.

(لله در أقوام استظلوا تحت رواق الحزن، وقرأوا صحف الخطايا ونشروا دواوين الذنوب فأورثهم الفكر الصالحة في القلب، أدبوا أنفسهم بلذة الجوع وتزينوا بالعلم، وسكنوا حظيرة الورع، وغلقوا أبواب الشهوات وعرفوا مسير الدنيا بموقنات المعرفة حتى نالوا علو الزهد فاستعذبوا مذلة النفوس، أدرجوا أنفسهم في مصاف المسبحين ولاذوا بأفنية المقدسين فتعلقوا بحجاب العزة وناجوا ربهم عند مطارفة كل شهوة حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عز الجلال إلى عظيم الملكوت فرجعت القلوب إلى الصدور على الثبات بمعرفة توحيدك فلا إله إلا أنت.

(لله در أقوام قوما أزعجهم الهم عن أوطانهم، وثبتت الأحزان في أسرارهم، فهممهم إليه سائرة، وقلوبهم إليه من الشوق طائرة، فقد أضجعهم الخوف على فرش الأسقام، وذبحهم الرجاء بسيف الانتقام، وقطع نياط قلوبهم كثرة بكائهم عليه، وزهقت أرواحهم من شدة الوله إليه، قد هد أجسامهم الوعيد، وغير ألوانهم السهر الشديد.

(لله در تلك القلوب الطاهرة، أنوارها في ظلام الدجى ظاهرة، لله در أقوام تدرعوا بالوقار والسكينة، وعملوا ليوم فيه كل نفس رهينة، كل واحد منهم صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه بين يدي ربه مطروح، فلو رأيتهم بين ساجد وراكع، وذليل مخموم متواضع، ومنكس الطرف من الخوف خاشع، تتجافى جنوبهم عن المضاجع.

﴿تنبيه﴾: ((طغى حب الدنيا على قلوب بعض الناس واستهوتهم خضرتها، يصرف لها همه، يحرك فيها همته، عبدوها من

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨٠/٩

دون الله، آثروها على ... الآخرة، وتناسوا قول النبي – صلى الله عليه وسلم – تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة.." (١)

"فبالرغم من أنه موثق بالحبال وسيلقى في النار إلا أنه آمن مطمئن، حسن الظن بالله، راض عنه ولذلك يقول: "نعم الوكيل"، فقلها بهذا الإحساس؛ يكن عدوك هو المغموم وتجد أنت راحة البال، ثم أبشر لن تمسك نار عدوك؛ قال –سبحانه وتعالى–: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٤) إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران:١٧٣ – ١٧٥] فأخبر –عز وجل – أن الذين قالوا هذه الكلمة نالوا منه خيرين: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله﴾، و ﴿وفضل﴾ وهما: النعمة: ﴿لم يمسسهم سوء﴾ عافية الدنيا.

والفضل: ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ الثبات على الدين ﴿والله ذو فضل عظيم﴾.

ثم أعانك الله –سبحانه وتعالى– على بلوغ اليقين فقال لك: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥]، كل هذا ثم تخاف!! لا تخف لا بأس عليك.." (٢)

"سادسا: السعي في قضاء حوائج المسلمين وانظر كيف جعله النبي – صلى الله عليه وسلم – أفضل من اعتكاف شهر بالمسجد النبوي الشريف.

آه .. لماذا لا تساعد أخاك؟!! تأخذ بيده وتعينه على قضاء حاجته، وما زال الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ولكن ترى في عصرنا هذا نوعا من الشحناء والبغضاء والغل، فهذا يعرض عن أخيه، وذاك لا يبالي، وهذا يعتبر أن سعيه لقضاء حاجة أخيه مضيعة للوقت، أو يقول لك: إنه لا يستحق، وهذا من الجفاء وفساد ذات البين، وقد مر بك أنها الحالقة، فصارت ظاهرة عامة أن يسعى لمصلحته فقط، " أنا ومن بعدى الطوفان "، إنها نزعة أنانية، اللهم طهر قلوبنا منها يا رب.

سابعا: كف الغضب فيستر الله عورته، لأن الغضب يكشف العورات، فإذا كففت غضبك جزاك الله من جنس عملك فيسترك. اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وبلغنا مما يرضيك آمالنا

ثامنا: كظم الغيظ، فإن الله عفو يحب العفو، فلا يخيب الله رجاءه يوم القيامة .....

عن أبي مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شئ إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه. (١) وفي الحديث أيضا: " من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله " (٢)

تاسعا: السعي في حاجة إخوانك، للمرة الثانية يؤكد عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. وكان صاحب الحاجة يكون متزعزعا لا تثبت له قدم فمن هيأ له الثبات كأن يسعى في أن يعمل في عمل جيد، أو يعينه على التزوج، أو نحو

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٦٨/٩

(٢) الأنس بذكر الله محمد حسين يعقوب ص/٢٣٨

ذلك فهذا يثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام.

(١) أخرجه مسلم (١٥٦١) ك المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠١٤) ك الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل.." (١)

"أما العفو عن أخيك، فلأنك تعلم قبل أن تتخذه أخا أنه ليس معصوما عن الأخطاء، وإلا لكان نبيا من أنبياء الله، فلابد له إذا من هنات، ولا بد له من سقطات، وإنما انكشف لك هذه السقطات لقربك منه وطول معاشرتك له، ولعلك لو كنت بعيدا لما رأيت ما رأيت، فلابد لك من رؤية ما تكره في بعض الأحيان والصمت على ما ترى.

وقد أمر الله عز وجل بالعفو عن الناس في كثير من آيات الكتاب الكريم: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ [الشورى: ٤٠].

واستمع إليه سبحانه وهو يطالب أبا بكر رضى الله عنه بإجراء النفقة ثانية على قريبه الذى سعى بحديث الإفك:

﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ [النور: ٢٢].

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقد وصف الله عز وجل المؤمنين بقوله: ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩].

وهل تكون رحيما إن لم تعف عن زلة أخيك؟ ووصفهم أيضا بقوله ﴿أذلة على المؤمنين﴾ [المائدة: ٥٤] كيف تكون ذليلا على المؤمنين إن لم تعف عن زلاتهم ويصبر على هفواتهم؟ وأما الوفاء **فهو الثبات على** الحب وإدامته إلى الموت وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي، وحادثة إكرام الرسول للعجوز التي كانت تأتيهم في أيام خديجة رضى الله عنها خير دليل على ذلك. وكلما انقطع الوفاء بعدم دوام المحبة شمت الشيطان، فإنه لا يحد متعاونين على بر متواضعين متحابين في الله إلا ويجهد نفسه لإفساد ما بينهما.." (٢)

"إذن، فالإجابة عن السؤال الأول: ما مصادر المعرفة؟ تقتضي تحديد تصورين مهمين في بناء التربية، هما على الترتيب في الأهمية والأولوية:

- حقيقة الألوهية في التصورات الفلسفية المختلفة.
- حقيقة الكون في التصورات الفلسفية المختلفة.

وللإجابة عن السؤال الثاني: كيف يعرف الإنسان؟ أو كيف يحدث التعلم للإنسان؟ يقتضي هذا بيان حقيقة الإنسان في التصور الإسلامي وفي التصورات الأخرى، وبيان حقيقة فطرته، وطبيعة الإنسانية، وبيان حقيقة النفس في التصور الإسلامي وفي التصورات الأخرى، ثم بيان مطالب النمو وحاجاته، مع التركيز على طبيعة الإنسان الكبير وحاجاته ومطالبه، وأثر كل

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/١٨٣

(٢) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢٧٢

ذلك في مناهج التربية والتعليم.

وعلى هذا فإن الإجابة عن هذا السؤال الثاني في طبيعة المعرفة: كيف يعرف الإنسان؟ أو كيف يحدث التعلم؟ تقتضي تحديد تصور آخر مهم في بناء منهج التربية ألا وهو:

- حقيقة الإنسان، من حيث مصدره، ومركزه في الكون، ووظيفته في الحياة، وغايته.

وللإجابة عن السؤال الثالث: ما مهمة العلم والمعرفة لكل من الإنسان والمجتمع والحياة؟ يقتضي الأمر بيان طبيعة المجتمع في التصور الإسلامي، وفي التصورات الأخرى، وبيان أهم المعايير التي تحكم سلوكيات الأفراد فيه، وتحكم نوعيات الروابط والصلات والنظم الاجتماعية والمؤسسات، وتوجهها إلى غاياتها المنشودة، ومثلها المرجوة، كما يقتضي هذا بيان نوعية الموجهات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، والأدبية، والتربوية، والإعلامية.. إلخ. وبيان العلاقة بين العلم والمعرفة، وأهيمتهما في بناء المجتمع، وبيان العلاقة **بين الثبات والتغير**، وبين التربية والتغير الاجتماعي، والتقدم الحضاري.. إلخ.

وهكذا نكون قد وصلنا إلى الأساس الثالث والأخير من أسس بناء منهج التربية للكبار والصغار على السواء، وهذا الأساس هو:

- حقيقة الحياة والمجتمع من حيث: العقيدة والموجهات، والروابط والصلات، والنظم والمؤسسات، والعلم والمعرفة ودورهما الفاعل في كل ذلك.

هذه الأسس الثلاثة السابقة تمثل التصور المعرفي والتصور الاعتقادي الفلسفي للإنسان والمجتمع والحياة، فهي تمثل التفسير الشامل للوجود الذي يتعامل الإنسان على أساسه مع هذا الوجود، وبما أن المنهج نظام تربوي اجتماعي، فإن المناهج التربوية تختلف باختلاف النظم الاجتماعية وتصوراتها الاعتقادية والفلسفية للألوهية، والكون والإنسان والحياة.." (١)

"الفصل الخامس: أهداف المناهج

مدخل

...

الفصل الخامس: مكونات المنهج وأهدافه

في الفصول السابقة تم استعراض أسس مناهج التربية المتمثلة في طبيعة المعرفة، والطبيعة الإنسانية، وطبيعة المجتمع والحياة، كما استخلصنا المبادئ التي يجب أن تراعيها المناهج في بنائها وتنفيذها وتقويمها وتطويرها.

وفي الفصول التالية نقدم عناصر المنهج أو مكوناته وهي: الأهداف: والمحتوى: وطرائق وأساليب التدريس؛ وطرائق التقويم، لكننا في هذا الفصل الخامس نبدأ بالأهداف: فنحدد معنى الهدف، وأنواع الأهداف، ومعايير جودتها، ثم نعرض بعد ذلك الأهداف التي ينبغي أن تعمل مناهج التربية، بكل محتوياتها ومقرراتها وخبراتها على تحقيقها في المتعلمين، على اختلاف أنواعهم ومستوياتهم، حتى تقدرهم على المساهمة الفعالة في تحقيق مقتضيات الخلافة في الأرض وفق منهج الله.

---

(١) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها على أحمد مدكور ص/٤٤

أهمية تحديد الأهداف:

إن من أهم عوامل فشل المناهج التربوية في أي مكان هو عدم تحديد أهدافها تحديدا يتسق مع الإنسان من حيث مصدر خلقه، ومركزه في الكون، ووظيفته في الحياة، وغاية وجوده، إن هذه المناهج لا تجانب الطريق السليم في إعداد الإنسان فحسب، بل إنها تحدث الخلل والفساد في فطرته وإنسانيته، ومن ثم في عمارة الأرض.

الأهداف بين الثبات والتغير:

لا شك أن تعلم كل الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، يمثل أهدافا ثابتة لمنهج التربية، كما أن الدقة والمهارة في إجراء كل ما تقتضيه صور التطبيق الثقافي والحضاري في المجتمع يمثل أهدافا متغيرة لهذا المنهج.

وهناك من المفكرين الغربيين من لا يروق لهم القول بوجود أهداف ثابتة للمنهج "جون ديوي" على سبيل المثال، يؤكد بشكل قاطع أن "الفكرة القائلة بأن النمو والتقدم يرميان إلى هدف نهائي لا يتغير ولا يتبدل، هي: آخر أمراض العقل البشري في انتقاله من نظرة جامدة إلى نظرة مفعمة بالحركة والتغير"١.

ولكن هذا القول يجانبه الصواب. فالحقيقة التي يؤكدها واقع عالمنا المعاصر أن جعل الأهداف التربوية كلها متحركة ومتغيرة قد أطاح بكثير من القيم الخلقية

---

١ جون ديوي: الديمقراطية والتربية، ترجمة متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ط٢، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤م، ص٥٨.." (١)

"١٩- إدراك الطلاب الفرق بين الإسلام والتراث الإسلامي:

يجب أن تفرق مناهج التربية بين الإسلام من جانب، وبين التراث عموما، والتراث الإسلامي على وجه الخصوص، من جانب آخر.

فالتراث عموما، بجميع جوانبه وألوانه –من آداب وفنون وآثار تاريخية وجغرافية، اقتصادية وسياسية واجتماعية، مادية وفكرية، نظرية وعلمية– هو صناعة إنسانية، تاريخية ومتحفية.

والتراث الإسلامي هو كل ما تركه المسلمون من اجتهادات في الآداب، والفنون، والعلوم، والفقه، والتنظيمات والطرائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلخ. التي تتفق مع الإسلام نصا أو روحا، أو لا تختلف معه على الأقل.

والتراث في كلتا الحالتين السابقتين هو صناعة إنسانية تاريخية ومتحفية، نامية ومتطورة، والفرق بين التراث الإسلامي وغيره. هو أن التراث الإسلامي اجتهادات وابتكارات في جميع جوانب الحياة ووسائلها في ضوء التصور الإسلامي. فهو تراث على درجة عالية من الثبات في الاتجاه؛ فهو لا ينقل من النقيض إلى النقيض، بل يرتقي صعودا بالحياة الإنسانية وفق منهج الله. أما بالنسبة للتراث العام، فتراث كل أمة إنما ينمو ويتطور صعودا أو هبوطا –وقد ينتقل من النقيض." (٢)

---

(١) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها على أحمد مدكور ص/١٢٩

(٢) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها على أحمد مدكور ص/١٦٢

"سادس عشر: أذكار المرض وزيارة المريض

١ - إن أنفع الرقية وأكثرها تأثيرا رقية الإنسان نفسه، وذلك لما ورد من النصوص على عكس ما اشتهر عند كثير من الناس من البحث عن قاريء حتى ولو كان عاميا أو مشعوذا.

٢ - وقراءة سورة الفاتحة هي من أهم وأنفع ما يقرأ على المريض، وذلك لما تضمنته هذه السورة العظيمة من إخلاص العبودية لله والثناء عليه - عز وجل - وتفويض الأمر كله إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها، ولما ورد فيها من النصوص مثل قصة اللديغ الواردة في صحيح البخاري.

٣ - وإذا دخل على المريض يقول: «لا بأس طهور إن شاء الله» .

(رواه البخاري) .

ويمسح بيده اليمنى على المريض ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب البأس اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما» (رواه البخاري) .

٤ - وعند رقية المريض يقول: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك بسك الله أرقيك» .

(رواه مسلم) .

٥ - وإذا اشتكى ألما في جسده يضع يده على موضع الألم ويقول: بسم الله ثلاثا ويقول سبع مرات: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» .

(رواه مسلم) .

٦ - الرقية من العين:

١ - قال صلى الله عليه وسلم: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» .

(رواه مسلم) .

٢ - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أمرني النبي صلى الله عليه وسلم، أو أمر أن نسترقي من العين.

(رواه البخاري) .

٣ - والإصابة بالعين قد تكون من الإنس أو من الجن، كما جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيت أم سلمة - رضي الله عنها - جارية في وجهها سفعة، فقال: «استرقوا لها، فإن بها النظرة» (رواه البخاري) .

٤ - ويؤمر العائن بأن يفعل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل، فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة.

قال: فلبط سهل، فأتى رسول صلى الله عليه وسلم عامرا، فتغيظ عليه وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه.

ألا بركت اغتسل له» ، فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح مع الناس.

(الموطأ) .

٥ – ومما يقي المسلم من شر العين ومن كل شر المحافظة على الأوراد والأذكار الصباحية والمسائية، وعدم الاهتمام بالإصابة بالعين بل يتوكل على الله ولا يتوقع حصول ذلك ما أمكن، ومما يقي أيضا من العين ستر المحاسن والإمساك عن الكلام في الوصف على وجه لا كلفة فيه ولا مبالغة.

٧ – علاج المسحور:

من أنفع ما يقي من السحر ومن كل شر المداومة على الأوراد الصباحية والمسائية، وقراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين عقب كل صلاة وعند النوم، وقراءة الآيتين من آخر سورة البقرة كل ليلة ومن حبس عن زوجته بالسحر فإنه يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر فيدقها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل ويقرأ فيها آية الكرسي و ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ وآيات السحر التي في سورة الأعراف.

وهي قوله سبحانه: ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ .

والآيات التي في سورة يونس وهي قوله سبحانه: ﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم * فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ .

والآيات التي في سورة طه: ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ .

وبعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب منه ثلاث مرات ويغتسل بالباقي وبذلك يزول الداء إن شاء الله، وإن دعت الحاجة لا ستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء.

ومن علاج السحر أيضا، وهو من أنفع علاجه، بذل الجهود في معرفة موضع السحر في أرض أو جبل أو غير ذلك، فإذا عرف واستخرج وأتلف بطل السحر.

هذا ما تيسر بيانه من الأمور التي يتقى بها السحر ويعالج بها، والله ولي التوفيق.

٨ – ولا يجوز تمني الموت لضر نزل به، فإن كان لابد فاعلا فليقل: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي» .

(رواه البخاري) .

٩ – ويستحب تلقين المحتضر: لا إله إلا الله لقوله صلى الله عليه وسلم: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» .

(رواه مسلم) .

ولا يكثر التكرار عليه لئلا يضجر.

١٠ – وما يقال عند المريض أو الميت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فإن

الملائكة يؤمنون على ماتقولون» .

(رواه مسلم) .

١١ – وإذا بلغه موت صاحبه يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا إلى ربنا لمنقلبون» اللهم اكتبه عند في المحسنين، واجعل كتابه في عليين، واخلفه في أهله في الغابرين، ولا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده.

(رواه ابن السني) .

١٢ – دفع حر المصيبة

إن المسلم قد يصاب في نفسه أو في أهله أو في ماله، فكلما قوي إيمان العبد بالله كان متماسكا صابرا محتسبا عند المصائب، وبقدر صبره واحتسابه يثيبه الله تعالى ويأجره، ومما يخفف ألم المصيبة:

١ – الصبر، قال الله تعالى: ﴿وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ .

٢ – أن يستحضر في ذهنه أن العبد وأهله وماله لله تعالى حقيقة وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذها منه، فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير.

٣ – يتذكر أن مصير العبد إلى مفارقة الدنيا، وأن مرجعه إلا الله تعالى مولاه الحق.

٤ – أن يعتقد اعتقادا جازما أن ما أصابه لم يكن يخطئه، وما أخطأه لم يكن يصيبه.

٥ – أن ينظر إلى ما أصيب به، فيجد ربه قد أبقى عليه مثله، أو أفضل منه وادخر له – إن صبر ورضي – ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

٦ – أن يطفيء نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل واد بنو سعد، ولينظر يمنة، فهل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف يسره، فهل يرى إلا حسرة؟ وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل، إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا، وإن سرت يوما ساءت دهرا، وإن متعت قليلا منعت طويلا، وما ملأت دارا حبرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور.

٧ – أن يعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها، وهو في الحقيقة من تزايد المرض.

٨ – أن يعلم أن ثواب الصبر والتسليم والاسترجاع عظيم، فليتبين العبد اللبيب لذلك.

٩ – أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه، وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه، ورده خاسئا، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزاهم هو قبل أن يعزوه.

فهذا **هو الثبات والكمال** الأعظم، لا لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

١٠ – أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، وأن حلاوة الدنيا هي بعينها مرارة الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك، فإن خفى عليك هذا، فانظر إلى قول الصادق المصدوق: «حفت الدنيا

بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» .
(رواه مسلم) .
١١ – إذا بلغه موت عدو للإسلام يقول: «الحمد لله الذي نصر عبد وأعز دينه» .
(رواه ابن السني) .
١٢ – لا يجوز النياحة على الميت لقوله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية» (رواه البخاري) .
وقد برىء الرسول صلى الله عليه وسلم، من الصالقة والحالقة والشاقة.
(رواه مسلم) .
أما البكاء اليسير من غير ندب ولا نياحة فجائز لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب ولكنه يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم» .
(رواه البخاري) .
١٣ – عند الصلاة على الجنازة وبعد التكبير الثالثة يدعو فيقول: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم اغفر له وارحمه، واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وزوجاً خيرا من زوجه، وأدخله الجنة، وقه فتنة القبر وعذاب النار» .
(رواه مسلم والترمذي) .
فإن كان طفلا دعا لأبويه فيقول: «اللهم اجعله سلفا وفرطا، وذخرا، وأجرا» .
(رواه البخاري) .
ويقول: «اللهم ثقل به موازينهما، وأفرغ الصبر على قلوبهما، ولا تفتنهما بعده ولا تحرمهما أجره» ، وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بإخلاص الدعاء للميت.
(رواه أبو داود) .
١٤ – عند وضع الميت في القبر يقول: «بسم الله، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم» (رواه الترمذي) .
١٥ – كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل» (رواه أبو داود) .
١٦ – عند تعزية أهل الميت يقول: «إن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى» .
(رواه البخاري) .
١٧ – إذا زار القبور يقول: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» .
(رواه مسلم) .

١٨ – النهي عن دخول ديار المعذبين إلا أن يكون المار خائفا باكيا لقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما وصلوا ديار ثمود: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم» .

(رواه البخاري) .

تنبيه:

على المسلم أن يعلم أنه لا يجوز تعظيم القبور بغير ماورد، مثل الزيارة ورفعها شبرا والنهي عن وطئها والاتكاء عليها، أو المشي بينها بالنعلين.

وأما تعظيمها بالبناء عليها، أو تبليطها، أو إسراجها، أو وضع الزهور عليها، أو التمسح بها والتبرك بتربتها، كل ذلك ونحوه من وسائل الشرك الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحذير.

فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهوكذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر مما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا.

(متفق عليه) .

وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك» (رواه مسلم) .

وعن جابر – رضي الله عنه – قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يني عليه بناء» (رواه مسلم) .." (١)

"وقوله تعالى: ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي يختبركم فتعرض لكم هذه الأحوال وتجدون أنفسكم تميل إليها، ثم تذكرون نهي ربكم عن نقض الأيمان والعهود فتتركوا ذلك طاعة لربكم أولا تفعلوا إيثارا للدنيا عن الآخرة، ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ ثم يحكم بينكم ويجزيكم، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

* احذر الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة فإن ذلك علامة مقت وخسران، فالعيد بقاء على الخير وثبات على الجادة واستمرار في الطريق قال بعض أصحاب سفيان الثوري: خرجت مع سفيان يوم العيد فقال: «إن أول ما نبدأ به يومنا هذا غض البصر».

* حذار حذار من جلساء وأصحاب السوء واصطحاب آلات اللهو في المتنزهات والاستراحات والعكوف عليها، قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» (رواه البخاري).

(الحر):الفرج، والمعنى يستحلون الزنا، (والمعازف) هي آلات الملاهي، أي الآلات الموسيقية.

رب رمضان هو رب كل الشهور:

---

(١) ذكر وتذكير صالح السدلان ص/٣٩

لا تنس أيها الأخ الحبيب أن رب رمضان هو رب الشهور .. واستمر على الطاعة واسأل الله عز **وجل الثبات على** هذا الدين حتى تلقاه، وأعلم أن نهاية وقت الطاعة والعبادة ليس رؤية هلال العيد كما يتوهم البعض بل هو كما قال الله عز وجل: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (الحجر:٩٩). واليقين هو الموت .. قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت.

وقال الحسن: أبى قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهر أو شهرين أو عام أو عامين، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجل دون الموت.

وقرأ عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس على المنبر: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ (فصلت:٣٠). فقال: استقاموا والله بطاعة الله ثم لم يروغوا روغان الثعلب.." (١)

"وإن ودعت ـ أيها المسلم ـ شهر الطاعة والعبادة وموسم الخير والعتق من النار فإن الله عز وجل جعل لنا من الطاعات والعبادات ما تهنأ به نفس المؤمن وتقر به عين المسلم من أنواع النوافل والقربات طوال العام ومن ذلك:

*صيام ست من شوال؛ قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر». (رواه مسلم). وإن كان عليك قضاء فاقضه ثم صمها.

* صيام أيام البيض ١٣، ١٤، ١٥، وصيام يوم عرفه لغير الحاج، وكذلك صيام أيام الاثنين والخميس.

* قيام الليل والمحافظة على الوتر. وتأس بالأخيار ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ (الذاريات:١٧).

* المداومة على الرواتب التابعة للفرائض اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر وركعتان بعده وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل الفجر.

* قراءة القرآن والحرص على ذلك يوميا ولو جزءا واحدا على الأقل.

* احرص على أعمال البر واستقم على الطاعة. قال الله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾ (هود:١١٢). وأنواع الطاعات كثيرة وأجرها عظيم قال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل:٩٧).

فاحرص أخي المسلم على الاستمرار على الأعمال الصالحة واحذر أن يفجأك الموت على معصية .. واستحضر أن من علامات قبول عملك في رمضان استمرارك على الطاعة بعده .. والحسنة تتبعها الحسنة والسيئة تجر السيئة.

* تذلل وتضرع وأدع ربك أن يحييك على الإسلام وأن يميتك عليه **وأسأله الثبات على** كلمة التوحيد عن أنس – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل." (٢)

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٥٧٤/١

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٥٧٥/١

"القوم لا يشقي بهم جليسهم. فعن أبي هريرة سدد خطاكم قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك.

فيقول: وكيف لو رأوني؟ يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وتحميدا وأكثر لك تسبيحا.

يقول: فما يسألوني. قالوا: يسألونك الجنة.

قال: وهل رأوها؟ قالوا: لا والله يا رب ما رأوها.

قال: فكيف لو أنهم رأوها؟

قالوا: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة.

قال: فمم يتعوذون؟ قالوا: من النار.

قال: وهل رأوها؟ قالوا: لا والله يا رب ما رأوها.

قال: فكيف لو رأوها؟ قالوا: رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة.

فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء، إنما مر فجلس معهم.

فيقول: وله غفرت؛ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». (رواه البخاري ومسلم). وفي الحديث بيان كذب من ادعى من الزنادقة أنه يرى الله تعالى جهرا في دار الدنيا، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت».

﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل وأمة الروم من ذرية إسحاق.

﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ أي: منهم الصالح والطالح، والعادل والظالم الذي تبين ظلمه، بكفره وشركه، ولعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسنا وظالما.

وتتلاحق من بعدهما ذريتهما. ولكن وراثة هذه الذرية لهما ليست وراثة الدم والنسب إنما هي وراثة الملة والمنهج: فمن اتبع فهو محسن. ومن انحرف فهو ظالم لا ينفعه نسب قريب أو بعيد.

إذا كنت بالله مستعصما ... فماذا يضيرك ريب المنون

حذار أخي أن تسيء الظنون ... بوعد الإله القوي المتين

فقد وعد المؤمنين النجاة ... كما نجا يونس من بطن نون

تحصن بذكر الإله العظيم ... وبادر بحفظ الكتاب المبين

فذاك لقلبك حصن حصين ... وهذا لروحك زاد معين

فهذي شدائد سوف تزول ... وتبقى الفوائد منها فنون

ولست وحيدا بهذي الطريق ... فتلك القوافل عبر السنين

فلا تبتئس يا أخ الصالحين ... لفرقة أهل وفقد بنين

فإن كان هذا لرب ودين ... **فأين الثبات وأين** اليقين

فذاك الخليل مضى طائعا ... لذبح ابنه في بلاء مبين

بيوم جليل عظيم كريم ... بلا جزع تله للجبين

فنجاه ربي بإحسانه ... وأفداه فورا بكبش سمين

وأنت بنوك بعيش رغيد ... ولهو ولعب وحرز أمين

ولم يطلبن منك ذبحا لهم ... فقط أن تصابر بعدا لحين

فهم في رعاية رب رحيم ... وأنت بخلوة ذكر ودين

لمرضاة رب ونصرة دين ... تهون الحياة وكل البنون." (١)

"٥٩ – قصة أصحاب الأخدود (١)

شردوا أخيارنا برا وبحرا ... واقتلوا أبناءنا حرا فحرا

إنما الصالح يبقى صالحا أبد ... الدهر ويبقى الشر شرا

كسروا الأقلام هل تكسيرها ... يمنع الأيدي أن تنقش صخرا

اقطعوا الأيدي هل تقطيعها ... يمنع الأعين أن تنظر شذرا

أطفئوا الأعين هل إطفاؤها ... يمنع الأنفس أن تصعد زفرا

أخمدوا الأنفس هذا جهدكم ... وبه منجاتنا منكم فشكرا

النظر الشذر: هو نظر المغضب، زفر الشخص زفرا وزفيرا: أخرج نفسه من رئتيه بعد مده إياه.

مذابح:

إن ما يتعرض له المسلمون من مذابح وتحريق وتشريد على أيدي اليهود في فلسطين، وعلى أيدي الهندوس في الهند وكشمير، وعلى أيدي البوذيين في بورما والصين، وعلى أيدي الروس في الشيشان، وعلى أيدي النصارى الأمريكان في العراق وأفغانستان وعلى أيدي الإثيوبيين في الصومال، وعلى أيدي الشيعة في العراق، وفي غيرها من بلاد المسلمين ليذكرنا بواجبنا نحو هذا الدين **ووجوب الثبات عليه** ونصرته والدفاع عنه والتضحية بأنفسنا وبأنفس ما لدينا في سبيل الله – عز وجل – .

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ  شحاتة صقر ١/٦١٧

(١) هذه الخطبة واللتان بعدها بتصرف من رسالة (أصحاب الأخدود) للشيخ رفاعي سرور.." (١)

"فماذا تبذلون لنصر دين ... وأعينكم بلا غبش ترانا

ألستم تبصرون دخان غدر ... وإرهابا به الباغي رمانا

وما إرهاب هذا العصر منا ... ولا فينا ولا هو من هدانا

دعاوى من عدو الله يرمي ... بأسهمها ليوقف مرتقانا

يفرق بيننا ويثير فينا ... خلافات يزيد بها أسانا

وكم من واهن في الأرض يحبو ... ويحسب أنه بلغ العنانا

أما علم المكابر أن فينا ... كتاب الله يمنحنا البيانا

يضيء لنا الوجود فنحن نبني ... على أضواء منهجه الكيانا

نقول له وللدنيا جميعا ... بأنا سوف نرعى من رعانا

وسوف نلقن الباغين درسا ... يعيد إلى المودة من جفانا

سنرهب بالجهاد طغاة حرب ... ونمنحهم إذا صدقوا الأمانا

قصة طفل بطل:

وها هي قصة من **قصص الثبات الرائعة** بطلها طفل صغير ضحى بحياته في سبيل نشر دين الله – عز وجل –.

عن صهيب – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: «إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر»، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه. فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: «إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر»، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا." (٢)

"٦١ **– الثبات حتى** الممات

فتح باب الإيمان:

«فقال الناس: «آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام».

لقد كان آخر ما قاله الغلام هو أمره للملك بأن يقول: «باسم الله رب الغلام». وبهذه الكلمة فتح الغلام للناس باب

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ  شحاتة صقر ٢/٣٤٨

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ  شحاتة صقر ٢/٣٥٠

الإيمان. فقد كانوا يعرفونه محبا لهم وساعيا لمنفعتهم ومداويا لأدوائهم وما بقي إلا أن يعرف الناس أن للغلام ربا هداه إلى محبتهم وأذن له بشفائهم.

«باسم الله رب الغلام» باسمه تحقق عجز الملك، وباسمه سيموت الغلام راغبا من أجل إيمانهم، وهنا نشعر بمدى القهر الذي انتهى إليه الملك. فبعد أن كان يدعي الربوبية ويعذب ويقتل من لا يدعيها له، يقول في النهاية بنفسه: «باسم الله رب الغلام». ولذلك لم يكن الغلام خائفا من أن تنعكس رؤية الناس له وهو يموت خوفا من الملك بعد قهره بهذا الموقف.

كما أن الغلام لم يكن خائفا لأنه استطاع أن ينشئ تعاطفا كاملا له في نفوس هؤلاء الناس بسلوكه معهم قبل ذلك وبموقف الموت ذاته حيث تحدد الفارق بينه كغلام صغير مصلوب على جذع شجرة وبين الملك الظالم.

وداعا أيها البطل ... لفقدك تدمع المقل

لئن ناءت بنا الأجساد ... فالأرواح تتصل

فنسأل ربنا المولى ... وفي الأسحار نبتهل

بأن نلقاك في فرح ... بدار ما بها ملل

بجنات وروضات ... بها الأنهار والحلل

بها الحور تنادينا ... بصوت ما له مثل." (١)

"٦٢ – مفهوم الإفساد في الإسلام

من أعظم الإفساد الصد عن سبيل الله – سبحانه وتعالى – وتعطيل شريعته:

قال تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (٨٨)﴾ (النحل: ٨٨). حيث كفروا بأنفسهم، وكذبوا بآيات الله، وحاربوا رسله، وصدوا الناس عن سبيل الله – عز وجل –، وصاروا دعاة إلى الضلال فاستحقوا مضاعفة العذاب، كما تضاعف جرمهم، وكما أفسدوا في أرض الله – عز وجل –.

تطبيق القوانين الوضعية والبعد عن شرع الله – سبحانه وتعالى – من أعظم الفساد في الأرض:

قال تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون (٧١)﴾ (المؤمنون: ٧١).

فالحق واحد ثابت، والأهواء كثيرة متقلبة. وبالحق الواحد يدبر الكون كله، فلا ينحرف ناموسه لهوى عارض، ولا تتخلف سنته لرغبة طارئة. ولو خضع الكون للأهواء العارضة، والرغبات الطارئة لفسد كله، ولفسد الناس معه، ولفسدت القيم والأوضاع، واختلت الموازين والمقاييس، وتأرجحت كلها بين الغضب والرضى، والكره والبغض، والرغبة والرهبة، والنشاط والخمول، وسائر ما يعرض من الأهواء والمواجد والانفعالات والتأثرات، وبناء الكون المادي واتجاهه إلى غايته كلاهما في حاجة إلى الثبات والاستقرار والاطراد، على قاعدة ثابتة، ونهج مرسوم، لا يتخلف ولا يتأرجح ولا يحيد.

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ  شحاتة صقر ٣٦٩/٢

ومن هذه القاعدة الكبرى في بناء الكون وتدبيره، جعل الإسلام التشريع للحياة البشرية جزءا من الناموس الكوني. والبشر جزء من هذا الكون خاضع لناموسه الكبير؛ فأولى أن يشرع لهذا الجزء من يشرع للكون كله، ويدبره في تناسق عجيب.." (١)

"خامسا: الدعاء:

فتدعو الله بصدق وإلحاح أن يرزقك قلبا سليما محبا للمسلمين؛ قال تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم (١٠)﴾ (الحشر: ١٠).

وعن حسان بن عطية عن شداد بن أوس سدد خطاكم قال: «احفظوا مني ما أقول لكم: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، وأسألك لسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب» (رواه الإمام أحمد في المسند، وحسنه الأرنؤوط، ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: «صحيح على شرط مسلم»).

(اللهم إني **أسألك الثبات في** الأمر)، أي: في جميع الأمور المتعلقة بأمر الدين، (والعزيمة على الرشد): وهي كالعزم عقد القلب على إمضاء الأمر، **وقدم الثبات على** العزيمة، وإن كان فعل القلب مقدما على الفعل، والثبات عليه إشارة إلى أنه المقصود بالذات؛ لأن الغايات مقدمة في الرتبة وإن كانت مؤخرة في الوجود؛ لقوله تعالى: ﴿الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الإنسان (٣)﴾ (الرحمن: ١ – ٣).

والرشد: بمعنى الهداية، (والعزيمة على الرشد) المراد لزومها ودوامها، (وأسألك شكر نعمتك)، أي: التوفيق على شكرها بصرف النعمة في طاعة المنعم، وهو القيام بالأوامر واجتناب الزواجر، (وحسن عبادتك): بأداء شرائطها وأركانها والقيام بإخلاصها، (وأسألك قلبا سليما) أي: من العقائد الفاسدة والميل إلى الشهوات؛ فإنها مرض القلب، وصحته العلم والأخلاق الفاضلة. أو المراد سليما من الغل والغش والحقد، وسائر الصفات الرديئة، والأحوال الدنيئة.." (٢)

"[بيان بعض الأحكام المتعلقة بالصلاة]

بيان بعض الأحكام المتعلقة بالصلاة الحمد لله الذي وعد المحافظين على الصلاة أجرا عظيما، وأعد لهم في جنات الفردوس نعيما مقيما.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فأنعم به ربا رحيما كريما، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل المصلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله، وحافظوا على الصلوات وأقيموها في الجمع والجماعات، ولا تضيعوها وتهملوها فتقعوا في المهلكات. قال الله تعالى ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ [مريم: ٥٩]

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٣٧٩/٢

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٥٩٨/٢

فمن أضاع الصلاة ولم يتب من ذلك لقي الغي في الدنيا والآخرة، والغي هو الخسران المبين، وقال ابن مسعود رضي الله عنه " الغي واد في جهنم بعيد القعر، خبيث الطعم " فمن كان محافظا عليها فليحمد الله على نعمته **ويسأله الثبات على** ذلك، ومن لم يكن محافظا عليها فليتب إلى الله من ذنبه وليرجع إلى ربه قبل أن يزيغ قلبه فيكون من الهالكين.

حافظوا عليها بفعل شروطها وأركانها، وواجباتها وسننها، فإذا أتى أحدكم الصلاة فليسبغ الوضوء، ثم ليستقبل القبلة فإن استقبال القبلة لا بد منه في الصلاة قال الله تعالى: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ [البقرة: ١٥٠] ثم يستفتح الصلاة. بما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم -." (١)

"والاضمحلال، وهكذا عمر الإنسان سواء فاعتبروا يا أولي الأبصار، ألم تروا إلى هذه الأعوام تتجدد عاما بعد عام، فإذا دخل العام الجديد نظر الإنسان إلى آخره نظر البعيد، ثم تمر به الأيام سراعا فينصرم العام كلمح البصر، فإذا هو في آخر العام وهكذا عمر الإنسان يتطلع إلى آخره تطلع البعيد فإذا به قد هجم عليه الموت ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ [ق: ١٩] ربما يؤمل الإنسان بطول العمر، ويتسلى بالأماني، فإذا بحبل الأمل قد انصرم، وبناء الأماني قد انهدم.

أيها الناس: إنكم في هذه الأيام تودعون عاما ماضيا شهيدا، وتستقبلون عاما مقبلا جديدا، فليت شعري ماذا أودعتم في العام الماضي وماذا تستقبلون به العام الجديد، فليحاسب العاقل نفسه ولينظر في أمره فإن كان قد فرط في شيء من الواجبات فليتب إلى الله وليتدارك ما فات وإن كان ظالما لنفسه بفعل المعاصي والمحرمات فليقلع عنها قبل حلول الأجل والفوات، وإن كان ممن من الله عليه بالاستقامة فليحمد الله على ذلك **وليسأله الثبات عليها** إلى الممات.

إخواني: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، وليست التوبة مجرد قول باللسان من غير تخل، إنما الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، وإنما التوبة ندم على ما مضى من العيوب وإقلاع عما كان عليه من الذنوب وإنابة إلى الله بإصلاح العمل ومراقبة علام الغيوب، فحققوا أيها المسلمون الإيمان والتوبة فإنكم في زمن الإمكان.." (٢)

"يعرضن أنفسهن للزينة والفتنة والجمال.

إن تبرج المرأة وسفورها، دليل على نقص دينها وفقد حيائها فهو فساد لها أيضا، وفي فساد المرأة فساد الجيل وفساد الأمة كلها، وقد جر ذلك علينا من البلاء العظيم، والفساد الكبير، والفضائح والمخازي، والجرائم والمآسي ما جعل الحياة تنقلب إلى شقاء وتعاسة وانحطاط وحقارة.

فبعدا لحياة يهان فيها الشرف، وتموت فيها الغيرة والرجولة، وتبذل الكرامة والعفة في أبشع صور الذل والمهانة فأين الشرف؟ وأين الفضيلة والحياء؟ أين كرامة الرجولة وعزة المسلم؟ أين الغيرة على العرض والغضب لمحارم الله؟

إن من أكبر العار، أن يسير الرجل المسلم وإلى جانبه زوجه أو ابنته أو أخته سافرة الوجه بادرة الصدر والنحر، مظهرة للجمال والزينة، يتمتع بالنظر إليها كل من رآها من مرضى القلوب والنفوس.

---

(١) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/١٧٢

(٢) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/٢٠٣

«سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة رضي الله عنها: " أي شيء أحسن للمرأة؟ "، قالت أن لا ترى الرجال ولا يراها الرجال. . فضمها إلى صدره وقال: " ذرية بعضها من بعض» .

اللهم إنا نسألك الثبات على دينك وشكر نعمتك وحسن عبادتك، اللهم اصرف عنا الفواحش ومنكرات الأخلاق واهد شبابنا وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة اللهم آمين.." (١)

"لا تحزن: لأنك مسلم آمنت بالله وبرسله وملائكته واليوم الآجر وبالقضاء خيره وشره، وأولئك كفروا بالرب وكذبوا الرسل واختلفوا في الكتاب، وجحدوا اليوم الآخر، وألحدوا في القضاء والقدر.

لا تحزن: إن أذنبت فتب، وإن أسأت فاستغفر، وإن أخطأت فأصلح، فالرحمة واسعة، والباب مفتوح، والغفران جم، والتوبة مقبولة.

لا تحزن: لأنك تقلق أعصابك، وتهز كيانك وتتعب قلبك، وتقض مضجعك، وتسهر ليلك.

قال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج

ضبط العواطف

تتأجج العواطف وتعصف المشاعر عند سببين: عند الفرحة الغامرة، والمصيبة الداهمة، وفي الحديث: ((إني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة، وصوت عند مصيبة)) ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ . ولذلك قال – صلى الله عليه وسلم –: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى)) . فمن ملك مشاعره عند الحدث الجاثم وعند الفرح الغامر، استحق مرتبة الثبات ومنزلة الرسوخ، ونال سعادة الراحة، ولذة الانتصار على النفس، والله." (٢)

"ويقول – صلى الله عليه وسلم – للعباس: ((اسأل الله العفو والعافية)) .

ويقول لعلي: ((قل: اللهم اهدني وسددني)) .

ويقول لعبيد بن حصين: ((قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي)) .

ويقول لشداد بن أوس: ((قل: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وشكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب)) .

ويقول لمعاذ: ((قل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)) .

---

(١) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/٢٢٠

(٢) لا تحزن عائض القرني ص/٩٥

ويقول لعائشة: ((قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني)) .

إن الجامع لهذه الأدعية: سؤال رضوان الله عز وجل ورحمته في الآخرة، والنجاة من غضبه، وأليم عقابه، والعون على عبادته سبحانه وتعالى وشكره.

وإن الرابط بينها: طلب ما عند الله، والإعراض عم في الدنيا. إنه ليس فيها طلب أموال الدنيا الفانية، وأعراضها الزائلة، أو زخرفها الرخيص.." (١)

"اثبت أحد

إن من طبيعة **المؤمن: الثبات والتصميم** والجزم والعزم، ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ ، أما أولئك: ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ ، وفي قرارهم يضطربون، وعلى أدبارهم ينكصون، ولعهودهم ينقضون. إن عليك أيها العبد إذا لمع بارق الصواب، وظهر لك غالب الظن، وترجح لديك النفع، أن تقدم بلا التواء ولا تأخر.

اطرح ليتا وسوفا ولعل ... وامض كالسيف على كف البطل

لقد تردد رجل في طلاق زوجته التي أذاقته الأمرين، وذهب إلى حكيم يشتكيه، قال: كم لك من سنة مع هذه الزوجة؟ قال: أربع سنوات. قال: أربع سنوات وأنت تحتسي السم؟!

صحيح أن هناك صبرا وتحملا وانتظارا، لكن إلى متى؟ إن الفطن يعلم أن هذا الأمرين يتم أو لا يتم، يصلح أو لا يصلح، يستمر أو لا يستر، فليتخذ قرارا.

والشاعر يقول:

وعلاج ما لا تشتهيـ ... ـه النفس تعجل الفراق

والذي يظهر من السير واستقراء أحوال الناس، أن الإرباك والحيرة يأتيهم في مواقف كثيرة، لكن غالب ما يأتيهم في أربع مسائل:

الأولى: في الدراسة واختيار التخصص، فهو لا يدري أي قسم يسلكه، فيبقى في ذلك فترة. وعرفت طلابا ضيعوا سنوات بسبب ترددهم في الأقسام، وفي الكليات، فيبقى بعضهم مترددا قبل التسجيل، حتى يفوته." (٢)

"على خلقه، إلا من يكون منهم جاهلا بحقيقة مذهبهم فيوافقهم بلسانه على قول لا يفهم حقيقته، وفطرته على الصحة والسلامة، فإذا استحوذ قولهم على قلبه انحرفت فطرته وتغيرت١ ، فنحمد الله تعالى على السلامة من هذه الأهواء ونسأل الله رافعين أيدينا **إليه الثبات على** الحق والعزيمة على الرشد، فإنه تبارك وتعالى نعم المجيب.

---

(١) لا تحزن  عائض القربي ص/٣٣٧

(٢) لا تحزن  عائض القربي ص/٤٨٦

١ انظر: نقض تأسيس الجهمية (٢/٤٤٥ . ٤٥١) .." (١)

"الفكر التربوي عند مقداد يالجن (*)

الباحث: أ / رشاد قائد مهدي أحمد

الدرجة العلمية: ماجستير

الجامعة: جامعة صنعاء

بلد الدراسة: اليمن

لغة الدراسة: العربية

تاريخ الإقرار: ٢٠٠٩

نوع الدراسة: رسالة جامعية


الملخص:

في ختام هذه الدراسة يود الباحث أن يقدم خلاصة تشمل النتائج والتوصيات، وذلك على النحو التالي:

- أولا: النتائج

١. إن الفكر التربوي الإسلامي المعاصر بحاجة إلى دارسات علمية تسهل نقل ما يمكن نقله من المستوى النظري إلى مستوى التطبيق؛ لكي تستعيد الأمة الإسلامية خصوصيتها الثقافية وجزءا من هويتها المفقودة.

٢. إن أبرز ما أثر في توجيه فكر مقداد يالجن التربوي هو: تدين أسرته، والمتغيرات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

٣. إن فكر مقداد يالجن تميز بالآتي:

أ. المرونة الفكرية في تعامله مع التراث الإسلامي والإنساني.

ب. الأصالة؛ حيث يستند في جملة فكره إلى نصوص الكتاب، والسنة.

ج. الإنصاف، ويظهر ذلك من خلال تعامله مع الفلسفة، ومع الطرق الصوفية، ومن تعامله كذلك مع الفكر الغربي (التربوي، والإنساني بصورة عامة) .

د. الإبداع والتنوع ويظهر ذلك من خلال استخدامه للقواعد الأصولية في مجال التربية، وتناوله لموضوعات تربوية متنوعة، حيث أنتج كتبا تخدم الإداريين والمشرفين التربويين والمعلمين والطلبة.


(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢/١٨٧

٤ . يتسم فكره في المقابل بجوانب قد تكون جوانب قصور تعتري الجهد البشري عادة مثل: التكرار الذي ربما خرج عن دائرة التسويغ المنهجي، وما يتبع ذلك التكرار من ثبات في بعض الجوانب المحتاجة إلى تطوير، إذ إن التطوير المستمر يعد من سمات الفكر الحي المتفاعل الذي يستكشف آفاقا جديدة تتبدى معها جوانب الخلل في الرؤى والأفكار السابقة، ويظهر **هذا الثبات جليا** من خلال تتبع ما كتبه يالجن عن التربية الأخلاقية، إذ لم تحدث تغيرات تذكر في ما كتبه عنها أثناء دراسته وقد يكون من غير المعقول –خاصة في مجال التربية–أن يكون قد استوفى كل ما يتعلق بالتربية الأخلاقية في كتابه "التربية الأخلاقية الإسلامية". وكما سبقت الإشارة في البحث إلى أن مضمون الكتاب يتكرر في قدر غير يسير من كتبه، وربما **كان الثبات مقبولا** –من وجهة نظر الباحث–من كاتب توقف عن الكتابة، إما بسبب الموت أو لأي أسباب أخرى، أما من لايزال يؤلف وينتج–ومقداد يالجن واحد من هؤلاء أمد الله في عمره–فإن الأفكار الجديدة والتطوير تصبح في هذه الحالة من مستلزمات الكتابة. كما لاحظ الباحث وجود إسهاب ربما مبالغ فيه عند تناول بعض القضايا، فهو عند الحديث عن أساليب التربية الإنسانية مثلا يذكر سبعة وأربعين أسلوبا يمكن –عند التدقيق والتمحيص– ألا تصل إلى هذا العدد. ومع وجود مثل هذه الملاحظات إلا أن ذلك لا يقلل من الجهد الذي خدم به مقداد يالجن الفكر التربوي الإسلامي المعاصر والآفاق البحثية التي تفتحها مؤلفاته وأبحاثه.

٥ . يمكن تجديد الفلسفة وفلسفة التربية –من ثم–من خلال المنهج الذي وضعه مقداد يالجن ويتلخص في:
أ–دراسة المبادئ الإسلامية من جديد من خلال النصوص الإسلامية (القرآن والسنة الصحيحة) بعيدا عن الأفكار المذهبية، والحزبية.
ب–عدم محاولة فهم المبادئ الإسلامية بالآراء الفلسفية.
ج–محاولة فهم المبادئ الإسلامية الخاصة بموضوع معين في ضوء النظام الإسلامي كله من خلال ما توحي به النصوص في مجموعها، وألا يقتصر على جانب واحد منها.

٦ . الحاجة إلى مراجعة القول بأن العوامل التي تشكل السلوك الإنساني تنحصر في العوامل الفطرية، والوراثة، والبيئة، دون التأكيد على أن دور الوراثة قد يكون مساعدا وليس أساسيا. كما أن حصر أسباب السلوك الإنساني في تلك الأسباب الثلاثة فقط يمكن أن يبرر تهرب الفرد من تحمل المسئولية المترتبة على أفعاله؛ لأن سلوكه إنما هو نتاج لعوامل لم يكن له تدخل في إيجادها، أو اختيارها.

٧. إن ثمة آراء لمقداد يالجن ربما تحتاج إلى إعادة النظر ومنها:
أ–استدلاله على أن اللبن يورث الصفات الخلقية بالحديث الذي أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، مع أن صاحب الكتاب يضعف الحديث.

ب-وصف بعض الدوافع الفطرية بأنها ملائكية، أو شيطانية؛ لأن ذلك يتعارض مع القول بحيادية الطبيعة الإنسانية الذي يتبناه.

ج-استخدامه لعبارة "وجهة نظر الإسلام" أو "رأي الإسلام"، في الوقت الذي يتحدث فيه يالجن عن وجهة نظره في فهم الإسلام، وهذه العبارات قد توحي أيضا بأن الرأي المخالف لا يمثل وجهة نظر إسلامية، مع أنه ينطلق من المرجعية الإسلامية.

د-تقسيم جوانب التربية الإسلامية إلى جوانب أساسية، وأخرى غير أساسية كما يفهم من كلامه؛ لأن ما عده من الجوانب غير الأساسية قد يؤدي نقص الاهتمام بها إلى خلل في بناء الشخصية الإسلامية مثل التربية الجهادية، والاقتصادية، والإدارية.

٨. إن مقداد يالجن من دعاة أسلمة المعرفة-ومنها المعرفة التربوية-وظهور خلاف في تحديد أي من المصطلحات هو الأنسب "أسلمة المعرفة" أم "التأصيل الإسلامي للعلوم"، وغيرها من المصطلحات خلاف لفظي لا يؤثر على مضمون الدعوة إلى إعادة بناء المعرفة وفقا للقيم الإسلامية.

٩. تتلخص خطوات منهج التأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية ومنها التربية بالخطوات التالية:

أ-أن يكون الباحث متخصصا في مجال المعرفة التي يؤصلها.

ب-التمكن من المنهج الاستنباطي، إضافة إلى مناهج البحث الأخرى التي تخدم الباحث.

ج-الاستدلال بمصادر التشريع الإسلامي الرئيسة (القرآن والسنة الصحيحة) ، مبتدئا بالاستدلال بالقرآن الكريم، ثم السنة الصحيحة، مع مراعاة الجمع في الاستدلال بين القرآن والسنة الصحيحة.

د-الرجوع إلى مصادر التشريع الإسلامي الأخرى وهي: الإجماع، والقياس، والاستحسان، والعرف، وسد الذرائع، وشرع من قبلنا ما لم يرد النسخ، والاستصحاب، والمصالح المرسلة، مع معرفة ضوابط استخدامها.

هـ-الرجوع إلى التراث الإسلامي، والاستفادة من أراء العلماء المسلمين وإسهاماتهم، ومن ذلك التراث: قواعد أصول الفقه.

١٠. إن مذهب مقداد يالجن في تحديد أهداف التربية الإسلامية يتسم بالشمول، وتتحدد تلك الأهداف بالتالي:

أ-بناء الفرد المسلم المتكامل جوانب الشخصية.

ب-بناء خير أمة أخرجت للناس.

ج-بناء خير حضارة إنسانية.

١١. إن من جوانب الانعكاسات التطبيقية لفكر مقداد يالجن التربوي الآتي:

أ- استخدام المنهجية الإسلامية في دراسة العلوم التربوية.

ب-إقرار التربية الأخلاقية بمفهومها الشامل الذي لا ينحصر في إلزام الطلاب بمقرر دراسي يلقن ليحفظ، ثم ينسى بمجرد خروج الطالب من قاعة الامتحان.

ج-إقرار التربية الإبداعية.

د-تبني الجامعات لعملية التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم، والمعارف، والفنون، من خلال إنشاء "مركز بحوث التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم" ويكون هذا المركز في إطار رابطة الجامعات الإسلامية، وتخصيص ميزانية كافية، وتوفير الإمكانات اللازمة؛ كي تتمكن من القيام بدورها في وضع منهج إسلامي في التفكير، والنقد، والتقويم، والقبول، والرد، ومن أجل بناء عقليات حرة ومبدعة تسهم في الرقي بأمتها.

١٢. للتلفيق صور يفترض أن يجتنبها الباحث في الدراسات التربوية وتتلخص هذه الصور في الآتي:

الصورة الأولى: تطويع النصوص للاتجاهات.

الصورة الثانية: التعسف في تطويع المعلومات وإخضاعها للإسلام.

الصورة الثالثة: محاولة التوفيق بين المعلومات والإسلام بأي طريق ممكن مهما حصل من التعسف والتخبط.

الصورة الرابعة: إضافة بعض النصوص الإسلامية في البحوث دون الاستناد إليها حقيقة في بناء وجهة النظر التي توصف بعدذلك بأنها إسلامية.

- ثانيا: التوصيات

إستنادا إلى نتائج الدراسة فإن الباحث يوصي المؤسسات التربوية والأكاديمية بما يلي:

١. الاستفادة من منهج التأصيل الذي وضعه مقداد يالجن في الدراسات التربوية، وإدخال المنهج الأصولي ضمن المناهج المتبعة في الدراسات الإنسانية عند تدريس مناهج البحث.

٢. دراسة إمكانية تضمين التربية الأخلاقية بمفهومها الشامل لتصبح جزءا أساسيا في المنهج، ويقترح الباحث أن يسبق ذلك عدة خطوات وهي:

أولا: إعادة النظر في معايير القبول في مهنة التعليم، بحيث لا يلتحق بها إلا من تمثل المعايير أو انطبقت في جملتها عليه.

ثانيا: تحديد جوانب أخلاقية سلوكية (مثل الصدق والأمانة ... إلخ) لكل صف دراسي ابتداء من الروضة حتى المرحلة الجامعية، لوضع مفردات وأنشطة تخدم موضوعاتها المقررات الدراسية كافة.

ثالثا: تحديد الوسائل والطرق الممكنة لنجاح التربية الأخلاقية في كل مرحلة دراسية، مع مراعاة إشراك الأسرة والمؤسسات المجتمعية الأخرى مثل المسجد والإعلام في ذلك بأقدار متفاوته.

رابعا: تحديد آليات للتواصل الفعال بين المدرسة والأسرة -بوجه خاص-.

خامسا: دراسة آليات التقييم والمتابعة وتحديدها. وما سبق يمكن أن يكون خطوات عامة وكل خطوة تحتاج إلى خطوات ربما يأخذ تنفيذها زمنا طويلا. ويكفي هنا لفت الانتباه إلى مثل هذه التربية؛ لعل ذلك يسهم في تكوين إرادة عند أصحاب

القرار للالتفات إلى هذه القضية الجوهرية في العملية التعليمية والتربوية.

٣. إدخال التربية الإبداعية في المنهاج الدراسي على نحو إبداعي.

٤. إنشاء "مركز بحوث التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم" يقوم المتخصصون من خلاله بوضع منهج إسلامي في التفكير، والنقد، والتقويم، والقبول، والرد.

٥. إنشاء مركز لتأهيل الشباب لمهنة الأبوة والأمومة، ويكون هذا المركز بإشراف الجامعة، ويتولى إدارته نخبة من الأكاديمين التربويين، ويقدم هذا المركز عدد من الخدمات التأهيلية مثل: دورات تربوية لطلبة الجامعة. كما يقيم عددا من الأنشطة والفعاليات التثقيفية، ومنها –على سبيل المثال– برامج تلفزيونية تقدم معلومات عن كيفية رعاية الأبناء.

- ثالثا: المقترحات:

١. استمرار الدراسة في الفكر التربوي لأعلامه المعاصرين.

٢. تصميم وإطلاق موقع إلكتروني تفاعلي خاص بأعلام التربية المعاصرين، بحيث يمثل الموقع مرجعا للباحثين، وملتقى تناقش فيه القضايا التربوية، ويفضل أن يحتوي الموقع على مكتبة تحتوي أحدث الإصدارات التربوية.

---

(*) قال معد الكتاب للشاملة: هذا ملخص لدراسة عن مقداد يالجن وليس في المطبوع." (١)

"المصطفى"١.

**٥- الثبات في** الشخصية في جميع الظروف والأحوال، وذلك تطبيقا لقوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ٢.

٦- الاهتمام بالجانب التطبيقي أو العملي من الأخلاق أكثر من الاهتمام بالجانب النظري؛ لأن العمل هو الأهم وليس النظر، وقد نجد تطبيق هذه المبدأ لدى المتصوفين الأوائل أكثر مما نجده لدى الأواخر٣.

هذه بعض معالم الأخلاق الهامة، في الاتجاه الصوفي حاولت إيجازها بالقدر الذي يتناسب مع موضوع البحث.

وأما الاتجاه الثالث: وهو الذي يجمع بين الاتجاهين السابقين فيمثله بصورة أوضح الإمام الغزالي في معالجته للموضوعات الأخلاقية، إذ إننا نجده في هذه المعالج يسير من ناحية على خط تفكير الفلاسفة في دراسة الأخلاق، مثل: إخضاع قوى النفس المختلفة لحكم العقل وسلطانه٤، ومثل: محاولة حصر الفضائل الأخلاقية تحت أمهات الفضائل كالحكمة والشجاعة والعفة والعدالة٥، ويسير من ناحية أخرى على خط تفكير المتصوفين في تحليلاته النفسية والروحية الدقيقة، وفي طرق تطهير الباطن وتصفية الروح والتحلي بالفضائل الأخلاقية، ولهذا فقد عرف الأخلاق كالآتي: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث

---

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية مقداد يالجن ص/

١ التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٥، مرجع سابق.

٢ سورة يونس آية: ٦٢.

٣ في الفلسفة والأخلاق، الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

٤ ميزان العمل للإمام الغزالي، ص٥٠.

٥ ميزان العمل للإمام الغزالي، ص ٦٧، إحياء علوم الدين جـ٣ ص ٥٣.." (١)

"فمن الناحية الأولى بينا كيف أن الإسلام ربط بين القوانين الأخلاقية والقوانين الطبيعية العامة وقوانين الطبيعة البشرية الخاصة وأقام بناء الأخلاق على أساسها. كما أقام الإلزام الأخلاقي على ما فطر عليه الإنسان من وجدان أدبي وعلى مراقبة الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ويراه أينما كان في السر والعلن ويعلم ما يخفي وما يبدي، ثم لم يكتف بهذا وذاك بل ربط الأخلاق بمصلحة الإنسان حيث فرض الجزاء الجزيل مكافأة لمن يتخلق، كما توعد بالعقاب كل من ينحرف ويضل. ولا شك في أن هذه الأمور ثابتة ومن ثم لا بد من أن **يكتب الثبات والدوام** لهذه القوانين الأخلاقية.

ومن الناحية الثانية جعل الإسلام النظام الأخلاقي أساسا للتكيف بالحياة كيفما كانت في أي زمان في ضوء مبادئها، ذلك أنه اهتم أولا بروح الأخلاق أكثر مما اهتم بشكلها فمن ناحية الشكل لم يقيد كل حركات الإنسان وأفعاله فيما يتعلق بأمور الحياة التي تتطور بتطور الزمان، بل زود الإنسان بمبادئ عامة توجهه إلى تنظيم الحياة تنظيما يخضع لروح تلك المبادئ، ولما كانت هذه المبادئ تسير مع الواقع الإنساني في الحياة ولم يكن في تطبيقها إحراج بل تراعي استطاعة الإنسان وطبيعته، كانت الأخلاق الإسلامية من هذه الناحية قابلة للتطبيق في ظروف وأزمان مختلفة.

زد على هذا أن الإسلام زود الإنسان بمعايير أخلاقية يستطيع بها تقويم سلوكه وحركاته ومعرفة ما إذا كان هذا السلوك أخلاقيا أم لا.

وأخيرا لم تكن الأخلاق الإسلامية جافة وسلوكا روتينيا لا تمت بصلة إلى القيم، بل إنها جامعة للقيم المادية والمعنوية ومن ثم كانت سعادة الإنسان مرهونة." (٢)

"الإخلاص المطلوب، نية وعملا:

والإخلاص المطلوب–نية وعملا– هو:

* إخلاص قبل بدء العمل يدفع إلى العمل والحرص عليه.

* وإخلاص في أثناء العمل يدفع إلى إتقان العمل وإعطائه حقه.

* وإخلاص بعد العمل، يتمثل **في الثبات على** النية الخالصة لله.." (٣)

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية  مقداد يالجن ص/٤٦

(٢) علم الأخلاق الإسلامية  مقداد يالجن ص/٣٨٩

(٣) طريقك الى الإخلاص والفقه في الدين  عبد الله الرحيلي ص/٤٢

"لأي سبب من الأسباب.

٢٧- ومن علامات الإخلاص، الاعتراف للآخرين بما فيهم من فضل.

٢٨- ليس من الإخلاص، أن يعرض الداعية دعوته من خلال الإكثار من الحديث عن إنجازاته الدعوية، وتجاربه الطويلة في الدعوة وأعمال الخير، من غير مقتض شرعي لذلك.

٢٩- من علامات عدم الإخلاص، **عدم الثبات في** مواجهة الضغوط، والمحن، والشدائد، ومغريات الحياة، الصارفة عن عمل الخير والدعوة إليه، والثبات عليه.

٣٠- ليس من الإخلاص أن يتطلع العامل والداعية إلى الريادة والصدارة والرئاسة، من غير مقتض شرعي مؤكد.

٣١- ليس من الإخلاص ادعاء الإخلاص، من غير مقتض شرعي، ولا سيما نشره على الملأ، في الصحف وسائر وسائل الإعلام، ككتابة الأسماء: "طبع على نفقة المحسن الكبير ... " "مبرة فلان أو المحسن الكبير ... ". إلى آخر أمثال هذه العبارات، ولابد من التنبيه هنا إلى أنه قد يقع في هذا النوع من مظاهر الرياء-في الغالب- من لا يقصده؛ فليس كل من صدرت منه مثل هذه العبارات يكون قد وقع في الرياء حقيقة؛ ومن ثم لا يصح لك التجاسر بالحكم على الناس بالرياء والقطع به عليهم في مثل هذه الأحوال، وإنما فائدة معرفة هذه الحقيقة الحذر من الوقوع في ذلك، والتحذير منه.." (١)

"حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (٩٧) سورة النحل.

والإيمان شرط لقبول العمل قال الله تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾ (٩٤) سورة الأنبياء.

وعلى قدر تحصيل الإيمان وتحقيقه **يحصل الثبات للإنسان** أمام مغريات الفتن وتيارات المحن.

قال الله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (٢٧) سورة إبراهيم.

وقال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ (١٧٣) سورة آل عمران.." (٢)

"من إن حاولت حويلا أمرك، وان تنازعتما منفسا آثرك (١).

أخي -الودود- إليك بعضا من هذه الآداب على سبيل المثال لا الحصر:

١ - المصاحبة على الدين والوفاء.

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما تواد اثنان في الله فيفرق بينهما إلا بذنب

---

(١) طريقك الى الإخلاص والفقه في الدين عبد الله الرحيلي ص/٥٤

(٢) طريقك إلى تقوية إيمانك أسماء بنت راشد الرويشد ص/٧

يحدثه أحدهما" (٢).

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، المتحابون على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء" (٣).

ومما رواه البخاري ومسلم قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه".

فالمصاحبة على الدين أساس العلاقة وأعظم أركان الصحبة الحب في الله، والوفاء هو الثبات على الحب مع من تحب حتى الممات.

قال ابن قدامة المقدسي –رحمه الله–:

"اعلم أن من يحب في الله يبغض في الله، فإنك إذا أحببت إنسانا لكونه مطيعا لله، فإذا عصى الله أبغضته في الله؛ لأن من أحب لسبب أبغض لوجود ضده، ومن اجتمعت فيه خصال محمودة ومكروهة، فإنك تحبه من

---

(١) "الجليس الصالح" للحريري (٢/ ٢٨٣).

(٢) صحيح. أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٥٦٠٣)

(٣) صحيح. أخرجه أحمد والطبراني، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٤٣٢١).." [1]

"آثار ثبات الأخلاق:

يترتب على خاصية الثبات في الأخلاق الإسلامية الآثار والمزايا التالية:

١– تخليص المجتمعات من ظاهرة القلق والإضرابات التي تسودها، وتمكين الأواصر الإنسانية بالود والرحمة بينهما، خلافا للمجتمعات التي تتبدل فيها القيم الاجتماعية بحسب التغيرات الاقتصادية، حيث نجدها تعيش في قلق واضطراب.

٢– التفريق بين الأخلاق والتقاليد، فالأخلاق ثابتة لأنها جزء من الدين الموصى به، وهي بذلك كيان متكامل رباني المصدر، إنساني الهدف. أما التقاليد فمن طبيعتها أن تتغير كلما تغيرت مبررات وجودها، ولكن ليس بالإمكان تغير الأخلاق، لأنها تقوم على أسس ثابتة كالحق والعدل والخير.

٣– إن عامل الثبات في الأخلاق يبعث الطمأنينة في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع. والثبات على الأخلاق مطلوب لأن الأمور بخواتيمها وبدون الاستقامة والثبات على الحق تفوت الثمرة، ولا يصل المسلم إلى الغاية.." [2]

"فإن كنت من النوع الأول — وأسأل الله أن نكون كلنا كذلك — فأنت بحاجة إلى الثبات على العمل الصالح حتى آخر لحظة من الشهر؛ لأن الأعمال بخواتيمها، كما في القصة التي وقعت في زمن النبي –، فعن سهل ابن سعد الساعدي – رضي الله عنه – قال: نظر النبي – إلى رجل يقاتل المشركين وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم، فقال: ((من أحب أن

---

(١) موسوعة الأخلاق – الخراز  خالد الخراز ص/٣٨١

(٢) الأخلاق في الإسلام – ص/١٨

ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا))، فتبعه رجل فلم يزل على ذلك حتى جرح فاستعجل الموت، فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي -: ((إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار، وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها)). رواه البخاري

وإن كنت من النوع الثاني، فأنت بحاجة إلى استدراك ما فاتك من العمل، وهذا لا يكون إلا بالاجتهاد في العشر الأواخر.." (١)

"عليك؟! أنسيت أم جهلت أم تجاهلت أن جمال المرأة الحقيقي في حجابها وحيائها وسترها؟! (فتاة تائبة).

- كما أصبحت بعد الالتزام أشعر بسعادة تغمر قلبي فأقول: بأنه يستحيل أن يكون هناك إنسان أقل مني التزاما أن يكون أسعد مني .. ولو كانت الدنيا كلها بين عينيه .. ولو كان من أغنى الناس .. فأكثر ما ساعدني **على الثبات .** بعد توفيق الله ـ هو إلقائي للدروس في المصلى، بالإضافة الى قراءتي عن الجنة بأن فيها ما لا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر .. من اللباس والزينة .. والأسواق والزيارات بين الناس .. وهذه من أحب الأشياء الي قلبي .. فكنت كلما أردت أن أشتري شيئا من الملابس التي تزيد عن حاجتي أقول: ألبسها في الآخرة أفضل.

(فتاة انتقلت من عالم الأزياء الى كتب العلم والعقيدة).

- وقد خرجت من حياة الفسق والمجون .. الى حياة شعرت فيها بالأمن والأمان والاطمئنان والاستقرار. (رجل تاب بعد موت صاحبه).

- وانتهيت الى يقين جازم حاسم .. أنه لا صلاح لهذه الأرض .. ولا راحة لهذه البشرية .. ولاطمأنينة لهذا الانسان .. ولا رفعة، ولا بركة، ولا طهارة .. إلا بالرجوع الى الله ..

واليوم أتساءل .. كيف كنت سأقابل ربي لو لم يهدني؟!!!! (طالبة تائبة).

- بدأ عقلي يفكر وقلبي ينبض وكل جوارحي تناديني: اقتل الشيطان والهوى .. وبدأت حياتي تتغير .. وهيئتي تتبدل .. وبدأت أسير على طريق الخير .. وأسأل الله أن يحسن ختامي وختامكم أجمعين ..

(شاب تاب بعد سماعه لقراءة الشيخ علي جابر ودعائه).." (٢)

"الحجاب الثالث: الكبائر الباطنة:

وهي كثيرة كالخيلاء .. والفخر .. والكبر .. والحسد .. والعجب .. والرياء والغرور .. هذه الكبائر الباطنة أكبر من الكبائر الظاهرة .. أعظم من الزنا وشرب الخمر والسرقة .. هذه الكبائر الباطنة إذا وقعت في القلب .. كانت حجابا بين قلب العبد وقلب الرب.

---

(١) برنامجك في رمضان  عادل حسن يوسف الحمد ص/٣٥

(٢) كيف أتوب  محمد حسين يعقوب ص/١٩

ذلك أن الطريق الى الله إنما تقطع بالقلوب .. ولا تقطع بالأقدام .. والمعاصس القلبية قطاع الطريق.

يقول ابن القيم:
وقد تستولي النفس على العمل الصالح .. فتصيرخ جندا لها .. فتصول به وتطغى .. فترى العبد أطوع ما يكون .. أزهد ما يكون .. وهو عن الله أبعد ما يكون .. فتأمل .. !!

الحجاب الرابع: حجاب أهل الكبائر الظاهرة:
كالسرقة .. وشرب الخمر .. وسائر الكبائر ..

إخوتاه .. ينبغي أن نفقه في هذا المقام .. أنه لا صغيرة مع الإصرار .. ولا كبيرة مع الاستغفار .. والإصرار **هو الثبات على** المخالفة .. والعزم على المعاودة .. وقد تكن هناك معصية صغيرة فتكبر بعدة أشياء وهي ستة:." (١)
"٦ – صدق الندم واستقباح الذنب:
أن تصدق في الندم على ما فات .. فيعافيك الله مما هو آت .. أصدق الله يصدقك .. أصدق في الندم .. واستقباح الذنب .. بأن تعتقد قذارة المعصية .. فلا تعود اليها .. ويعينك الله **على الثبات بعيدا** عنها.

٧ – تأمل أحوال الصالحين:
قيل لبعض السلف: هل يستشعر العاصي لذة العبادة .. ؟؟ قال لا والله ولا من وهم ..

حين تتأمل أحوال الصالحين وتتأمل . مثلا . حال معاذ بن جبل عندما أصابه الطاعون فقال لغلامه: أنظر هل أصبحنا .. ؟ .. قال: لا .. بعد .. فقال: أعوذ بـ الله من ليلة صاحبها الى النار .. ؟؟

انظر من القائل .. ؟؟ إنه معاذ بن جبل .. !! إنه يخشى النار .. !! فماذا تقول أنت .. ؟؟

واعجبا لخوف عمر مع عمله وعدله .. ولأمنك مع معصيتك وظلمك ..

٨ – قصر الأمل ودوام ذكر الموت:
إن الذي يذكر الموت بصفة دائمة يخشى أن يفاجأه الموت .. فيلقى الله على معصيته ... فيلقيه الله في النار ولا يبالي ..

قال الحسن:" أخشى ان يكون قد اطلع على بعض ذنوبي فقال: اذهب فلا غفرت لك".

---

(١) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/٢٩

قال الحسن:" اخشى والله أن يلقيني في النار ولا يبالي".

أول ما يجب عليك فعله هو أن تخلص قلبك من الذنب كما قال إبن الجوزي:." (١)

"مرتاعا:" أومخرجي هم"؟ قال: نعم .. لم يأت رجل قط بما جئت إلا عودي (١).

هذا هو محمد الصادق الأمين .. اما عن قوم صالح فقد قالوا: ﴿ياصالح قد كنت فينا مرجوا من قبل هذا﴾ [هود:٦٢] .. كنا نحبك .. ماذا جرى لك لترافق المتطرفين .. أجننت .. فحين يرى العداء يفاجأ بأن الدنيا قد اشتعلت من حوله فيعود من حيث أتى .. ولكن اعلم قول الله تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ [الحج:٤٠]. هذه سنة الله التكوينية أن يكون العداء في البداية ثم يكون ظهور الحق، قال الامام الشافعي:" لا تمكين حتى تبتلى" الكل سيعلم أنك على حق .. واعلم إنك إما ستكون شهادة حق للاسلام وإما أن تكون شهادة زور ضد الاسلام حين تعود لتلك الشرور والمعاصي ..

قلنا مرارا وتكرارا إن إنتصار المسلمين يوم حورصروا فيالشعب ثلاث سنين لم يكن أقل من انتصارهم في غزوة بدر لأن المشركين حين **رأوا الثبات قالوا** إن المسلمين على حق .. وكذلك فعندما يرون **منك الثبات سيقولون** إن الملتزمين على حق .. فإياك أن ترجع، واستعن بالله واثبت.

العائق الأخير: العصرة التي تصيب قلب التائب:

يقول ابن القيم (٢):

ها هنا دقيقة قل من من يتفطن لها إلا فقيه في هذا الشأن .. رحم الله ابن القيم ورضي عنه .. قال وهي أن كل تائب لا بد له في أول توبته من عصرة وضغطة في قلبه .. من هم أو غم .. من ضيق أو حزن ..

---

(١) أخرجه البخاري (٤) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦٠) كتاب الايمان.

(٢) في كتاب " طريق الهجرتين" ص ٣٤٠ دار الحديث.." (٢)

"الضلالة ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ (١) .

أيها المسلم، اعرف قدر الإسلام، اعرف قدر هذه النعمة واحمد الله عليها، وأد واجب شكر هذه النعمة بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، اشكر الله على أن هداك لهذا الدين وقد أضل عنه الأكثرين ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ (٢) ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ (٣) ، وقال منوها بشأن هذه النعمة: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ (٤) فاعرف قدر هذه النعمة وازدد لله شكرا وثناء، لقد ذكر الله

---

(١) كيف أتوب  محمد حسين يعقوب ص/٨٠

(٢) كيف أتوب  محمد حسين يعقوب ص/٩٠

عن المؤمنين الراسخين في العلم الذين عرفوا قدر هذه النعمة أنهم في كل آن وحين يسألون الله الثبات على الإسلام، قال -جل جلاله- مخبرا عنهم في دعائهم: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ (٥) ، فاسألوا الله إذ هداكم للإسلام أن يثبتكم عليه وأن لا يزيغ قلوبكم عنه.

[أصل هذا الدين وقاعدته التي بني عليها هو تحقيق الشهادتين]

أيها المسلمون، إن أصل هذا الدين وأساسه وقاعدته التي بني عليها تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. فهذان ركنا التوحيد الذي لا يستقيم إسلام عبد إلا بتحقيق هاتين الكلمتين، فشهادة أن لا إله إلا الله تحقيقها إخلاص الدين لله، أن تكون عبادتك كلها خالصة لله، لا شريك لله في ذلك، هذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن تصرف جميع أنواع العبادة لمستحقها وهو الله جل جلاله: فدعاؤك لله وحده لا تدعو معه غيره، لا تذبح إلا لله، لا تنذر إلا لله، لا تستغيث إلا بالله، لا ترجو إلا الله،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٢

(٣) سورة الأنفال الآية ٢٣

(٤) سورة الزمر الآية ٢٢

(٥) سورة آل عمران الآية ٨." (١)

"[الحج مظهر وحدة المسلمين وقوة دين الإسلام وعظمته]

حجاج بيت الله الحرام، اليوم وقد انتظم شملكم في هذا المكان المبارك أتيتم من أماكن شتى، من أقطار الدنيا استجابة لأمر الله وتلبية لنداء الخليل: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (١) ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ (٢) ، تلكم المنافع التي تعود على القلوب بالصلاح والاستقامة، خرج المسلم من بلده، فارق أهله ووطنه وماله طاعة لربه، ارتدى لباس الإحرام طاعة لربه، وقد طاف بالبيت وبالصفا والمروة ووقف في تلكم المشاعر كلها طاعة لله وتنفيذا لأمر الله، فيعود ذلك على إيمانه بالقوة والثبات، إنه يرى عظمة الإسلام، فهذه الأمة المجتمعة متباينة أقطارهم، مختلفة ألوانهم وأجناسهم، جمعتهم قوة الإيمان ووحدتهم رابطة الإسلام، إن المسلم وهو يرى هذا الإسلام ويرى تمسك المسلمين به، ليتذكر أيضا قضية أخرى، وهو أن هذا الدين قد تكفل الله بنصره، لم يكل نصره للرجال، فكل جيل يخلف من قبله، فلو كان أمره للرجال لا نقضي بانقضائهم، ولكن الله تكفل به ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (٣) .

[على الحجاج أن يشكروا الله على أن وفقهم للوصول إلى هذا البلد الأمين]

حجاج بيت الله الحرام، اشكروا الله على نعمته أن وفقكم للوصول إلى هذا البلد الأمين، وجدتم هذا البلد آمنا مطمئنا يعيش في رغد من العيش، في أمن واستقرار وطمأنينة، يعيش متكاتفا متحابا متعاونا بين الشعب، والقيادة أعظم تعاون

---

(١) جامع خطب عرفة لعبد العزيز آل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/٨١

وترابط، كل ذلك بفضل الإسلام وبفضل تحكيم هذه الشريعة وإقامة حدود الله وتنفيذ شرع الله، فتلك آثار هذه العقيدة الصحيحة، نسأل الله لنا **ولهم الثبات على** الحق، والاستقامة على الهدى.

---

(١) سورة الحج الآية ٢٧

(٢) سورة الحج الآية ٢٨

(٣) سورة الحجر الآية ٩." (١)

"يقول: ادفع قبل الغروب، بت بمزدلفة إلى أن يمضي معظم الليل، وإن شئت أكمل فصلي بها الفجر، ارمي الجمرة بعد نصف الليل، وإن أردت الكمال فبعد طلوع الشمس، انحر هديك إن كنت متمتعا أو قارنا، واحلق رأسك ثم طف بالبيت، واسع بين الصفا والمروة، وإن قدمت شيئا على شيء فلا حرج عليك، لو قدمت الحلق قبل الرمي، أو النحر قبل الرمي، أو الطواف قبل الرمي، فلا حرج عليك؛ تيسير وتسهيل من الله، بت أيها الحاج بمنى ليالي التشريق، وارمي الجمار في اليوم الحادي عشر الأولى والوسطى والعقبة بعد زوال الشمس، وكذلك في اليوم الثاني عشر، ثم ودع البيت وانصرف مقبولا منك أعمالك بتوفيق الله.

[فضل يوم عرفة]

أيها المسلمون، هذا يوم عظيم من أيام الله، هذا يوم عرفة من أفضل أيام الله وأشرفها وأجلها، يوم المباهاة، «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟ (١) » إن الله يباهي عشية عرفة بأهل عرفة ملائكة السماء يقول: «انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا ضاحين يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، أشهدكم أني قد غفرت لهم (٢) » "، «ما رئي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام (٣) » فارفعوا إلى ربكم أكف الضراعة، ادعوه مخلصين له الدين الجئوا إلى الله في محو ذنوبكم وخطاياكم **سلوه الثبات على** الإسلام سلوه أن يتقبل حجكم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤ هـ) ، الهامش (١١)

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤ هـ) ، الهامش (١٠)

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، وعبد الرزاق في مصنفه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢ هـ) ، الهامش (١٦)." (٢)

"[على المسلمين المحافظة على إسلامهم بأداء أركانه وسائر أحكامه]

أمة الإسلام، حافظوا على إسلامكم إن البعض من المسلمين يتصور أنه إذا حج فقد سقط عنه واجبات الإسلام، وكل ذلك من الجهل والغلط، فيا أيها المسلم حافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها، إياك والتهاون بها؛ فإن تركها كفر ناقل

---

(١) جامع خطب عرفة لعبد العزيز آل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/٩٢

(٢) جامع خطب عرفة لعبد العزيز آل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/٩٥

عن ملة الإسلام، أد زكاة مالك، حافظ على شرائع دينك، كن أمينا في معاملاتك.

[توصية شباب الإسلام بتقوى الله والمحافظة على تعاليم دينهم]

يا شباب الإسلام، اتقوا الله في أنفسكم وحافظوا على دينكم، وكونوا شبابا صالحا، مثلوا الإسلام في أقوالكم وأعمالكم، أظهروا آداب الإسلام وفضائله، بينوا محاسنه ليقتدي بكم غيركم، واحذروا أن تكونوا فتنة لأعداء الإسلام إذا رأوا منكم انحرافا عن الصراط المستقيم، أساءوا الظن بهذا الدين وأهله، فكونوا دعاة خير ودعاة صلاح، تمسكوا بهذا الدين واعملوا به، واسألوا **الله الثبات عليه**.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن توفقنا لما تحبه وترضاه، اللهم اغفر لأموات المسلمين، اللهم اغفر لهم وارحمهم، وعافهم واعف عنهم، وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم، واغسلهم بالماء والثلج والبرد، ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم إنا نسألك في هذا اليوم المبارك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا، لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، اللهم اجعلنا من العتقاء من عذابك، اللهم اجعلنا من العتقاء من عذابك، اللهم اجعلنا من العتقاء من عذابك، يا سميع." (١)

"النعمة، ورضي الإسلام دينا، فلنرض بما رضي الله لنا، ولنحمد الله على هذه النعمة والفضل، **ونسأله الثبات على** الإسلام إلى أن نلقاه غير مبدلين ولا مغيرين.

أمة الإسلام، يا أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، يا خير الأمم وأكرمها وأفضلها على الله، يا من فضلكم الله بأفضل نبي، وأكرم كتاب، وأكمل شريعة، اعلموا أن هذا الفضل العظيم لن تنالوه إلا إذا حكمتم شرع الله، وعملتم بهذا الدين، وتآلفت عليه قلوبكم واجتمعت عليه كلمتكم.

" سعي أعداء الأمة لتشتيت شملها وتفريق صفوفها، وحقدهم على الإسلام وأهله "

إن أعداءكم يا أمة الإسلام يحاولون تفريق شملكم وتشتيت صفوفكم، وإيقاع العداوة والبغضاء بينكم، يحاولون أن يضربوا بعضكم ببعض، يحاولون أن يسلطوا بعضكم على بعض، فاحذروا مكايدهم، واحذروا ضلالاتهم، إنهم يعلمون أن اجتماعكم واعتصامكم بدين الله وتآلف قلوبكم قوة لا تغلبها قوة، لا يستطيع أي عدو أن يحطمها، فتمسكوا بهذا الدين واعملوا به واجتمعوا عليه لعلكم تفلحون.

أمة الإسلام، إن أعداءكم يتمنون من قلوبهم أن تتركوا دينكم، أن تفارقوا إسلامكم، يقول الله تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ (١) ، لأن تمسككم بإسلامكم حصن حصين يقيكم مكايد الأعداء وشرورهم، وإن كل فرقة واختلاف فإنما ذلك قوة لعدوكم عليكم، أنتم خير الأمم وأكرمها على الله، أنتم مؤهلون لقيادة البشرية كما قال الله -جل وعلا-: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (٢) ، وقال -سبحانه-: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾ (٣) .

---

(١) جامع خطب عرفة لعبد العزيز آل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/٩٦

فحذار حذار أمة الإسلام من مكايد أعداء الإسلام، إنهم ينسبون كل

---

(١) سورة النساء الآية ٨٩

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣." (١)

"تضرعوا بين يدي ربكم واسألوه من فضله وكرمه، **اسألوه الثبات على** دينه والاستقامة على الهدى، اسألوه الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، يقول الله -عز وجل- في حق العباد: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ (١) ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (٢) ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ (٣) ، فأتبعوا العمل الصالح بأعمال صالحة؛ ليبقى الثواب والأجر إن شاء الله. اللهم وفق المسلمين، اللهم اغفر للمسلمين، اللهم اجمع كلمتهم ووحد صفوفهم، اللهم اغفر لجميع أموات المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم، وعافهم واعف عنهم، وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم، واغسلهم بالماء والثلج والبرد، ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم من أرادنا وسائر المسلمين بشر فاجعل شره في نحره، اللهم تقبل منا حجنا، اللهم اجعل حجنا مبرورا، وسعينا مشكورا، وذنبنا مغفورا، اللهم انصر دينك وكتابك ونبيك وعبادك الصالحين، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق إمام المسلمين وولي عهده وحكومته لما تحبه وترضاه، اللهم أيده بنصرك وكن له عونا ونصيرا، اللهم وفقه لكل عمل صالح، وجازه عن الإسلام والمسلمين خيرا، إنك على كل شيء قدير، ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تعجل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٠

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠١

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠٢." (٢)

"خمسين ألف سنة (١)

" ذكر بعض أهوال يوم القيامة "

تذكر دنو الشمس من الخلائق وتفاوتهم في العرق، فمنهم من يبلغ به العرق إلى عقبيه، ومنهم من يبلغ به إلى حقويه، ومنهم من يبلغ به إلى ثدييه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما (٢)

تذكر وقوفنا بين يدي الله يوم عرضنا على الله، يوم يكلم الله كلا منا، فما منا من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه

---

(١) جامع خطب عرفة لعبد العزيز آل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/١٦٧

(٢) جامع خطب عرفة لعبد العزيز آل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/١٧٩

ترجمان

تذكر يوم تعطى صحائف الأعمال، فآخذ كتابه بيمينه فيزداد فرحا وسرورا، وآخذ كتابه بيساره فيزداد حزنا وكآبة.

تذكر أخي يوم مرورنا على الصراط، فناج مسلم، ومخدوش ناج، ومكدوس في النار

تذكر إذا دخل أهل الجنة الجنة، ونادى مناد: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ودخل أهل النار النار، ونادى مناد: يا أهل النار خلود فلا موت (٣)

تذكروا تلك الأهوال والمواقف العظيمة عسى أن تكون هادية لنا إلى التمسك بديننا والقيام بحق الله علينا، نسأل الله لنا ولكم **الثبات على** الحق، والاستقامة على الهدى، إنه على كل شيء قدير.

" وجوب التحلي بأخلاق النبي -صلى الله عليه وسلم-، والتزام تقوى الله في الحج "

أيها الحجاج، اتقوا الله في حجكم، والزموا الأدب الإسلامي، تخلقوا بالحلم والأناة والصفح والإعراض، ولتكن المحبة والتواصي بالحق سائدة بينكم، اتقوا الله في حجكم، فهذه مشاعر الحج لا رفث ولا فسوق ولا جدال فيها، فالمشاعر يذكر الله فيها، ويتقرب إليه بما يحب من الأعمال الصالحة، فاحذروا كل ما يفسد

---

(١) جاء ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٢ \ ٦٨٠ كتاب: الزكاة باب: إثم مانع الزكاة ح (٩٨٧)

(٢) جاء ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦ هـ) ، الهامش (١٣)

(٣) جاء ذلك فيما رواه البخاري في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦ هـ) ، الهامش (١٧)." [1]

"تاسعا: حدود التنشئة الاجتماعية

مدخل

...

تاسعا: حدود التنشئة الاجتماعية

تبدأ التنشئة منذ اللحظة الأولى في حياة الأفراد مرورا بالعديد من الأمور حتى اختيار الوالدين للون الذي يلائم الإناث والألوان التي تناسب الذكور. فهي عملية معقدة متشابكة تتأثر بعوامل خارجية وداخلية.

والجماعات والمؤسسات الموجودة في المجتمع تلعب الدور الأساسي في هذه العملية مثل الوالدين والإخوة وجماعة الرفاق.

وجميع هؤلاء يبذلون جهدا كبيرا ويقضون جزءا من أوقاتهم في العمل على إيصال القيم وتشكيل وتعديل سلوك الأطفال.

وتختلف كل من القيم والمعايير والأهداف والوسائل التي تنطوي عليها عملية التنشئة الاجتماعية عبر المجتمعات، بل إنها تختلف داخل المجتمع الواحد من جماعة إلى أخرى، بل وفي المجتمع الواحد عبر الأزمنة والعصور.

وتعتبر التنشئة الاجتماعية للأفراد في مراحل الطفولة ليست كافية تماما لمواجهة مطالب الحياة اللاحقة، فهم ينتقلون عبر سلسلة من المراكز تكون مصاحبة لمراحل الحياة. وعلى الرغم من أن بعض توقعات المجتمع شبه ثابتة، إلا أن هناك توقعات

---

(١) جامع خطب عرفة لعبد العزيز آل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٠٣

تتغير من عمر إلى آخر، في الوقت الذي ينتظر من الفرد الاستجابة لهذه التوقعات المتغيرة بأسلوب مناسب عندما يصبح في حياته أشخاص جدد في العائلة أو العمل أو الدراسة.

وبطبيعة الحال فإن فعالية التنشئة الاجتماعية في الطفولة يكون لها التأثير الأعظم في المجتمعات عديمة التغير أو ضئيلة التغير، ولكن لا يتوقع لها الثبات. وربما يأتي الاستقرار في مثل هذه المجتمعات الهادئة من الاستمرار مدة زمنية مع الآخرين المهمين أنفسهم، والذين ينغمر معهم الفرد، مثل الأبوين أو الأقارب الذين يعش معهم الطفل حتى منتصف العمر وأحيانا الأصدقاء الذين يستمرون خلال معظم حياة الإنسان. إلا أنه حتى في بعض المجتمعات عديمة التغير نسبيا لا تمكن تنشئة الطفل في الطفولة نجاحه في التعامل مع كل الأدوار التي يتم مقابلتها في المستقبل، كما أن الأفراد لا يمكن تنشئهم في الطفولة على أدوار سوف." (١)

"من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ هذا أولا، وثانيا: عدم الاستجابة لما يزينه للعبد، وتركه والإعراض عنه. وثالثا:لزوم الطهارة ما أمكن ذلك، ورابعا: قراءة القرآن في المنزل وصلاة النافلة فيه، وخامسا: تطهير المنزل من الصور، خاصة ما يعرض في الآلات كالفيديو والتلفاز من صور العواهر والكفار، وأصوات المزامير المختلفة بهذا يتقى الشيطان وإخوانه، ومن الأسباب الممكنة لتوقى شر العدو من الإنس:

١- عدم حسن الظن به أي بالعدو الكافر دائما وأبدا.

٢- إعداد العدة الحربية بحسب القدرة على ذلك لقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ .

٣- إسناد أمر القيادات الحربية إلى ذوى الكفاءات من القدرة البدنية والعلمية الحربية والإيمانية الروحية.

٤- وجود خبرة عسكرية كاملة وقيادة رشيدة مؤمنة حكيمة عليمة.

٥- وجوب أخذ الأهبة، والاستعداد التام في أيام السلم، وأيام الحرب على حد سواء؛ لآية الأنفال: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ وهذا يعرف بالسلم المسلح.

٦- وحدة الكلمة ووحدة الصف؛ إذ الفرقة محرمة بقول الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ .

٧- طاعة الله وطاعة رسوله بصورة عامة، وذلك بفعل الأوامر واجتناب المناهى في الحرب والسلم معا، إن الذنوب موجبة للعقوبة من الله تعالى، وقد تكون هزيمة بالعدو، والعياذ بالله.

٨- في حال الهجوم يجب القيام بما يلي:

**أ- الثبات وعدم** التقهقر. ب- ذكر الله تعالى بالقلب واللسان.

وهذا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ .

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته  زكريا الشربيني ص/٥١

ولنراجع معاني هذه الآية الكريمة في النداء (٤٥) من سورة الأنفال فإن بيانها هناك واف مفيد.

وصلى الله وسلم على نبينا وآله وصحبه وسلم وعلى المرسلين والحمد لله رب العالمين.." (١)

"النداء السادس والعشرون: في وجوب الثبات على الإيمان وتقويته والتحذير من ضده وهو الكفر

الآية (١٣٦) من سور ة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ .

الشرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي يشمل المؤمنين حق الإيمان وهم ممن آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، فناداهم ربهم تعالى بعنوان الإيمان الذي هو صفتهم، ناداهم ليأمرهم بالثبات على إيمانهم وبتقويته وزيادته، حتى يبلغوا أعلى مستوى فيه، وهو اليقين، ويشمل المنافقون وهم مؤمنون في الظاهر كافرون في الباطن؛ وما أكثرهم في المدينة أيام نزول هذه السورة القرآنية الكريمة سورة النساء أمرهم بأن يؤمنوا الإيمان الحق، وهو الإيمان بالله وبرسوله ولقائه، وبالملائكة والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر. إذ الإيمان الظاهر دون الباطل كفر ونفاق، فمن رحمة الله بالعباد ناداهم بعنوان الإيمان، وأمرهم بالإيمان الحق لينجوا ويسعدوا.

كما يشمل هذا النداء مؤمني اليهود الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض. فقد روى عن أن عبد الله بن سلام، وأسدا وأسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس، وسلام بن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه، ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن، وبكل كتاب كان قبله "، فقالوا: لا نفعل فنزلت هذه الآية فآمنوا كلهم، فهنيئا لهم ولمن قبل دعوة الحق مثلهم.." (٢)

"النداء الثامن والستون: في وجوب طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والتحذير من إبطال الأعمال الصالحة

الآيتان (٣٣ - ٣٤) من سورة محمد صلى الله عليه وسلم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ .

الشرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن طاعة الله وطاعة رسوله عليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة، لذا نادى الله جل جلاله عباده

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/٦٤

(٢) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/٧١

المؤمنين به وبلقائه ليأمرهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لعلمه تعالى أن السعادة في طاعته وطاعة رسوله، وأن الشقاء في معصية الله ومعصية رسوله، وهو تعالى يحب أولياءه وهم المؤمنون بما أمرهم أن يأمنوا به، والمتقون له بترك معاصيه. فبحبه لهم أمرهم بالطاعة الموجبة للسعادة حتى يسعدوا ولا يشقوا فله الحمد وله المنة.

ناداهم قائلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من أمنتم بي ربا وإلها وبديني الإسلام دينا حقا لا دين ينفع ويجدى سواه، وبنبي محمد خاتما ورسولا عاما ﴿أطيعوا الله﴾ ربكم وإلهكم ووليكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه. ﴿وأطيعوا الرسول﴾ نبيكم ورسولكم في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه، فإن هذه الطاعة التي أمرتم بها هي سبيل نجاتكم، وسلم رقيكم وسعادتكم فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدارين. ولنعلم أن هذا الأمر بالطاعة لله ورسوله هو من باب ألزموا طاعة الله ورسوله واثبتوا عليها؛ لأنهم بإيمانهم مطيعون. وقوله تعالى لهم: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ يؤكد أن الأمر بالطاعة هنا **معناه الثبات عليها** وعدم التهاون فيها. وإبطال الأعمال الصالحة يكون بأمور أظهرها وأقواها الشرك والردة عن الإسلام، ثم الرياء وهى أن." (١)

"أما الآن فيحتاج إلى تدريس الدين دراسة عقلية.

إن مدرس الرياضيات يحترم عقله، ويدلل له على صدق النظريات التي يدرسها، ومدرس العلوم يقيم له التجارب العملية، ليدلل على صدق ما يقول. فيجب أن يراعى المربون هذه القضية.

مكارم: هل سنجري له التجارب على صدق الدين، وأهمية الخلق؟!

عارف: نفس المواد التي يدرسها في مدرسته، يمكن أن نستفيد منها في تثبيت قضايا الدين في نفسه، وهذا أمرا سهل. وسأهديك نسخا من كتاب "هذه عقيدتك يا ولدي" فإنه محاولة لتوجيه الدراسة العلمية لخدمة العقيدة، وتثبيتها في نفوس الشباب.

مكارم: وإلى متى تظل مرحلة التمرد هذه يا شيخ عارف؟

عارف: إلى حوالي الخامس والعشرين من عمره.

بعدها تبدأ **مرحلة الثبات الذهني**، والاستقرار الفكري ...

مكارم: والله ... كأني أرى ولدي الآن يتردد على بيوت الله، ويصادق الشباب النبيل.

لقد أصبح أملي كبيرا في نجاته وهدايته.

كنت أعتقد أن تكسير زجاجة الخمر، وحرق كتب." (٢)

"سبحانه: ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ ١ وفي هذا إشارة إلى أن الذي يحيي الأرض بعد موتها بالماء فهو كذلك يحيي القلوب بعد موتها بالوحي، ولكن ذلك إنما يكون لمن عقل آيات الله. وبهذا يتبين أن "شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/١٨٧

(٢) تربية القرآن يا ولدي محمود محمد غريب ص/٣٦

بالتذكر على التفكر والتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس، وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الإيمان يخلق في القلب كما يخلق الثوب فجددوا إيمانكم" ٢. وبالجملة فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك، ومن هنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات، وعظيم رحمته وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده بأن وظفها عليها وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم"٣.

ثالثا: أن النخلة شديدة الثبوت، كما قال الله تعالى في الآية المتقدمة: ﴿أصلها ثابت﴾ ، وهكذا الشأن في الإيمان إذا رسخ في القلب فإنه يصير في أشد ما يكون من الثبات لا يزعزعه شيء، بل يكون ثابتا كثبوت الجبال الرواسي.

سئل الأوزاعي رحمه الله عن الإيمان أيزيد؟ قال: "نعم حتى يكون كالجبال،

---

١ سورة: الحديد، الآية: (١٧) .

٢ روى الحاكم (٤/١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد إيمانكم".

وقال الحاكم: "رواته مصريون ثقات"، ووافقه الذهبي.

ورواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٥٢/١) ، وقال الهيثمي: "إسناده حسن"، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (رقم:١٥٩٠) ، والسلسلة الصحيحة (١١٣/٤) .

٣ إعلام الموقعين لابن القيم (١٧٤/١) .." (١)

"الإمام ابن القيم يحذر من استفزاز البداءات

فقد ندد - رحمه الله تعالى- بمن تستخفه البداءات وعوارض الشبهات، فقال فيمن هذا شأنه: " ... هذا دليل ضعف عقله ومعرفته؛ إذ تؤثر فيه البداءات، ويستفز بأوائل الأمور، بخلاف الثابت التام العاقل، فإنه لا تستفزه البداءات، ولا تزعجه وتقلقه، فإن الباطل له دهشة وروعة في أوله، فإذا ثبت له القلب؛ رد على عقبيه، والله يحب من عنده العلم والأناة، فلا يعجل، بل يثبت حتى يعلم، ويستيقن ما ورد عليه، ولا يعجل بأمر من قبل استحكامه، فالعجلة والطيش من الشيطان، فمن ثبت عند صدمة البداءات؛ استقبل أمره بعلم وحزم، ومن لم يثبت لها؛ استقبله بعجلة وطيش، وعاقبته الندامة، وعاقبة الأول حمد أمره، ولكن للأول آفة متى قرنت بالحزم والعزم نجا منها؛ وهي: الفوت، فإنه لا يخاف من التثبت إلا الفوت، فإذا اقترن به العزم والحزم؛ تم أمره، ولهذا في الدعاء الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد" (١).

---

(١) أخرجه من حديث شداد بن أوس - رضي الله عنه - الطبراني في "الكبير" (٧/ ٣٣٥، ٣٣٦)، وأبو نعيم في "الحلية" (١/ ٢٦٦)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٦/ ١٢٧)، وقال الألباني: "إسناده جيد، رجاله ثقات، وفي بعضهم

---

(١) تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢١٠

خلاف لا يضر". اهـ. من "الصحيحة" رقم (٣٢٢٨)، وحسنه شعيب الأرناؤوط بطرقه كما في "الإحسان" (٥/ ٣١١، ٣١٢).." (١)

"وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح، وما أتي العبد إلا من تضييعهما أو تضييع أحدهما، فما أتي أحد إلا من باب العجلة والطيش، واستفزاز البداءات له، أو من باب التهاون والتماوت، وتضييع الفرصة بعد مواتاتها (١)، فإذا حصل الثبات أولا، والعزيمة ثانيا أفلح كل الفلاح، والله ولي التوفيق" (٢). اهـ.

والواقعة التالية تجسد لك سلوك الذي تستخفه بداءات الأمور، وتستفزه أوائلها، وسلوك الحليم الواثق الذي يصدر عن علم وبصيرة، وحزم وعزم:

فقد قال يسير بن جابر: "هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى (٣) إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد، وكان متكئا، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشام) فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام" الحديث (٤)

---

(١) وفي هذا يقول الأعشى:

وربما فات قوما جل أمرهم ... من التأني، وكان الحزم لو عجلوا

(٢) "مفتاح دار السعادة"، ص (١٦٩، ١٧٠)، ط. دار الحديث، القاهرة ١٤١٤ هـ.

(٣) له "هجيرى": أي شأنه ودأبه ذلك.

(٤) رواه مسلم، رقم (٢٨٩٩).." (٢)

"المنقطع للعبادة في الفتنة فر عن الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه عز وجل، فهو مهاجر إلى الله سبحانه وتعالى" (١).

وقد قال الله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير﴾ [الحديد: ١٠] لأن الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا فعلوا ذلك في وقت خوف وقلة، بخلاف من فعل ذلك بعد الفتح، فإنهم- وإن كانوا موعودين بالحسنى- إلا أنهم أنفقوا وقاتلوا بعد عزة الإسلام وقوة أهله (٢).

وقال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥].

وذلك لأن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر.

وقال- جل وعلا- مخاطبا خليله محمدا- صلى الله عليه وسلم -: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩]. فأمره- صلى الله

---

(١) بصائر في الفتن محمد إسماعيل المقدم ص/٤٥

(٢) بصائر في الفتن محمد إسماعيل المقدم ص/٤٦

عليه وسلم – بأن يفزع إلى الصلاة والذكر إذا ضاق صدره بما يقوله أعداء الدين، فإن في ذلك شرحا للصدر، وتفريجا للكربة، وهكذا كان هديه صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، قال حذيفة – رضي الله عنه –: "رجعت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا حزبه أمر صلى" (٣).

---

(١) "إكمال إكمال المعلم" (٧/ ٢٨٣).

(٢) انظر: "مسائل في الفتن" للصبحان ص (٤١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٨٨)، وابن جرير (١/ ٢٠٥)، وأبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني.." [1]

---

(١) بصائر في الفتن محمد إسماعيل المقدم ص/١١٩